الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١٧

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۷

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ت ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص: ۱

اشاره

سوره ق

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها خمس و أربعون آیه

ص :۵

محتوى السوره:

إنّ محور بحوث هـذه السوره هو موضوع«المعاد»و جميع هـذه الآيات- تقريبا-تـدور حول هـذا المحور و بعض المسائل الاخرى التى لها تعلّق به أيضا.

و من المسائل المرتبطه بالمعاد تمت الإشاره فى هذه السوره إلى الأمور التاليه:

١-إنكار الكافرين مسأله المعاد و تعجّبهم منها«المراد بالمعاد هنا هو المعاد الجسمانى».

٢-الاستدلال على مسأله المعاد عن طريق الالتفات إلى مطلق التكوين و الخلق و خاصّه إحياء الأرض الميته بنزول الغيث.

٣-الاستدلال على مسأله المعاد عن طريق الالتفات إلى الخلق الأوّل.

۴-الإشاره إلى مسأله ثبت الأعمال و الأقوال ليوم الحساب.

۵-المسائل المتعلّقه بالموت و الانتقال من هذه الدنيا إلى الدار الاخرى.

۶-جانب من حوادث يوم القيامه و أوصاف الجنّه و النار.

٧-إشاره إلى حوادث نهايه هذا العالم المذهله و المثيره التى تعتبر بدورها بدايه العالم الآخر! و فى الأثناء إشارات(موجزه و ذات تأثير بليغ)عن حال الأمم الماضيه و طغيانها و عاقبتها الوخيمه أمثال قوم فرعون و عاد و قوم لوط و قوم شعيب و قوم تبع و ما ورد من تعليمات للنبى فى التوجّه إلى اللّه تعالى..كما وردت فى بدايه السوره و نهايتها إشاره موجزه إلى عظمه القرآن!.

فضيله تلاوه سوره«ق»:

يستفاد من الرّوايات الإسلاميه أنّ النّبى كان يهتمّ اهتماما كبيرا بسوره«ق» حتّى أنّه كان يقرؤها فى خطبه صلاه كلّ يوم جمعه (۱) .

كما ورد فى حديث آخر أنّه كان يقرؤها فى كلّ عيد و جمعه (۲) و إنّما كان ذلك فلأنّ يومى الجمعه و العيد يومان يتيقّظ فيهما الناس و ينتهبون،و فيما تكون العوده إلى الفطره الاولى،و التوجّه إلى اللّه و يوم الحساب،و حيث أنّ آيات هذه السوره تتحدّث عن مسائل المعاد و الموت و حوادث يوم القيامه و أنّ لاسلوبها تأثيرا بالغا فى إيقاظ الناس من الغفله و تربيتهم،لذلك كانت موضع اهتمام النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و

قد ورد فى بعض أحاديث النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «من قرأ سوره(ق)هوّن اللّه عليه تارات الموت و سكراته» (۳) .

كما

ورد عن الباقر عليه السّلام أنّه قال: «من أدمن فى فرائضه و نوافله سوره(ق) وسّع اللّه فى رزقه و أعطاه كتابا بيمينه و حاسبه حسابا يسيرا».

و لا حاجه للتذكير بأنّ كلّ هذه الفضيله و الفخر لا يحصل بقراءه الألفاظ فحسب،بل القراءه هى بدايه لتيقّظ الأفكار،و هى بدورها مقدّمه للعمل الصالح و الانسجام مع محتوى السوره هذه.

۱- ۱) -تفسير القرطبى،ج ۹،ص ۶۱۷۱.

۲- ۲) -تفسير فى ظلال القرآن،ج ۷،ص ۵۴۷.

۳- ۳) -تفسير مجمع البيان،ج ۹،ص ۱۴۰.

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ ق وَ اَلْقُرْآنِ اَلْمَجِيدِ (۱) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جٰاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقٰالَ اَلْكٰافِرُونَ هٰذٰا شَيْءٌ عَجِيبٌ (۲) أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (۳) قَدْ عَلِمْنٰا مٰا تَنْقُصُ اَلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنٰا كِتٰابٌ حَفِيظٌ (۴) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (۵)

التّفسير

اشاره

المنكرون المعاندون فی أمر مريج!

مرّه اخرى نواجه هنا بعض الحروف المقطّعه!و هو الحرف«ق»،و كما قلنا من قبل أنّ واحدا من التفاسير المتينه هو أنّ هذا القرآن على عظمته مؤلّف من حروف بسيطه هی ألف باء إلخ..و هذا يدلّ على أنّ مبدع القرآن و منزله لديه علم لا محدود و قدره مطلقه بحيث خلق هذا التركيب الرفيع العالی من هذه الوسائل البسيطه المألوفه! و بالطبع فإنّ هناك تفاسير أخر للحروف المقطّعه و يمكن مراجعتها فی بدايات سور«البقره،آل عمران،الأعراف و سور حم أيضا».

قال بعض المفسّرين أنّ«ق»إشاره إلى بعض أسماء اللّه تعالى«كالقادر و القيّوم»و ما إلى ذلك من الأسماء المبدوءه بحرف القاف.

كما ورد فى كثير من التفاسير أنّ«ق»اسم لجبل عظيم يحيط بالكره الأرضيه! و لكن أى جبل هو بحيث يحيط بالكره الأرضيه أو مجموع العالم؟!و ما المراد منه؟ليس هنا محلّ الكلام عنه!لكن ما ينبغى ذكره هنا أنّه من البعيد جدّا أن يكون«ق»فى هذه السوره إشاره إلى جبل قاف!لأنّه ليس هذا لا يتناسب مع مواضيع السوره و ما ورد فيها فحسب،بل حرف«القاف»هنا كسائر الحروف المقطّعه الوارده فى بدايات السور فى القرآن،أضف إلى ذلك لو كان«ق»إشاره إلى جبل«قاف»لكان ينبغى أن يقترن بواو القسم كقوله تعالى:و الطور و أمثال ذلك،و ذكر كلمه ما من دون مبتدأ و لا خبر أو واو القسم لا مفهوم لها.

ثمّ بعد هذا كلّه،فإنّ الرسم القرآنى لجميع المصاحف هو ورود الحرف«ق» مفردا،فى حين أنّ جبل«قاف»يكتب رسمه على هيئه اسمه الكامل«قاف».

و من جمله الأمور التى تثبت على أنّ هذا الحرف«ق»هو من الحروف المقطّعه المذكوره لبيان عظمه القرآن هو مجىء القسم مباشره-بعد هذا الحرف- بالقرآن المجيد إذ يقول سبحانه: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .

كلمه«المجيد»مشتقّه من المجد و معناها الشرف الواسع،و حيث أنّ القرآن عظمته غير محدوده و شرفه بلا نهايه،فهو جدير بأن يكون مجيدا من كلّ جهه، فظاهره رائق،و محتواه عظيم،و تعاليمه عاليه،و مناهجه مدروسه،تبعث الروح و الحياه فى نفوس العباد.

و لسائل أن يسأل:ما المراد من ذكر هذا القسم؟أو ما هو المقسم له؟!هناك بين المفسّرين احتمالات كثيره،و لكن مع الالتفات إلى ما بعد القسم من الآيات فإنّه يبدو أنّ المقصود بالقسم أو جواب القسم هو مسأله النبوّه نبوه محمد أو

نشور الناس و بعضهم بعد موتهم (۱) .

ثمّ يبيّن القرآن جانبا من إشكالات الكفّار و المشركين العرب الواهيه فيذكر إشكالين منها..الأوّل هو حكايته منهم: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ .

و هذا إشكال طالما أشار إليه القرآن وردّ عليه،و تكرار هذا الإشكال يدلّ على أنّه من إشكالات الكفّار الأساسيه التى كانوا يكرّروها دائما!.

و لم يكن النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم وحده قد أشكلوا عليه بهذا الإشكال،فالرسل أيضا أشكلوا عليهم أيضا بذلك بقولهم: إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا (۲) و كانوا يقولون أحيانا: ما هذا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ (۳) .

و ربّما أضافوا أحيانا لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً . (۴)

إلاّ أنّ جميع هذه الأمور كانت حججا واهيه و ذريعه لعدم التسليم للحقّ.

و القرآن فى هذه الآيات محلّ البحث لا يردّ على هذا الإشكال،لأنّه أجاب عليه مرارا،و هو إن أردنا أن نرسل ملكا لجعلناه على صوره بشر..أى أنّ قاده الناس ينبغى أن يكونوا منهم فحسب ليكونوا قادرين على معرفه همومهم و آلامهم و رغباتهم و حاجاتهم و مسائل حياتهم،و ليكونوا أسوه لهم من الناحيه العمليه و لئلاّ يقولوا لو كانوا أمثالنا لما ظلّوا طاهرين أنقياء! فمناهج الملائكه تتناسب معهم و لا تتناسب مع طموحات البشر و آلامهم:

ص: ۱۱

۱- ۱) -و تقدير الكلام هكذا«ق»و القرآن المجيد إنّك لرسول اللّه»أو..لتبعثنّ أو أنّ البعث حقّ إلخ.

۲- ۲) -سوره ابراهيم،۱۰.

۳- ۳) -سوره المؤمنون،۳۳.

۴- ۴) -سوره الفرقان،۷.

و بعـد إشـكالهم الأـوّل على نبوّه النّبى محمّـد صلّى اللّه عليه و سلّم و هو كيف يكون النّبى بشـرا؟!كان لهم إشـكال آخر على محتوى دعوته و وضعوا أصابع الدهشه على مسأله اخرى كانت عندهم أمرا غريبا و هى إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (۱) .

و على كلّ حال،كانوا يتصوّرون أنّ العوده للحياه مرّه اخرى بعيده لا يصدّقها العقل،بل كانوا يرونها محالا و يعدوّن من يقول بها ذا جنّه!كمـا نقرأ ذلك فى الآيتين ۷ و ۸ من سوره سـبأ إذ: قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَـدُلُّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذٰا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّهٌ .

و لم يكن هـذا الإشـكال الـذى أوردوه على النّبى هنا فحسب،بل أشـكلوا عليه به عدّه مرّات و سـمعوا ردّه عليهم،إلّا أنّهم كرّروا عليه ذلك عنادا.

و على كـلّ حـال،فإنّ القرآن،يردّ عليهم بطرق متعـدّده!فتاره يشـير إلى علم اللّه الواسع فيقول: قَدْ عَلِمْنٰا مٰا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنٰا كِتٰابٌ حَفِيظٌ .

إذا كـان إشـكالكم هو أنّه كيف تجتمع عظـام الإنسـان النخره و لحمه الـذى صـار ترابـا و ذرّاته التى تبـدلّت إلى بخار و غازات متفرّقه فى الهواء،و من يجمعهـا؟!أو من يعرف عنها شـيئا؟!فجواب ذلك معلوم...فاللّه الـذى أحاط بكلّ شـىء علما يعرف جميع هـذه الـذرّات و يجمعها متى شاء،كما أنّ ذرّات الحديـد المتناثره فى تلّ من الرمل يمكن جمعها بقطعه من«المغناطيس»فكذلك جمع ذرّات الإنسان أيسر على اللّه من ذلك.

و إذا كـان إشـكالهم أنّه من يحفـظ أعمال الإنسان ليوم المعاد،فالجواب على ذلك أنّ جميع أعمال الناس فى لوح محفوظ،و لا يضيع أى شىء فى هذا العالم، و كلّ شىء-حتّى أعمالكم-سيظلّ باقيا و إن تغيّر شكله.

ص: ۱۲

۱- ۱) -جواب إذا محذوف و يعرف من الجمله التاليه و تقديرها:«إذا متنا و كنّا ترابا نرجع و نردّ أحياء ذلك رجع بعيد».

كِتَابٌ حَفِيظٌ

معناه الكتاب الذى يحفظ جميع أعمال الناس و غيرها، و هو إشاره إلى«اللوح المحفوظ»الذى بيّنا معناه بتفصيل فى ذيل الآيه(٣٩)من سوره الرعد.

ثمّ يردّ القرآن عليهم بجواب آخر،و فيه منحى نفسى أكثر إذ يقول: بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ .

أى إنّهم جحدوا الحقّ مع علمهم به،و إلاّ-فإنّه لا-غبار على الحقّ،و كما سيتّضح فى الآيات المقبله فإنّهم يرون صوره مصغّره للمعاد بأعينهم مرارا فى هذه الدنيا و ليس عندهم مجال للشّك و التردّد! لذلك فإنّ القرآن يختتم هذه الآيه مضيفا: فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ !فلأنّهم كذّبوا الرساله فهم دائما فى تناقض فى القول و حيره فى العمل و اضطراب فى السلوك.

فتاره يتّهمون النّبى بأنّه مجنون أو أنّه شاعر أو كاهن.

و تاره يعبّرون عن كلماته بأنّها«أساطير الأوّلين».

و تاره يقولون بأنّه يعلّمه بشر.

و تاره يقولون عنه بأنّه ساحر لنفوذ كلماته فى القلوب.

و تاره يقولون بأنّنا نستطيع أن نأتى بمثله.

و هذه الكلمات المتفرّقه و المتناقضه تدلّ على أنّهم فهموا الحقّ،إلاّ أنّهم يتذرّعون بحجج واهيه شتّى،و لذلك لا يقرّون على كلام واحد أبدا.

و كلمه«مريج»مشتقّه من مرج-على زنه حرج-و معناها الأمر المختلط و المشتبه و المشوش،و لذلك فقد أطلقوا على الأرض التى تكثر فيها النباتات المختلفه و المتعدّده بأنّها«مرج»أو«مرتع».

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۶ الى ۱۱]

اشاره

أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى اَلسَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ (۶) وَ اَلْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (۷) تَبْصِرَةً وَ ذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (۸) وَ نَزَّلْنا مِنَ اَلسَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ وَ حَبَّ اَلْحَصِيدِ (۹) وَ اَلنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (۱۰) رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ اَلْخُرُوجُ (۱۱)

التّفسير

اشاره

انظروا إلى السماء لحظه!

هـذه الآيـات تواصـل البحث عن دلائـل المعـاد،فتاره تتحـدّث عن قـدره اللّه المطلقه لإثبات المعاد،و اخرى تستشـهد له بوقائع و نماذج تحدث فى الدنيا تمثّل حاله المعاد.

فهى تستجلب و تلفت أنظار المنكرين إلى خلق السماوات فتقول: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنّاها .

ص :۱۴

و المراد بـالنظر هنـا هو النظر المقترن بالتفكير الـذى يـدعو صاحبه لمعرفه عظمه الخالق الـذى خلق السـماء الواسـعه و ما فيها من عجائب مذهله و تناسق و جمال و استحكام و نظم و دقّه.

جمله وَ مٰا لَهٰا مِنْ فُرُوجٍ أى لا انشـقاق فيهـا،إمّـا أن يكون بمعنى عـدم وجود النقص و العيب و ارتبـاك كمـا ذهب إليه بعض المفسّـرين،أو أن يكون معنـاه عـدم الإنشـقاق و الإنفطار فى السـماء المحيطه بأطراف الأرض و هى ما يعبّر عنها بالغلاف الجوّى للأرض أو مـا يعبّر القرآن عنه بالسـقف المحفوظ كمـا ورد ذلك فى سوره الأنبياء الآيه(٣٢)إذ توصـد الطريق بوجه النيازك و السدم و الشـهب التى تهوى باسـتمرار نحو الأرض و بسرعه هائله و قبل أن تصل إلى الأرض تسـتحيل إلى شعله فرماد،كما أنّها تحجب الأشعّه الضارّه للشمس و غيرها من الأشعّه الكونيه،و إلاّ فإنّ السماء معناها الفضاء الواسع الذى تسبح فيه الأجرام الكرويه المعروفه بالنجوم.

و هنا احتمال ثالث أيضا،و هو أنّ الجمله السابقه إشاره إلى نظريه وجود «الأثير»..و طبقا لهـذه النظريه فإنّ جميع عالم الوجود بما فيه الفواصـل التى تقع ما بين النجوم-ملىء من مادّه عـديمه اللون و الوزن تـدعى ب«الأثير»و هى تحمل أمواج النور و تنقلها من نقطه لأخرى،و طبقـا لهـذه النظريه فـإنّه لا وجود لأيّه فرجه و لا فجوه و لا انشـقاق فى عـالم الإيجاد و الخلق،و جميع الأجرام السماويه و الكواكب السياره تموج فى الأثير! و بالطبع فإنّه لا منافاه بين هذه التفاسير الثلاثه و إن كانت النظريه الثالثه التى تعتمد على فرضـيه الأثير لا يعوّل عليهـا و لا يمكن الركون إليها،لأنّ موضوع الأثير ما يزال قيـد الـدرس و لم يثبت بصوره قطعيّه عند جميع العلماء لحدّ الآن! ثمّ تشير الآيات إلى عظمه الأرض فتقول: وَ الْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا وَ أَلْقَيْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَ أَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

ص :١٥

أجل،خلق الأرض من جهه،ثمّ اتّساعها«و خروجها من تحت الماء»من جهه اخرى،و وجود الجبال«الرواسى»عليها و ارتباط بعضها ببعض كأنّها السلاسل التى تشدّ الأرض و تحفظها من الضغوط الداخليه و الخارجيه و الجزر و المدّ الحاصلين من جاذبيه الشمس و القمر من جهه ثالثه...و وجود أنواع النباتات بما فيها من عجائب و اتّساق و جمال من جهه رابعه جميعها تدلّ على قدرته اللاّمحدوده (۱) .

و التعبير ب مِنْ كُلِّ زَوْجٍ إشاره إلى مسأله الزوجيه فى عالم النباتات التى لم تكن معروفه كأصل كلّى حين نزول الآيات محلّ البحث،و بعد قرون و سنين متطاوله استطاع العلم أن يميط النقاب عنها.أو أنّه إشاره إلى اختلاف النباتات و أنواعها المتعدّده،لأنّ التنوّع و الاختلاف فى عالم النبات عجيب و مذهل.

أمّا الآيه التاليه فهى بمثابه الاستنتاج إذ تقول: تَبْصِرَةً وَ ذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (۲) .

أجل إنّ من له القدره على خلق السماوات بما فيها من عظمه و جمال و جلال،و الأرض بما فيها من نعمه و جمال و دقّه،كيف لا يمكنه أن يلبس الموتى ثوب الحياه مرّه اخرى و أنّ يجعل لهم معادا و حياه اخرى!؟ ترى أ ليست هذه القدره المذهله العظيمه دليلا واضحا على إمكان المعاد؟! أمّا الآيه التاليه ففيها استدلال آخر على هذا الأمر إذ تقول: وَ نَزَّلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً مُبٰارَكاً فَأَنْبَتْنٰا بِهِ جَنّٰاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ .

«الجنّات»هنا إشاره إلى بساتين الثمار،أمّا حَبَّ الْحَصِيدِ فإشاره إلى الحبوب التى تعدّ مادّه أساسيّه لغذاء الإنسان كالحنطه و الشعير و الذرّه و غيرها

۱- ۱) -كنّا قد بحثنا فوائد إيجاد الجبال و اتّساع الأرض و بسطها و زوجيه النباتات بحثا مفصّلا فى سوره الرعد ذيل الآيه(۳).

۲- ۲) -يمكن أن تكون تبصره مفعولا لأجله كما يمكن أن تكون مفعولا مطلقا..إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل أنسب،و مثل هذا يقع الكلام على كلمه«ذكرى».

ثمّ تضيف الآيه: وَ النَّخْلَ بٰاسِقٰاتٍ لَهٰا طَلْعٌ نَضِيدٌ كلمه:«باسقات»جمع باسقه بمعنى الشجره المرتفعه العاليه و«الطلع»ثمر النخل و ما يكون منه الرطب و التمر بعدئذ،و كلمه«النضيد»معناها المتراكم بشكل دقيق،و المعروف أنّ عذق النخل قبل أن ينشقّ،يحمل داخله طلعا متراكما و حين ينشقّ هذا الطلع يكون مذهلا و عجيبا.

و الآيه الأخيره من الآيات محلّ البحث تقول: رِزْقاً لِلْعِبٰادِ وَ أَحْيَيْنٰا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ (1) .

و هكذا فانّ هذه الآيات ضمن بيان النعم العظمى للعباد و تحريك إحساس الشكر فيهم فى مسير المعرفه تذكّرهم بأنّهم يرون مثلا للمعاد كلّ سنه فى حياتهم فى هذه الدنيا،فالأرض الميته الخاليه و اليابسه تهتزّ و تنبت النباتات عليها عند نزول قطرات الغيث و كأنّ أصداء القيامه تترنّم على شفاه النباتات قائله:«وحده لا شريك له».

فهذه الحركه العظيمه نحو الحياه فى عالم النباتات تكشف عن هذه الحقيقه، و هى أنّ بارئ عالم الموجودات قادر على إحياء الموتى مرّه اخرى،لأنّ وقوع الشيء أقوى دليل على إمكانه!

١- ١) -بحثنا هذا الموضوع فى آيات اخرى أيضا فراجع ذيل الآيه(٩)من سوره فاطر و ذيل الآيات الأخيره من سوره (يس).

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۱۲ الی ۱۵]

اشاره

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحٰابُ اَلرَّسِّ وَ ثَمُودُ (۱۲) وَ عٰادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوٰانُ لُوطٍ (۱۳) وَ أَصْحٰابُ اَلْأَيْكَهِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ اَلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (۱۴) أَ فَعَيِينٰا بِالْخَلْقِ اَلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (۱۵)

التّفسير

اشاره

لست وحدک المبتلی بالعدو

تعالـج هذه الآيات مسأله المعاد من خلال نوافذ متعدّده! ففی البدايه و من أجل تثبيت قلب النّبی صلّی اللّه عليه و سلّم و تسليته تقول:لست وحدك المرسل الذی كذّبه الكفّار و كذّبوا محتوی دعواته و لا سيّما المعاد فإنّه: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحٰابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ !.

و جماعه«ثمود»هم قوم صالح النّبی العظيم إذ كانوا يقطنون منطقه«الحجر» شمال الحجاز.

أمّا«أصحاب الرسّ»فهناك أقوال عند المفسّرين،فالكثير من المفسّرين يعتقدون أنّهم طائفه كانت تقطن اليمامه،و كان عندهم نبیّ يدعی حنظله فكذّبوه.

ص: ۱۸

و ألقوه فی البئر فی آخر الأمر«من معانی الرسّ هو البئر»و المعنی الآخر الأثر الیسیر الباقی من الشیء،و قد بقی من هؤلاء القوم الشیء الیسیر فی ذاکره التاریخ!.

و یری بعض المفسّرین أنّهم«قوم شعیب»لأنّهم کانوا یحفرون الآبار،و لکن مع الالتفات إلی أنّ«أصحاب الأیکه»المذکورین فی الآیات التالیه هم قوم شعیب أنفسهم ینتفی هذا الاحتمال أیضا.

و قال بعض المفسّرین:هم بقایا قوم-صالح-أی ثمود،و مع الالتفات إلی ذکر ثمود علی حده فی الآیه فإنّ هذا الاحتمال یبدو بعیدا أیضا.

فعلی هذا یکون التّفسیر الأوّل هو الأنسب،و هو ما اشتهر علی أقلام المفسّرین و ألسنتهم!.

ثمّ یضیف القرآن قائلا: وَ عٰادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوٰانُ لُوطٍ و المراد بإخوان لوط هم قومه،و قد عبّر القرآن عن لوط بأنّه أخوهم،و هذا التعبیر مستعمل فی اللغه العربیه بشکل عام.

و کذلک من بعدهم: وَ أَصْحٰابُ الْأَیْکَهِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ .و الأیکه:معناها الأشجار الکثیره المتداخله بعضها ببعض-أو الملتفّه أغصانها-و«أصحاب الأیکه»هم طائفه من قوم شعیب کانوا یقطنون منطقه غیر«مدین»و هی منطقه ذات أشجار کثیره (1) ! و المراد من«قوم تبّع»طائفه من أهل الیمن،لأنّ«تبّع»لقب لملوک الیمن، باعتبار أنّ هؤلاء القوم یتبعون ملوکهم،و ظاهر تعبیر القرآن هنا و فی آیه اخری منه(37-الدخان)هو ملک مخصوص من ملوک الیمن اسمه(أسعد أبو کرب)کما نصّت علیه بعض الرّوایات،و یعتقد جماعه من المفسّرین بأنّه کان رجلا صالحا

1- 1) -لمزید الإیضاح یراجع ذیل الآیات(78)من سوره الحجر و(176)من سوره الشعراء.

مؤمنا يدعو قومه إلى اتّباع الأنبياء،إلّا أنّهم خالفوه (۱) .

ثمّ إنّ الآيه هذه أشارت إلى جميع من ذكرتهم من الأقوام الثمانيه فقالت:

كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ

.

و ما نراه فی النصّ من أنّ جميع هؤلاء كذّبوا الرسل و الحال أنّ كلّ قوم كذّبوا رسولهم فحسب لأنّ الفعل الصادر منهم جميعا التكذيب نال الأنبياء جميعا و إن كان كلّ قوم قد كذّبوا نبيّهم وحده فی زمانهم.

أو لأنّ تكذيب أحد النّبيين و الرسل يعدّ تكذيبا لجميع الرسل،لأنّ محتوى دعوتهم سواء.

و على كلّ حال،فإنّ هؤلاء الأمم كذّبوا أنبياءهم و كذّبوا مسأله المعاد و التوحيد أيضا،و كانت عاقبه أمرهم نكرا و وبالا عليهم،فمنهم من ابتلى بالطوفان،و منهم من أخذته الصاعقه،و منهم من غرق بالنيل،و منهم من خسفت به الأرض أو غير ذلك،و أخيرا فإنّهم ذاقوا ثمره تكذيبهم المرّه!!فكن مطمئنا يا رسول اللّه أنّه لو واصل هؤلاء تكذيبهم لك فلن يكونوا أحسن حالا من السابقين.

ثمّ يشير القرآن إلى دليل آخر من دلائل إمكان النشور و يوم القيامه فيقول:

أَ فَعَيِينٰا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ

(۲)

.

ثمّ يضيف القرآن:إنّهم لا يشكّون و لا يتردّدون فی الخلق الأوّل لأنّهم يعلمون أنّ خالق الإنسان هو اللّه و لكنّهم يشكّون فی المعاد مع كلّ تلك الدلائل الواضحه: بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ .

و فی الحقيقه إنّهم فی تناقض بسبب هوى النفس و التعصّب الأعمى،فمن جهه يعتقدون بأنّ خالق الناس أوّلا هو اللّه إذ خلقهم من تراب،إلّا أنّهم من جهه اخرى

۱- ۱) -لمزيد الإيضاح يراجع ذيل الآيه(۳۷)من سوره الدخان.

۲- ۲) -فی الجمله الآنفه إيجاز حذف و تقدير الكلام فی تماميته أن يقال«أ فعيينا بالخلق الأوّل حتّى نعجز عن الثانی».

حين يقع الكلام على المعاد و خلق الإنسان ثانيه من التراب يعدّون ذلك أمرا عجيبا و لا يمكن تصوّره و قبوله،فى حين أنّ الأمرين متماثلان:«و حكم الأمثال فى ما يجوز و ما لا يجوز واحد».

و هكذا فإنّ القرآن يستدلّ على المعاد فى هذه الآيات و الآيات الآنفه بأربعه طرق مختلفه،فتاره عن طريق علم اللّه،و أخرى عن طريق قدرته،ثالثه عن طريق تكرّر صور المعاد و مشاهده فى عالم النباتات،و أخيرا عن طريق الالتفات إلى الخلق الأوّل.

و متى ما عدنا إلى آيات القرآن الاخر فى مجال المعاد وجدنا هذه الأدلّه بالإضافه إلى أدلّه أخر وردت فى آيات مختلفه و بصوره مستقلّه،و قد أثبت القرآن المعاد بالمنطق القويم و التعبير السليم و الأسلوب الرائع(القاطع)للمنكرين و بيّنه بأحسن وجه..فلو خضعوا لمنطق العقل و تجنّبوا الأحكام المسبقه و التعصّب الأعمى و التقليد الساذج فسرعان ما يذعنوا لهذه المسأله و سيعلمون بأنّ المعاد أو يوم القيامه ليس أمرا ملتويا و عسيرا.

ص :٢١

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۱۶ الی ۱۸]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ وَ نَعْلَمُ مٰا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ اَلْوَرِيدِ (۱۶) إِذْ يَتَلَقَّى اَلْمُتَلَقِّيٰانِ عَنِ اَلْيَمِينِ وَ عَنِ اَلشِّمٰالِ قَعِيدٌ (۱۷) مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (۱۸)

التّفسير

اشاره

كتابه جميع الأقوال:

يثار فى هذه الآيات قسم آخر من المسائل المتعلّقه بالمعاد،و هو ضبط أعمال الإنسان و إحصاؤها لتعرض على صاحبها عند يوم الحساب.

تبدأ الآيات فتتحدّث عن علم اللّه المطلق و إحاطته بكلّ شىء فتقول: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ وَ نَعْلَمُ مٰا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ .

كلمه«توسوس»مشتقّه من الوسوسه و هى-كما يراه الراغب فى مفرداته- الأفكار غير المطلوبه التى تخطر بقلب الإنسان،و أصل الكلمه«الوسواس»و معناه الصوت الخفى و كذلك صوت أدوات الزينه و غيرها.

و المراد من الوسوسه فى الآيه هنا هى أنّ اللّه لمّا كان يعلم بما يخطر فى قلب الإنسان و الوساوس السابحه فى أفكاره،فمن البديهى أنّه عالم بجميع عقائده

ص:۲۲

و أعماله و أقواله،و سوف يحاسبه عليها يوم القيامه.

و جمله وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ يمكن أن تكون إشاره إلى أنّ خالق البشر محال أن لا يعلم بجزئيات خلقه؟!الخلق الدائم و المستمر،لأنّ الفيض أو الجود منه يبلغ البشر لحظه بعد لحظه،و لو انقطع الفيض لحظه لهلكنا،كنور الشمس الذى ينتشر فى الفضاء من منبع الفيض و هو الكره الشمسيه«بل كما سنبيّن فإنّ ارتباطنا بذاته المقدّسه أسمى ممّا مثّلنا-(بنور الشمس)».

أجل،هو الخالق،و خلقه دائم و مستمر و نحن مرتبطون به فى جميع الحالات، فمع هذه الحال كيف يمكن أن لا يعلم باطننا و ظاهرنا؟! و يضيف القرآن لمزيد الإيضاح فى ذيل الآيه قائلا: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

ما أبلغ هذا التعبير!!فحياتنا الجسمانيه متعلّقه بعصب يوصل الدم إلى القلب و يخرجه منها بصوره منتظمه و ينقله إلى جميع أعضاء البدن،و لو توقّف هذا العمل لحظه واحده لمات الإنسان... فاللّه أقرب إلى الإنسان من هذا العصب المسمّى بحبل الوريد.

و هذا ما أشار إليه القرآن فى مكان آخر إذ قال: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . (1)

و بالطبع فإنّ هذا كلّه تشبيه تقريبى،و اللّه سبحانه أقرب من ذلك و أسمى رغم كون المثال المذكور أبلغ تصوير محسوس على شدّه القرب،فمع هذه الإحاطه للّه تعالى بمخلوقاته،و كوننا فى قبضه قدرته،فإنّ تكليفنا واضح،فلا شىء يخفى عليه لا الأفعال و لا الأقوال و لا الأفكار و النيّات و لا تخفى عليه حتّى الوساوس التى تخطر فى القلوب!

1- 1) -سوره الأنفال،24.

إنّ الالتفات إلى هذه الحقيقه يوقظ الإنسان،و يكون على بيّنه من أمره و ما هو مذخور له فى صحيفه أعماله عند محكمه عدل اللّه..فيتحوّل من إنسان غافل إلى موجود واع ملتزم ورع تقىّ..

ورد فى حديث أنّ أبا حنيفه جاء إلى الصادق عليه السّلام يوما فقال:رأيت ولدك موسى يصلّى و الناس يعبرون من أمامه إلاّ أنّه لم ينههم عن ذلك،مع أنّ هذا العمل غير صحيح!.

فقال الصادق عليه السّلام ادعوا لى ولدى موسى فدعى له فكرّر الإمام الصادق حديث أبى حنيفه لولده موسى بن جعفر فأجاب موسى بن جعفر قائلا:إنّ الذى كنت اصلّى له كان أقرب إلىّ منهم يقول اللّه عزّ و جلّ: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ..فاحتضنه الإمام الصادق و قال:بأبى أنت و أمّى يا مستودع الأسرار (۱) .

و للمفسّرين آراء عديده فى معنى«الوريد»..فمنهم من يعتقد بأنّ«الوريد» هو العصب المتّصل بقلب الإنسان أو كبده،و يعتقد بعضهم بأنّ الوريد جميع الأعصاب فى بدن الإنسان..فى حين أنّ بعضهم يعتقد بأنّه عصب الرقبه فحسب! إلاّ أنّ التّفسير الأوّل يبدو أكثر تناسبا،و لا سيّما إذا لا حظنا الآيه ۲۴ من سوره الأنفال آنفه الذكر! و كلمه«الوريد»-ضمنا-مأخوذه من الورود،و معناه الذهاب نحو الماء، و حيث إنّ الدم-يرد من هذا العصب إلى القلب و يخرج منه إلى سائر أعضاء بدن الإنسان سمّى بالوريد.

و لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الاصطلاح المتداول فى هذا العصر فى شأن «الوريد و الشريان»-يعنى المجارى التى توصل الدم من سائر أعضاء الجسم إلى قلب الإنسان،و بالعكس-هذا الاصطلاح خاصّ بعلم الأحياء و لا علاقه له بالمفهوم اللغوى للوريد.

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۰۸.

و یضیف القرآن فی الآیه التالیه قائلا: إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیانِ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ (۱) .

أی أنّه بالإضافه إلی إحاطه علم اللّه«التامّه»علی ظاهر الإنسان و باطنه، فهنالک ملکان مأموران بحفظ ما یصدر منه عن یمینه و شماله،و هما معه دائما و لا ینفصلان عنه لتتمّ الحجّه علیه عن هذا الطریق أکثر،و لتتأکّد مسأله الحساب (حساب الأعمال).

کلمه«تلقّی»معناها الأخذ و التسلّم،و«المتلقّیان»هما ملکان مأموران بثبت أعمال الناس.

و کلمه«قعید»مأخوذه من القعود و معناها«جالس» (۲) و المراد بالقعید هنا الرقیب و الملازم للإنسان،و بتعبیر آخر أنّ الآیه هذه لا تعنی أنّ الملکین جالسین عن یمین الإنسان و عن شماله،لأنّ الإنسان یکون فی حال السیر تاره،و اخری فی حال الجلوس،بل التعبیر هنا هو کنایه عن وجودهما مع الإنسان و هما یترصّدان أعماله.

و یحتمل أیضا أنّهما قعیدان علی کتفی الإنسان الأیمن و الأیسر،أو أنّهما قعیدان عند نابیه أو ناجذیه دائما و یسجّلان أعماله،و هناک إشاره إلی هذا المعنی فی بعض الرّوایات غیر المعروفه«کما فی بحار الأنوار ج ۵۹ ص ۱۸۶ رقم الرّوایه ۳۲».

و ممّا یجدر التنویه علیه أنّه ورد فی الرّوایات الإسلامیه أنّ ملک الیمین کاتب

۱- ۱) -کلمه إذ فی جمله(إذ یتلقّی المتلقّیان)ظرف متعلّق بمحذوف و تقدیره و اذکروا إذ یتلقّی المتلقّیان و لهذا المعنی ذهب إلیه جماعه من المفسّرین،إلاّ أنّ جماعه اخری یرون بأنّ إذ متعلّقه بکلمه أقرب الوارده فی الآیه الآنفه إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل یبدو أصحّ لأنّ کلاّ من الجملتین«و نحن أقرب إلیه من حبل الورید»و«إذ یتلقّی المتلقّیان»إلخ تحتفظ باستقلالها دون أن یتقیّد کلّ بالأخری و لا یتناسب الصدر و الذیل فی التّفسیر الثانی.

۲- ۲) -کلمه قعید مفرده مع أنّ کلمه المتلقّیان تثنیه لأنّ فی الآیه حذفا و تقدیرها إذ یتلقّی المتلقّیان عن الیمین قعید و عن الشمال قعید»و قد وقع هذا الحذف بقرینه ذکر الآخر.

الحسنات،و ملك الشمال كاتب السيّئات،و صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال،فإذا عمل الإنسان حسنه كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها،و إذا عمل سيّئه فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات،فإذا استغفر اللّه منها لم يكتب عليه شيء،و إن لم يستغفر اللّه كتب له سيّئه واحده.

كما يظهر من بعض الرّوايات

أنّهما يقولان بعد موت المؤمن:ربّنا قبضت روح عبدك فإلى أين؟قال:سمائي مملوءه بملائكتي يعبدونني و أرضي مملوءه من خلقي يطيعونني اذهبا إلى قبر عبدي فسبّحاني و كبّراني و هلّلاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي (۱) .

و

في روايه اخرى عن النّبي صلّى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «ما من أحد من المسلمين يبتلى ببلاء في جسده إلاّ أمر اللّه تعالى الحفظه فقال:اكتبوا لعبدي ما كان يعمل و هو صحيح ما دام مشدودا في وثاقي»ثمّ أضاف صلّى اللّه عليه و سلّم من مرض أو سافر كتب اللّه تعالى له ما كان يعمل صحيحا مقيما» (۲) .

و هذه الرّوايات جميعها إشاره إلى لطف اللّه الواسع.

أمّا آخر آيه من الآيات محلّ البحث فتتحدّث عن الملكين أيضا فتقول: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (۳) .

و كان الكلام في الآيه الآنفه عن كتابه جميع أعمال الإنسان،و في هذه الآيه اهتمام بخصوص ألفاظه،و هذا الأمر هو للأهميّه القصوى للقول و أثره في حياه الناس،حتّى أنّ جمله واحده أو عباره قصيره قد تؤدّي إلى تغيير مسير المجتمع

ص: ۲۶

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -روح المعاني،ج ۲۶،ص ۱۶۵ ذيل الآيات محل البحث،و هذا المضمون نفسه منقول عن الإمام الصادق في كتاب الكافي و كذلك بحار الأنوار،ج ۵۹،ص ۱۸۷ في الرّوايتين ۳۴ و ۳۵».

۳- ۳) -الضمير في لديه يرجع إلى كلمه قول كما يحتمل أن يكون عائدا على الذى يلفظ القول،إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل أنسب.

نحو الخير أو الشرّ!!كما أنّ بعض الناس لا يعتقدون بأنّ الكلام جزء من أعمالهم..

و يرون أنفسهم أحرارا فی الكلام مع أنّ أكثر الأمور تأثيرا و أخطرها فی حياه الناس هو الكلام!.

فبناء على ذلك فإن ذكر هذه الآيه بعد الآيه المتقدّمه هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

كلمه«الرقيب»معناها المراقب و«العتيد»معناها المتهيئ للعمل،لذلك يطلق على الفرس المعدّه للركض بأنّها فرس عتيد كما يطلق على من يعدّ شيئا أو يدّخره بأنّه عتيد،و هی من مادّه العتاد على زنه الجهاد و معناها الادّخار!.

و يعتقد أغلب المفسّرين أنّ الرقيب و العتيد اسمان للملكين المذكورين فی الآيه المتقدّمه و هما«المتلقيان»فاسم ملك اليمين «رقيب»و اسم ملك الشمال «عتيد»،و بالرغم من أنّ الآيه محلّ البحث ليس فيها قول صريح على هذا الأمر، إلاّ أنّ هذا التّفسير و بملاحظه مجموع الآيات يبدو غير بعيد! و لكن أيّ كلام يكتب هذان الملكان؟هناك أقوال بين المفسّرين قال بعضهم يكتبان كلّ كلام حتّى الصرخات من الألم،فی حين أنّ بعضهم الآخر يعتقد بأنّهما يكتبان ألفاظ الخير و الشرّ و الواجب و المستحبّ أو الحرام و المكروه،و لا يكتبان ما هو مباح! إلاّ أنّ عموميّه التعبير يدلّ على أّ الملكين يكتبان كلّ لفظ و قول يقوله الإنسان.

الطريف أنّنا نقرأ

روايه عن الإمام الصادق يقول فيها: «إنّ المؤمنين إذا قعدا يتحدّثان قالت الحفظه بعضها لبعض اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سرّا و قد ستر اللّه عليهما! يقول الراوی:ألم يقل اللّه تعالى مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

ص :٢٧

فیجیب الإمام علیه السّلام:إن کانت الحفظه لا تسمع فإنّ عالم السرّ یسمع و یری» (۱) .

و یستفاد من هـذه الرّوایات أنّ اللّه سبحانه یکتم بعض أحادیث المؤمن التی فیها(جانب سرّی)احتراما و إکراما له،إلّا أنّه حافظ لجمیع هذه الأسرار.

و یستفاد من بعض الرّوایات أنّ حفظه اللیل غیر حفظه النهار،کما بیّنا هذا المعنی فی تفسیر الآیه ۷۸ من سوره الإسراء من نفس هذا التّفسیر.

ملاحظه

اشاره

الحبیب أقرب إلی الإنسان من نفسه!!

یقول بعض الفلاسفه:کما أنّ شدّه البعد توجب الخفاء فإنّ شدّه القرب کذلک، فمثلا لو کانت الشمس بعیده عنّا جدّا لما رأیناها و لو کانت قریبه منّا جدّا أو اقتربنا منها کثیرا فإنّ نورها سیذهلنا إلی درجه بحیث لا نستطیع رؤیتها.

و فی الحقیقه إنّ ذات اللّه المقدّسه کذلک:«یا من هو اختفی لفرط نوره»! و فی الآیات محلّ البحث تشبیه رائع لقرب اللّه إلی العباد إذ قالت حاکیه عنه سبحانه: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ أی أنّ اللّه أقرب إلی الإنسان من حبل الورید.

و التشبیهات التی تقول مثلاـ العالم جمیعه جسم و اللّه روحه،أو العالم کشعاع الشمس و هو قرصها و أمثال هذه لا یمکن أن توضّح العلاقه القریبه کما وصفتها الآیه.

و لعلّ أفضل تعبیر هو ما

ورد علی لسان أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبته الاولی من نهج البلاغه إذ قال عنه سبحانه: «مع کلّ شیء لا بمقارنه و غیر کلّ شیء لا

۱- ۱) -اصول الکافی طبقا لما نقل فی نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۱۰.

بمزايله».

و قد شبّه بعض الفلاسفه لبيان هذا القرب تشبيها آخر،فقالوا إنّ ذات اللّه المقدّسه هى المعنى الاسمى و الموجودات هى المعنى الحرفى.

و توضيح ذلك:حين نقول:توجّه إلى الكعبه،فإنّ كلمه(إلى)لا مفهوم لها وحدها،و ما لم تضف الكعبه إليها فستبقى مبهمه،فعلى هذا ليس للمعنى الحرفى مفهوم إلاّ-تبعا للمفهوم الاسمى،فوجود جميع موجودات العالم على هذه الشاكله، إذ دون ارتباطها بذاته لا مفهوم لها و لا وجود و لا بقاء لها أصلا..و هذا يدلّ على نهايه قرب اللّه إلى العباد و قربهم إليه و إن كان الجهله غافلين عن ذلك.

ص:٢٩

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۱۹ الی ۲۲]

اشاره

وَ جٰاءَتْ سَكْرَةُ اَلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مٰا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (۱۹) وَ نُفِخَ فِي اَلصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ اَلْوَعِيدِ (۲۰) وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ (۲۱) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ اَلْيَوْمَ حَدِيدٌ (۲۲)

التّفسير

اشاره

القيامه-و البصر الحديد-

تعكس الآيـات أعلاه مسائل اخرى تتعلّق بيوم المعاد:«مشـهد الموت»و «النفـخ فى الصور»و«مشـهد الحضور فى المحشـر»! فتقول أوّلا: وَ جٰاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ .

سكره الموت:هى حال تشبه حاله الثمل السكران إذ تظهر على الإنسان بصوره الاضـطراب و الانقلاب و التبدّل،و ربّما اسـتولت هذه الحاله على عقل الإنسان و سلبت شعوره و إختياره.

و كيف لا تكون كـذلك مع أنّ الموت مرحله انتقاليه مهمّه ينبغى أن يقطع الإنسان فيها جميع علائقه بالدنيا التى تعلّق بها خلال سنين طويله،و أن يخطو فى

عـالم جديـد عليه ملىء بالأسـرار،خاصّه أنّ الإنسان-لحظه الموت-يكون عنـده إدراك جديـد و بصـر حديـد-فهو يلاحظ عـدم استقرار هذا العالم بعينيه و يرى الحوادث التى بعد الموت،و هنا تتملّكه حاله الرعب و الاستيحاش من قرنه إلى قدمه فتراه سـكرا و ليس بسكر (۱) .

حتّى الأنبيـاء و أوليـاء اللّه الـذين يواجهون حـاله النزع و الموت باطمئنان كامل ينالهم من شدائـد هـذه الحاله نصـيب،و يصابون ببعض العقبات فى حاله الانتقال، كما قد ورد فى حالات انتقال روح النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بارئها عند اللحظات الأخيره من عمره الشـريف المبارک أنّه كان يـدخل يـده فى إناء فيه ماء و يضـعها على وجهه و يقول: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ ثمّ يقول:إن للموت سكرات (۲) .

و للإمام على كلام بليغ يرسم لحظه الموت و سكراتها بعبارات حيّه بليغه إذ

يقول: «اجتمعت عليهم سـكرت الموت و حسـرت الفوت ففترت لهـا أطرافهم و تغيّرت لهـا ألوانهم ثمّ إزداد الموت فيهم و لوجا فحيل بين أحدهم و منطقه و انّه لبيّن أهله ينظر ببصره و يسمع باذنه على صحّه من عقله و بقاء من لبّه يفكّر فيم أفنى عمره؟و فيم أذهب دهره؟و يتذكّر أموالا جمعها أغمض فى مطالبها و أخذها من مصرحاتها و مشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها و أشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها و يتمّعون بها» (۳) .

كما أنّ هذا المعلّم الكبير ينذر فى مكان آخر البشريه فيقول:

«إنّكم لو عـاينتم مـا قـد عـاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم و سـمعتم و أطعتم و لكن محجوب عنكم ما قـد عاينوا و قريب ما يطرح الحجاب» (۴) .

۱- ۱) -السّكر-على زنه المكر-معناه فى الأصل سدّ طريق الماء،و السكر-على زنه الفكر-معناه المحلّ المسدود،و حيث أنّ حاله الثمل تقع حاجزا و سدّا بين الإنسان و عقله فقد سمّيت بالسكر على زنه الشكر.

۲- ۲) -روح المعانى،ج ۹،ص ۱۱۸

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۰۹.

۴- ۴) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۰۰.

ثمّ یضیف القرآن فی ذیل الآیه قائلا: ذٰلِکَ مٰا کُنْتَ مِنْهُ تَحِیدُ (۱) أجل إنّ الموت حقیقه یهرب منها أغلب الناس لأنّهم یحسبونه فناء لا نافذه إلی عالم البقاء،أو أنّهم لعلائقهم و ارتباطاتهم الشدیده بالدنیا و المواهب المادیه التی لهم فیها لا یستطیعون أن یصرفوا قلوبهم عنها،أو لسواد صحیفه أعمالهم.

أیّا کان فهم منه یهربون..و لکن ما ینفعهم و مصیرهم المحتوم فی انتظار الجمیع و لا مفرّ لأحد منه،و لا بدّ أن ینزلوا إلی حفره الموت و یقال لهم هذا ما کنتم منه تفرّون!!.

و قائل هذا الکلام ربّما هو اللّه أو الملائکه أو الضمائر الیقظه أو الجمیع!.

و القرآن بیّن هذه الحقیقه فی آیات أخر کما هو فی الآیه(۷۸)من سوره النساء إذ یقول: أَیْنَمٰا تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَهٍ !.

و قد ینسی الإنسان المغرور جمیع الحقائق التی یراها بامّ عینیه علی أثر حبّ الدنیا و حبّ الذات حتّی یبلغ درجه یقسم فیها أنّه خالد کما یقول القرآن فی هذا الصدد: أَ وَ لَمْ تَکُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مٰا لَکُمْ مِنْ زَوٰالٍ .

و لکن سواء أقسم أم لم یقسم،و صدّق أم لم یصدّق فإنّ الموت حقیقه تحدق بالجمیع و تحیق بهم و لا مفرّ لهم منها.

ثمّ یتحدّث القرآن عن النفخ فی الصور فیقول: وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ ذٰلِکَ یَوْمُ الْوَعِیدِ .

و المراد من«النفخ فی الصور»هنا هو النفخه الثانیه،لأنّه کما نوّهنا آنفا فإنّ الصور ینفخ فیه مرّتین:فالنفخه الاولی تدعی بنفخه الفزع أو الصعق و هی التی تکون فی نهایه الدنیا و یموت عند سماعها جمیع الخلق و یتلاشی نظام العالم الدنیوی،و النفخه الثانیه هی نفخه«القیام و الجمع و الحضور»و تکون فی بدایه

۱- ۱) -کلمه تحید مشتقّه من مادّه حید-علی وزن صید-و معناها العدول عن الشیء و الفرار منه.

البعث و النشور و القيامه و بها يحيى الناس جميعهم و يخرجون«و ينسلون»من الأجداث و القبور إلى ربّهم و حساب«عدله»و جزائه.

«النفخ»معناه معروف،و«النفخه»بمعنى المرّه منه،و«الصور»هو المزمار أو «البوق»و الذى يستعمل فى القضايا العسكريه عاده لجمع الجنود أو تفريقهم أو الاستعداد أو الذهاب للراحه و النوم،و استعماله فى صور إسرافيل نوع من الكنايه و التشبيه«و قد بيّنا تفصيل هذا الموضوع فى ذيل الآيه ۶۸ من سوره الزمر».

و على كلّ حال،فمع الالتفات و ملاحظه جمله«ذلک يوم الوعيد»يتّضح أنّ المراد من نفخه الصور هنا هو النفخه الثانيه و يوم النشور و القيامه.

و فى الآيه التاليه بيان لحال الناس يوم المحشر بهذه الصوره: وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ .

فالسائق يسوقه نحو محكمه عدل اللّه،و الشهيد يشهد على أعماله!و هى كمحاكم هذا العالم إذ يسوق المأمورون المتّهمين و يأتون معهم للمحكمه و يشهد عليهم الشهود.

و احتمل بعض المفسّرين أنّ السائق هو من يسوق الصالحين نحو الجنّه و الصالحين نحو جهنّم،و لكن مع ملاحظه كلمه«الشهيد»معها يكون المعنى الأوّل و هو السوق نحو محكمه عدل اللّه أنسب.

و لكن من هما السائق و الشهيد؟أ هما«ملكان»من الملائكه أو سواهما،هناك تفاسير متعدّده.

قال بعضهم:إنّ«السائق»هو الملك الذى يكتب الحسنات،و«الشهيد»هو الملك الذى يكتب السيّئات،فيكون المراد بهما الملكين الوارد ذكرهما فى الآيات المتقدّمه.

و يستفاد من بعض الرّوايات أنّ«السائق»ملك الموت و«الشهيد»رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لكن هذه الرّوايه مع ملاحظه لحن الآيات تبدو ضعيفه.

ص:٣٣

و قال بعضهم:«السائق»الملك الذى يسوق كلّ إنسان و«الشهيد»عمل الإنسان.

كما قيل أنّ«السائق»ملك و«الشهيد»أعضاء جسم الإنسان أو صحيفه أعماله أو الكتاب الذى فى عنقه.

و يحتمل أنّ السائق و الشهيد ملك واحد،و عطف اللفظين بعضهما على الآخر هو لاختلاف الوصفين،أى أنّ مع الإنسان ملكا يسوقه إلى محكمه عدل اللّه و يشهد عليه أيضا.

إلاّ أنّ أغلب هذه التفاسير مخالف لظاهر الآيه،و ظاهر الآيه كما فهم منه أغلب المفسّرين أنّ ملكين يأتيان مع كلّ إنسان،فواحد يسوقه و الآخر يشهد على أعماله.

و من الواضح أنّ شهاده بعض الملائكه لا تنفى وجود شهاده اخرى لبعض الشهود فى يوم القيامه،الشهود الذين هم من قبيل الأنبياء و أعضاء البدن، و صحائف الأعمال و الزمان و المكان الذين وقع عمل الإنسان فيهما أو أثم فيهما.

و على كلّ حال فالملك الأوّل يمنع الإنسان عن الفرار،و الملك الثانى يمنع عن الإنكار،و هكذا فإنّ كلّ إنسان فى ذلك اليوم مبتلى بأعماله و لا مفرّ له من جزاء أعماله أبدا.

و هنا يخاطب المجرمون أو جميع الناس(فردا فردا)فيقال: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ .

أجل،إنّ أستار عالم المادّه من الآمال و العلاقه بالدنيا و الأولاد و المرأه و الأنانيه و الغرور و العصبيه و الجهل و العناد و حبّ الذات لم تكن تسمح أن تنظر إلى هذا اليوم مع وضوح دلائل المعاد و النشور،فهذا اليوم ينفض عنك غبار الغفله، و تماط عنك حجب الجهل و التعصّب و اللجاجه،و تنشقّ أستار الشهوات و الآمال، و ما كان مستورا وراء حجاب الغيب يبدو ظاهرا اليوم،لأنّ هذا اليوم يوم البروز

و یوم الشهود و یوم تبلی السرائر! و لذلک فقد وجدت عینا حادّه البصر و یمکن أن تدرک جمیع الحقائق بصوره جیّده.

أجل،إنّ وجه الحقیقه لم یکن مخفیا و لا لثام علی جمال الحبیب،و لکن ینبغی أن ینفض غبار الطریق لیمکن رؤیته.

إلاّ أنّ الغرق فی بحر الطبیعه و الابتلاء بأنواع الحجب لا یسمحان للإنسان أن یری الحقائق بصوره واضحه،لکنّه فی یوم القیامه حیث تنقطع کلّ هذه العلائق فمن البدیهی أن یحصل للإنسان إدراک جدید و نظره ثاقبه،و أساسا فإنّ یوم القیامه یوم الظهور و بروز الحقائق! حتّی فی هذه الدنیا استطاع البعض تخلیص أنفسهم من قبضه الأهواء و اتّباع الشهوات و أن یلقوا الحجب عن عیون قلوبهم لرزقوا بصرا حدیدا یرون به الحقائق،أمّا أبناء الدنیا فمحرومین منه.

و ینبغی الالتفات إلی أنّ الحدید نوع من المعدن کما یطلق علی السیف و المدیه،ثمّ توسّعوا فیه فأطلقوه علی حدّه البصر و حدّه الذکاء،و من هنا یظهر أنّ المراد بالبصر لیس العین الحقیقیه الظاهره،بل بصر العقل و القلب.

یقول الإمام علی علیه السّلام فی أولیاء اللّه فی أرضه: «هجم بهم العلم علی حقیقه البصیره،و باشروا روح الیقین و استلانوا ما استعوره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنیا بأبدان أرواحها معلّقه بالمحل الأعلی أولئک خلفاء اللّه فی أرضه و الدعاه إلی دینه» (۱) .

۱- ۱) -نهج البلاغه-الکلمات القصار-الکلمه ۱۴۷.

بحوث

اشاره

۱-حقیقه الموت

یتصوّر أغلب الناس أنّ الموت أمر عـدمی و معناه الفناء،إلّا أنّ هذه النظره لا تنسـجم مع ما ورد فی القرآن المجید و ما تدلّ علیه الدلائل العقلیه و لا توافقها أبدا.

فـالموت فی نظر القرآن أمر وجـودی،و هـو انتقـال و عبـور مـن عـالم إلی آخر، و لـذلک عـبّر عن المـوت فی کـثیر من الآیـات ب«توفّی»و یعنی تسلّم الروح و استعادتها من الجسد بواسطه الملائکه.

و التعبیر فی الآیات المتقدّمه وَ جٰاءَتْ سَـکْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ هو إشاره إلی هذا المعنی (۱) أیضا،و قد جاء فی بعض الآیات التعبیر عن الموت بالخلق: اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاهَ (الملک-۲).

و هناک تعبیرات متعدّده عن حقیقه الموت فی الرّوایات الإسلامیه،

ففی روایه أنّ الإمام علی بن الحسین سئل:ما الموت؟فقال:علیه السّلام:«للمؤمن کنزع ثیاب وسخه قمله و فکّ قیود و أغلال ثقیله و الاسـتبدال بأفخر ثیاب و أطیبها روائح و أوطئ المراکب و آنس المنازل و للکافر کخلع ثیاب فاخره و النقل عن منازل أنیسه و الاستبدال بأوسخ الثیاب و أخشنها و أوحش المنازل و أعظم العذاب».

و

سئل الإمام محمّد بن علیّ علیه السّـلام السؤال الآنف ذاته فقال: «هو النوم الذی یأتیکم کلّ لیله إلّا أنّه طویل مدّته لا ینتبه منه إلّا یوم القیامه» (۲) .

و قـد قلنـا فی المبـاحث المتعلّقـه بـالبرزخ أنّ حالاـت الأشـخاص متفـاوته فی الـبرزخ،فبعضـهم کـأنّهم یغطّون فی نـوم عمیـق،و بعضهم«کالشهداء فی سبیل اللّه

ص: ۳۶

۱- ۱) -فی المراد من الباء فی کلمه بالحقّ هناک احتمالات عدیـده،فمنهم قال معناه التعـدیه و الحقّ معناه الموت،و یکون معنی الجمله إنّ سـکرات الموت لها واقعیه أی أنّ السـکرات تصحب معها الموت،و قیل أنّ الباء للملابسه،أی أنّ سکرات الموت تأتی مع الحقّ.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۵۵[و یظهر أنّ المراد من الإمام محمّد بن علی هو الإمام التاسع محمّد الجواد علیه السّلام] .

و المؤمنين الراسخين»ينعّمون بأنواع النعم بينما يعذّب الأشقياء و الجبابره بعذاب اللّه الأليم! و قد بيّن الإمام الحسين عليه السّلام لأصحابه حقيقه الموت يوم عاشوراء عند اشتداد المأزق و القتال بتعبير لطيف بليغ

فقال: «صبرا بنى الكرام،فما الموت إلاّ قنطره تعبر بكم عن البؤس و الضرّاء إلى الجنان الواسعه،و النعم الدائمه،فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر و ما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن و عذاب إنّ أبى حدّثنى عن رسول اللّه إنّ الدنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر و الموت جسر هؤلاء إلى جنانهم و جسر هؤلاء إلى جحيمهم» (۱) .

و نقرأ

فى حديث آخر أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام دخل على رجل يعانى سكرات الموت و لم يكلّم أحدا،فسأل الحاضرون الإمام موسى بن جعفر:يا بن رسول اللّه وددنا لو عرفنا كيف الموت و كيف هو حال صاحبنا؟ فقال عليه السّلام:«الموت هو المصفاه يصفّى المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفّاره آخر وزر بقى عليهم و يصفّى الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذّه أو راحه تلحقهم و هو آخر ثواب حسنه تكون لهم،و أمّا صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلا و صفّى من الآثام تصفيه و خلص حتّى نقى كما ينقّى الثوب من الوسخ و صلح لمعاشرتنا أهل البيت فى دارنا دار الأبد» (۲) .

۲-سكرات الموت

كان الكلام فى الآيات الآنفه على سكرات الموت،و قلنا أنّ«السكرات» جمع سكره،و معناها الحاله التى تشبه حاله الثمل على أثر اشتداد حاله الإنسان اضطرب منها فيرى سكرا و ليس بسكر! صحيح أنّ الموت هو للمؤمنين بدايه انتقال إلى عالم أوسع ملىء بمواهب

۱- ۱) -معانى الأخبار ص ۲۸۹ باب معنى الموت الحديث ۳.

۲- ۲) -المصدر السابق.

اللّه،إلّا أنّه مع ذلک فإنّ هذه الحاله الانتقالیه لیست سهله لأی إنسان،لأنّ روحه تطبّعت مع البدن سنین طوالا و ارتبطت به.

و لذلک فإنّه حین یسأل الإمام الصادق علیه السّلام عن سبب اضطراب الجسد حین خروج الروح منه یجیب:

لأنّه نما علیها البدن (۱) .

و هذا یشبه تماما حاله قلع السنّ الفاسد من اللثّه،فإنّه عند قلعه یحسّ الإنسان بالألم إلّا أنّه یشعر بالراحه بعدئذ.

و نقرأ فی الرّوایات الإسلامیه أنّ الإنسان یستوحش من ثلاثه أیّام،یوم یولد فیه فیری هذا العالم الذی لم یعرفه،و یوم یموت و یری عالم ما بعد الموت،و یوم القرآن یقول فی شأن یحیی بن زکریا: وَ سَلاٰمٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا (۲) ..و یحکی علی لسان عیسی بن مریم مثل هذا الکلام،فهذان النبیّان مشمولان بعنایه اللّه فی هذه الأیّام الثلاثه!.

و بالطبع فإنّه من المسلّم به أنّ المرتبطین بهذه الدنیا یکون انتقالهم منها أصعب و قطع القلوب منها أشدّ،کما أنّ الآثمین و أصحاب الذنوب تکون علیهم سکرات الموت أکثر ألما و مراره!.

۳-الموت حقّ

لیست الآیات محلّ البحث وحدها تتحدّث عن الموت بأنّه حقّ، بل هناک آیات کثیره فی القرآن تصرّح بأنّ الموت حقّ و یقین،إذ نقرأ فی الآیه(۹۹)من

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۵۶.

۲- ۲) -المصدر نفسه مع شیء من التلخیص:نقرأ فی سوره مریم الآیه ۱۵ فی شأن یحیی: وَ سَلاٰمٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا کما نقرأ فی شأن عیسی بن مریم فی السوره ذاتها وَ السَّلاٰمُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ وَ یَوْمَ أَمُوتُ وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا .

سوره الحجر وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ .و فی الآیه(۴۷)من سوره المدثر نقرأ ما یشبه هذا التعبیر أیضا.

کلّ ذلک لأنّ الإنسان إذا أنکر کلّ شیء فلیس بوسعه أن ینکر أنّ الموت حقّ و أنّه لا بدّ أن یطرق بابه،فالموت یطرق أبواب الجمیع و یأخذهم معه أخیرا.

و الالتفات-إلی حقیقه الموت-یعدّ إنذارا لجمیع الناس لیفکّروا أکثر و أحسن و یعرفوا طریقهم المقدمین علیه و ما هو أمامهم و یستعدّوا له! الطریف أنّنا نقرأ

فی بعض الرّوایات أنّ رجلا جاء إلی عمر فقال:إنّی أحبّ الفتنه و أکره الحقّ و أشهد علی ما لم أره،فأمر عمر به فحبس،فبلغ ذلک علیا علیه السّلام فقال:یا عمر إنّ حبسه ظلم و قد أثمت علی ذلک.فقال:و لم؟فقال علی:إنّه-یحبّ أمواله و أولاده و قد قال اللّه عنهما فی بعض آیاته أنّهما فتنه إِنَّمٰا أَمْوٰالُکُمْ وَ أَوْلاٰدُکُمْ فِتْنَهٌ (۱) و یکره الموت و القرآن یعبّر عنه بأنّه حقّ وَ جٰاءَتْ سَکْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ (۲) و یشهد بوحدانیه اللّه و هو لم یره.فقال عمر:لو لا علی لهلک عمر (۳) .

ص: ۳۹

۱- ۱) -التغابن،الآیه ۱۵.

۲- ۲) -سوره ق،الآیه ۱۹.

۳- ۳) -تفسیر روح البیان،ج ۹،ص ۱۱۸.

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۲۳ الی ۳۰]

اشاره

وَ قالَ قَرِینُهُ هٰذا ما لَدَیَّ عَتِیدٌ (۲۳) أَلْقِیا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفّارٍ عَنِیدٍ (۲۴) مَنّاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ مُرِیبٍ (۲۵) اَلَّذِی جَعَلَ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِیاهُ فِی اَلْعَذابِ اَلشَّدِیدِ (۲۶) قالَ قَرِینُهُ رَبَّنا ما أَطْغَیْتُهُ وَ لٰکِنْ کانَ فِی ضَلالٍ بَعِیدٍ (۲۷) قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَیَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَیْکُمْ بِالْوَعِیدِ (۲۸) ما یُبَدَّلُ اَلْقَوْلُ لَدَیَّ وَ ما أَنَا بِظَلاّمٍ لِلْعَبِیدِ (۲۹) یَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ اِمْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِیدٍ (۳۰)

التّفسیر

اشاره

قرناء الإنسان من الملائکه و الشیاطین:

مرّه اخری ترتسم فی هذه الآیات صوره اخری عن المعاد،صوره مثیره مذهله حیث أنّ الملک-قرین الإنسان-یبیّن محکومیه الإنسان بین الملأ و یصدر حکم اللّه لمعاقبته و جزائه.

تقول الآیه الاولی من هذه الآیات:یقول صاحبه و قرینه هذا کتاب أعمال

هذا الإنسان حاضر لدىّ: وَ قٰالَ قَرِينُهُ هٰذٰا مٰا لَدَيَّ عَتِيدٌ فيكشف الستار عن كلّ صغيره و كبيره صدرت منه.

و لكن مـا المراد من«قرينه»؟للمفسّـرين أقوال كثيره،إلاّ أنّ أغلبهم يرى أنّ المراد منه هو الملك الـذى يرافق الإنسان فى الـدنيا و الذى كان مأمورا بتسجيل أعماله و ضبطها ليشهد عليه هناك فى محكمه عدل اللّه.

و الآيـات السـابقه التى كـانت تشـير إلى أنّ من يرد عرصـات المحشـر فإنّ معه سائقا يسوقه و شـهيدا يشـهد عليه،تـدلّ على هـذا المعنى أيضا.زد على ذلك لحن الآيه نفسها و الآيه التى تليها تتناسبان مع هذا المعنى أيضا[فلاحظوا بدقّه]

.

إلاّـ أنّ بعض المفسّـرين ذكر أنّ المراد من قرينه هو«الشـيطان»،لأـنّ كلمه «قرين»أطلقت فى كثير من آيات القرآن على الشـيطان الذى يصطحب الإنسان...

فيكون معنى الآيه على هـذا التقـدير هكذا:«و قال الشـيطان قرين الإنسان:«إنّنى أعددت هذا المجرم لجهنّم و بذلت أقصـى ما فى وسعى من جهد فى هذا السبيل».

إلاّ أنّ هـذا المعنى لا أنّه لا يتناسب مع الآيات السابقه و اللاحقه فحسب،بل لا ينسـجم مع تبرئه الشـيطان نفسه من إغوائه الإنسان على الذنب كما تصرّح بذلك الآيه الوارده بعد عدّه آيات من هذه الآيه محلّ البحث.

فطبقا لهذا التّفسير للآيه فإنّ الشيطان يعترف بمسؤوليته فى إغواء الإنسان، و الحال أنّ الآيات المقبله نقرأ فيها قوله: قٰالَ قَرِينُهُ رَبَّنٰا مٰا أَطْغَيْتُهُ وَ لٰكِنْ كٰانَ فِي ضَلاٰلٍ بَعِيدٍ فيقع التضادّ بين القولين كما تلاحظون.

و هنـاك تفسـير ثـالث و هو أبعـد ممّـا ذكر آنفا و لا قرينه عليه أبـدا،و هو أنّ المراد من«قرينه»هو من رافق الإنسان فى حياته من البشر!! ثمّ يخاطب اللّه الملكين المأمورين بتسجيل أعمال الإنسان فيقول لهما:

أَلْقِيٰا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّٰارٍ عَنِيدٍ

.

كلمه«عنيد»مشتقّه من العناد،و معناها التكبّر و حبّ الذات و عدم الخضوع

ص :41

للحقّ! و من هم المخاطبين هنا؟هناک تفاسير متعدّده أيضا،فمنهم من اختار التّفسير آنف الذكر،و منهم من قال بأنّهما خازنا النيران.

و قال بعضهم-أيضا-من المحتمل أن يكون المخاطب واحدا فحسب،و هو الشاهد الذى يرد عرصه القيامه مع المجرم،و صرّحت به الآيات آنفه الذكر،و تثنيه الفعل هو من أجل التأكيد،فكأنّه يؤكّد مرتين:«الق،الق»و استعمال التثنيه فى خطاب المفرد وارد فى لغه العرب،إلاّ أنّ هذا التّفسير بعيد جدّا.و خير التفاسير و أنسبها هو التّفسير الأوّل.

و فى الآيه التاليه إشاره إلى بعض الأوصاف التى يتّصف بها هؤلاء الكفّار-الذميمه المنحطّه إذ تقول الآيه: مَنّٰاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ .

«المنّاع»بحكم كونه صيغه مبالغه فإنّه يطلق على الشخص الذى يمنع كثيرا من الأمور،فيكون التعبير ب«منّاع للخير»يقصد به من يمنع كلّ عمل صالح فيه خير و بأيّه صوره كانت.

و قد ورد فى بعض الرّوايات أنّ الآيه نزلت فى«الوليد بن المغيره»حيث أنّه كان يمنع أبناء أخيه عن الإسلام و يقول لهم:طالما كنت حيّا فلن أعينكم فى حياتكم (۱) .

و كلمه«معتد»معناها المتجاوز على الحدود،سواء أ كان متجاوزا لحقوق الآخرين أو لحدود اللّه و أحكامه! و كلمه«مريب»مشتقّه من الريب،و تعنى من هو فى شکّ،الشکّ المقرون بسوء الظنّ،أو من يخدع الآخرين فيجعلهم بما يقول أو يعمل فى شکّ من أمرهم..

فيضلّوا عن سواء السبيل.

ص:۴۲

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۲۶،ص ۱۶۸.

ثمّ تضیف الآیه التالیه لتذکر وصفا ذمیما لمن کان من طائفه الکفّار فتقول:

اَلَّذِی جَعَلَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ

.

أجل: فَأَلْقِیاهُ فِی الْعَذابِ الشَّدِیدِ .

و فی هذه الآیات بیان ستّه أوصاف لأهل النار،فالأوصاف الخمسه المتقدّمه بعضها لبعض بمثابه العلّه و المعلول،أمّا الوصف السادس فإیضاح للجذر الأصیل لهذه الأوصاف.

لأنّ معنی الکفّار هو من أصرّ علی کفره کثیرا،و ینتهی هذا الأمر إلی العناد.

و المعاند أو العنید یصرّ علی منع الخیر أیضا،و مثل هذا الشخص بالطبع یکون معتدیا متجاوزا علی حقوق الآخرین و حدود اللّه.

و المعتدون یصرّون علی إیقاع الآخرین فی الشّک و الریب و سلب الإیمان عنهم.

و هکذا تبیّن أنّ هذه الأوصاف الخمسه أی«الکفّار و العنید و المنّاع للخیر و المعتدی و المریب»یرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثیقا،و بعضها لبعض یشکّل علاقه اللازم بالملزوم.

و فی الوصف السادس أی اَلَّذِی جَعَلَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ یکمن الجذر الأصیل و الأساس لجمیع الانحرافات الآنف ذکرها،و المراد من هذا الوصف هو الشرک،لأنّ التدقیق فیه یکشف أنّ الشرک هو الباعث علی جمیع هذه الأمور المتقدّمه! و فی الآیه التالیه یکشف الستار عن مشهد آخر و صوره اخری ممّا یجری علی هؤلاء الکفّار و عاقبتهم،و هو المجادله بینهم و بین الشیطان الغویّ فی یوم القیامه،فکلّ من الکفّار یلقی التبعات علی الشیاطین،إلاّ أنّ قرینه«الشیطان»یردّ علیه و یقول کما یحکی عنه القرآن: قالَ قَرِینُهُ رَبَّنا ما أَطْغَیْتُهُ وَ لکِنْ کانَ فِی ضَلالٍ بَعِیدٍ .فلم أجبره علی سلوک طریق الغوایه و الضلاله،بل هو الذی سلکه باختیاره

و إرادته و اختار هذا الطريق.

و هذا التعبير يشبه ما ورد فى سوره إبراهيم الآيه(٢٢)إذ يتبرّأ الشيطان من أتباعه فيقول: ...وَ مٰا كٰانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاٰ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ !! و بالطبع فإنّ الشيطان لا يريد أن ينكر أثره فى إغواء الإنسان إنكارا كليّا،بل يريد أن يثبت أنّه لم يجبر أحدا على إغوائه،بل الإنسان بمحض استجابته و رغبته قبل وساوس الشيطان،فعلى هذا الأساس لا تضادّ بين هذه الآيه و الآيه(٨٢)من سوره(ص): لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .

و بالرغم من أنّ هذه الآيات تتحدّث عن دفاع الشيطان عن نفسه فحسب، و لا يظهر فيها كلام على اعتراض الكفّار و ردّهم على الشيطان،إلاّ أنّه و بقرينه سائر الآيات التى تتحدّث عن مخاصمتهم فى يوم القيامه و بقرينه الآيه التاليه يتّضح جدال الطرفين إجمالا، لأنّها تقول حاكيه عن ربّ العزّه: قٰالَ لاٰ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ و أخبرتكم عن هذا المصير.

إشاره إلى قوله تعالى للشيطان من جهه: اِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُوراً (١) .

و من جهه اخرى فقد أنذر سبحانه من تبعه من الناس لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ . (٢)

و هذا التهديد و الوعيد وارده فى سائر آيات القرآن،و هى حاكيه جميعا عن أنّ اللّه أتمّ الحجّه على الشياطين و الإنس كلّهم..و حذّر كلا الفريقين من الإغواء و الغوايه و الإضلال و الضلال.

و لمزيد التأكيد تقول الآيه التاليه حاكيه عن لسان ربّ العزّه:

ص: ۴۴

١- ١) -الإسراء،الآيه ۶٣.

٢- ٢) -سوره ص،الآيه ٨۵.

مٰا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مٰا أَنَا بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ

(۱)

.

و المراد من«القول»هنا هو التهديد أو الوعيد الذى أشار إليه اللّه سبحانه مرارا فى آيات متعدّده و ذكرنا آنفا أمثله منها.

و التعبير ب«ظلّام»و هو صيغه مبالغه معناه كثير الظلم،مع أنّ اللّه لا يصدر منه أقل ظلم،و لعلّ هذا التعبير هو إيذان بأنّ مقام عدل اللّه و علمه فى درجه بحيث لو صدر منه أصغر ظلم لكان يعدّ كبيرا جدّا و لكان مصداقا للظلّام،فعلى هذا فإنّ اللّه بعيد عن أى أنواع الظلم.

أو أنّ هذا التعبير ناظر إلى الأفراد و المصاديق،إذ لو نال عبدا ظلم من اللّه فهناك نظراء لهذا العبد،و فى المجموع يكون الظلم كثيرا.

و على كلّ حال،فإنّ هذا التعبير دليل على أنّ العباد مخيّرون و لديهم الحريّه «فى الإراده»فلا الشيطان مجبور على شيطنته و عمله،و لا-الكفّار مجبورون على الكفر و أتباع طريق الشيطان،و لا العاقبه و المصير القطعى الخارج عن الإراده قد تقرّرا لأحد أبدا.

و هنا ينقدح هذا السؤال!و هو:

كيف يقول سبحانه مٰا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ؟مع أنّ جماعه من العباد يشملهم عفوه و غفرانه؟ و الجواب على هذا السؤال:أنّ العفو أيضا وفقا لمنهج دقيق و فرع على عمل أدّاه الإنسان بحيث أنّه على رغم جرمه فهو جدير بالعفو،و هذا بنفسه أحد السنن الإلهيّه،و هو أنّ من يستحقّ العفو يشمله عفوه،و هذا أيضا لا يتغيّر.

و فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث إشاره إلى جانب قصير و مثير من مشاهد يوم القيامه إذ تقول الآيه: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ

۱- ۱) -لدى ظرف متعلق ب«يبدل»و احتمل بعض المفسرين أنه متعلق بالقول،إلا أن المعنى الأول أنسب..

(۱)

.

و المراد من هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ما هو؟هناك تفسيران:

الأوّل:أنّه استفهام إنكاری،أی أنّ جهنّم تقول لا مجال للزیاده،و بهذا فینسجم هذا المعنی مع الآیه ۱۳ من سوره السجده: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِینَ و هو تأكید علی أنّ تهدید اللّه یتحقّق فی ذلک الیوم تماما و أنّ جهنّم تمتلئ فی یوم القیامه من الكفّار و المجرمین.

و الثّانی:إنّ هذه الجمله فیها طلب للزیاده!أی هل یوجد غیر هؤلاء لیدخلوا النار،و أساسا فإنّ طبیعه كلّ شیء أن یبحث عن سنخه دائما،فلا النار تشبع من الكفّار و لا الجنّه تشبع من المؤمنین الصالحین.

إلاّ أنّ هذا السؤال سیبقی بلا جواب،و هو أنّ مفهوم هذا الطلب أنّ جهنّم ما تزال غیر ممتلئه،فلا تنسجم مع الآیه ۱۳ من سوره السجده آنفه الذكر التی تقول:

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِینَ .

و لكن ینبغی الالتفات إلی أنّ طلب المزید لا یدلّ علی عدم الامتلاء لأنّه:

أوّلا:قد یكون إناء ملیء بالطعام مثلا،إلاّ أنّ شخصا ما یزال یتمنّی أن لو أضیف إلیه فیكون متراكما أكثر! ثانیا:هذا الطلب یمكن أن یكون طلبا لتضییق المكان علی أهل جهنّم و عقابهم الألیم أو تمنّی السعه لاستیعاب أنفار آخرین أكثر.

و علی كلّ حال،فإنّ هذه الآیه تدلّ دلاله واضحه أنّ أهل جهنّم كثیرون،و أنّ صوره جهنّم مرعبه و موحشه و أنّ تهدید اللّه جدّی و حقّ یربك الفكر فی كلّ إنسان فیهزّه و یحذّره ألاّ یكون واحدا من أهلها!و هذا التفكیر یمكن أن یصیّره ورعا ملتزما فلا یقدم علی الذنوب الكبیره و الصغیره!

۱ - ۱) -بأی كلمه متعلّق لفظ«یوم»؟هناك ثلاثه وجوه-الوجه الأوّل أنّه متعلّق بمحذوف و تقدیره اذكروا.و الوجه الثانی أنّه متعلّق بیبدّل.و الوجه الثالث أنّه متعلّق بظلاّم،إلاّ أنّ الأوّل أولی.

و ینقـدح سؤال آخر،و هو کیف تخاطب النار و هی موجود غیر عاقل فتردّ و تجیب علی الخطاب! و لهـذا السؤال توجـد إجابات ثلاث:

الاـولی:إنّ هـذا التعبیر نوع من التشبیه و بیان لسان الحال!أی أنّ اللّه یسأل بلسان التکوین جهنّم و هی تجیب بلسان الحال،و نظیر هـذا التعبیر کثیر فی اللغـات المختلفه! الثّـانیه:إنّ الـدار الآخره دار حیاه واقعیه،فحتّی الموجودات المادیه کالجنّه و النار یکون لها نوع من الإدراک،و الحیاه و الشعور،فالجنّه تشتاق إلی المؤمنین، و جهنّم تنتظر المجرمین.

و کما أنّ أعضاء جسم الإنسان تنطق فی ذلک الیوم و تشـهد علی الإنسان،فلا عجب أن تکون الجنّه و النار کذلک! بل و حسب إعتقاد بعض المفسّرین إنّ ذرّات هذا العالم جمیعها لها إدراک و إحساس خاصّ،و لذلک فهی تسبّح اللّه و تحمده،و قد أشارت إلیه بعض آیات القرآن کالآیه(۴۴)من سوره الإسراء (۱) .

و الثّالثه:إنّ المخاطبین هم خزنه النار و هم الذین یردون علی هذا السؤال.

و جمیع هذه التفاسیر یمکن قبولها،إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل أنسب کما یبدو!

۱- ۱) -یراجع ذیل الآیه ۴۴ من سوره الإسراء.

الآیات [سوره ق (۵۰): الآیات ۳۱ الی ۳۷]

اشاره

وَ أُزْلِفَتِ اَلْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ غَیْرَ بَعِیدٍ (۳۱) هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِکُلِّ أَوّٰابٍ حَفِیظٍ (۳۲) مَنْ خَشِیَ اَلرَّحْمٰنَ بِالْغَیْبِ وَ جٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِیبٍ (۳۳) اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰلِکَ یَوْمُ اَلْخُلُودِ (۳۴) لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ (۳۵) وَ کَمْ أَهْلَکْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِی اَلْبِلاٰدِ هَلْ مِنْ مَحِیصٍ (۳۶) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَذِکْریٰ لِمَنْ کٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی اَلسَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ (۳۷)

التّفسیر

اشاره

ادخلوا الجنّه..أیّها المتّقون!

مع الالتفات إلی أنّ أبحاث هذه السوره یدور أغلبها حول محور المعاد و الأمور التی تتعلّق به،و مع ملاحظه أنّ الآیات آنفه الذکر تتحدّث عن کیفیه إلقاء الکفّار المعاندین فی نار جهنّم و ما یلاقونه من عذاب شدید و بیان صفاتهم التی جرّتهم و ساقتهم إلی نار جهنّم!ففی هذه الآیات محلّ البحث تصویر لمشهد آخر، و هو دخول المتّقین الجنّه بمنتهی التکریم و التجلّه و إشاره إلی أنواع النعم فی

الجنّه،کما أنّ هذه الآیات تبیّن صفات أهل الجنّه لتتّضح الحقائق أکثر بهذه المقارنه ما بین أهل النار و أهل الجنّه.

فتبدأ الآیات بالقول: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ غَیْرَ بَعِیدٍ .

«أزلفت»:من مادّه زلفی-علی زنه کبری-و معناها القرب،أی قرّبت.

و الطریف هنا أنّ القرآن لا یقول:و قرّب المتّقین إلی الجنّه،بل یقول و أزلفت أی و قرّبت الجنّه للمتّقین،و هذا أمر لا یمکن أن یتصوّر تبعا للظروف الدنیویه و شروطها،و لکن حیث إنّ الأصول الحاکمه علی العالم الآخر تختلف اختلافا بالغا عمّا هی فی هذه الدنیا،فلا ینبغی التعجّب إطلاقا أن یقرّب اللّه الجنّه للمتّقین بمنتهی التکریم بدلا من أن یذهبوا هم إلیها.

کما أنّنا نقرأ فی الآیتین(٩٠)و ٩١)من سوره الشعراء: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ وَ بُرِّزَتِ الْجَحِیمُ لِلْغاوِینَ .

و هذا منتهی اللطف الإلهی لعباده المؤمنین حیث لا یتصوّر فوقه لطف آخر!.

و التعبیر ب غَیْرَ بَعِیدٍ (١) تأکید علی هذا المعنی أیضا.

و علی کلّ حال،فمفهوم الآیه أنّ هذه القضیّه تقع فی القیامه رغم أنّه عبّر عنها بالماضی«أزلفت»لکن الحوادث المستقبلیه القطعیه کثیرا ما یعبّر عنها بالماضی-لأنّ وقوعها سیتحقّق حتما-.

و قیل:إنّ إزلاف الجنّه للمتّقین یتحقّق فی الدنیا،لأنّه لا یفصلهم شیء عن الجنّه و التعبیر بالماضی یراد به الماضی حقیقه.و عند الموت سیجدون أنفسهم فی الجنّه.لکن مع ملاحظه الآیات السابقه و اللاحقه التی تتحدّث عن مشاهد القیامه یبدو أنّ هذا المعنی بعید،و المناسب هو التّفسیر الأوّل.

ثمّ تبیّن الآیات أوصاف أهل الجنّه فتقول: هذا ما تُوعَدُونَ لِکُلِّ أَوّابٍ حَفِیظٍ .

١- ١) -غیر بعید فیها ثلاثه أوجه إعرابیه،فیحتمل أن تکون ظرفا،کما یحتمل أن تکون حالا،و یحتمل أن تکون صفه لمحذوف تقدیره إزلافا غیر بعید.

و قد أشیر فی هذه الآیه إلی وصفین من أوصافهم و هما«أوّاب»..«و حفیظ».

و کلمه«الأوّاب»:من مادّه[أوب]

-علی زنه ذوب-و معناها العوده،و لعلّها تعنی التوبه عن الذنوب الکبیره و الصغیره.

أو أنّها تعنی العوده إلی الطاعه،و مع ملاحظه أنّ هذه الصیغه هی للمبالغه فإنّها تدلّ علی أنّ أهل الجنّه رجال متّقون بحیث إنّ أیّ عامل أو مؤثّر أراد أن یبعدهم عن طاعه اللّه فهم یلتفتون و یتذکّرون فیرجعون إلی طاعته فورا،و یتوبون عن معاصیهم و غفلاتهم لیبلغوا مقام«النفس المطمئنه».

«الحفیظ»معناه الحافظ،فما المراد منه؟هل هو الحافظ لعهد اللّه إذ أخذه من بنی آدم ألاّ یعبدوا الشیطان کما ورد فی الآیه(۶۰)من سوره یس،أم هو الحافظ لحدود اللّه و قوانینه أو الحافظ لذنوبه و المتذکّر لها ممّا یستلزم التوبه و الجبران،أو یعنی جمیع ما تقدّم من احتمالات؟ و مع ملاحظه أنّ هذا الحکم ورد بصوره مطلقه،فإنّ التّفسیر الأخیر الجامع لهذه المعانی یبدو أقرب.

و استدامه لبیان هذه الأوصاف فإنّ الآیه التالیه تشیر إلی وصفین آخرین منها،و هما فی الحقیقه بمثابه التوضیح و التّفسیر لما سبق ذکره،إذ تقول الآیه: مَنْ خَشِیَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَیْبِ وَ جٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِیبٍ .

عباره مَنْ خَشِیَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَیْبِ إشاره إلی أنّهم رغم عدم رؤیتهم اللّه بأعینهم،إلاّ أنّهم یؤمنون به عن طریق آثاره و الاستدلال بها.فیؤمنون إیمانا مقرونا بالإحساس بتحمّل المسؤولیه.

و یحتمل أنّ المراد من«الغیب»هو ما غاب عن أعین الناس،أی أنّهم لا یرتکبون الإثم لا بمرأی من الناس و لا فی خلوتهم و ابتعادهم عنهم.

و هذا الخوف«أو الخشیه»یکون سببا للإنابه،فیکون قلبهم متوجّها إلی اللّه

و يقبل على طاعته دائما و يتوب من كلّ ذنب،و أن يواصلوا هذه الحاله حتّى نهايه العمر و يردّوا عرصات المحشر على هذه الكيفيه!.

ثمّ تضيف الآيه الاخرى بأنّ أولئك الذين يتمتّعون بالصفات الأربع هذه حين تتلقّاهم الملائكه عند أبواب الجنّه يقولون لهم بنهايه التجلّه و الإكرام اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ .

«السلام»من كلّ أنواع الأذى و السوء و العذاب و المعاقبه،السلامه الكامله فى لباس الصحّه و العافيه.

و لطمأنتهم يضاف أنّ ذلك اليوم يوم الدعّه و ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ .

و إضافه لهاتين البشارتين بشرى الدخول بسلام،و بشرى الخلود فى الجنّه، يبشّرهم اللّه بشريين أخريين بحيث تكون مجموع البشريات أربعا كما أنّهم يتّصفون بأربع صفات يقول: لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا .

و إضافه إلى كلّ ذلك فإنّه لَدَيْنٰا مَزِيدٌ من النعم التى لم تخطر ببال أحد.

و لا يمكن أن يتصوّر تعبير أبلغ من هذا التعبير و أوقع منه فى النفس،إذ يقول القرآن أوّلا: لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا على سعه معنى العباره و ما تحمله من مفهوم إذ لا استثناء فيها،ثمّ يضاف عليها المزيد من قبل اللّه ما لم يخطر بقلب أحد،حيث أنّ اللّه الذى أنعم على المتّقين فشملهم بألطافه الخاصّه و هم يتنعّمون فيها،و هكذا فإنّ نعم الجنّه و مواهبها ذات أبعاد واسعه لا يمكن أن توصف بأىّ بيان.

كما يستفاد من هذا التعبير ضمنا أنّه لا مقايسه بين أعمال المؤمنين و ثواب اللّه،بل هو أعلى و أسمى منها كثيرا،و الجميع فى يوم القيامه يواجهون فضله أو عدله!و نجازى بعدله! و بعد الانتهاء من بيان الحديث حول أهل الجنّه و أهل النار و درجاتهما،فإنّ القرآن يلفت أنظار المجرمين للعبره و الاستنتاج فيقول: وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلاٰدِ فكانت تلك الأقوام أقوى من هؤلاء

و كانوا يفتحون البلدان و يتسلّطون عليها،إلاّ أنّهم و بسبب كفرهم و ظلمهم أهلكناهم..فهل وجدوا منفذا و مخرجا للخلاص من الموت و العذاب الإلهى هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ؟! «القرن»و«الاقتران»فى الأصل هو«القرب»أو«الاقتراب»ما بين الشيئين أو الأشياء،و يطلق لفظ«القرن»على الجماعه المتزامنه فى فتره واحده،و يجمع على«قرون»ثمّ أطلق هذا اللفظ على فتره من الزمن حيث يطلق على ثلاثين سنه أحيانا كما يطلق على مائه سنه أيضا،فإهلاك القرون معناه إهلاك الأمم السابقه.

و«البطش»معناه حمل الشىء و أخذه بالقوّه و القدره،كما يستعمل هذا اللفظ بمعنى الفتك و الحرب.

و«نقّبوا»:فعل من مادّه نقب،و معناه الثقب فى الجدار أو الجلد،غير أنّ الثقب يطلق على ما يقع فى الخشب،و النقب معناه أعمّ و أوسع.

و هذه المفرده إذا استعملت كفعل كما هو فى الآيه فيعنى ذلك الحركه و السير و شقّ الطريق،كما يعنى السيطره على البلدان و النفوذ فيها أيضا.

«المنقبه»:من المادّه ذاتها،و تطلق على الصفات البارزه فى الشخص و أفعاله الكريمه التى لها تأثير و نفوذ فى نفوس الآخرين،أو أنّها تشقّ له الطريق فى الارتفاء و السمو! و«النقيب»:هو من يبحث عن أحوال جماعه ما و يطّلع على أخبارهم و ينفذ فى أنفسهم.

و«المحيص»:كلمه مشتقّه من الحيص على زنه«الحيف»،و معناها الانحراف و العدول عن الشىء،و من هنا فقد استعملت هذه الكلمه فى الفرار من المشاكل و الهزيمه عن المعركه!.

و على كلّ حال فإنّ الآيه تنذر الكفّار المعاصرين للنّبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يستقرئوا تاريخ الماضين و أن ينظروا فى قصصهم للاعتبار،ليروا ما صنع بهؤلاء المعاندين

..الـذين كـانوا امما و أقواما أشـدّ من هؤلاء«و ليفكّروا بعاقبتهم أيضا»و هـذا المعنى ورد مرارا فى القرآن منها الآيه ٨ من سوره الزخرف إذ نقرأ قوله تعالى: فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً .

و يرى بعض المفسّرين أنّ الآيه محلّ البحث تشير إلى«ثمود»هـذه الطائفه التى كانت تسكن مناطق جبليه تـدعى«بالحجر»و تقع شمـال الحجـاز،فكانت تقطنها و تنقّب فى الجبال و تحفر صـخورها فتصـنع منها القصور الرائعه،غير أنّ ظاهر النصّ أنّ هـذه الآيه مفهومها واسع،فيشمل هؤلاء و غيرهم أيضا.

أمّا جمله هَلْ مِنْ مَحِيصٍ فيحتمل أن تكون سؤالا على لسان الكفّار السابقين حين أحدق بهم العذاب،فكانوا يسألون:هل من فرار و محيص عنه،كمـا يحتمل أن يكون سؤالا من قبل اللّه للكفّار المعاصـرين للنبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم أى هل اسـتطاع من كان قبلكم من الكفره الفرار من قبضه العـذاب؟أو هل يسـتطيع من يعاند النّبى أن يهرب من مثل هذا لو أحدق به؟! و يضـيف القرآن فى آخر آيه من الآيات محل البحث مؤكّدا أكثر فيقول: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ .

و المراد ب«القلب»هنـا و فى الآيـات الآخر من القرآن التى تتكلّم على إدراك المسائـل هو العقل و الشـعور و الإدراك،كما أنّ كتب اللغه تشير إلى أنّ واحـدا من معـانى القلب هو العقل،أمّا الراغب فقـد فسّر القلب فى الآيه محلّ البحث بالعلم و الفهم،كما نقرأ فى لسان العرب أنّ القلب قد يطلق على العقل أيضا (۱) .

كما

ورد فى تفسير عن الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام لهذه الآيه أنّه قال: إنّ القلب هو العقل (۲) .

و الجذر اللغوى لكلمه«قلب»فى الأصل:التغيير و التحوّل،و اصطلاحا معناه

۱- ۱) -لسان العرب مادّه القلب.[ق ل ب] .

۲- ۲) -أصول الكافى،ج ۱-كتاب العقل و الجهل،الحديث ۱۱.

الانقلاب،و حيث أنّ فكر الإنسان أو عقله فى تقلّب دائم و فى حال مختلفه فقد أطلقت عليه كلمه«القلب»..و لذلك فإنّ القرآن يعوّل على اطمئنان القلب و السكينه فيقول: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِینَهَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ (۱) كما يقول فى آيه اخرى: أَلاٰ بِذِکْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ، (۲) أجل إنّما يهدّئ هذا الموجود المضطرب ذكر اللّه فحسب.

أمّا أَلْقَى السَّمْعَ فكنايه عن الإصغاء و منتهى الاستماع بدقّه،و هناك تعبير فى العرف يشبه هذا التعبير يقول«اذنى معك»أى إنّنى أصغى إليك بدقّه! و«الشهيد»يطلق على من هو حاضر القلب،أو كما يقال قلبه فى المجلس و هو يتابع المسائل بدقّه!.

و هكذا فإنّ مضمون الآيه بمجموعه يعنى ما يلى:إنّ هناك فريقين ينتفعان بهذه المواعظ و النصيحه...فالفريق الأوّل من يتمتّع بالذكاء و العقل..و يستطيع بنفسه أن يحلّل المسائل بفكره! أمّا الفريق الآخر فليس بهذا المستوى،إلّا أنّه يمكن أن يلقى السمع للعلماء و يصغى لكلماتهم بحضور القلب و يعرف الحقائق عن طريق الإرشاد.

و يشبه هذا التعبير ما نقرؤه فى الآيه ۱۰ من سوره الملك على لسان أهل النار،إذ ورد هكذا: وَ قٰالُوا لَوْ کُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا کُنّٰا فِی أَصْحٰابِ السَّعِیرِ ! لأنّ علائم الحقّ واضحه،فأهل التحقيق يعرفونها جيّدا.. و من لم يكن كذلك فيستطيع أن يعرفها عن طريق إرشاد المخلصين من العلماء.

فعلى هذا يجب أن يتمتّع الإنسان بعقل كاف و علم واف..أو يتمتّع بإذن واعيه (۳) .

۱- ۱) -سوره الفتح،الآيه ۴.

۲- ۲) -سوره الرعد،الآيه ۲۸.

۳- ۳) -لاحظوا أنّ الآيتين عطفت الموضوعين«بأو»و هذا يدلّ على أنّ واحدا منهما على الأقل ضرورى للإنسان!..

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۳۸ الی ۴۰]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَيّٰامٍ وَ مٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ (۳۸) فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اَلشَّمْسِ وَ قَبْلَ اَلْغُرُوبِ (۳۹) وَ مِنَ اَللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبٰارَ اَلسُّجُودِ (۴۰)

التّفسير

اشاره

خالق السموات و الأرض قادر على إحياء الموتى:

تعقيبا على ما ورد فی الآيات آنفه الذكر و دلائلها المتعدّده فی شأن المعاد، تشير الآيات محلّ البحث إلى دليل آخر من دلائل إمكان المعاد..ثمّ تأمر النّبی بالصبر و الاستقامه و التسبيح بحمد اللّه ليبطل دسائس المتآمرين و ما يحيكونه ضدّه،فتقول الآيه الاولى من هذه الآيات: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَيّٰامٍ وَ مٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ .

«اللغوب»بمعنى«التعب»و بديهی أنّ من لديه قدره محدوده و أراد أن يعمل عملا فوق طاقته و قدرته فإنّه يتعب و يناله اللغوب و النصب،إلا أنّ من كان ذا قدره لا نهايه لها،و قوّه لا حدّ لها فإنّ التعب و النصب و اللغوب لا تعنی شيئا لديه..فعلى

هـذا من كـان قـادرا على إيجـاد السـماوات و الأرض و خلق الكواكـب و المجرّات و أفلاكها جميعا،قادر على إعاده الإنسان بعد موته و أن يلبسه ثوبا جديدا من الحياه.

بعض المفسّرين ذكر فى شأن نزول الآيه أنّ اليهود كانوا يتصوّرون أنّ اللّه خلق السـماوات و الأرض فى سـتّه أيّام«سـتّه أيّام من أيّام الأسبوع»!ثمّ استراح فى اليوم السابع«السبت»فوضع رجلا على رجل اخرى!!و هكذا فإنّهم يرون أنّ الجلوس على هذه الشاكله غير لائق،و أنّه خاصّ باللّه،فنزلت الآيه آنفه الذكر و حسـمت الكلام فى مثل هذه الخرافات المضـحكه (1) ! إلّا أنّ هذا الشأن لا يمنع من أن يتابع مسأله إمكان المعاد فى الوقت الـذى هو دليل على توحيد اللّه و قدرته و علمه،إذ خلق السـماوات و الأرض بما فيهما من عجائب و(ملايين)الأحياء و الأسـرار المـذهله و نظمها الخاصّه بحيث أنّ التفكّر فى زاويه واحـده من هـذا الخلق يسوقنا إلى الخالق الذى حرّكت يد قدرته هذه الكواكب و نثرت نور الحياه فى كلّ مكان ليكون دليلا عليه.

و قد تكرّر موضوع خلق السماوات و الأرض فى ستّه أيّام فى آيات متعدّده من القرآن (2) .

و كلمه«يوم»يراد منهـا الفتره الزمنيه لا ـ بمعنى أربع و عشـرين سـاعه أو اثنتى عشـره سـاعه،كأن نقول«كان الناس يعيشون فى ظلّ النّبى يوما،و سلّط عليهم بنو اميّه يوما و بنو العبّاس يوما آخر!..إلخ».

و واضـح أنّ كلمـه«اليـوم»فى هـذه التعـبيرات و أمثالهـا يراد منهـا الفـتره الزمـانيه سـواء كـانت سـنّه أو شـهرا أو جيلا ـ.أو آلا ـف السنين..فنقول مثلا:كانت الكره

1- 1) -راجع تفسير الدرّ المنثور،ج 6،ص 110.

2- 2) -راجع سوره الأعراف الآيه 54،سوره يونس الآيه 3،سوره هود الآيه 7،سوره السجده الآيه 4،الحديد الآيه 4،الفرقان الآيه 59.

الأرضيه قطعه متلهّبه يوما،و بردت يوما فغدت مهيّأه للحياه،فجميع هذه التعبيرات تشير إلى الفترات الزمنيه.

فيستفاد من التعبيرات الوارده فى الآيه آنفه الذكر أنّ اللّه خلق جميع السماوات و الأرض و الموجودات الاخرى فى ستّ مراحل أو ستّ فترات زمانيه.«و تفصيل هذا الكلام مبيّن فى ذيل الآيه ۵۴ من سوره الأعراف فلا بأس بمراجعته».

إذا،لا يبقى مجال للسّؤال بأنّه لم يكن قبل خلق السماء و الأرض ليل أو نهار فكيف خلقتهما فى ستّه أيّام؟! و بعد ذكر دلائل المعاد المختلفه و تصوير مشاهد المعاد و يوم القيامه المتعدّده فإنّ القرآن يخاطب النّبى و يأمره بالصبر-لأنّ هناك طائفه لا تذعن للحقّ و تصرّ على الباطل فيقول: فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ إذ بالصبر و الاستقامه-وحدهما- يستطاع التغلّب على مثل هذه المشاكل.

و حيث أنّ الصبر و الاستقامه يحتاجان إلى دعامه و معتمد،فخير دعامه لهما ذكر اللّه و الارتباط بالمبدأ-مبدأ العلم القادر على إيجاد العالم-لذلك فإنّ القرآن يضيف تعقيبا على الأمر بالصبر قائلا: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ و كذلك: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبٰارَ السُّجُودِ .

فهذا الذكر و التسبيح و المستمر ينصبّ على صعيد قلبك كانصباب الغيث على الأرض ليهبها الحياه و يسقيها الرواء،فالتسبيح أيضا يلهم قلبك النشاط و الاستقامه بوجه الأعداء المعاندين.

و هناك أقوال مختلفه بين المفسّرين فى المراد من«التسبيح»فى الأوقات الأربعه«قبل طلوع الشمس و بعد الغروب و من الليل و أدبار السجود!».

فبعضهم يعتقد أنّ المراد من هذه التعبيرات هو الصلوات الخمس اليوميه..

و بعضا من النوافل الفضلی علی الترتیب و النحو التالی.

ف قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إشاره إلی صلاه الصبح،لأنّ فی آخر وقتها تطلع الشمس فینبغی أداؤها قبل طلوع الشمس.

و قبل الغروب إشاره إلی صلاتی الظهر و العصر لأنّ الشمس تغرب آخر وقتیهما.

أمّا قوله: وَ مِنَ اللَّیْلِ فیشیر إلی صلاتی المغرب و العشاء و قوله: وَ أَدْبٰارَ السُّجُودِ ناظر إلی النوافل بعد صلاه المغرب،و قال ابن عبّاس بهذا التّفسیر-مع هذا القید-و هو أنّ المراد من إدبار السجود هو جمیع النوافل التی تؤدّی بعد الفرائض و لکن حیث أنّا نعتقد بأنّ ما یؤدّی من النوافل الیومیه بعد الفرائض هما نافله المغرب و نافله العشاء فحسب،فلا یصحّ هذا التعمیم آنفا.

کما فسّر بعضهم قوله«قبل طلوع الشمس»بصلاه الصبح،«و قبل الغروب» بصلاه العصر،«و من اللیل فسبّحه»بصلاتی المغرب و العشاء،فلم یذکروا شیئا عن صلاه الظهر هنا،و هذا دلیل علی ضعف هذا التّفسیر.

و نقرأ

فی بعض الرّوایات المنقوله عن الإمام الصادق أنّه حین سئل عن الآیه:

وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ

..قال علیه السّلام:«تقول حین تصبح و تمسی عشر مرّات لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له له الملک و له الحمد یحیی و یمیت و هو علی کلّ شیء قدیر» (1) .

و لا یتنافی هذا التّفسیر مع التّفسیر الأوّل و یمکن أن یجتمعا فی الآیه معا.

و ممّا ینبغی الالتفات إلیه هو ورود نظیر هذا المعنی باختلاف یسیر فی الآیه.

(۱۳۰)من سوره طه أیضا إذ تقول الآیه: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهٰا وَ مِنْ آنٰاءِ اللَّیْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرٰافَ النَّهٰارِ لَعَلَّکَ تَرْضیٰ .

۱- ۱) -مجمع البیان-ذیل الآیات محلّ البحث-.

جمله«لعلّك ترضى»-تدلّ على أنّ لهذا التسبيح و الذكر فى هذه الأوقات أثرا مهمّا فى اطمئنان القلب و رضا الخاطر،إذ يمنح القلب قوّه و شدّه بوجه الحوادث.

و هناك لطيفه تسترعى النظر و هى أنّ الآيه(۴۹)من سوره الطور تقول هكذا:

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبٰارَ النُّجُومِ

(۱)

.

و

قد ورد فى حديث عن الإمام على عليه السّلام أنّه قال: «المراد ب أَدْبٰارَ السُّجُودِ ركعتا نافله تؤدّيان بعد صلاه المغرب«ينبغى الالتفات إلى أنّ نافله المغرب أربع ركعات و قد أشير إلى إثنين منهما هنا فحسب»و إدبار النجوم ركعتا نافله الصبح إذ تؤدّيان عند غروب النجوم و تفرّقها و قبل صلاه الصبح» (۲) .

كما ورد فى روايه اخرى أنّ المراد من«ادبار السجود»هو نافله الوتر التى تؤدّى آخر الليل (۳) .

و على كلّ حال فإنّ التّفسير الأوّل أقرب من الجميع و أكثر تناسبا و إن كان مفهوم التسبيح و سعته شاملا لكثير من التفاسير المشار إليها فى الرّوايات آنفا.

ملاحظه

اشاره

الصبر مفتاح لكلّ فلاح:

لم يكن تعويل القرآن و اعتماده على الصبر بوجه المشاكل لأوّل مرّه هنا فحسب،فطالما أمر النّبى و المؤمنون عامّه فى الآيات مرارا بالصبر و أكّد على هذا

۱- ۱) -ينبغى الالتفات إلى أنّ إدبار هنا جاءت بالكسر على زنه«إقبال»أمّا فى الآيه محلّ البحث فجاءت أدبار بفتح الهمزه على زنه أفكار،و هى هنا جمع دبر و معناه العقب،فيكون المعنى فى أدبار السجود أى بعد كلّ سجده،و أمّا معنى إدبار النجوم أى عند تفرّق النجوم.

۲- ۲) -مجمع البيان،ذيل الآيه محلّ البحث-.

٣- ٣) -المصدر آنف الذكر.

الموضوع كما أنّ التجارب تدلّ على أنّ النصر و الغلبه من نصيب أولئك الذين تمتّعوا بالصبر و الاستقامه.

ففى حديث عن الإمام الصادق أنّه أمر بعض أصحابه«و لعلّه كان لا يطيق بعض الظروف الصعبه فى ذلك الزمان»:«عليك بالصبر فى جميع أمورك.ثمّ قال عليه السّلام إنّ اللّه بعث محمّدا و أمره بالصبر و المداراه فصبر حتّى نسبوا إليه ما لا يليق فضاق صدره فأنزل اللّه عليه الآيه: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمٰا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السّٰاجِدِينَ .

فصبر فكذّبوه أيضا،و رشقوه بنبال التّهم من كلّ جانب فحزن و تأثّر لذلك، فأنزل اللّه عليه تسليه قوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاٰ يُكَذِّبُونَكَ وَ لٰكِنَّ الظّٰالِمِينَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مٰا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّٰى أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا .

ثمّ يضيف الإمام عليه السّلام أنّ النّبى و اصل صبره إلاّ أنّهم تجاوزوا الحدّ فكذّبوا اللّه فقال النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد صبرت فى نفسى و أهلى و عرضى و لا صبر لى على ذكر إلهى فأنزل اللّه عزّ و جلّ: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ وَ مٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ ..أى خلقنا السماوات و الأرض فى عدّه فترات و لم نعجل و لم يمسّنا تعب و نصب،فعليك أن تصبر،فصبر النّبى فى جميع أحواله ما كان يواجهه حتّى انتصر على أعدائه» (۱) .

۱- ۱) -راجع اصول الكافى،طبقا لما ورد فى تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۱۷.

الآيات [سوره ق (۵۰): الآيات ۴۱ الی ۴۵]

اشاره

وَ اِسْتَمِعْ يَوْمَ يُنٰادِ اَلْمُنٰادِ مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ (۴۱) يَوْمَ يَسْمَعُونَ اَلصَّيْحَه بِالْحَقِّ ذٰلِكَ يَوْمُ اَلْخُرُوجِ (۴۲) إِنّٰا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِلَيْنَا اَلْمَصِيرُ (۴۳) يَوْمَ تَشَقَّقُ اَلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرٰاعاً ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنٰا يَسِيرٌ (۴۴) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّٰارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخٰافُ وَعِيدِ (۴۵)

التّفسير

اشاره

يخرج الجميع أحياء عند صيحه القيامه:

هذه الآيات محلّ البحث التی تختتم بها سوره-«ق»كسائر آياتها تتحدّث على المعاد و القيامه كما أنّها تعرض جانبا منهما أيضا و هو موضوع النفخه فی الصور،و خروج الأموات من القبور فی يوم النشور..فتقول: وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنٰادِ الْمُنٰادِ مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ... يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَه بِالْحَقِّ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ .

و المخاطب بالفعل«استمع»هو النّبی صلّى اللّه عليه و سلّم نفسه إلاّ أنّه من المسلّم به أنّ المقصود جميع الناس.

و المراد من«استمع»إمّا هو الانتظار و الترقّب،لأنّ من ينتظر حادثه تبدأ

بصوت مهول یری فی حاله ترقّب دائما،فهو منتظر لأن یسمع الصوت،أو هو الإصغاء إلی کلام اللّه فیکون المعنی«استمع کلام اللّه»إذ یقول:یوم یسمعون الصیحه إلخ (۱) .

لکن من هو هذا المنادی؟یحتمل أن یکون الذات المقدّسه جلّ و علا، و لکن الاحتمال الأقوی هو«إسرافیل»الذی ینفخ فی الصور..و قد وردت الإشاره فی آیات القرآن إلیه لا بالاسم بل بتعبیرات خاصّه.

عباره مِنْ مَکانٍ قَرِیبٍ إشاره إلی أنّ هذه الصیحه ینتشر صداها فی الفضاء بدرجه أنّها کما لو کانت فی أذن کلّ أحد،و جمیعهم یسمعونها بدرجه واحده من القرب.

نحن الیوم نستطیع أن نسمع کلام أی إنسان و فی أیّه نقطه کان بوسائل مختلفه فکأنّ المتکلّم علی مقربه منّا،و یتحدّث معنا،إلاّ أنّ یوم القیامه یسمع الناس کلّهم الصحیه دون حاجه إلی مثل هذه الوسائل و هی قریبه منهم (۲) .

و علی کلّ حال،فلیست هذه الصیحه هی الصیحه الاولی التی تقع مؤذنه بنهایه العالم،بل هی الصیحه الثانیه،أی الصیحه للنشور و الحشر،و فی الحقیقه أنّ الآیه الثانیه توضیح للآیه السابقه و تفسیر لها إذ تقول: یَوْمَ یَسْمَعُونَ الصَّیْحَهَ بِالْحَقِّ ذٰلِکَ یَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور و البعث و النشور.

و لکی یعرف من الحاکم فی هذه المحکمه الکبری،فإنّ القرآن یضیف قائلا:

إِنّٰا نَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ وَ إِلَیْنَا الْمَصِیرُ

.

۱- ۱) -بناء علی التّفسیر الأوّل فإنّ«یوم»مفعول استمع و بناء علی التّفسیر الثّانی فإنّ مفعول استمع محذوف و تقدیره استمع حدیث ربّک فیکون نصب کلمه یوم علی فعل مقدّر من الخروج و تقدیره یخرجون یوم ینادی المنادی من مکان قریب.

۲- ۲) -یری جماعه من المفسّرین أنّ المکان القریب یحتمل أن تکون صخره بیت المقدس-تلک الصخره الخاصّه التی عرج منها الرّسول الأکرم علیه السّلام نحو السماء فیقف المنادی علی طرفها و یصیح أیّتها العظام البالیه و الأوصال المتقطّعه و اللحوم المتمزّقه قومی لفصل القضاء و ما أعدّ اللّه لکم من الجزاء..لکن لا دلیل بیّن علی ذلک.

و المراد من«نحيى»هو الحياه الاولى فى الدنيا،و المراد من«نميت»هو فى نهايه العمر،و جمله«إلينا المصير»إشاره إلى الأحياء فى يوم القيامه.

و فى الحقيقه أنّ الآيه تشير إلى هذه الحقيقه و هى كما أنّ الحياه و الموت فى الدنيا بأيدينا،فكذلك المعاد،و قيام الساعه بأيدينا أيضا.

ثمّ يضيف القرآن فيخبر عن ميقات النشور فيقول: يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرٰاعاً أى يخرجون مسرعين من القبور (۱) و يضيف مختتما: ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنٰا يَسِيرٌ .

و«الحشر»معناه الجمع من كلّ جهه و مكان.

و واضح أنّ خالق السماوات و الأرض و ما بينهما من اليسير عليه أن ينشر الموتى و يحشرهم للحساب و الثواب أو العقاب.

و أساسا،فإنّ موضوع الصعوبه و اليسر يقال فى من يتمتع بقدره محدوده،إلاّ أنّ القادر على كلّ شىء و لا حدّ لقدرته فكلّ شىء عليه سهل و يسير.

الطريف هنا أنّنا نقرأ فى بعض الرّوايات:أنّ أوّل من يبعث و يخرج من قبره و يرد المحشر هو النّبى الأكرم محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم و على معه (۲) .

أمّا آخر آيه من الآيات محلّ البحث و هى آخر آيه من سوره ق ذاتها فهى تخاطب النّبى و تسرّى عنه و تسلّى قلبه لما يلاقيه من المعاندين و الكفره فتقول:

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّٰارٍ

.

فمسؤوليتك البلاغ و الدعوه نحو الحقّ و البشاره و النذاره: فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخٰافُ وَعِيدِ (۳) .

ص: ۶۳

۱- ۱) -«سراعا»منصوب على أنّه حال للفاعل فى«يخرجون»المحذوف و التقدير«يخرجون سراعا»و هو مجمع لكلمه «سريع»كما فى«كرام»جمع«كريم»و البعض يرى أنّ«سراع»مصدر فى موضع الحال.

۲- ۲) -كتاب الخصال:طبقا لما نقل فى تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۱۹.

۳- ۳) -كلمه وعيد أصلها وعيدى،و حذفت ياؤها و أبقيت الكسره لتدلّ عليها و هى مفعول للفعل يخاف.

و قد ورد فی تفسیر القرطبی عن ابن عبّاس أنّه قال جاء جماعه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالوا أنذرنا یا رسول اللّه و بشّرنا،فنزلت الآیه محلّ البحث و قالت:

فَذَکِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ یَخٰافُ وَعِیدِ

(۱)

.

و ذلک إشاره إلی أنّ القرآن کاف للإنـذار و إیقاظ المؤمنین،فکلّ صـفحه منه تـذکر بیوم القیامه و آیاته المختلفه التی تتحدّث عن قصـص الماضـین و عاقبتهم و تصف أهل النار و أهل الجنّه و ما یقع عند قیام الساعه فی محکمه عدل اللّه هی خیر موعظه و نصیحه لجمیع الناس.

و الحقّ أن تـذکر مشـهد تشـقّق الأـرض و ولوج الأرواح فی الموتی و خروجهم من القبر و اکتسائهم ثوب الحیاه و تحرکهم فی حال من الوحشه و الاضطراب من القرن حتّی القدم و هم یساقون إلی محکمه عدل اللّه هذا المشهد مثیر جدّا.

و لا سـیّما أنّ بعض القبور یضمّ فی لحـده علی تقادم الزمان و مرور الأعوام أجسادا متعـدّده من الناس بعضـهم صالـح و بعضـهم طالح و بعضهم مؤمن و بعضهم کافر و کما یقول المعرّی:

ربّ قبر قد صار قبرا مرارا

ضاحک من تزاحم الأضداد

و دفین علی بقایا دفین

فی طویل الآجال و الآماد!

ربّنا اجعلنا من الذی یخافون وعیدک و یتّعظون بالقرآن.

اللهمّ ارحمنا یوم یستوحش الناس و یضطربون فیه و ألق فی نفوسنا السکینه و الطمأنینه.

إلهنا..إنّ أیّام العمر مهما طالت فهی تمضـی سـراعا و ما هو خالـد فذاک الیوم الآخر و الدار الآخره،فارزقنا حسن العاقبه و النجاه فی الآخره! آمّین یا رب العالمین انتهاء سوره ق

ص:۶۴

۱- ۱) -القرطبی،ج ۹،ص ۶۱۹۸.

سوره الذّاریات

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها ستّون آیه

ص :۶۵

محتوى السوره:

يـدور محور هـذه السوره فى الـدرجه الاولى حول المسائل المتعلّقه بالمعاد و يوم القيامه و الثواب و العقاب لكلّ من المؤمنين و الكافرين،و لكنّها ليست كسوره(ق)محورها المعاد،بل فيها محاور أخر كما يلاحظها القارئ.

و يمكن أن يقال بشكل إجمالى أنّ مباحث هذه السوره تدور حول خمسه محاور و هى:

۱-كما قلنا آنفا إنّ القسم المهمّ منها يتكلّم عن المعاد و بدايه السوره و نهايتها أيضا هما حول المعاد.

۲-القسم الآخر من هذه السوره ناظر إلى مسأله توحيد اللّه و آياته فى نظام الخلق و الوجود،و هى تكمل مبحث المعاد طبعا.

۳-و فى قسم آخر يقع الكلام على ضيف إبراهيم من الملائكه و ما أمروا به من تدمير مدن قوم لوط! ۴-و الآيات الاخر من هذه السوره فيها إشارات قصيره إلى قصّه موسى عليه السّلام و بعض الأمم كعاد و ثمود و قوم نوح،و بهذا فهى تنذر الكفّار الآخرين بما آل إليه السابقون.

۵-و أخيرا فإنّ قسما من هذه السوره-يتحدّث عن مواجهه الأمم المعاندين لأنبيائهم و تأمر النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالصبر و الاستقامه بوجه المشاكل و الشدائد و تسرّى عنه و تسلّى قلبه.

فضیله تلاوه هذه السوره:

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ سوره الـذاریات فی یومه أو لیلته أصـلح اللّه له معیشـته و أتاه برزق واسع و نور له قبره بسراج یزهر إلی یوم القیامه» (۱) .

و قـد قلنـا مرارا أنّ مجرّد التلاـوه باللسـان غیر کافیه لبلوغ هـذا الثواب العظیم، بل الهـدف هو التلاوه بتفکّر...التفکّر الباعث علی العمل.

و تسمیه«الذاریات»-ضمنا-تعود إلی ورود الآیه الاولی من هذه السوره وَ الذّارِیاتِ ذَرْواً .

۱- ۱) -مجمع البیان-بدایه سوره الذاریات-و ثواب الأعمال طبقا لما ورد فی تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۲۰.

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلذّٰارِيٰاتِ ذَرْواً (۱) فَالْحٰامِلاٰتِ وِقْراً (۲) فَالْجٰارِيٰاتِ يُسْراً (۳) فَالْمُقَسِّمٰاتِ أَمْراً (۴) إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَصٰادِقٌ (۵) وَ إِنَّ اَلدِّينَ لَوٰاقِعٌ (۶)

التّفسير

اشاره

قسما بالأعاصير و السحب الذاريات:

هذه السوره هى الثانيه بعد سوره«الصافات»التى تبدأ بالقسم المتكرّر، القسم العميق و الباعث على التفكّر،القسم الذى يوقظ الإنسان و يمنحه الوعى و الاطّلاع! و كثير من سوره القرآن التى سنواجهها-فى المستقبل إن شاء اللّه-بالبحث و التّفسير-هى على هذه الشاكله..و الطريف فى الأمر أنّ هذا القسم غالبا ما يوطّئ للمعاد،سوى بعض المواطن التى يمهّد فيها للتوحيد و المسائل المتعلّقه به.

كما أنّ ممّا يلفت النظر أنّ هذا القسم يرتبط محتواه بمحتوى يوم القيامه و النشور..و هو يتابع بظرافه و رونق خاصّ هذا البحث المهمّ من جوانب متعدّده:

ص :۶۹

و الحقيقه أنّ كلّ قسم فى القرآن هو بنفسه-و إن كثرت الأقسام-أو الأيمان- وجه من وجوه إعجاز القرآن هذا الكتاب السماوى،و هو من أجمل جوانبه و أبهاها و سيأتى تفصيل كلّ ذلك فى موقعه.

و فى مستهلّ السوره يقسم اللّه سبحانه بخمسه أشياء مختلفه،و قد جاء القسم بأربعه أشياء متواليه سردا و جاء القسم بخامسها فردا.

فيقول اللّه فى البدايه: وَ الذّارِياتِ ذَرْواً (١) أى قسما بالرياح التى تحمل السحب فى السماء و تذروا البذور على الأرض فى كلّ مكان...

ثمّ يضيف: فَالْحامِلاتِ وِقْراً (٢) قسما بالسحب التى تحمل أمطارا ثقيله معها...

فَالْجارِياتِ يُسْراً

(٣)

«و الجاريات هنا هى السفن»أى قسما بالسفن التى تجرى فى الأنهار العظيمه و البحار الشاسعه بيسر و سهوله..

فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً

«و المقسمات«هنا»معناها الملائكه الذين يقسّمون الأمور.

و نقرأ

حديثا نقله كثير من المفسّرين ذيل هذه الآيه أنّ«ابن الكوا» (۴) سأل مرّه عليا عليه السّلام و هو على المنبر خطيبا:ما اَلذّارِياتِ ذَرْواً ؟فقال عليه السّلام:هى الرياح.

فقال: فَالْحامِلاتِ وِقْراً فأجاب عليه السّلام:هى السحاب.

فقال: فَالْجارِياتِ يُسْراً فقال عليه السّلام:هى السفن.

١- ١) -الذاريات:جمع الذاريه و معناها الريح التى تحمل معها الأشياء و تنشرها فى الفضاء.

٢- ٢) -الوقر-على زنه الفكر-معناه ذو الوزن الثقيل كما يأتى معنى ثقل السمع و الوقار ثقل الحركات و الحلم و الهدوء أيضا.

٣- ٣) -الجاريات جمع جاريه،و معناها هنا السفن كما تأتى بمعنى الأنهار لجريانها و قد ورد قوله تعالى: فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ فى الآيه(١٢)من سوره الغاشيه كما تطلق الجاريه على الشمس لجريها فى السماء،و تطلق الجاريه أيضا على الفتاه لأنّ نشاط الشباب يجرى فى كيانها.

۴- ۴) -كان يدعى بعبد اللّه،و كان من المنافقين فى زمان الإمام على،و أشدّ أعدائه و كان يزعم أنّه من أصحابه إلاّ أنّه كان

يتآمر عليه.

فقال: فَالْمُقَسِّمٰاتِ أَمْراً فقال:الملائكه.

و مع هذه الحال فهناك تفاسير أخر يمكن ضمّها إلى هذا التّفسير،منها أنّ المراد ب«الجاريات»هى الأنهار التى تجرى بماء المزن و«المقسمات أمرا»هى الأرزاق التى تقسّم بواسطه الملائكه عن طريق الزراعه.

و على هذا فإنّ الكلام عن الرياح ثمّ الغيوم و بعدها الأنهار و أخيرا نمو النباتات فى الأرض يتناسب تناسبا قريبا مع مسأله المعاد،لأنّنا نعرف أنّ واحدا من أدلّه إمكان المعاد هو إحياء الأرض الميته بنزول الغيث و قد ذكر ذلك عدّه مرّات فى القرآن بأساليب مختلفه.

كما يردّ هذا الاحتمال أيضا:و هو أنّ هذه الأوصاف الأربعه جميعها للرياح-الرياح المولّده للسحب،و الرياح التى تحملها على متونها،و الرياح التى تجرى بها إلى كلّ جانب،و الرياح التى تنثر و تقسّم قطرات الغيث لكلّ جهه (١) !.

و مع ملاحظه أنّ هذه التعبيرات الوارده فى الآيات جميعها جامعه و كليّه فيمكن أن تحمل المعانى آنفه الذكر كلّها،إلاّ أنّ التّفسير الأساس هو التّفسير الأوّل.

و هنا ينقدح هذا السؤال..و هو:

إذا كان المراد من«المقسمات»هو الملائكه فما ذا تقسم الملائكه؟! نجيب على هذا السؤال أنّ تقسيم العمل هنا لعلّه راجع إلىّ كلّ التدبير فى العالم بحيث أنّ جماعات من الملائكه مأموره بتدبير أموره،كما يحتمل أنّها مأموره بتدبير الأرزاق،أو تقسيم قطرات الغيث على المناطق المتعدّده فى الأرض (٢) .

١- ١) -أشار إلى هذا المعنى تفسير الفخر الرازى،ج ٢٨،ص ١٩٥.

٢- ٢) -ينبغى الالتفات إلى أنّ الواو فى(و الذاريات)هى للقسم،إلاّ أنّ الفاء فى الآيات التى تليها عاطفه و هى تحمل مفهوم القسم كما أنّها فى الوقت ذاته بمثابه علاقه و رباط بين الأقسام الأربعه هنا.

و بعد ذكر هذه الأقسام الأربعه التى تبيّن أهميّه الموضوع الذى يليها يقول القرآن: إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَصٰادِقٌ (١) .

و مرّه اخرى لمزيد التأكيد يضيف قائلا: وَ إِنَّ الدِّينَ لَوٰاقِعٌ الدين:هنا معناه الجزاء كما جاء بهذا المعنى فى قوله تعالى: مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ :أى يوم الجزاء.

و أساسا فإنّ واحدا من أسماء يوم القيامه هو«يوم الدين»و«يوم الجزاء» و يتّضح من ذلك أنّ المراد من الوعود الواقعه«هنا»هى ما يوعدون عن يوم القيامه و ما يتعلّق بها من حساب و ثواب و عقاب و جنّه و نار و سائر الأمور المتعلّقه بالمعاد،فعلى هذا تكون الجمله الاولى شامله لجميع الوعود،و الجمله الثانيه تأكيد آخر على مسأله الجزاء.

و بعد عدّه جمل أخر سيأتى الكلام على يوم الدين،و كما أشرنا آنفا فإنّ الأقسام الوارده فى بدايه السوره لها علاقه و تناسب بيّن مع نتيجه هذه الأقسام! لأنّ حركه الرياح و نزول الغيث و نتيجه لكلّ ذلك فإنّ حياه الأرض بعد موتها بنفسها مشهد من مشاهد القيامه و المعاد يبدو فى هذه الدنيا.

قال بعض المفسّرين إِنَّمٰا تُوعَدُونَ يحمل معنى واسعا يشمل جميع الوعود الإلهيّه المتعلّقه بيوم القيامه و الدنيا و تقسيم الأرزاق و مجازاه المجرمين فى هذه الدنيا و الدار الآخره و انتصار المؤمنين الصالحين،فالآيه(٢٢)من هذه السوره ذاتها التى تقول: وَ فِى السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ يمكن أن تكون تأكيدا أو تأييدا لهذا المعنى،و حيث أنّ لفظ الآيه مطلق فلا تبعد هذه العموميه.

و على كلّ حال فإنّ الوعود الإلهيه جميعها صادقه لأنّ خلف الوعد إمّا ناشئ عن الجهل أو العجز!..الجهل الباعث على تغيير فكر الواعد،و العجز المانع من الوفاء به،إلاّ أنّ اللّه العالم و القادر لا تتخلّف و عوده أبدا..تعالى اللّه عن ذلك!

١- ١) -ينبغى الالتفات إلى أنّ«ما»هنا اسم موصول،و هو اسم لأنّ و خبرها لصادق.

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۷ الی ۱۴]

اشاره

وَ اَلسَّماءِ ذاتِ اَلْحُبُکِ (۷) إِنَّکُمْ لَفِی قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (۸) یُؤْفَکُ عَنْهُ مَنْ أُفِکَ (۹) قُتِلَ اَلْخَرّاصُونَ (۱۰) اَلَّذِینَ هُمْ فِی غَمْرَهٍ ساهُونَ (۱۱) یَسْئَلُونَ أَیّانَ یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۲) یَوْمَ هُمْ عَلَی اَلنّارِ یُفْتَنُونَ (۱۳) ذُوقُوا فِتْنَتَکُمْ هذَا اَلَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۱۴)

التّفسیر

اشاره

و السّماء ذات الحبک:

تبدأ هذه الآیات کالآیات المتقدّمه بالقسم و تتحدّث عن اختلاف الکفّار وجد لهم حول یوم الجزاء و القیامه و مسائل أخر متعدّده من بینها شخصیه النّبی (محمّد)و مسأله التوحید.

فتقول الآیات فی البدایه:قسما بالسماء ذات الخطوط و التعرّجات الجمیله:

وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُکِ

.

و فی اللغه معان کثیره لکلمه«الحبک»علی زنه«کتب»و هی جمع«حباک» علی وزن-کتاب-.

من ضمن هذه المعانی الطرق و التعاریج التی تبدو علی الرمل نتیجه للریاح

ص:۷۳

أو التی تبدو علی صفحه الماء أو علی السحب فی السماء! کما تطلق الحبک علی الشعر المجعّد.

و قد تفسّر الحبک علی الشعر المجعّد.

و قد تفسّر الحبک بالزینه و الجمال! کذلک تأتی بمعنی الشکل الموزون و الرتیب.

و الجذر الأصلی لها«حبک»و معناه هو الشدّ و الإحکام (۱) ! و یبدو أنّ جمیع هذه المعانی تعود إلی معنی واحد و هی التجاعید و التعاریج الجمیله التی تظهر علی صفحات الرمل فی الصحراء أو صفحات الماء أو التجاعید فی الشعر أو السحب فی السماء.

و أمّا تطبیق هذا المعنی علی السماء و وصفها بها وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُکِ هو إمّا لنجومها ذات المجامیع المختلفه و صورها الفلکیه«تطلق علی مجموعات النجوم الثابته التی لها شکل خاصّ بالصوره الفلکیه»! و إمّا للأمواج الجمیله التی ترتسم فی السحب و قد تکون جمیله إلی درجه بحیث تحدق العین فیها لفتره طویله! أو لمجرّاتها العظیمه التی تبدو و کأنّها تجاعید الشعر علی صفحه السماء، و خاصّه صورها التی التقطت«بالتلسکوب»إذ تشبه هذه الصور التجاعید فی الشعر تماما.

فعلی هذا یکون معنی وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُکِ أنّ القرآن یقسم بالسماء و مجراتها العظیمه التی لم تکتشفها یومئذ العیون الحادّه ببصرها و لا علم الإنسان یومئذ أیضا.

و مع ملاحظه أنّ الجمع بین المعانی المتقدّمه ممکن و لا منافاه فیه فیحتمل أن تکون هذه المعانی کلّها مجتمعه فی القسم،و نقرأ فی الآیه(۱۷)من سوره

۱- ۱) -یراجع«لسان العرب»و المفردات للراغب مادّه الحبک.

«المؤمنون»أيضا قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ (١) .

كما يجدر الالتفات إلى أنّ الجذر الأصلى للحبك يمكن أن يكون إشاره إلى استحكام السماء و ارتباط الكرات بعضها ببعض كالكواكب السياره و المجموعه أو المنظومه الشمسيه التى ترتبط بقرص الشمس.

أمّا الآيه التاليه فهى جواب للقسم و بيان لما وقع عليه القسم إذ تقول مؤكّده:

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ

.

فدائما أنتم تتناقضون فى الكلام،و كأنّ هذا التناقض فى كلامكم دليل على أنّه لا أساس لكلامكم أبدا.

ففى مسأله المعاد تقولون أحيانا:لا نصدّق أبدا أن نعود أحياء بعد أن تصير عظامنا رميما.

و تاره تقولون نحن نشكّ فى هذه القضيّه و نتردّد! و تاره تضيفون أن هاتوا آباءنا و أسلافنا من قبورهم ليشهدوا أنّ بعد الموت قيامه و نشورا لنقبل بما تقولون! و تقولون فى شأن النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم تاره بأنّه شاعر،أو بأنّه ساحر،و تاره تقولون أنّه لمجنون،و تاره تقولون إنّما يعلمه بشر فهو معلّم!! كما تقولون فى شأن القرآن بأنّه:أساطير الأوّلين تاره،أو تقولون بأنّه شعر، و تاره تسمّونه سحرا،و حينا آخر تقولون أنّه كذب افتراه و أعانه عليه قوم آخرون!..إلخ.

فقسما بحبك السماء و تجاعيدها إنّ كلامكم مختلف و مليء بالتناقض،و لو كان لكلامكم أساس لكنتم على الأقل تقفون عند موضوع خاصّ و مطلب معيّن و لما تحوّلتم منه كلّ يوم إلى موضوع آخر!

ص: ٧٥

١- ١) -هناك شرح مفصّل فى تفسير هذه الآيه فراجعه فى سوره«المؤمنون».

و هـذا التعبير فى الحقيقه إنّمـا هو اسـتدلال على بطلاـن ادّعـاء المخـالفين فى شأن التوحيـد و المعاد و النّبى و القرآن«و إن كان اعتماد هذه الآيات فى الأساس على مسأله المعاد كما تدلّ عليه القرينه فى الآيات التاليه»!.

و نعرف أنّه يسـتند دائمـا لكشف كـذب المـدّعين الكـذبه سواء فى المسائل القضائيه أو المسائل الاخرى على تناقض كلامهم و تضادّه،فكـذلك القرآن يعوّل على هذا الموضوع تماما! و فى الآيه التاليه يبيّن القرآن علّه الانحراف عن الحقّ فيقول: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ أى يؤفك عن الإيمان بالقيامه و البعث كلّ مخالف للحقّ!و إلاّ فإنّ دلائل الحياه بعـد الموت واضـحه و جليّه! و ينبغى الالتفات إلى أنّ تعبير الآيه عامّ و مغلق،و ترجمتها الحرفيه هى «ليصرف عنه من هو مصروف».

لأنّ«الإفك»فى الأصل يطلق على صـرف الشـىء،فلـذا يطلق على الكذب الذى فيه تأثير انحرافى بأنّه إفك،كما يطلق على الرياح المختلفه بأنّها «المؤتفكات».

و لكن مع ملاـحظه أنّ الكلاـم كـان فى الآيـات المتقـدّمه على المعـاد و القيامه، فمن المعلوم أنّ المراد الأصـلى من الانحراف و الإفـك هنـا هو الاـنحراف عن هـذه العقيـده..كما أنّه حيث كان الكلام فى الآيه المتقـدّمه عن اختلاف كلام الكفّار و تناقضـهم فيعلم أنّ المراد هنـا من الآيه هم أولئك المنحرفون عن الإيمان بالمعاد الـذين انحرفوا عن مسـير الـدليل العقلى و المنطق السـليم البـاحث عن الحقّ! و بـالطبع لاـ مـانع أن يكون المراد من«الإفـك»هنـا هو الانحراف عن قبول الحقّ أيّا كان نوعه،سواء كان هـذا الانحراف عن القرآن أم التوحيـد أو النبوّه أو المعاد«و من هذا القبيل مسأله ولايه الأئمّه المعصومين الوارده فى بعض الرّوايات»و لكن مسأله القيامه و المعاد على كلّ حال التى هى الموضوع الأصلى

ص :۷۶

داخله فيه قطعا.

و فى الآيه التاليه ذمّ شديد للكاذبين و تهديد لتخرّصاتهم إذ تقول: قُتِلَ الْخَرّٰاصُونَ .

و«الخرّاص»من مادّه«خرص»-على زنه درس-و معناه فى الأصل كلّ كلام يقال تخمينا أو ظنّا،و حيث أنّ مثل هذا الكلام غالبا ما يكون كذبا فقد استعملت هذه الكلمه فى الكذب أيضا..فيكون المعنى من«الخراصون»هو:

أولئك الذين يطلقون كلمات عاريه من الصحّه و لا أساس لها،و المراد منها هنا- بقرينه الآيات التاليه-هو:أولئك الذين يحكمون أو يقضون فى شأن القيامه و المعاد بكلام لا أساس له بعيد عن المنطق.

على كلّ حال،فإنّ هذا التعبير هو فى شكل دعاء عليهم..دعاء يدلّ على أنّهم«موجودات»تستحقّ الفناء و القتل،فعدمهم خير من وجودهم! كما فسّر بعضهم«القتل»هنا بالطرد و اللعن و المحروميّه عن رحمه اللّه.

و من هنا يمكن أن يستفاد من هذا الحكم الكلّى أيضا أنّ القضاء بلا دليل و لا مدرك أو مستند بيّن بل على الظنّ و الحدس هو عمل يسوق إلى الضلال و يستحقّ اللعن و العذاب.

ثمّ يعرّف القرآن هؤلاء الخراصين الكذبه فيقول: اَلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سٰاهُونَ .

«الغمره»فى الأصل معناها الماء الغزير الذى يغطّى محلا ما..ثمّ استعملت على الجهل السحيق الذى يغطىّ عقل الشخص! و كلمه«ساهون»جمع ل«ساه»و هى مشتقّه من«السهو»و المراد بها هنا الغفله.

و قال بعضهم إنّ الجهل على مراحل.فالاولى هى«السهو و الاشتباه»،ثمّ «الغفله»و بعدها«الغمره».

ص :۷۷

فیکون المعنی بناء علی هـذا أنّهم ابتـدوا من مرحله السـهو،ثمّ انساقوا إلی مرحله الغفله، و لما اسـتمرّوا و واصـلوا فی هذا الطریق غرقوا فی الجهل تماما، و الجمع بین هذین التعبیرین«السهو»و«الغمره»فی هذه الآیه لعلّه إشاره إلی بدایه هذه الحرکه و نهایتها.

فعلی هذا یکون المراد من کلمه«الخراصون»هم الغارقون فی جهلهم و کلّ یوم یتذرّعون بحجّه واهیه فرارا من الحقّ.

و لذلک فهم دائما: یَسْئَلُونَ أَیّانَ یَوْمُ الدِّینِ .

جمله«یسألون»و الفعل للمضـارع یـدلّ علی أنّهم یثیرون هـذا السؤال أیّان یوم الـدین؟!باسـتمرار...علی أنّه ینبغی أن یکون یوم القیامه و موعده مخفیا.

لیحتمـل کلّ أحـد أنّه محتمل الوقوع فی کلّ أیّ زمان،و یحصل منه الأثر التربوی للإیمان بیوم القیامه الـذی هو بناء الشخصـیه و الاستعداد الدائم.

و هـذا الکلام یشـبه تماما کلام المریض إذ یسأل طبیبه مثلا:متی یکون آخر عمری و یکرّر علیه السؤال باسـتمرار،فکلّ أحد یعدّ هذا السؤال هذرا و یقول:

المهمّ أن تعرف أنّ الموت حقّ لتعالج نفسک و لئلاّ تبتلی بالموت السریع.

إلاّ أنّهم لم یکن لهم من هدف سوی الاسـتهزاء أو التذرّع بالحجج الواهیه و لم یکن سؤالهم عن تاریخ یوم القیامه و زمانه بحقّ! إلاّ أنّه و مع هذه الحال فإنّ القرآن یردّ علیهم مجیبا بلغه شدیده و یعنّفهم یَوْمَ هُمْ عَلَی النّارِ یُفْتَنُونَ .

و عندئـذ یقـال لهم هنالـک: ذُوقُوا فِتْنَتَکُمْ هٰذَا الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ و الفتنه فی الأصل اختبار الـذهب فی موقـد النار لیمتاز الخـالص من غیره،و من هنـا فقـد اسـتعملت«الفتنه»علی أیّ نوع کـان من أنواع الامتحـان أو الاختبـار،کما اسـتعملت علی دخول الإنسان النار،کما تستعمل فی البلاء و العذاب و عدم الراحه کما تشیر إلیه الآیه محل البحث هنا.

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۱۵ الی ۱۹]

اشاره

إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِی جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۵) آخِذِينَ مٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ (۱۶) كٰانُوا قَلِيلاً مِنَ اَللَّيْلِ مٰا يَهْجَعُونَ (۱۷) وَ بِالْأَسْحٰارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۱۸) وَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ (۱۹)

التّفسير

اشاره

ثواب المستغفرين بالأسحار

تعقيبا على الكلام المذكور فی الآيات آنفه الذكر الذی كان يدور حول الكذبه و الجهله و منكری القيامه و عذابهم،فی الآيات محلّ البحث يقع الكلام عن المؤمنين المتّقين و أوصافهم و ثوابهم لتتجلّى بمقارنه الفريقين-كما هو عليه أسلوب القرآن-الحقائق أكثر فأكثر.

تقول الآيات هنا: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ و صحيح أنّ البستان بطبيعته يكون ذا سواق و روافد،لكن ما ألطف أن تتدفّق مياه العيون فی داخل البستان نفسه و تسقی أشجاره..فهذا هو ما تمتاز به بساتين الجنّه..فهی ليست ذات عين

واحده بل فیها عیون ماء متعدّده تجری متدفّقه هناک (۱) .

ثمّ یضیف القرآن مشیرا إلی نعم الجنّات الاخر فیتحدّث عنها بتعبیر مغلق فیقول: آخِذِینَ مٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ .

أی أنّهم یتلقّون هذه المواهب الإلهیّه بمنتهی الرضا و الرغبه و الشوق..

و یعقّب القرآن فی ختام الآیه بأنّ هذه المواهب و هذا الثواب کلّ ذلک لیس اعتباطا بل إِنَّهُمْ کٰانُوا قَبْلَ ذٰلِکَ مُحْسِنِینَ (۲) و«الإحسان»هنا یحمل معنی وسیعا بحیث یشمل طاعه اللّه و الأعمال الصالحه الاخر أیضا.

و الآیات التالیه تبیّن کیفیه إحسانهم،فتعرض ثلاثه أوصاف من أوصافهم فتقول:أوّلا: کٰانُوا قَلِیلاً مِنَ اللَّیْلِ مٰا یَهْجَعُونَ .

کلمه«یهجعون»مشتقّه من الهجوع:و معناه النوم لیلا.قال بعضهم المراد من هذا التعبیر أنّهم کانوا یقظین یحیون أکثر اللیل أو یحیون اللیل..و ینامون قلیلا منه.

و لکن حیث أنّ هذا الحکم و الدستور الشرعی بصورته العامّه و الکلیّه للمحسنین و المتّقین یبدو بعیدا،فلا یناسب هذا التّفسیر المقام،بل المراد أنّهم قلّ أن یناموا تمام اللیل،و بتعبیر آخر إنّ اللیل هنا المراد منه العموم و الجنس.

فعلی هذا فهم کلّ لیله یحبّون قسما منها بالعباده و صلاه اللیل.أمّا اللیالی التی یرقدون فیها حتّی مطلع الفجر..و تفوت علیهم العباده فیها کلیّا..فهی قلیله جدّا.

و هذا التّفسیر منقول عن الإمام الصادق فی بعض أحادیثه أیضا (۳) و هناک

۱- ۱) -کلمه«فی»بدخولها علی الجنّات واضحه المعنی،لأنّ المتّقین داخل الجنان إلاّ أنّ دخولها علی العیون بالعطف لیس معناه أنّ المتّقین داخل العیون بل تعنی أنّهم فی جنّات تتخلّلها العیون.

۲- ۲) -المراد من«قبل ذلک»..کما قلنا سابقا یعنی قبل یوم القیامه و الدخول إلی الجنّه أی فی عالم الدنیا،إلاّ أنّ بعض المفسّرین قال بأنّ قبل ذلک یعنی قبل ورود الشرع،و هو إشاره إلی تمسکّهم بالمستقلاّت العقلیه حتّی قبل نزول الوحی إلاّ أنّ هذا المعنی یبدو بعیدا..

۳- ۳) -أشار العلاّمه الطبرسی فی مجمع البیان إلی هذا الحدیث ج ۹ ص ۱۵۵،کما أنّ هذا الحدیث منقول فی تفسیر الصافی عن الکافی بهذه الصوره:کانوا أقلّ اللیالی تفوتهم لا یقومون فیها(تفسیر الصافی:ذیل الآیه محلّ البحث).

تفاسير أخر لهذه الآيه أعرضنا عن ذكرها لأنّها (۱) بعيده.

و الوصف الثانى من أوصافهم يذكره القرآن بهذا البيان: وَ بِالْأَسْحٰارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

فحيث أنّ عيون الغافلين هاجعه آخر الليل و المحيط هادئ تماما، فلا صخب و لا ضجيج و لا شىء يشغل فكر الإنسان و يقلق باله..ينهضون و يقفون بين يدى اللّه و يعربون له عن حاجتهم و فاقتهم،و يصفّون أقدامهم،و يصلّون و يستغفرون عن ذنوبهم خاصّه.

و يرى الكثير من المفسّرين أنّ المراد من«الاستغفار»هنا هو«صلاه الليل» لأنّ«الوتر»منها مشتمل على الاستغفار.

و«الأسحار»جمع سحر على زنه«بشر»و معناه فى الأصل الخفى أو المغطّى، و حيث أنّه فى الساعات الأخيره من الليل يغطّى كلّ شىء خفاء خاصّ،فقد سمّى آخر الليل سحرا.

و كلمه«سحر»-بكسر السين-تطلق أيضا على ما يغطّى وجه الحقائق أو يخفى أسرارها عن الآخرين!.

و

قد جاء فى روايه فى تفسير«الدرّ المنثور»أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إنّ آخر الليل فى التهجّد أحبّ إلىّ من أوّله،لأنّ اللّه يقول:و بالأسحار هم يستغفرون» (۲) .

و نقرأ حديثا آخر

عن الإمام الصادق عليه السّلام يقول: «كانوا يستغفرون اللّه فى الوتر سبعين مرّه فى السحر» (۳) .

ثمّ يذكر القرآن الوصف الثالث لأهل الجنّه المتّقين فيقول:

ص:٨١

۱- ۱) -كلمه«ما»فى قوله ما يهجعون يمكن أن تكون زائده و للتأكيد أو موصوله أو مصدريه كما ورد ذلك فى تفسير الفخر الرازى و الميزان،و قال بعضهم بأنها زائده أو مصدريه فحسب كما جاء فى تفسير القرطبى و روح البيان،و ما احتمله بعضهم بأنها نافيه فهو بعيد.

۲- ۲) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۱۱۳.

۳- ۳) -مجمع البيان ذيل الآيات محل البحث.

وَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ

.

کلمه«حقّ»هنا هو إمّا لأنّ اللّه أوجب ذلک علیهم:کالزکاه و الخمس و سائر الحقوق الشرعیه الواجبه،أو لأنّهم التزموه و عاهدوا أنفسهم علی ذلک،و فی هذه الصوره یدخل فی هذا المفهوم الواسع حتّی غیر الحقوق الشرعیه الواجبه.

و یعتقد بعض المفسّرین أنّ هذه الآیه ناظره إلی القسم الثانی فحسب،فهی لا تشمل الحقوق الواجبه..لأنّ الحقوق الواجبه وارده فی أموال الناس جمیعا،المتّقین و غیر المتّقین حتّی الکفّار.

فعلی هذا حین یقول القرآن: وَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ فإنّما یعنی أنّه إضافه إلی واجباتهم و حقوقهم أوجبوا علی أنفسهم حقّا ینفقونه من مالهم فی سبیل اللّه للسائل و المحروم.

إلاّ أنّه یمکن أن یقال أنّ الفرق بین المحسنین و غیرهم هو أنّ المحسنین یؤدّون هذه الحقوق،فی حین أنّ غیرهم لیسوا مقیدین بذلک.

کما یمکن أن یقال فی تفسیر الآیه أنّ المراد بالسائل فی ما یخصّ الحقوق الواجبه،لأنّه یحقّ له السؤال و المطالبه بها..و المراد بالمحروم فی ما یخصّ الحقوق المستحبّه إذ لیس له حقّ المطالبه بها.

و یصرّح«الفاضل المقداد»فی کتابه«کنز العرفان»أنّ المراد من قوله: حَقٌّ مَعْلُومٌ هو الحقّ الذی ألزموه أنفسهم فی أموالهم و یرون أنفسهم مسئولین عنه (1) .

و جاء نظیر هذا المعنی فی سوره المعارج الآیتین ۲۴ و ۲۵ إذ یقول سبحانه:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ .

و مع ملاحظه أنّ حکم وجوب الزکاه نزل فی المدینه و آیات هذه السوره جمیعها مکیّه،فیتأیّد الرأی الأخیر.

۱- ۱) -مؤدّی ما ورد فی کنز العرفان،ج ۱،ص ۲۲۶.

و ما وصلنا من روایات عن أهل البیت علیهم السّلام یؤکّد أیضا أنّ المراد من«حقّ معلوم»شیء غیر الزکاه الواجبه.إذ نقرأ حدیثا

عن الإمام الصادق علیه السّلام یقول (۱) :

«لکنّ اللّه عزّ و جلّ فرض فی أموال الأغنیاء حقوقا غیر الزکاه فقال عزّ و جلّ وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ ،فالحقّ المعلوم غیر الزکاه و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه فی ماله...إن شاء فی کلّ یوم و إن شاء فی کلّ جمعه و إن شاء فی کلّ شهر».

و فی هذا المجال أحادیث متعدّده أخر منقوله عن الإمام علی بن الحسین و الإمام الباقر و الإمام الصادق أیضا (۲) .

و هکذا فإنّ تفسیر الآیه واضح بیّن.

و هناک کلام فی الفرق بین«السائل»و«المحروم»،فقال بعضهم«السائل»هو من یطلب العون من الناس،أمّا«المحروم»فمن یحافظ علی ماء وجهه و یبذل قصاری جهده لیعیش دون أن یمدّ یده إلی أحد،أو یطلب العون من أحد،بل یصبّر نفسه.

و هذا هو ما یعبّر عنه بالمحارف،لأنّه قیل فی کتب اللغه فی معنی«المحارف» بأنّه الشخص الذی لا ینال شیئا مهمّا سعی وجدّ فکأنّ سبل الحیاه مغلقه بوجهه! و علی کلّ حال،فهذا التعبیر یشیر إلی هذه الحقیقه و هی لا تنتظروا أن یأتیکم المحتاجون و یمدّوا أیدیهم إلیکم،بل علیکم أن تبحثوا عنهم و تجدوا الأفراد المحرومین الذین یعبّر عنهم القرآن بأنّهم یَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِیٰاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ (۳) ..

لتساعدوهم و تحفظوا ماء أوجههم،و هذا دستور مهم لحفظ حیثیه المسلمین المحرومین و ینبغی الاهتمام به.

ص:۸۳

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۶،ص ۷۲ باب ما تجب فیه الزکاه الباب السابع الحدیث الثانی.

۲- ۲) -وسائل الشیعه،ج ۶،ص ۲۷ أبواب ما تجب فیه الزکاه الباب السابع الحدیث ۳.

۳- ۳) -سوره البقره،الآیه ۲۷۳.

و هؤلاء الأشخاص يمكن معرفتهم-كما صرّح بذلك القرآن«تعرفهم بسيماهم».

أجل فبرغم سكوتهم إلاّ أنّ فى عمق وجوههم آثار الهموم و ما تحمله أنفسهم من آلام يعرفها المطّلعون،و يخبر لون وجههم عن كربتهم.

بحوث

اشاره

١-التوجّه نحو اللّه و خلق اللّه

ما ورد فى هذه الآيات عن المتّقين و أوصافهم يتلخّص-فى الحقيقه-فى قسمين«التوجّه نحو اللّه»«الخالق»و ذلك فى ساعات يتوفّر فيها من جميع الجهات الاستعداد لبيان الحاجه عنده مع حضور القلب،و تبلغ أسباب انشغال الفكر و انصراف الذهن إلى أدنى حدّ أى فى أواخر الليل! و الآخر«التوجّه نحو الخلق»و معرفه احتياج المحتاجين سواء أظهروا حاجتهم أم كتموها.

و هذا المطلب هو ما أشار إليه القرآن فى آياته مرارا و أوصى به،و الآيات التى يرد فيها ذكر الصلاه،ثمّ يتلوها ذكر الزكاه،و تعول على الإثنين معا،تشير إلى هذه المسأله،لأنّ الصلاه أبرز مظهر لعلاقه الإنسان بالخالق،و الزكاه أجلى مظهر لعلاقته بخلق اللّه.

٢-السهر ديدن العشّاق

مع أنّ صلاه الليل من الصلوات المستحبّه و النافله إلاّ أنّ القرآن المجيد أشار إليها مرارا،و هذا دليل على أهميّتها القصوى حتّى أنّ القرآن عدّها وسيله لبلوغ «المقام المحمود»و أساسا لقرّه العين«كما هو فى الآيه ٧٩ من سوره الإسراء

و الآيه ۱۷ من سوره ألم السجده».

و فى الرّوايات الإسـلاميه أيضا اهتمام بالغ على هذه القضـيّه و بيان الحاجه «فى صـلاه الليل»و السهر فى السحر: ففى مكان يعدّها النّبى بأنّها كفّاره عن الذنوب فيقول:

«يا على ثلاث كفّارات:...منها:التهجّد بالليل و الناس نيام» (۱) .

و فى حديث آخر

ورد عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «أشراف امّتى حمله القرآن و أصحاب الليل» (۲) .

و أيضا

فى حديث آخر عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوصى عليا عليه السّلام إذ قال أربع مرّات:عليك بصلاه الليل (۳) .

و ينقل عن الإمام الصادق فى تفسير الآيه محلّ البحث: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ :أنّه

قال: كانوا أقلّ الليالى تفوتهم لا يقومون فيها (۴) .

كما

ورد فى حديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: الركعتان فى جوف الليل أحبّ إلىّ من الدنيا و ما فيها (۵) .

كما

نقرأ حـديثا عن الإمام الصادق عليه السّـلام أنّه قال لسـليمان الـديلمى «أحد أصـحابه»:لا تدع قيام الليل فإنّ المغبون من حرم قيام الليل (۶) .

و بالطبع فإنّ الرّوايات فى هذا الصدد كثيره و يلاحظ فيها تعابير مثيره و طريفه جدّا و لا سيّما التعبير بأنّ صلاه الليل وسيله«لمحو الذنوب»و«تيقّظ الفكر»و«إشراق القلب»و«جلب الرزق»و«سعه العيش»و«الصحّه»،و لو جمعنا

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۵،ص ۲۷۳.
۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۵،ص ۲۷۵.
۳- ۳) -وسائل الشيعه،ج ۵،ص ۲۷۷.
۴- ۴) -وسائل الشيعه،ج ۵،ص ۲۷۹.

۵- ۵) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۸.
۶- ۶) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۶.

هذه الرّوايات لحصلنا على كتاب مستقل (۱) .

و قد كان لنا بحوث أخر فى هذا المجال ذيل الآيه(۷۹)من سوره الإسراء و ذيل الآيه(۱۷)من سوره الم السجده فلا بأس بمراجعتها.

۳-حقّ السائل و المحروم!

ممّا ينبغى ذكره أنّنا قرأنا فى الآيات المتقدّمه أنّ فى أموال الصالحين و المحسنين حقّا للسائل و المحروم،و هذا التعبير يدلّ بوضوح أنّهم يعدّون أنفسهم مدينين للمحتاجين و المحرومين،و يعدّون السائل أو المحروم ذا حقّ عليهم،حقّ ينبغى دفعه إليه دون امتنان و لا أذى،فكأنّه دين من سائر الديون.

و كما قلنا آنفا فإنّ هذا التعبير كما تدلّ عليه القرائن المتعدّده لا علاقه له بالزكاه الواجبه و أمثالها،بل هو ناظر إلى النفقه المستحبّه التى يعدّها المتّقون دينا عليهم (۲) .

۱- ۱) -للاطلاع على هذه الرّوايات يراجع الجزء الخامس من وسائل الشيعه و الجزء الأوّل من مستدرك الوسائل،و الجزء ۸۷ من بحار الأنوار.

۲- ۲) -نزول هذه الآيات بمكّه و ورود هذا الحكم فى خصوص أهل الجنّه الصالحين و روايات أهل البيت كلّها قرائن على أنّ الحقّ فى الآيه غير الزكاه..

الآیات [سوره الذاریات (۵۱): الآیات ۲۰ الی ۲۳]

اشاره

وَ فِی اَلْأَرْضِ آیٰاتٌ لِلْمُوقِنِینَ (۲۰) وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۲۱) وَ فِی اَلسَّمٰاءِ رِزْقُکُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ (۲۲) فَوَ رَبِّ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مٰا أَنَّکُمْ تَنْطِقُونَ (۲۳)

التّفسیر

اشاره

آیات اللّه و آثاره فی أنفسکم:

تعقیبا علی الآیات المتقدّمه التی کانت تتحدّث عن مسأله المعاد و صفات أهل النار و أهل الجنّه،تأتی هذه الآیات-محلّ البحث-لتتحدّث عن آیات اللّه و دلائله فی الأرض و فی وجود الإنسان نفسه لیطّلع علی مسأله التوحید و معرفه اللّه و صفاته التی هی مبدأ الحرکه نحو الخیرات کلّها من جهه،و علی قدرته علی مسأله المعاد و الحیاه بعد الموت من جهه اخری،لأنّ خالق الحیاه علی هذه الأرض و ما فیها من عجائب قادر علی تجدید الحیاه بعد الموت کذلک!تقول هذه الآیه أوّلا: وَ فِی الْأَرْضِ آیٰاتٌ لِلْمُوقِنِینَ .

و الحقّ أنّ دلائل اللّه و قدرته غیر المتناهیه و علمه و حکمته التی لا حدّ لها فی هذه الأرض کثیره و فیره إلی درجه أنّ عمر أیّ إنسان مهما کان لا یکفی لمعرفتها

جميعا.

فحجم الأرض و بعدها عن الشمس و حركتها حول نفسها و حركتها حول الشمس و القوى الجاذبه و الدافعه التى تنتج عن حجمها و حركتها و هى متعادله فيما بينها تماما و متناسقه فجميع هذه الأمور مجتمعه توفّر الحياه على سطح الأرض و كلّ ذلك من آيات اللّه الكبرى.

فى حين أن لو تغيّرت حركه من هذه الحركات و اختلفت الخصائص أقل اختلاف،لاضطربت الموازين و تبدلّت ظروف الحياه على سطح الأرض.

فالمواد التى تتشكّل منها الأرض و المنابع التى هى فوق سطح الأرض و داخلها-المعدّه للحياه-كلّ منها آيه من آيات اللّه و دلائله.

الجبال و السهول و الهضاب و الأنهار و العيون التى كلّ منها له أثره فى استمرار الحياه و اتّساق ظروفها دلائل اخرى من دلائله و آياته.

مئات الآلاف من أنواع النباتات و الحشرات و الحيوانات..أجل،مئات الآلاف كلّ منها بخصائصه و عجائبه عند مطالعه كتب الأحياء و«البايلوجيا» و كتب الجيولوجيا و التربه و علم النبات و علم الحيوان تدع الإنسان يستغرق فى حيره مذهله!.

و فى كلّ زاويه أو جانب من هذه الكره الأرضيه أسرار مثيره قلّ أن يلتفت إليها أحد،إلاّ أنّ الباحثين و العلماء كشفوا النقاب عن جزء منها و أظهروا عظمه الخالق و قدرته.

و لا بأس أن ننقل هنا جانبا من كلمات بعض العلماء المعروفين فى العالم الذين لهم دراسات كثيره فى هذا الصدد:إنّه«كرسى موريسين»فلنصغ إليه قائلا:

«لقد روعى منتهى الدقّه فى تنظيم العوامل الطبيعيه فلو تضخّمت القشره الخارجيه للكره الأرضيه أكثر ممّا كانت عليه عشر مرّات لانعدم الأوكسجين الذى هو المادّه الأصليه للحياه،و لو أنّ أعماق البحار كانت أكثر عمقا ممّا هى

عليه قليلا- أو كثيرا،لأنجذب جميع الأوكسجين و الكربون من سطح الأرض و لم يعد أى إمكان لحياه النبات أو الحيوان على سطح الأرض»! و يقول فى مكان آخر فى الغلاف الجوّى الذى يحيط بالأرض:لو أنّ هذا الغلاف الذى يحيط بالأرض من الهواء كان رقيقا لخرقته الشهب الثواقب التى تأتى كلّ يوم بنحو عدّه ملايين فتصيب الأرض حيث ما وقعت،إلاّ أنّ هذا الغلاف الجوّى يمنعها لكثافته فتتلاشى و تحترق عنده فلا تصل إلى الأرض.

و لو أنّ الشهب الثواقب خفّت سرعتها لما احترقت عند اصطدامها بالهواء و لوقعت على الأرض و دمّرت الكثير.

و يقول فى مكان آخر أنّ نسبه الأوكسجين فى الهواء هى إحدى و عشرين بالمائه فحسب،فلو كانت هذه النسبه خمسين بالمائه لاحترق به كلّ ما من شأنه الاشتعال فى هذا العالم..و لو وصلت شظيه صغرى من النار إلى شجره فى غابه لاحترقت الغابه جمعاء»! إنّ نسبه كثافه الهواء المحيط بالأرض إلى درجه بحيث يوصل الأشعّه المناسبه لرشد النباتات و نموّها و تعدم المكروبات الضارّه فى الفضاء نفسه و تنتج الفيتامينات النافعه.

و مع وجود الأبخره المختلفه التى خرجت من باطن الأرض خلال القرون المتماديه و انتشرت فى الهواء و أغلبها أبخره سامّه فمع ذلك فإنّ الهواء المحيط بالأرض لم يتلوّث و ما يزال باقيا على حالته الطبيعيه المناسبه للحياه الإنسانيه.

و الجهاز الذى يوجد هذه الموازنه و يحفظ هذا التعادل هو البحر و المحيط الذى منه تستمدّ المواد الحياتيه و الغذاء و الأمطار و اعتدال الهواء و النباتات و أخيرا فإنّ وجود الإنسان نفسه يستمدّ منه أيضا.

فكلّ من يدرك هذه المعانى فعليه أن يطأطئ رأسه للبحر تعظيما و أن يشكر

مواهبه و خالق البحر» (۱) .

و يضيف القرآن فى الآيه التاليه قائلا: وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ أى أ فلا تبصرون هذه الآيات فى أنفسكم أيضا؟! و لا شكّ أنّ الإنسان أعجوبه عالم الوجود و ما هو فى العالم الأكبر موجود فى عالم الإنسان الأصغر أيضا،بل فى الإنسان عجائب لا توجد فى أى مكان من العالم! و العجب أنّ هذا الإنسان على عظمته و عقله و علمه و هذا الابتداع و الابتكار و الصنع العجيب كان أوّل يومه على صوره نطفه صغرى لا قيمه لها!!لكن ما أن استقرّت فى الرحم حتّى تكاملت بسرعه و تبدلّت يوما بعد يوم و لحظه بعد اخرى فإذا هذه النطفه التى لا قيمه لها تغدو إنسانا كاملا سويّا! خليّه واحده التى هى أصغر جزء فى بدن الإنسان تشكّل بنايه ضخمه متداخله عجيبه فهى على حدّ تعبير بعض العلماء تعادل«مدينه صناعيه».

يقول أحد علماء«علم الأحياء»إنّ هذه المدنيه العظمى مع آلاف الأبواب أو البوابات المثيره و آلاف المعامل و المخازن و شبكات المجارى و التأسيسات الكثيره و الارتباطات و الأعمال الحياتيه المختلفه كلّ ذلك فى مساحه صغيره جدّا بمقدار خليه من أكثر الأمور تعقيدا و إثاره،إذ لو أردنا أن نهيّئ تأسيسات مثلها و لن نستطيع أبدا-لكان علينا أن نشغل مساحه آلاف الهكتارات من الأرض و عليها البنايات و الماكنات المختلفه المعقّده لنصل إلى مثل هذه الخطّه!! إلاّ أنّ الطريف أنّ جهاز الخلقه جعل كلّ ذلك فى مساحه تعدل خمسه عشر ميلونيم الميليمتر فحسب (۲) .

إنّ الأجهزه الموجوده فى بدن الإنسان كالقلب و الكليه و الرئه و خاصّه

۱- ۱) -الكاتب كرسى موريسين فى كتابه(أسرار خلق الإنسان)من ص ۳۳ إلى ۳۶.

۲- ۲) -سفره فى أعماق وجود الإنسان قسم الخلايا.

عشرات آلاف الكيلومترات من الأعصاب الرقيقه أو الكبيره و الأعصاب الدقيقه التى لا ترى بالعين المجرّده و جميعها مسئوله عن إيصال الغذاء و الماء و التهويه إلى عشره مليون مليارد خليه،و الحواس المختلفه كالسمع و البصر و الحواس الاخر كلّ منها آيه عظمى من آيات اللّه.

و أهمّ من كلّ ذلك لغز الحياه التى لم تعرف أسرارها و بناء الروح أو العقل الإنسانى الذى يعجز عن إدراكه عقول جميع الناس و هنا-ينحنى الإنسان و يتمتم بالتسبيح و الحمد و الثناء للّه دون إختياره و يترنّم بهذه الأشعار:

فيك يا أعجوبه الكو

ن غدا الفكر كليلا

أنت حيّرت ذوى الل

لبّ و بلبلت العقولا

كلّما قدّم فكرى فيك شبرا فرّ ميلا

ناكصا يخبط فى عمياء لا يهدى سبيلا

و

قد ورد فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» (۱) .

أجل إنّ معرفه النفس فى جميع المراحل طريق لمعرفه اللّه و التعبير:«أ فلا تبصرون»تعبير لطيف:أى إنّ هذه الآيات حولكم و فى داخلكم و فى تمام وجودكم بحيث لو فتحتم أعينكم و لو قليلا لأبصرتم آيات اللّه و لا رتوت أرواحكم من إدراك عظمته!.

و فى الآيه الثالثه من الآيات-محلّ البحث-إشاره إلى القسم الثالث من دلائل عظمه الخالق و قدرته على المعاد إذ تقول: وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ .

و بالرغم من أنّ بعض الرّوايات الإسلاميه تفسّر«الرزق»فى هذه الآيه ب

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۲،ص ۶۰۳ مادّه نفس.

«المطر»الـذى يمنـح الحياه و هو مصـدر الخير و البركه فى الأرض جميعا،و الآيه (۵)من سوره الجاثيه أيضا توافق هذا التّفسـير إذ تقول: وَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إلاّ أنّ هـذا المعنى يمكن أن يكون مصداقا جليّا من مصاديق الآيه،فى حين أنّ سعه مفهوم الرزق تشمل حبّات المطر و غيرها كنور الشمس الذى يأتى من السماء و له أثره الفاعل فى الحياه،و الهواء الذى هو أساس حياه الموجودات.

كلّ هذا لو أخذنا مفهوم السماء بالمعنى اللغوى أى السماء التى فوقنا،إلاّ أنّ بعضهم فسّرها بعالم الغيب و ما وراء الطبيعه أو اللوح المحفوظ الذى تقدّر منه أرزاق العباد! و بالطبع فإنّ الجمع بين التّفسيرين ممكن،و أن كان التّفسير الأوّل أنسب و أوضح!.

و أمّا جمله وَ مٰا تُوعَدُونَ فيمكـن أن تكـون تأكيـدا على مسأله الرزق و وعـد اللّه فى هـذا المجـال،أو أنّ المراد منهـا الجنّه الموعوده،لأنّنا نقرأ الآيه ۱۵ من سوره النجم عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوىٰ أو أنّها إشاره إلى كلّ خير و بركه أو عذاب ينزل من السـماء!أو أنّ«ما توعدون»ناظر إلى جميع هذه المعانى،لأنّ مفهوم«ما توعدون»واسع جدّا.

و على كـلّ حـال،فهـذه الآيـات الثلاث فيها ترتيب لطيف،فالآيه الاولى تتحـدّث عن أسباب وجود الإنسان و حياته،و الآيه الثانيه تتحدّث عن الإنسان نفسه،و الآيه الثالثه تتحدّث عن أسباب بقائه و دوامه!.

و جـدير بالالتفـات أيضـا أنّ مـا يمنـع البصـيره و يصـدّها عن مطـالعه أسـرار الخلـق و أسـرار الأرض و عجـائب وجـود الإنسـان هو«الحرص على الرزق»،فـاللّه سـبحانه يطمئن الإنسـان فى الآيه الأخيره بأنّ رزقه مضـمون،ليسـتطيع أن ينظر إلى عجائب العالم و يتحقّق فيه قوله: أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ ؟!

لذلک فإنّ الآیه الأخیره من الآیات محلّ البحث تقسم فتقول: فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّکُمْ تَنْطِقُونَ .

و قد بلغ الأمر حدّا أن یقسم اللّه علی ما لدیه من عظمه و قدره لیطمئن عباده الشاکّین ضعاف الأنفس الحریصین إنّ ما توعدون فی مجال الرزق و الثواب و العقاب و القیامه جمیعه حقّ و لا ریب فی کلّ ذلک (۱) .

و التعبیر ب مِثْلَ ما أَنَّکُمْ تَنْطِقُونَ تعبیر لطیف و دقیق إذ یتحدّث عن أکثر الأشیاء لمسا،لأنّه قد یخطئ الإنسان فی الباصره أو السمع بأن یتوهّم أنّه سمع أو رأی،إلاّ أنّه لا یمکن أن یتوهّم أنّه قال شیئا مع أنّه لم یقله..لذلک فإنّ القرآن یقول:کما أنّ ما تنطقون محسوس عندکم و له واقع،فإنّ الرزق و الوعد الإلهی عنده کذلک! ثمّ بعد هذا کلّه فإنّ النطق بنفسه واحد من أکبر الأرزاق و المواهب الإلهیّه التی لم یتمتّع بها أی موجود حیّ سوی الإنسان،و لیس بخاف أثر الکلام و النطق فی الحیاه الاجتماعیه و تعلیم الناس و تربیتهم و انتقال العلوم و حلّ مشاکل الحیاه علی أحد.

بحوث

اشاره

۱-قصّه الأصمعی المثیره

ینقل الزمخشری فی کشّافه عن الأصمعی (۲) أنّه قال خرجت من مسجد البصره فبصرت بأعرابی من أهل البادیه راکبا علی دابته فواجهنی و سألنی:من أی

ص: ۹۳

۱- ۱) -هناک کلام بین المفسّرین فی أنّ مرجع الضمیر فی«أنّه»علی أی شیء یعود؟قال بعضهم یعود علی الرزق،و قال بعضهم یعود علی ما توعدون و قال بعضهم یعود علی النّبی و القرآن إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل أنسب.

۲- ۲) -کان یدعی«عبد الملک بن قریب»و کان یعیش فی عهد هارون الرشید و له حافظه عجیبه و اطّلاعات واسعه عن تاریخ العرب و أشعارها و توفّی فی البصره سنه ۲۱۶ الکنی و الألقاب،ج ۲،ص ۲۷.

القبائل أنت؟!فقلت من بنى الأصمع...فقال من أين تأتى؟فقلت:من مكان يقرأ فيه كلام اللّه فقال لى:اقرأ لى منه،فقرأت له آيات من سوره الذاريات حتّى بلغت وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ فقال كفى.ثمّ نهض و عمد إلى بعير عنده فنحره و قسّم لحمه على المحتاجين من الذاهبين و الآئبين ثمّ عمد إلى سيفه و قوسه فكسّرهما أيضا و ألقاهما جانبا و استدار إلى الوراء و مضى و انتهت هذه القصّه!.

و حين مضيت إلى حجّ بيت اللّه الحرام بمعيّه هارون الرشيد و كنت مشغولا فى الطواف إذا أنا برجل ينادينى بصوت ضعيف فنظرت فإذا هو ذلك الأعرابى و كان نحيلا مصفّر الوجه«و كان يظهر عليه العشق الملتهب الذى لم يدع له قرارا»فسلّم علىّ و طلب منّى أن أعيد عليه سوره الذاريات فلمّا بلغت الآيه آنفه الذكر صرخ:

و قال وجدنا وعد ربّنا حقّا..ثمّ أضاف هل هناك آيه بعدها؟!فقرأت فورب السماء و الأرض أنّه لحقّ:فصرخ ثانيه و قال يا سبحان اللّه من ذا الذى أغضب الجليل حتّى حلف ليصدّقوه بقوله حتّى ألجأوه إلى اليمين (۱) .

۲-أين الجنّه؟!

كما ذكرنا فى الآيات آنفه الذكر فإنّ بعض المفسّرين يرى أنّ جمله وَ مٰا تُوعَدُونَ معناها الجنّه.و قالوا:يستفاد من هذه الآيه أنّ الجنّه فى السماء،إلّا أنّ هذا الكلام لا ينسجم مع الآيه التى تتحدّث عن الجنّه فتقول: عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ (۲) و كما قلنا- إنّ هذا التّفسير لجمله وَ مٰا تُوعَدُونَ لا دليل عليه،بل يمكن أن يكون إشاره إلى وعد اللّه برزقه أو عذاب السماء.

و إذا كان فى الآيه(۱۵)من سوره النجم قد ورد أنّ جنّه المأوى فى السماء عند سدره المنتهى فليس ذلك دليلا على هذا المعنى،لأنّ«جنّه المأوى»قسم من

۱- ۱) -تفسير الكشّاف،ج ۴،ص ۴۰۰.

۲- ۲) -آل عمران،الآيه ۱۳۳.

بساتين الجنّه لا جميع الجنّه..(فلاحظوا بدقّه).

٣-الاستفاده من آيات اللّه تحتاج إلى قابليه!

حين تتحدّث آيات القرآن عن أسرار الخلق و دلائل اللّه فى عالم الوجود تقول تاره أنّ فى ذلك لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ يونس الآيه ۶۷.

و تاره تقول: لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ الرعد الآيه ٣.

و اخرى تقول: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ الرعد الآيه ۴.

أو تقول: لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ النحل الآيه ٧٩.

و فى مكان آخر تقول: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ سوره طه الآيه ۵۴.

و تاره تقول: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ الحجر الآيه ٧۵.

و أخيرا تقول: لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ الروم الآيه ٢٢.

و الآيات محلّ البحث تقول: أَ فَلَا تُبْصِرُونَ ؟! أى إنّ آيات اللّه فى الأرض و فى أنفسكم واضحه جليّه لأولئك الذين لهم بصر ثاقب.

و هذه التعبيرات تدلّ دلاله واضحه على أنّ الاستفاده من الآيات التى لا تحصى-الدالّه على وجود ذاته المقدّسه فى الأرض تحتاج إلى استعداد كاف، عين باصره،اذن سميعه،فكر يقظ،قلب ذكى و روح مهيّأه لقبول الحقائق متعطّشه لها..و إلاّ فمن الممكن أن يعيش الإنسان سنين بين هذه الآيات إلاّ أنّ مثله كمثل الحيوانات التى همّها علفها.

۴-الرزق حقّ

من جمله الأمور التى يحكمها نظام دقيق هى«مسأله الرزق»التى أشير إليها فى الآيات محلّ البحث إشارات واضحه.

صحیح أنّ الاستفاده من مواهب الحیاه مشروطه بالجدّ و السعی و المثابره و أنّ الکسل و الخنوع مدعاه للتأخّر و الحرمان من الحیاه..إلاّ أنّه من الخطأ البیّن أن نتصوّر أنّ رزق الإنسان یزداد بالحرص و الولع و الأعمال الکثیره و أنّ رزقه یقلّ بالتعفّف و التجلّد و ما إلی ذلک.

و نلاحظ فی الأحادیث الإسلامیه تعابیر طریفه فی هذا المجال:

ففی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «إنّ الرزق لا یجرّه حرص حریص و لا یصرفه کره کاره» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الصادق علیه السّلام جوابا علی بعض أصحابه و قد طلب منه أن یعظه و ینصحه فقال علیه السّلام«...و إن کان الرزق مقسوما فالحرص لماذا» (۲) ؟! و الهدف من بیان هذه الأحادیث لیس هو الوقوف بوجه الجدّ و السعی بل هو تنبیه الحریصین أن یلتفتوا إلی أنّ رزقهم مقدّر لیرتدعوا عن حرصهم!.

و هنا لطیفه جدیره بالالتفات و هی أنّ الرّوایات الإسلامیه ذکرت أمورا کثیره علی أنّها مدعاه للرزق أو مانعه له،و کلّ منها مهمّ فی نفسه! نقرأ

عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «و الذی بعث جدّی بالحقّ نبیّا انّ اللّه تبارک و تعالی یرزق العبد علی قدر المروءه و أنّ المعونه تنزل علی قدر شدّه البلاء» (۳) .

و

عنه علیه السّلام أنّه قال: «کفّ الأذی و قلّه الصخب یزیدان فی الرزق» (۴) . کما

نقل عن نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «التوحید نصف الدین و استنزل الرّزق بالصدقه» (۵) .

و هناک امور أخر ذکرت علی أنّها مدعاه لزیاده للرزق کتنظیف نواحی البیت و غسل الأوانی و تنظیفها.

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۲۶.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۲۵ الحدیث ۳۱.

۴- ۴) -المصدر السابق،ص ۱۲۶(الحدیثان ۳۵ و ۳۷).

۵- ۵) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الذاريات (٥١): الآيات ٢٤ الى ٣٠]

اشاره

هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ اَلْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ اِمْرَأَتُهُ فِي صَرَّهٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَ قالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ اَلْحَكِيمُ اَلْعَلِيمُ (٣٠)

التّفسير

اشاره

ضيوف إبراهيم عليه السّلام

من هذا المقطع-فما بعد-يتحدّث القرآن فى هذه السوره عن قصص الأنبياء الماضين و الأمم المتقدّمه تأكيدا و تأييدا للموضوع آنف الذكر و ما حواه من مسائل،و أوّل جانب يثيره هذا المقطع هو قصّه الملائكه الذين جاءوا لعذاب قوم لوط،و مرّوا على إبراهيم عليه السّلام على صوره بشر،ليبشّروه بالولد،مع أنّ إبراهيم بلغ سنّا كبيرا فهو فى مرحله المشيب و امرأته كانت عقيما كذلك!

ص: ٩٧

فمن جهه..يعدّ إعطاء هذا الولد لإبراهيم و زوجه و هما فى مرحله الكبر و اليأس من الإنجاب تأكيدا على كون الأرزاق مقدّره كما أشير إلى ذلك فى الآيات المتقدّمه.

و من جهه اخرى يعدّ دليلا آخر على قدره الحقّ و آيه من آيات معرفه اللّه التى ورد البحث عنها فى الآيات آنفا.

و من جهه ثالثه يعدّ بشرى للأمم المؤمنه بأنّها فى رعايه الحقّ-كما أنّ الآيات التاليه تتحدّث عن عذاب قوم لوط و هى فى الوقت ذاته تهديد للمجرمين.

ففى البدء يوجّه اللّه سبحانه الخطاب لنبيّه فيقول: هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرٰاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (1) .

و التعبير ب«المكرمين»إمّا لأنّ هؤلاء الملائكه كانوا مأمورين من قبل الحقّ، و قد ورد التعبير عنهم فى الآيه(26)من سوره الأنبياء أيضا بمثل هذا- بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ أو لأنّ إبراهيم عليه السّلام أكرمهم،أو للوجهين معا.

ثمّ يبيّن القرآن حالهم فيقول: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلاٰماً قٰالَ سَلاٰمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (2) .

قال بعضهم:جمله أنّهم«قوم منكرون»لم يصرّح بها إبراهيم،بل حدّث بها نفسه لأنّ هذا الكلام لا ينسجم مع وافر الاحترام للضيف الكرام.

إلاّ أنّه كما هو المعتاد قد يقول المضيّف للضيف فى حال الاحترام و الترحيب:

«لا أدرى أين التقيت بك من قبل-أو يبدو انّك غريب..»

1- 1) -«الضيف»له معنى وصفى،و يطلق على المفرد كما يطلق على الجمع أيضا..و لذلك فقد وصف بالمكرمين،و ما قاله بعضهم إنّه مصدر و لا يثنّى و لا يجمع فلا يبدو صحيحا.و لكن كما يقول الزمخشرى فى الكشّاف حيث إنّه كان فى الأصل مصدرا و بعد أن أصبح ذا معنى وصفى فإنّه استعمل فى المفرد و الجمع معا،فلاحظوا بدقّه.

2- 2) -سلاما منصوب بفعل محذوف و تقديره:نسلّم عليكم سلاما:أمّا سلام فهو مبتدا و خبره محذوف و أصله عليكم سلام أو سلام عليكم فكأنّ إبراهيم أراد أن يحيّهم بأحسن من تحيّتهم،لأنّ الجمله الاسميه تدلّ على الثبات و الدوام تفسير الكشّاف،ج 4،ص 401.

فبناء على هذا يمكن التمسّك بظاهر الآيه و أنّ إبراهيم قال هذا الكلام صراحه و إن كان الاحتمال الأوّل غير بعيد.خاصّه أنّ«الضيف»لم يردّوا على هذا الكلام،و لو كان إبراهيم قال مثل هذا الكلام صراحه،فلا بدّ أن يجيبوه.

و على كلّ حال فإنّ إبراهيم أدّى ما عليه من حقّ الضيافه فَرٰاغَ إِلىٰ أَهْلِهِ فَجٰاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ .

و الفعل«راغ»كما يقول الراغب فى مفرداته مشتقّ من«روغ»-على وزن «شوق»-و معناه التحرّك مقرونا بخطّه خفيّه،لأنّ إبراهيم فعل«كذلك»و قام بذلك خفاء لئلاّ يلتفت الضيف فلا يقبلوا بضيافته التى تستلزم نفقه كثيره!إلاّ أنّه لم هيّأ إبراهيم طعاما كثيرا؟مع أنّ ضيفه كانوا كما يقول بعض المفسّرين«ثلاثه»و قال بعضهم:كانوا اثنى عشر-و هذا أقصى ما قاله بعض المفسّرين -(1).

فذلك لأنّ الكرماء لا يهيّؤون الطعام بمقدار الضيف فحسب،بل يهيّؤون طعاما يستوعب حتّى العمّال ليشاركوهم فى الأكل،و ربّما أخذوا بنظر الإعتبار حتّى الجار و الأقارب فعلى هذا لا يعدّ مثل هذا الطعام الذى هيّأه إبراهيم إسرافا، و يلاحظ هذا المعنى فى يومنا هذا عند بعض العشائر التى تعيش على طريقتها القديمه.

و«العجل»على وزن«طفل»معناه ولد البقر«و ما يراه بعضهم أنّه الخروف فلا ينسجم مع متون اللغه»!..و هذه الكلمه مأخوذه فى الأصل من العجله،لأنّ هذا الحيوان فى هذه السنّ و فى هذه المرحله يتحرّك حركه عجلى،و حين يكبر تزول عنه هذه الصفه تماما.

و«السمين»معناه المكتنز لحمه،و انتخاب مثل هذا العجل إنّما هو لإكرام الضيف و ليسع المتعلّقين و الأكله الآخرين!

1- 1) -اقتباس عن روح البيان و حاشيه تفسير الصافى ذيل الآيات محلّ البحث.

و فى الآيه التاسعه و الستّين من سوره هود جاء و صف هذا العجل بأنّه«حنيذ» أى مشوىّ،و بالرغم من أنّ الآيه محلّ البحث لم تذكر شيئا عن هذا العجل،إلاّ أنّه لا منافاه بين التعبيرين.

ثمّ تضيف الآيه بالقول عن إبراهيم و ضيفه فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إلاّ أنّه لاحظ أنّ أيديهم لا تصل إلى الطعام فتعجّب و قٰالَ أَ لاٰ تَأْكُلُونَ .

و كان إبراهيم يتصوّر أنّهم من الآدميين فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً لأنّه كان معروفا فى ذلك العصر و فى زماننا أيضا بين كثير من الناس الملتزمين بالتقاليد العرفيه،أنّه متى ما أكل شخص من طعام صاحبه فلن يناله أذى منه و لا يخونه..

و لذلك فإنّ الضيف إذا لم يأكل من طعام صاحبه،يثير الظنّ السيء بأنّه جاء لأمر محذور،و قد قيل على سبيل المثل فى لغه العرب:من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك»! و«الإيجاس»مشتقّ من وجس-على وزن مكث-و معناه فى الأصل الصوت الخفى و من هنا فقد أطلق الإيجاس على الإحساس الداخلى و الخفى،فكأنّ الإنسان يسمع صوتا داخله و حين يقترن الإيجاس بالخيفه يكون معناه الإحساس بالخوف.

و هنا قال له الضيف كما ورد فى الآيه(٧٠)من سوره هود طمأنه له ف قٰالُوا لاٰ تَخَفْ .

و يضيف القرآن: وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاٰمٍ عَلِيمٍ .

و بديهى أنّ الغلام عند ولادته لا يكون عليما،إلا أنّه من الممكن أن يكون له استعداد بحيث يكون فى المستقبل عالما كبيرا...و المراد به هنا هو ذلك المعنى!.

و هذا الغلام من هو؟هل هو إسحاق أم إسماعيل؟!هناك أقوال بين المفسّرين و إن كان المشهور أنّه إسحاق و احتمال كونه إسماعيل-مع ملاحظه الآيه(٧١)من سوره هود التى تقول فبشّرناها بإسحاق-يبدو غير صحيح،فبناء على ذلك ليس

من شـكّ أنّ المرأه التى يأتى ذكرها فى الآيات التاليه هى ساره زوج إبراهيم و ولـدها هـذا هو إسـحاق! فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ و نقرأ فى الآيه (٧٢)من سوره هود قوله تعالى: قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَـٰذَا بَعْلِي شَيْخاً !؟ فبناء على هذا فصـراخها كان صـراخ تعجّب مقرون بالسـرور،و كلمه«صـرّه» مشـتقّه من الصـرّ على وزن الشرّ،و معناه فى الأصل الشدّ و الارتباط،كما يطلق على الصوت العالى و الصراخ و الجماعه المتراكمه لأنّها ذات شدّه و ارتباط.

و يطلق على الريح البارده«صرصـر»لأنّها تصـرّ الإنسان و«الصروره»كلمه تطلق على من لم يحجّ رجلا كان أو امرأه!كما تطلق على من لم يرغب فى الزواج [منهما]

لأنّ فى ذلك نوعا من الامتناع أو الارتباط،و الصرّه فى الآيه محلّ البحث معناها هو الصوت العالى الشديد.

أمّـا«صـكّت»فمشـتقّه من مادّه صكّ على وزن شكّ-و معناها الضـرب الشديـد أو الضـرب،و المراد منها هنا هو أنّ امرأه إبراهيم حين سـمعت بالبشـرى ضربت بيدها على وجهها-كعاده سائر النساء-تعجّبا و حياء! و طبقا لما يقول بعض المفسّرين و ما ورد فى سفر التكوين فإنّ امرأه إبراهيم كانت آنئذ فى سنّ التسعين و إبراهيم نفسه كان فى سنّ المائه عاما..أو أكثر.

إلاّ أنّ الآيه التاليه تنقل جواب الملائكه لها فتقول: قَالُوا كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ .

فبالرغم من كونك امرأه عجوزا و بعلك مثلك شيخا إلاّ أنّ أمر اللّه إذا صدر فى شيء ما فلا بدّ أن يتحقّق دون أدنى شكّ!

حتّى خلق العـالم الكبير كعالمنـا هـذا إنّمـا هو عليه سـهل إذ تمّ بقوله:كن فكـان! و التعبير ب«الحكيم»و«العليم»إشـاره إلى أنّه لا يحتاج إلى الإخبار بكونك

ص:١٠١

امرأه عقیما عجوزا و بعلک شیخا،فاللّه یعرف کلّ هـذه الأمور،و إذا لم یرزقک حتّی الآن ولـدا و أراد أن یهبک فی هذه السـنّ ولدا فإنّما هو لحکمته! الطریف أنّنا نقرأ فی الآیه(۷۳)من سوره هود أنّ الملائکه قالوا لها:

أَ تَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَ بَرَکٰاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ .

و وجود الفرق بین هذین التعبیرین هو لأنّ الملائکه قالوا کلّ ذلک لساره..

منتهی الأـمر أنّ قسـما منه أشـارت إلیه سـوره هود،و هنـا إشـاره إلی القسم الآـخر، ففی سوره هود جـاء الکلاـم عن«رحمه اللّه و برکاته»و هما یتناسبان مع کونه حمیدا مجیدا.

أمّـا هنـا فالکلاـم علی علمه بعـدم استعداد هـذین الزوجین للإنجاب و الولـد و یأس المرأه بحسب الأسـباب الطبیعیه«الظاهریه»و یتنـاسب مع هـذا الکلاـم أن یقـال أنّه هو العلم،و إذ سـئل لم لم یرزقهمـا فی فتره الشـباب ولـدا.فیقال:أنّ فی ذلـک حکمه و هو الحکیم سبحانه.

ملاحظه

اشاره

کرم الأنبیاء:

کثیرا ما یظنّ الممسـکون البخلاء أنّ السـخاء و النظره البعیده ضرب من الإفراط و الإسراف و التبذیر،و التشدّد و ضیق النظره نوع من الزهـد و التـدبیر!! و القرآن یکشف عن هـذه الحقیقه فی هـذه الآیـات و الآیـات الـتی مرّت فی سوره هود،و هی أنّ الضـیافه بسـعتها و بشـکلها المعقول لیست مخالفه للشرع،بل طالما قام النّبی بمثل هذا العمل،فهو دلیل علی أنّ هذا الأمر محبوب،و بالطبع فإنّ ضیافه کهذه الضیافه التی تستوعب الآخرین إنّما هی سنّه الکرماء الشرفاء.

و اللّه سبحانه لم یحرّم التمتّع بمواهب الحیاه و کون الإنسان ذا مال حلال کما

كان إبراهيم-فلا ضير أن يتصرّف بماله كما فعل إبراهيم عليه السّلام أيضا.

فإبراهيم مع كونه ثريّا ذا مال لم يغفل عن ذكر اللّه لحظه واحده و لم يكن قلبه أسير ثروته و لم يجعل منافعه منحصره به وحده.

يقول القرآن فى الآيه ٣٢ من سوره الأعراف: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .

و فى هذا الصدد كان لنا بحث مفصّل ذيل الآيه ٣٢ من سوره الأعراف..«فلا بأس بمراجعته هناك».

بدایه الجزء السابع و العشرون من القرآن الکریم

ص :۱۰۵

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۳۱ الی ۳۷]

اشاره

قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (۳۱) قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۳۲) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ (۳۳) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (۳۴) فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۳۵) فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۳۶) وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۳۷)

التّفسير

اشاره

مدن قوم لوط المدمره آيه و عبره:

تعقيبا على ما سبق من الحديث عن الملائكه الذين حلّوا ضيفا على إبراهيم و بشارتهم إيّاه فى شأن الولد«إسحاق»تتحدّث هذه الآيات عمّا دار بينهم و بين إبراهيم فى شأن قوم لوط.

توضيح ذلك..أنّ إبراهيم بعد ما ابعد إلى الشام..و اصل دعوه الناس إلى اللّه و مواجهته لكلّ أنواع الشرك و عباده الأصنام..و قد عاصر إبراهيم الخليل«لوط» أحد الأنبياء العظام و يحتمل أنّه كان مأمورا من قبله بتبليغ الناس و هدايه الضالّين، فسافر إلى بعض مناطق الشام«أى مدن سدوم»فحلّ فى قوم مجرمين ملوّثين

بالشرک و المعاصی الکثیره،و کان أقبحها تورّطهم فی الانحراف الجنسی و اللواط، و أخیرا فقد أمر رهط من الملائکه بعذابهم و هلاکهم إلاّ أنّهم مرّوا بإبراهیم قبل إهلاکهم.

و قد عرف إبراهیم من حال الضیف(الملائکه)أنّهم ماضون لأمر مهمّ،و لم یکن هدفهم الوحید البشری بتولّد إسحاق،لأنّ واحدا منهم کان کافیا لمهمّه «البشاره».أو لأنّهم کانوا عجلین فأحسّ بأنّ لدیهم«مأموریه»مهمّه.

لذلک فإنّ أوّل آیه من الآیات محلّ البحث تحکی بدایه المحاوره فتقول:

قٰالَ فَمٰا خَطْبُکُمْ أَیُّهَا الْمُرْسَلُونَ

(۱)

.

فأماط الملائکه اللثام عن«وجه الحقیقه»و مأموریتهم ف قٰالُوا إِنّٰا أُرْسِلْنٰا إِلیٰ قَوْمٍ مُجْرِمِینَ .

إنّهم قوم متلوّثین-إضافه إلی عقیدتهم الفاسده-بأنواع الآثام و الذنوب المختلفه المخزیه القبیحه (۲) .

ثمّ أضافوا قائلین: لِنُرْسِلَ عَلَیْهِمْ حِجٰارَهً مِنْ طِینٍ و التعبیر ب«حجاره من طین»هو ما أشارت إلیه الآیه ۸۲ من سوره هود بالقول من«سجّیل»و سجّیل کلمه فارسیه الأصل مأخوذ من(سنگ+گل)ثمّ صارت فی العرب سجّیل،فهی لیست صلبه کالحجر و لا رخوا کالورد،و لعلّها فی المجموع إشاره إلی هذا المعنی و هو أنّ هلاک قوم لوط المجرمین لم یکن یستلزم إنزال أحجار عظیمه و صخور و جلامید من السماء،بل کان یکفی أن یمطروا بأحجار صغیره لیست صلبه جدّا کأنّها حبّات«المطر».

۱- ۱) -ینبغی الالتفات إلی أنّ«خطب»لا یطلق علی کلّ عمل،بل هو خاصّ فی الأمور و الأعمال المهمّه فی حین أنّ کلمات مثل عمل،شغل،أمر،فعل،لها معان عامّه.

۲- ۲) -ینبغی الالتفات إلی أنّه فی سوره هود جاء التعبیر هکذا:إنّا أرسلنا إلی قوم لوط،و هذا التفاوت فی التعابیر بین الآیات محلّ البحث و آیات سوره هود هو لأنّ کلا من الآیات یذکر قسما ممّا جری و بتعبیر آخر هذه المسائل کلّها واقعه،غایه ما فی الأمر أنّ بعضها مذکور فی الآیات محلّ البحث و بعضها فی الآیات الآنفه من سوره هود.

ثمّ أضاف الملائكه قائلين: مُسَوَّمَهً عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُسْرِفِینَ کلمه مسوّمه تطلق على ما فيه علامه و وسم،و هناک أقوال بين المفسّرين فی کيفيه أنّها «مسوّمه»؟! قال بعضهم إنّها كانت فی شكل خاصّ يدلّ على أنّها ليست أحجارا كسائر الأحجار الطبيعيه،بل كانت وسيله للعذاب.

و قال جماعه كان لكلّ واحده منها علامه و كانت لشخص معيّن و علامتها فی نقطه خاصّه ليعلم الناس أنّ عقاب اللّه فی منتهى الدقّه بحيث يعلم من هذه الأحجار المسوّمه أنّ أیّ مجرم ينال واحده منها فيهلک بها.

كلمه«المسرفين»إشاره إلى كثره ذنوبهم بحيث تجاوزت الحدّ و خرقوا أستار الحياء و الخجل،و لو قدّر لبعض الدارسين أن يتفحّص حالات قوم لوط و أنواع ذنوبهم للاحظ أنّ هذا التعبير فی حقّهم ذو مغزى كبير (۱) .

و كلّ إنسان من الممكن أن يقع فی الذنب أحيانا،فلو تيقّظ بسرعه و أصلح نفسه يرتفع الخطر،و إنّما يكون خطيرا حين يبلغ حدّ الإسراف!.

و يكشف هذا التعبير عن مطلب مهمّ آخر،و هو أنّ هذه الحجاره السماويه التی أعدت لتنزل على قوم لوط لا تختّص بهؤلاء القوم،بل معدّه لجميع المسرفين و العصاه المجرمين.

و القرآن هنا يكشف عمّا جرى لرسل اللّه إلى نبيّه لوط على أنّهم حلّوا ضيفا عنده،و قد تبعهم قوم لوط بلا حياء و لا خجل ظنّا منهم أنّهم غلمان نضرون ليقضوا منهم وطرهم!!إلاّ أنّهم سرعان ما أحسّوا بخطئهم فإذا هم عمى العيون،فيذكر قول اللّه فيهم (۲) فَأَخْرَجْنٰا مَنْ كٰانَ فِيهٰا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمٰا وَجَدْنٰا فِيهٰا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

۱- ۱) -يراجع ذيل الآيه(۸۱)من سوره هود.

۲- ۲) -الجدير بالنظر أن فی سوره هود بيانا لهذه القصه لكن التعابير فيها تدل بوضوح أن لقاء الملائكه لإبراهيم كان قبل

أجل فنحن لا نحرق الأخضر و اليابس معا،و عدالتنا لا تسمح أن يبتلى المؤمن بعاقبه الكافر حتّى و لو كان بين آلاف الآلاف من الكافرين رجل مؤمن طاهر لأنجيناه! و هـذا هو ما أشارت إليه الآيتان ۵۹ و ۶۰ من سوره الحجر بالقول: إِلاّٰ آلَ لُوطٍ إِنّٰا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنٰا إِنَّهٰا لَمِنَ الْغٰابِرِينَ .

و نقرأ فى سوره هود الآيه ۸۱ مثله: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ .

أمّا فى سوره العنكبوت فقـد وردت الإشاره فى الآيه(۳۲)كمـا يلى: قٰالَ إِنَّ فِيهٰا لُوطاً قٰالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهٰا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ .

كما أنّ هذا الموضوع ذاته مشار إليه فى الآيه(۸۳)من سوره الأعراف:

فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ .

و كما تلاحظون،أنّ هـذا القسم من قصّه قوم لوط ورد فى هـذه السور الخمس فى عبارات مختلفه و جميعها يتحـدّث عن حقيقه واحـده..إلاّ أنّه حيث يمكن أن ينظر إلى حـادثه مـا من زوايا متعـدّده و كلّ زاويه لها بعـدها الخاصّ..فإنّ القرآن ينقل الحوادث التاريخيه-على هذه الشاكله-غالبا،و التعابير المختلفه فى الآيات المتقدّمه شاهده على هذا المعنى.

أضف إلى ذلـك أنّ القرآن كتـاب تربوى و إنسـانى-و فى مقـام التربيه يلزم أحيانا أن يعول على مسأله مهمّه مرارا لتترك أثرها العميق فى ذهن القارئ..

غايه ما فى الأمر ينبغى أن يكون هذا التكرار بتعابير طريفه و مثيره و مختلفه لئلاّ

(۲)

معاقبه قوم لوط و هلاكهم مع أنّ الآيات محلّ البحث فيها تعابير تشير إلى أنّ اللقاء تمّ بعد المعاقبه و الجزاء،و طريق الحلّ هو أن نقول أنّ الآيات الوارد ذكرها آنفا إلى قوله:«مسوّمه عند ربّك للمسرفين»هى كلام الملائكه،و أمّا الآيات الثلاث بعدها فقول اللّه يخاطب نبيّه و المسلمين يتحدّث عنها على أنّها قصّه وقعت فيما مضى«فلاحظوا بدقّه»!

يقع السأم و يملّ الإنسان،و أن يكون الأسلوب فصيحا بليغا!.

«و لمزيد التوضيح فى شأن ضيف إبراهيم و ما دار بينهم و بينه ثمّ عاقبه قوم لوط المرّه يراجع ذيل الآيات ۸۳ من سوره الأعراف و ۸۱ من سوره هود و ۵۹ و ۶۰ من سوره الحجر و ۳۲ من سوره العنكبوت».

و على كلّ حال فإنّ اللّه سبحانه زلزل مدن قوم لوط و قلب عاليها سافلها ثمّ أمطرها بحجاره من سجّيل منضود و لم يبق منها أثرا...حتّى أنّ أجسادهم دفنت تحت الأنقاض و الحجاره!لتكون عبره لمن يأتى بعدهم من المجرمين و الظالمين غير المؤمنين.

و لذلك فإنّ القرآن يضيف قائلا فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث:

وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ

.

و هذا التعبير يدلّ بوضوح أنّ من يعتبر و يتّعظ بهذه الآيات هم الذين لديهم استعداد للقبول فى داخل كيانهم و يحسّون بالمسؤوليه.

بحث

اشاره

أين تقع مدن قوم لوط؟

من المسلّم به أنّ إبراهيم الخليل جاء إلى الشام بعد أن هاجر من العراق و «بابل»و يقال أنّ لوطا كان يقطن معه إلاّ أنّه بعد فتره توجّه نحو«سدوم»ليدعو إلى التوحيد و يكافح الفساد.

و«سدوم»واحده من مدن قوم لوط و أحيائهم التى كانت من بلاد الأردن على مقربه من البحر الميّت..و كانت أرضها خصبه كثيره الأشجار،إلاّ أنّ هذه الأرض بعد نزول العذاب الإلهى على هؤلاء الظالمين من قوم لوط قلب عاليها سافلها و تهدّمت مدنها و سمّين بالمؤتفكات«أى المقلوبات».

ص: ۱۱۱

و ذهب بعضهم أنّ آثار هذه المدن الخربه غرقت فى الماء و يزعمون أنّهم رأوا فى زاويه من البحر الميّت أعمدتها و آثارها و خرائبها الاخرى.

و ما نقرؤه فى بعض التفاسير الإسلاميه هو أنّ المراد من جمله«و تركنا فيها آيه»هو المياه العفنه و المستنقعات التى غطّت أماكن هذه المدن،و لعلّه إشاره إلى هذا المعنى و هو أنّه بعد الزلازل الشديده و انشقاق الأرض انفتح طريق من البحر الميّت نحو هذه الأرض فغرقت جميع آثارها تحت الماء.

فى حين أنّ بعضهم يعتقد أنّ مدن لوط لم تغرق بعد و ما تزال على مقربه من البحر الميّت منطقه مغطّاه بالصخور السود و يحتمل أن تكون هى محلّ مدن قوم لوط! و قيل أنّ مركز إبراهيم كان فى مدينه«حبرون»على فاصله غير بعيده من «سدوم»و حين نزل العذاب و الصاعقه من السماء أو الزلزله فى الأرض و احترقت «سدوم»كان إبراهيم واقفا قريبا من حبرون و شاهد دخان تلك المنطقه المتصاعد فى الفضاء بامّ عينيه (۱) !.

و من مجموع هذه الكلمات تتّضح الحدود التقريبيه لهذه المدن و إن كانت جزئياتها ما تزال وراء ستار الإبهام باقيه.

۱- ۱) -مقتبس من كتاب القاموس المقدّس.

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۳۸ الی ۴۶]

اشاره

وَ فِی مُوسیٰ إِذْ أَرْسَلْنٰاهُ إِلیٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰانٍ مُبِینٍ (۳۸) فَتَوَلّٰی بِرُکْنِهِ وَ قٰالَ سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِی اَلْیَمِّ وَ هُوَ مُلِیمٌ (۴۰) وَ فِی عٰادٍ إِذْ أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمُ اَلرِّیحَ اَلْعَقِیمَ (۴۱) مٰا تَذَرُ مِنْ شَیْءٍ أَتَتْ عَلَیْهِ إِلاّٰ جَعَلَتْهُ کَالرَّمِیمِ (۴۲) وَ فِی ثَمُودَ إِذْ قِیلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّٰی حِینٍ (۴۳) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ اَلصّٰاعِقَهُ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اسْتَطٰاعُوا مِنْ قِیٰامٍ وَ مٰا کٰانُوا مُنْتَصِرِینَ (۴۵) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِینَ (۴۶)

التّفسیر

اشاره

دروس العبره من الأقوام السالفه:

یتحدّث القرآن فی هذه الآیات محلّ البحث-تعقیبا علی قصّه قوم لوط و عاقبتهم الوخیمه-عن قصص أقوام آخرین ممّن مضوا فی العصور السابقه.

فیقول أوّلا: وَ فِی مُوسیٰ إِذْ أَرْسَلْنٰاهُ إِلیٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰانٍ مُبِینٍ .

ص: ۱۱۳

«السلطان»ما يكون به التسلّط،و المراد به هنا المعجزه أو الدليل و المنطق العقلى القوىّ أو كلاهما،و قد واجه موسى فرعون بهما.

و التعبير ب بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ جاء فى آيات القرآن المتعدّده و المختلفه كثيرا..

و غالبا ما يراد منه الدليل المنطقى البيّن و الواضح إلاّ أنّ فرعون لم يسلّم لمعجزات موسى الكبرى التى كانت شاهدا على ارتباطه باللّه و لم يطأطئ رأسه للدلائل المنطقيه..بل بقى مصرّا لما كان فيه من غرور و تكبّر فَتَوَلّٰى بِرُكْنِهِ وَ قٰالَ سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .

«الركن»فى الأصل القاعده الأساسيه أو الاسطوانه (١) و القسم المهمّ من كلّ شيء،و هو هنا لعلّه إشاره إلى أركان البدن،أى أنّ فرعون أدار ظهره لموسى تماما! و قال بعضهم المراد بالركن هنا جيشه،أى أنّه اعتمد على أركان جيشه و تولّى عن رساله الحقّ.أو أنّه صرف نفسه عن أمر اللّه و صرف أركان حكومته-و جيشه جميعا عن ذلك أيضا (٢) .

و الطريف أنّ الجبابره المتكبرين حين كانوا يتّهمون الأنبياء بالكذب و الافتراء كانوا يتناقضون تناقضا عجيبا.فتاره يتّهمونهم بأنّهم سحره،و اخرى بأنّهم مجانين،مع أنّ الساحر ينبغى أن يكون ذكيا و أن يعوّل على مسائل دقيقه و يعرف نفوس الناس حتّى يسحرهم و يخدعهم بها..و المجنون بخلافه تماما.

إلاّ إنّ القرآن يخبر عن فرعون الجبّار و أعوانه بقوله: فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ .

«اليمّ»:كما هو مذكور فى كتب اللغه و كتب الأحاديث يطلق على البحر،كما

١- ١) -الأسطوانه معربه عن كلمه ستون الفارسيه.

٢- ٢) -فتكون الباء فى بركنه حسب التّفسير الأوّل للمصاحبه،و حسب التّفسير الثانى للسببيه،و حسب التّفسير الثالث للتعديه..

يطلق على الأنهار العظيمه كالنيل مثلا (۱) جمله«فنبذناهم»إشاره إلى أنّ فرعون و جنوده كانوا فى درجه من الضعف أمام قدره اللّه بحيث ألقاهم فى اليمّ كأنّهم موجود لا قيمه و لا مقدار له.

و التعبير ب وَ هُوَ مُلِيمٌ إشاره إلى أنّ العقاب الإلهى لم يمحه فحسب بل التاريخ من بعده يلومه على أعماله المخزيه و يذكرها بكلّ ما يشينه و يلعنه..

و يفضح غروره و تكبّره بإماطه النقاب عنهما.

ثمّ يتناول القرآن عاقبه قوم آخرين بالذكر و هم«قوم عاد»فيقول: وَ فِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ .

و كون الريح عقيما هو عند ما تأتى الريح غير حامله معها السحب الممطره، و لا تلقح النباتات و لا تكون فيها أيّه فائده و لا بركه و ليس معها إلّا الدمار و الهلاك! ثمّ يذكر القرآن سرعه الريح المسلّطه على عاد فيقول: مَا تَذَرُ مِنْ شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ .

«الرميم»مأخوذ من الرمّه على زنه(المنّه)-و هى العظام النخره الباليه.

و الرمّه-على وزن القبّه-هى الحبل المتآكل أو الخيط البالى و الرّم (۲) على وزن الجنّ-ما يسقط من الخشب أو التبن على الأرض و«الترميم»معناه إصلاح الأشياء المتآكله (۳) ! و هذا التعبير يدلّ على أنّ سرعه الريح المسلّطه على قوم عاد لم تكن سرعه طبيعيّه،بل إضافه إلى تخريبها البيوت و هدمها المنازل،فهى محرقه و ذات سموم

۱- ۱) -المراد بالمليم ذو الملامه-فهو اسم فاعل من اللوم و بابه الأفعال[الام يليم] أى هو الشخص الذى يرتكب عملا يكون بنفسه ملامه مثل المغرب الذى يأتى بالعجيب الغريب...و لمزيد التوضيح فى قصّه موسى و فرعون يراجع ذيل الآيه ۱۳۶ من سوره الأعراف.

۲- ۲) -راجع:المفردات للراغب مادّه رمّ.

۳- ۳) -راجع:لسان العرب و المفردات مادّه رمّ.

ممّا جعلت كلّ شیء رمیما.

أجل،هذه قدره اللّه التی تدمّر القوم الجبّارین بسرعه الریح المذهله فلا تبقی منهم و من ضجیجهم و صخبهم و غرورهم إلاّ أجسادا تحوّلت رمیما.

و هكذا أشارت الآیه آنفه الذكر إشاره عابره عن عاقبه قوم«عاد»الأثریاء الأقویاء الذین كانوا یقطنون الأحقاف و هی منطقه«ما بین عمان و حضرموت» ثمّ تصل النوبه إلی ثمود قوم صالح إذ أمهلهم اللّه قلیلا لیتلقوا العذاب بعد ذلك ..فیقول اللّه فیهم: وَ فِی ثَمُودَ إِذْ قِیلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّی حِینٍ .

و المراد ب حَتّی حِینٍ هو الأیّام الثلاثه المشار إلیها فی الآیه(۶۵)من سوره هود إمهالا لهم: فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِی دارِكُمْ ثَلاثَهَ أَیّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَیْرُ مَكْذُوبٍ .

و مع أنّ اللّه قد أنذرهم بواسطه نبیّهم«صالح»علیه السّلام مرارا..إلاّ أنّه إتماما للحجّه أمهلهم ثلاثه أیّام فلعلّهم یتداركون ما فرطوا فی ماضیهم الأسود و یغسلوا صدأ الذنوب-بماء التوبه-عن قلوبهم و أرواحهم.

بل كما یقول بعض المفسّرین:ظهرت خلال الأیّام الثلاثه بعض التغیّرات فی أبدانهم إذ صارت صفراء ثمّ حمرا ثمّ تحوّلت سودا..لتكون نذیرا لهؤلاء القوم المعاندین،إلاّ أنّهم و للأسف لم یؤثّر فیهم أی شیء من هذه الأمور و لم ینزلوا عن مركب غرورهم.

أجل: فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَهُ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ .

كلمه«عتوا»مشتقّه من العتوّ-علی وزن غلوّ-و معناه الإعراض«بالوجه»، و الانصراف عن طاعه اللّه، و الظاهر أنّ هذه الجمله إشاره إلی ما كان منهم من إعراض طوال الفتره التی دعاهم فیها نبیّهم صالح كالشرك و عباده الأوثان و الظلم و عقرهم الناقه التی كانت معجزه نبیّهم،لا الإعراض الذی كان منهم خلال الأیّام الثلاثه فحسب،و بدلا من أن یتوبوا و ینیبوا غرقوا فی غرورهم و غفلتهم.

و الشاهد على ذلك قوله تعالى فى سوره الأعراف: فَعَقَرُوا النّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (١) و الصاعقه و الصاقعه كلاّ-اللفظين بمعنى واحد تقريبا،و أصلهما الهوّى المقرون بالصوت الشديد،مع تفاوت بينهما،و هو أنّ الصاعقه تطلق على ما يقع فى الأشياء السماويه و الصاقعه فى الأشياء فوق الأرض.

و كما يقول بعض أهل اللغه فإنّ«الصاعقه»تعنى الموت حينا أو العذاب أو النار حينا آخر،و هذه الكلمه تطلق غالبا على الصوت الشديد الذى يسمع فى السماء مقرونا بالنار المهلكه.

و قد أشرنا من قبل أنّ السحب ذات الشحنات الموجبه إذا اقتربت من الأرض التى تحتوى على شحنات سالبه،يحدث و ميض كهربائى شديد من هذين مقرونا بصوت مرعب و نار محرقه يهتزلها مكان الحادث.

و فى القرآن الكريم استعملت هذه الكلمه فى الآيه(١٩)من سوره البقره بهذا المعنى بجلاء،لأنّه بعد أن يتحدّث القرآن عن الصيّب و البرق و الرعد يضيف قائلا:

يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ .

و أخيرا فإنّ آخر جمله تتحدّث عن شأن هؤلاء القوم المعاندين تقول: فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَ ما كانُوا مُنْتَصِرِينَ .

أجل:هكذا تدمّر الصاعقه حين تقع على الأرض بصوره مفاجئه،فلا يستطيع الإنسان أن ينهض من الأرض،و لا يقدر على الصريخ و الإستنصار،و على هذه الحال هلك قوم صالح و كانوا عبره للآخرين.

أجل:إنّ قوم صالح(ثمود)الذين كانوا من القبائل العربيه و كانوا يقطنون «الحجر»و هى منطقه تقع شمال الحجاز مع إمكانات ماديه هائله و ثروات طائله

١- ١) -الأعراف،الآيه ٧٧.

و عمّروا طويلا-في قصور مشيّده..اهلكوا بسبب إعراضهم عن أمر اللّه و طغيانهم و عنادهم و الشرك و الظلم،و بقيت آثارهم درسا بليغا من العبر للآخرين.

و في آخر آيه من الآيات محلّ البحث إشاره قصيره إلى عاقبه خامس أمّه من الأمم،و هي قوم نوح فتقول: وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِينَ (1) .

و«الفاسق»يطلق على من يخرج على حدود اللّه و أمره،و يكون ملوّثا بالكفر أو الظلم أو سائر الذنوب.

و التعبير ب«من قبل»لعلّه إشاره إلى أنّ قوم فرعون و قوم لوط و عادا و ثمود كان قد بلغهم ما انتهى إليه قوم نوح من عاقبه وخيمه،إلاّ أنّهم لم يتنبهوا،فابتلوا بما ابتلى به من كان قبلهم من قوم نوح!

تعقيب

اشاره

1-أوجه عذاب اللّه!

ممّا ينبغي الالتفات إليه أنّه ورد في الآيات الآنفه الإشاره إلى قصص خمس امم من الأمم المتقدّمه«قوم لوط،فرعون،عاد،ثمود،و قوم نوح»و قد أشير إلى جزاء أربع من هذه الأمم و ما عوقبت به،إلاّ أنّه لم ترد الإشاره في كيفيه عقاب قوم نوح.

و حين نلاحظ بدقّه نجد كلّ امّه من الأمم الأربع المتقدّم ذكرها عوقبت بنوع من العناصر الأربعه المعروفه!فقوم لوط عوقبوا بالزلزله و الحجاره(من السماء) أي أنّهم أهلكوا بالتراب،و قوم فرعون أهلكوا بالماء غرقا-و عاد أهلكوا بريح صرصر عاتيه(سريعه)و ثمود أهلكوا بالصاعقه و«النار».

ص: 118

1- 1) -هناك حذف في الجمله المتقدّمه و تقديره كما يقول«الزمخشري»في«الكشّاف»و أهلكنا قوم نوح من قبل،بالرغم من أنّ أهلكنا لم تكن في الآيات المتقدّمه إلاّ أنّ هذه الكلمه تستفاد منها بصوره جيّده.

و صحیح أنّ هذه الأشیاء الأربعه لا ـ تعدّ الیوم(عنصرا)أی جسما بسیطا،لأنّ کلّا منها مرکب من أجسام أخر،إلاّ أنّه لا یمکن الإنکار أنّها تمثّل أربعه أرکان حیاه الإنسان المهمّه،و متی ما حذف أی منها فلا یمکن أن یواصل الإنسان حیاته فکیف بحذف جمیعها؟! أجل إنّ اللّه سبحانه أهلک هذه الأمم بشیء یعدّ عامل البقاء و الحیاه الأصیل و لم یستطیعوا بدونه أن یواصلوا الحیاه..و هذه قدره(غائیه)عجیبه! و إذا لم نجد بیانا عن ما عوقب به قوم نوح علیه السّلام خلال السیاق،فلعلّه لأنّهم عوقبوا بمثل ما عوقب به قوم فرعون أی اهلکوا بالغرق(و الطوفان)و لم تکن حاجه هنا للتکرار!

۲-الریاح اللواقح و الریاح العقیم!

قرأنا فی الآیات الآنفه أنّ عادا أهلکوا بالریح العقیم،و نقرأ فی الآیه(۲۲) من سوره الحجر وَ أَرْسَلْنَا الرِّیٰاحَ لَوٰاقِحَ فَأَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً !و بالرغم أنّ هذه الآیه ناظره إلی تلقیح الغیوم و اتّصال بعضها ببعض لنزول الغیث..إلاّ أنّها و بشکل عام تبیّن أثر الریاح فی حیاه الإنسان...أجل إنّ أثرها و عملها التلقیح،تلقیح الغیوم و تلقیح النباتات،و حتّی أنّها تؤثّر أحیانا علی تهیأه مختلف الحیوانات للتلاقح! إلاّ أنّ هذه الریح حین تحمل الأمر بالعذاب،فبدلا من أن تهب الحیاه تکون عاملا علی الهلاک،و کما یعبّر القرآن فی الآیه(۲۰)من سوره القمر التی تتکلّم علی عاد فتقول: تَنْزِعُ النّٰاسَ کَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ !

ص: ۱۱۹

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۴۷ الی ۵۱]

اشاره

وَ اَلسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ (۴۷) وَ اَلْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ اَلْماهِدُونَ (۴۸) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۴۹) فَفِرُّوا إِلَى اَللّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۰) وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اَللّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۱)

التّفسير

اشاره

و السماء بنيناها بأيد و إنا لموسعون:

مرّه اخرى تتحدّث هذه الآيات عن موضوع آيات عظمه اللّه فى عالم الخلق، و هى فى الحقيقه تتمّه لما ورد فى الآيتين(۲۰)و (۲۱)من هذه السوره فى شأن آياته في الأرض و فى نفس«الإنسان»و وجوده-و هى ضمنا دليل على قدره اللّه على المعاد و الحياه فتقول أوّلا: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ .

«الأيد»على وزن الصيد،معناه القدره و القوّه-و قد تكرّر هذا المعنى فى آيات القرآن المجيد،و هو هنا بمعنى قدره اللّه المطلقه العظيمه فى خلق السماوات!

ص: ۱۲۰

و دلائل هذه القدره العظیمه واضحه جلیّه فی عظمه السماوات و نظامها الخاصّ الحاکم علیها أیضا (۱) .

و هناک کلام بین المفسّرین فی المراد من وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ :

فقال بعضهم معناه توسعه الرزق من قبل اللّه علی العباد بواسطه نزول الغیث، و قال بعضهم معناه توسعه الرزق من جمیع الجهات،و قال بعضهم معناه غنی اللّه و عدم حاجته،لأنّ خزائنه من السعه بحیث لا تنفذ و لا تنقص مهما کان عطاؤه! إلاّ أنّه مع ملاحظه موضوع خلق السماء فی الجمله السابقه و مع الأخذ بنظر الإعتبار ما اکتشفه العلماء من اتّساع العالم عن طریق المشاهدات الحسّیه المؤیّده،یمکن الوقوف علی معنی أکثر لطافه لهذه الآیه،و هو أنّ اللّه خلق السماوات و یوسعها دائما.

و العلم الحدیث[المعاصر]

یقول لیست الکره الأرضیه وحدها تتضخّم و تثقل علی أثر جذب المواد السماویه تدریجا،بل السماء أیضا فی اتّساع دائم،أی أنّ بعض النجوم المستقرّه فی المجرّات تبتعد عن مرکز مجرّاتها بسرعه هائله حتّی أنّ هذه السرعه لها أثرها فی الاتّساع فی کثیر من المواقع!.

و نقرأ فی کتاب«حدود النجوم»بقلم الکاتب«فرد هویل»:أنّ أقصی سرعه لابتعاد النجوم عن مرکزها حتّی الآن ۶۶ ألف کیلومتر فی الثانیه،و المجرّات التی هی أبعد منها-فی نظرنا-و مض نورها قلیل جدّا حتّی أنّه من الصعب تحدید سرعتها،و الصور الملتقطه من السماء تدلّ علی أهمیّه هذا الکشف و أنّ الفاصله ما

---

۱ - ۱) -وقع خطأ أو اشتباه عند بعض المفسّرین و غیرهم هنا،و ینبغی التنویه إلیه. أ-قال بعض المفسّرین أنّ للأید«معنیین»:«القدره»و«النعمه»مع أنّ الأید تعنی القدره لغه إلاّ أنّ الید تجمع علی أیدی و جمع جمعها أیاد تأتی بمعنی القدره و النعمه،و قد ذکرنا المعنیین أیضا فی الآیه(۱۷)من سوره ص تبعا للمرحوم الطبرسی صاحب مجمع البیان و نصحّحه هنا.. ب-جاء فی المعجم المفهرس لمحمّد فؤاد عبد الباقی ذکر الید فی الآیه محلّ البحث بیائیین(أیید)و یظهر أنّ هذا الاشتباه ناشئ من بعض الرسم فی کتابه المصاحف و إلاّ فإنّ المفسّرین ذکروا معنی القدره للید.

بین هذه المجرّات تتّسع أکثر من المجرّات القریبه منّا بسرعه (۱) .

ثمّ یتحدّث المؤلّف عن سرعه هذه المجرّات«السنبله و الأکلیل و الشجاع و غیرها»فیبیّن سرعتها العجیبه المذهله فی هذا الکتاب (۲) .

و لنصغ إلی بعض العبارات للاستاذ«جان الدر»إذ یقول:

«إنّ أحدث و أدقّ تقدیر طول الأمواج التی تبثّها النجوم یکشف الستار عن وجه حقیقه عجیبه و محیّره أی أنّها تکشف لنا أنّ مجموع النجوم التی یحویها العالم تبتعد عن مرکزها بسرعه دائما و کلّما کانت الفاصله بینها و بین مرکزها ازدادت سرعتها.

فکأنّ جمیع النجوم کانت مجتمعه فی هذا المرکز ثمّ تفرّقت عنه مجامیع کبیره من النجوم و اتّجه کلّ منها إلی اتّجاه خاصّ».

و یستنتج العلماء من ذلک أنّ العالم کانت له نقطه بدایه و شروع (۳) .

و یقول«جورج جاموف»فی کتاب خلق العالم فی هذا الصدد«إنّ فضاء العالم المتشکّل من ملیاردات المجرّات فی حاله انبساط سریعه،و الحقیقه هی أنّ عالمنا لیس فی حاله من السکون،بل انبساطه مقطوع به..و الإذعان إلی أنّ عالمنا منبسط یهیئ المفتاح لخزینه أسرار معرفه العالم لأنّه إذا کان العالم الآن فی حاله الانبساط فیلزم أن یکون فی زمان ما فی حاله انقباض شدید (۴) .

و لیس العلماء المذکورون آنفا یعترفون بهذه الحقیقه فحسب..فإنّ هناک آخرین ذکروا هذا المعنی فی کتاباتهم و یجرّنا نقل کلماتهم إلی الإطاله.

و ممّا یستجلب النظر أنّ التعبیر ب إِنّٰا لَمُوسِعُونَ داله علی الدوام

ص: ۱۲۲

۱- ۱) -حدود النجوم،ص ۳۳۸ إلی ص ۳۴۰.

۲- ۲) -حدود النجوم،ص ۳۳۸-۳۴۰.

۳- ۳) -بدایه العالم و نهایته،الصفحات ۷۴-۷۷ بتلخیص.

۴- ۴) -المصدر السابق.

و الاستمرار،فهی جمله اسمیه ذات اسم فاعل،کما أنّها تدلّ علی أنّ هذا الاتّساع موجود دائما و کان و لا یزال،و هذا یؤیّد تماما ما وصل إلیه العلم الحدیث أنّ جمیع النجوم و المجرّات کانت مجتمعه فی البدایه فی مرکز واحد«بوزن خاصّ له ثقل خارق»ثمّ انفجرت انفجارا عظیما مثیرا(مرعبا)و علی أثر ذلک تلاشت أجزاء العالم و ظهرت بصوره کرات و هی بسرعتها فی حاله الاتّساع و الابتعاد (عن المرکز).

و أمّا التعبیر الوارد فی شأن خلق الأرض فَنِعْمَ الْمٰاهِدُونَ ففی کلمه «ماهدون»لطافه تدلّ علی أنّ اللّه مهّد الأرض بجمیع وسائل الراحه للإنسان،لأنّ «الماهد»مأخوذ من المهد،و معناه ما یعدّ للطفل من الفراش أو أی محل للاستراحه،فمثل هذا المحل ینبغی أن یکون هادئا محفوظا لیّنا دافئا مطمئنا، و جمیع هذه الأمور متوفّره فی الأرض!.

و بأمر اللّه أضحت الحجاره لیّنه و تبدلّت إلی تراب هذا من جهه،و صلابه الجبال و قشر الأرض القوی من جهه ثانیه جعلت الأرض تقاوم الجزر و المدّ، و من جهه ثالثه فإنّ الغلاف الجوّی المحیط بالأرض یخفّف من وطأه حراره الشمس و یحفظها و هو بمثابه اللحاف لها کما أنّه یصدّ النیازک و الأحجار العظیمه التی تهوی من السماء إلی الأرض فیمنعها من النفوذ إلیها فتتلاشی عنده و تتحوّل رمادا.

و هکذا فإنّ اللّه هیّأ جمیع وسائل الراحه لاستقبال الإنسان الذی هو ضیف اللّه فی هذه الکره الأرضیه.

و بعد خلق السماء و الأرض تصل النوبه إلی خلق الموجودات المختلفه فی السماء و الأرض و أنواع النباتات و الحیوانات فتقول الآیه التالیه فی هذا الشأن وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنٰا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

و یعتقد کثیر من المفسّرین أنّ کلمه«الزوجین»هنا معناها الأصناف المختلفه

و أنّ الآيه تشير إلى أصناف الموجودات المختلفه فى هذا العالم التى تبدو على شكل زوج زوج كالليل و النهار،و النور و الظلمه،و البحر و اليابسه،و الشمس و القمر،و الذكر و الأنثى و غيرها.

إلاّ أنّه كما ذكرنا سابقا ذيل الآيات المشابهه لهذه الآيات أيضا أنّ الزوجيه فى مثل هذه الآيات يمكن أن تكون إشاره إلى معنى أدقّ،لأنّ كلمه«الزوج» تطلق عاده على جنسى الذكر و الأنثى،سواء فى عالم الحيوانات أو النباتات،و إذا ما توسّعنا فى استعمال هذه الكلمه فإنّها ستشمل جميع الطاقات الموجبه و السالبه (-و+)و مع ملاحظه ما جاء فى القرآن وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ و يشمل جميع الموجودات لا الموجودات الحيّه فحسب.فيمكنها أن تشير إلى هذه الحقيقه و هى أنّ جميع أشياء العالم مخلوقه من ذرّات موجبه و سالبه،و من المسلّم به هذا اليوم من الناحيه العلميه أنّ الذرّات مؤلّفه من أجزاء مختلفه،منها ما يحمل طاقه سالبه تدعى بالألكترون،و منها ما يحمل طاقه موجبه و تدعى بالبروتون.

فبناء على ذلك لا داعى أن نفسّر الشيء بالحيوان أو النباتات حتما أو أنّ نفسّر الزوج بمعنى الصنف«لمزيد الإيضاح ذكرنا شرحا مفصّلا ذيل الآيه ۷ من سوره الشعراء»و ينبغى الالتفات أنّه فى الوقت ذاته يمكن الجمع بين التّفسيرين.

و جمله لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ -تشير إلى أنّ الزوجيه و التعدّد فى جميع أشياء العالم تذكّر الإنسان بأنّ اللّه خالق هذا العالم واحد أحد،لأنّ التثنيه و التعدّد من خصائص المخلوقات.

و قد جاءت الإشاره إلى هذا المعنى

فى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام إذ قال: «بمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له،ضاد النور بالظلمه،و اليبس بالبلل و الخشن باللين،و الصرد بالحرور مؤلّفا بين متعادياتها مفرقا بين متدانياتها دالّه بتفريقها على مفرقها، و بتأليفها على مؤلّفها و ذلك قوله: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنٰا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ

» (1) .

و يضيف القرآن فى الآيه التاليه مستنتجا ممّا تقدّم من الأبحاث التوحيديه قائلا: فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

و التعبير ب«الفرار»هنـا تعبير لطيف و بليغ،لأنّ الفرار يطلق فى ما إذا واجه الإنسان موجودا أو حادثا مخيفا من جهه،و هو من جهه اخرى يعرف مكانـا يلتجئ إليه فيسـرع من مكـان المواجهه إلى ذلك المكان و يلتجئ إلى نقطه الأمن و الأمان..فالآيه تقول:فرّوا من عقيده الشرك الموحشه و عباده الأصنام إلى التوحيد الخالص الذى هو منطقه الأمن و الأمان الواقعى.

ففرّوا من عذاب اللّه و توجّهوا نحو رحمته! فرّوا من عصيانه و عناده و توسّلوا بالتوبه إليه.

و الخلاصه:فرّوا من السيّئات و القبائح و عدم الإيمان و ظلمه الجهل و العذاب الدائم و التجأوا إلى رحمه الحقّ و سعادته الأبديه.

و لمزيد التأكيد،يستند القرآن إلى وحدانيه العباده للّه الأحد فيقول:

وَ لاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ

.

و يحتمل أنّ الآيه السابقه-تـدعوا إلى أصل الإيمان باللّه!و هـذه الآيه تـدعو إلى وحـدانيه ذاته المقدّسه فيكون تكرار جمله:«إنّى لكم منه نـذير مـبين»فى المـورد الأـوّل على أنّه إنـذار على ترك الإيمـان بـاللّه،و فى المورد الآـخر إنـذار على الشـرك و عبـاده الأصـنام،و هكـذا فإنّ كلّ جمله و إن تكرّرت تشـير إلى موضوع مسـتقلّ! و جاء فى بعض الرّوايات عن الإمام الصادق أنّ المراد من قوله: فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ هو الحـجّ و زيـاره بيت اللّه (2) و واضـح أنّ المراد هنا ذكر مصداق واحد من المصاديق الواضـحه للفرار إلى اللّه،لأنّ الحجّ يعرّف الإنسان حقيقه التوحيد

ص: 125

1- 1) -توحيد الصدوق طبقا لما ورد فى نور الثقلين،ج 5،ص 130.

2- 2) -نقل فى تفسير نور الثقلين فى هذا الصدد بضعه أحاديث عن الإمامين الباقر و الصادق الجزء الخامس ص 130-131.

و التوبه و الإنابه إلى اللّه و يمنحه الالتجاء إلى ألطاف اللّه سبحانه.

الآیات [سوره الذاریات (۵۱): الآیات ۵۲ الی ۵۵]

اشاره

کَذٰلِکَ مٰا أَتَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۵۲) أَ تَوٰاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ (۵۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمٰا أَنْتَ بِمَلُومٍ (۵۴) وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ اَلذِّکْریٰ تَنْفَعُ اَلْمُؤْمِنِینَ (۵۵)

التّفسیر

اشاره

إنّ الذکری تنفع المؤمنین:

قرأنا فی الآیه ۳۹ من هذه السوره أنّ فرعون اتّهم موسی علیه السّلام عند ما دعاه إلی اللّه و ترک الظلم أنّه ساحر أو مجنون،فهذا الاتّهام ورد علی لسان المشرکین فی زمان النّبی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا إذ اتّهموه بمثل ما اتّهم فرعون موسی و قد عزّ ذلک علی المؤمنین الأوائل و القلائل کما کان یؤلم روح النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فالآیات محلّ البحث و من أجل تسلیه النّبی و المؤمنین تقول: کَذٰلِکَ مٰا أَتَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۱) .

کانوا یتّهمون الرسل السابقین بأنّهم سحره لأنّهم لم یجدوا جوابا منطقیا لمعاجزهم الباهره،و کانوا یخاطبون رسولهم بأنّه«مجنون»..لأنّه لم یکن علی

۱- ۱) -کذلک خبر لمبتدأ محذوف و تقدیر الکلام:الأمر کذلک.

غرارهم و متلوّنا بلون المحيط و لم يستسلم للأمور المادّيه.

فبناء على ذلك لا تحزن و لا تكترث و واصل المسير بالصبر و الاستقامه،لأنّ مثل هذه الكلمات قيلت فى أمثالك يا رسول اللّه من رجال الحقّ و أهله.

ثمّ يضيف القرآن هل أنّ هذه الأقوام الكافره تواصت فيما بينها على توجيه هذه التّهمه إلى جميع الأنبياء: أَ تَواصَوْا بِهِ ؟! و كان عملهم هذا إلى درجه من الانسجام،و كأنّهم اجتمعوا فى مجلس-فى ما وراء التاريخ-و تشاوروا و تواصوا على أن يتّهموا الأنبياء عامّه بالسحر و الجنون ليخفّفوا من وطأه نفوذهم فى نفوس الناس! و لعلّ كلاّ منهم كان يريد أن يمضى من هذه الدنيا و يوصى أبناءه و أحبابه بذلك! و يعقّب القرآن على ذلك قائلا: بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (1) .

و هذه هى إفرازات روح الطغيان حيث يتوسّلون بكلّ كذب و اتّهام لإخراج أهل الحقّ من الساحه،و حيث إنّ الأنبياء يأتون الناس بالمعجزات فإنّ خير ما يلصقونه بهم من التّهم أن يسموهم بالسحر أو الجنون،فبناء على ذلك يكون عامل «وحده عملهم»هذا هى الروحيه الخبيثه و الطاغيه الواحده لهم.

و لمزيد التسرّى عن قلب النّبى و تسليته يضيف القرآن: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ .

و كن مطمئنا بأنّك قد أدّيت ما عليك من التبليغ و الرساله فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ .

و إذا لم يستجب أولئك للحقّ فلا تحزن فهناك قلوب متعطّشه له جديره بحمله و هى فى انتظاره.

و هذه الجمله فى الحقيقه تذكر بالآيات السابقه التى تدلّ على أنّ النّبى كان يتحرّق لقومه حتّى يؤمنوا و يتأثّر غايه التأثّر لعدم إيمانهم حتّى كاد يهلك نفسه من

1- 1) -بل فى الآيه الآنفه للإضراب.

أجلهم.

كما تشير الآيه(۶)من سوره الكهف حيث نقرأ فيها: فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً .

..و بالطبع فإنّ القائد الحقّ ينبغى أن يكون كذلك.

قال المفسّرون:لمّا نزلت هذه الآيه حزن النّبى و المؤمنون لأنّهم تصوّروا أنّ هذا آخر الكلام فى شأن المشركين و أنّ وحى السماء قد انقطع و يوشك أن يحيق بهم العذاب..إلاّ أنّه لم تمض فتره قصيره حتّى نزلت الآيه بعدها لتأمر النّبى بالتذكير: وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (۱) .

فكان أن أحسّ الجميع بالاطمئنان! و الآيه تشير إلى أنّ هناك قلوبا مهيّأه تنتظر كلامك يا رسول اللّه و تبليغك..

فإذا ما عاند جماعه و نهضوا بوجه الحقّ مخالفين،فإنّ هناك جماعه آخرين تتوق إلى الحقّ من أعماق قلوبهم و أرواحهم و يؤثّر فيها كلامك اللّين!

ملاحظه

اشاره

لا بدّ من قلوب مهيّأه..لقبول الحقّ:

لاحظوا المزارع و الفلاّح الذى ينثر البذور،فقد تقع بعض هذه البذور على الأحجار،و من الواضح أنّ ما يقع على الأحجار و الصخور لا ينمو! و بعض هذه البذور يقع على طبقه رقيقه من التراب الذى يغطّى الصخر،فتثبت هذه البذور و تمدّ جذورها،إلاّ أنّ المكان حيث كان حرجا لا يساعد على امتداد الجذور(لكون الأرض صخريه)فما أسرع من أن تجفّ البراعم و تموت الجذور.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۱۶۱.

و يقع قسم من البذور على أرض ذات تراب صالحه،إلاّ أنّ نبات الشوك و العلف تنمو إلى جانبها،فحتّى لو أورقت تلك البذور إلاّ أنّها ما أسرع أن تغلبها الأشواك و تلتفّ عليها فتموت.

و أحسن هذه البذور حظّا تلك البذور التى تستقرّ فى تربه صالحه و لا تعوقها نباتات اخرى..فلا يمضى زمن حتّى تنبت و تنمو و تورق و تستوى على سوقها و تعطى ثمارها.

فكلمات الحقّ التى تخرج من أفواه الأنبياء و رسل اللّه و خلفائهم المعصومين كهذه البذور،فالقلوب الصخريه لا تتقبّل هذه الكلمات من الأساس،و القلوب الضعيفه تتقبّلها مؤقتا ثمّ تعرض عنها،و هناك قلوب مهيّأه للقبول،لكن الأهواء و الصفات الرذيله و الشهوات نابته فيها،و هذه الأمور تبطل تأثير تلك الكلمات الحقّه.

القلوب-الوحيده-التى تتقبّل كلمات هؤلاء الأئمّه العظام و تنمو فيها و تثمر هى القلوب التى تطلب الحقّ و يحكم عليها البحث عن الحقّ!و خاليه من الصفات السلبيه و الدوافع الدنيويه أيضا..و تلك هى قلوب المؤمنين.

أجل.. وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ !

الآيات [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۵۶ الى ۵۸]

اشاره

وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۵۶) مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) إِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلرَّزّٰاقُ ذُو اَلْقُوَّهِ اَلْمَتِينُ (۵۸)

التّفسير

اشاره

هدف خلق الإنسان من وجهه نظر القرآن:

من أهمّ الأسئله التى تختلج فى خاطر كلّ إنسان هو لم خلقنا؟!و ما الهدف من خلق الناس و المجىء إلى هذه الدنيا؟! فالآيات آنفه الذكر تجيب على هذا السؤال المهم و العام بتعابير موجزه ذات معنى غزير،و تكمّل البحث الوارد فى آخر آيه من الآيات المتقدّمه حول تذكير المؤمنين،لأنّ ذلك من أهمّ الأصول التى ينبغى على النّبى أن يتابعها..كما توضّح -ضمنا-معنى الفرار إلى اللّه الوارد فى الآيات السابقه.

تقول الآيات حاكيه عن اللّه سبحانه: وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ .

و أنّه غير مفتقر إلى أىّ منهم أبدا مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ بل إنّ اللّه تعالى هو الذى يرزق عباده و مخلوقاته.. إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزّٰاقُ

ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ

.

فهـذه الآيـات التى هى فى منتهى الوجـازه و الاختصار تكشف سـتارا عن الحقيقه التى يطلبها الجميع و يريـدون معرفتها و تجعلنا أمام الهدف العظيم.

توضيح ذلک:

لاـ شكّ أنّ كلّ فرد عاقل و حكيم حين يقوم بعمل فإنّما يهـدف من وراء عمله إلى هـدف معيّن،و حيث أنّ اللّه أعلم من جميع مخلوقـاته و أعرفهم بالحكمه،بل لا ينبغى قياسه بأى أحـد،فينقـدح هـذا السؤال و هو لم خلق اللّه الإنسان؟!هل كان يشـعر بنقص فـارتفع بخلق الإنسـان؟!هـل كـان محتاجا إلى شـىء فارتفع الاحتياج بخلقنا؟ و لكنّنا نعلم أنّ وجوده كامل من كلّ الجهات(و لا محـدود فى اللّامحدود) و هو غنى بالذات! إذا،فطبقا للمقدّمه،الاولى يجب القبول على أنّه كان له هدف،و طبقا للمقدّمه الثانيه- ينبغى القبول أنّ هدفه من خلق الإنسان ليس شيئا يعود إلى ذاته المقدّسه.

فالنتيجه ينبغى أن يبحث عن هذا الهدف خارج ذاته،هذا الهدف يعود للمخلوقين أنفسهم و أساس كمالهم..هذا من جانب! و من جـانب آخر ورد فى القرآن تعابير كثيره مختلفه فى شأن خلق الإنسان و الهـدف منه! فنقرأ فى إحـدى آياته: اَلَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيٰاهَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، (۱) و هنـا يبيّن مسـأله الامتحـان للإنسـان و حسن العمـل على أنّه هـدف(من أهـداف خلق الإنسان).

۱- ۱) -سوره الملک،الآیه ۶.

و جاء فی آیه اخری اَللّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ یَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَیْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ وَ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً !. (۱)

و هنا یبیّن القرآن أنّ علمنا بعلم اللّه و قدرته هو الهدف من خلق السماوات و الأرض(و ما بینهما).

و نقرأ فی آیه اخری وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّهً واحِدَهً وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ . (۲)

و طبقا لهاتین الآیتین فالهدف من خلق الإنسان هو رحمه اللّه.

و الآیات محلّ البحث تستند إلی مسأله العبودیّه فحسب،و تعبّر عنها بصراحه بأنّها الهدف النهائی من خلق الجنّ و الإنس! و بقلیل من التأمّل فی مفهوم هذه الآیات و ما شابهها نری أنّه لا تضادّ و لا اختلاف بین هذه الآیات،ففی الحقیقه بعضها هدف مقدّمی، و بعضها هدف متوسّط،و بعضها هدف نهائی،و بعضها نتیجه!.

فالهدف الأصلی هو«العبودیه»و هو ما أشیر فی هذه الآیات محلّ البحث، أمّا العلم و الامتحان و أمثالهما فهی أهداف ضمن مسیر العبودیه للّه،و رحمه اللّه الواسعه نتیجه العبودیه للّه.

و هکذا یتّضح أنّنا خلقنا لعباده اللّه،لکن المهمّ أن نعرف ما هی حقیقه هذه العباده؟! فهل المراد منها أداء المراسم أو المناسک(الیومیه)و أمثالها کالرکوع و السجود و القیام و الصلاه و الصوم،أو هو حقیقه وراء هذه الأمور و إن کادت العباده الرسمیّه کلّها أیضا واجده للأهمیّه!؟

۱- ۱) -سوره الطلاق،الآیه ۱۲.

۲- ۲) -هود الآیتان ۱۱۸ و ۱۱۹.

و للإجابه على هـذا السؤال ينبغى معرفه معنى كلمه«العبـد»و العبوديه و تحليلهما! «العبـد»:لغه هو الإنسان المتعلّق بمولاه و صاحبه من قرنه إلى قدمه!..

و إرادته تابعه لإرادته و ما يطلب و يبتغيه تبع لطلب سيّده و ابتغائه،فلا يملك فى قباله شيئا و ليس له أن يقصّر فى طاعته.

و بتعبير آخر:إنّ العبوديه-كما تبيّن معناها كتب اللغه-هى إظهار منتهى الخضوع للمعبود،و لـذلك فالمعبود الوحيـد الذى له حقّ العبـاده على الآخرين هو الـذى بـذل منتهى الإنعام و الإكرام،و ليس ذلك سوى اللّه سبحانه! فبناء على ذلك فالعبوديه هى قمّه التكامل و أوج بلوغ الإنسان و اقترابه من اللّه!و العبوديه منتهى التسليم لذاته المقدّسه! و العبوديه هى الطاعه بلا قيد و لا شرط و الامتثـال للأوامر الإلهيه فى جميع المجالات! و أخيرا فإنّ العبوديه الكامله هى أن لا يفكّر الإنسان بغير معبوده الواقعى أى الكمال المطلق،و لا يسير إلاّ فى منهجه اللاحب و أن ينسى سواه حتّى(نفسه و شخصه).

و هـذا هو الهـدف النهائى من خلق البشـر الـذى أعدّ اللّه له الامتحان و الاختبار لنيله،و منح الإنسان العلم و المعرفه،و جعل نتيجه كلّ ذلك فيض رحمته للإنسان.

بحوث

اشاره

١-اللّه غنى على الإطلاق

إنّ جمله: مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ هى فى الحقيقه إشاره إلى استغناء اللّه عن كلّ أحد و عن كلّ شىء،و إذا ما دعا العباد إلى عبادته

فليس ذلـك ليسـتفيد منهم،بـل يريـد أن يجـود عليهم،و هـذا على العكس من العبـوديه بين النـاس،لأنّهم يطلبون الرقّ و العـبيد ليحصلوا بهم الرزق أو المعاش،أو أن يخدموهم فى البيت،فيقدّموا لهم الطعام و الشراب،و فى كلتا الحالين فإنّما يعود نفعهم على مـالكيهم،و هـذا الأمر ناشـئ عن احتيـاج الإنسـان،إلاّ أنّ جميع هـذه المسائـل لا معنى لهـا فى شـأن اللّه،إذ ليس غنيّا عن عباده فحسب،بل هو يضمن لعباده الرزق بلطفه و كرمه«و رزق الجميع على اللّه».

٢-اللّه ذو القوّه المتين

«المتين»كلمه مشـتقّه من متن،و هو فى الأصـل مـا يكتنف العمود الفقرى من لحم و عصب التى تشـدّ الظهر و نجعله مهيّأ لتحمّل الأعباء،و لـذلك فقـد اسـتعمل «المتن»بمعنى القوّه الكامله و الطاقه و القـدره،فبناء على ذلك فإنّ ذكر«المتين» بعد ذكر كلمه«ذو القوّه»إنّمـا هو للتأكيـد،لأنّ «ذو القوّه»إشـاره إلى أصـل قـدره اللّه! «و المتين»إشاره إلى كمال القـدره،و حين تقترن هـذه الكلمه ب«الرزّاق»و هو صـيغه مبالغه أيضا تدلّ على هذه الحقيقه،و هى أنّ اللّه له منتهى القدره و التسـلّط فى إيلاء الرزق و إعطائه لمن يشـاء،و هو يوصـل الرزق إلى أيّه جهه كـانت و أى مكـان كـان..فى أعمـاق البحار،و فى قمم الجبال،و فى سـفوح التلال و على ضفـاف الأنهار،و فى الوديان و الصـحارى و البرارى..و جميع ما فى الوجود و من فى الوجود مجتمعون على مائـدته الكريمه،إذا فخلق اللّه للإنسان و سائر الموجودات لم يكن لحاجته إليهم،بل ليفيض عليهم من لطفه العميم.

٣-لم قدّم ذكر الجنّ

مع أنّه يسـتفاد من آيات القرآن بشكل واضح أنّ الإنس أفضل من الجنّ،إلاّ أنّه قدّم ذكر الجنّ على الإنس فى الآيه الآنفه،و لعلّ الظاهر منه أنّ الجنّ خلقوا قبل

أن يخلق آدم كما نقرأ ذلك فی الآيه(۲۷)من سوره الحجر إذ تقول: وَ الْجَانَّ خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ (۱) مِنْ نٰارِ السَّمُومِ .

۴-الحكمه من الخلق فی نظر الفلسفه

ذكرنا آنفا أنّه قلّ أن نجد من لا يسأل نفسه أو غيره عن الهدف من خلق الإنسان!فدائما تولّد جماعه و تمضی جماعه اخری و تنطفئ إلی الأبد،فما المراد من هذا المجیء و الذهاب؟! و الحقّ أنّنا-كأناس لو لم نكن نعيش علی وجه هذه الكره الأرضيه فما ذا سيحدث؟و هل يجب علينا أن نعرف لم نأتی و لم نمضی؟و لو أردنا أن نعرف السرّ فهل نستطيع ذلك؟!و هكذا تتری الأسئله الاخر علی فكر الإنسان و تحيط به...

و عند ما يطرح هذا السؤال من قبل الماديين فالظاهر أنّهم لا جواب لهم عليه، لأنّ المادّه أو الطبيعه ليس لها عقل و لا شعور حتّی يكون لها هدف لذلك،فقد أراحوا أنفسهم من هذا السؤال و هم يعتقدون بعبثيّه الخلق و أنّه لا هدف من ورائه! و كم هو مثير و مقلق أن يتّخذ الإنسان لجزئيات حياته سواء أ كانت للعمل أم الكسب أو الصحّه أو الرياضه أهدافا منظّمه و أن يعتقد أنّ الحياه بمجموعها ضرب من العبث و اللغو!؟ لذلك فلا مجال للعجب أنّ جماعه من الماديين حينما يفكّرون فی هذه المسائل يتركون هذه الحياه التی لا هدف ورائها و يقدّمون علی الانتحار! إلاّ أنّ هذا السؤال حين يلقيه معتقد باللّه،فإنّه لا يواجه طريقا مسدودا،لأنّه يعلم أنّ خالق هذا العالم حكيم و قد خلق هذا العالم عن حكمه حتما و إن جهلناها، و هذا من جانب،و من جانب آخر حين يری أعضاءه عضوا عضوا يجد لكلّ

۱- ۱) -قبل بنی علی الضمّ و إن سبقه الخافض لأنّه مضاف-و المضاف إليه محذوف لفظا و تقديره من قبل خلق الإنسان.

فلسفه و حكمه و هدفا،لا الأعضاء المهمّه ظاهرا كالقلب و اللسان و العروق و الأعصاب بل حتّى الأظفار و خطوط اليد و البنان و تقوّس القدم أو هيأه اليد و فسلجتها كلّ له فلسفه يعرفها العلم الحديث المعاصر! فإلى أىّ درجه من السذاجه أن يرى لجميع هذه الأعضاء أهدافا إلّا أنّ المجموع يكون بلا هدف!! و أى قضاء متهافت أن نجد لكلّ بناء فى المدينه فلسفه خاصّه-إلّا أنّنا نقضى على المدينه بأنّها لا فلسفه فيها و لا هدف من ورائها!! ترى هل من الممكن أن يبنى مهندس ما بناء عظيما فيه الغرف و الأبواب و النوافذ و الأحواض و الحدائق و«الديكورات»و كلّ من هذه الأمور هو لأمر خاصّ و لهدف معيّن،إلّا أنّ مجموع البناء لا هدف من ورائه؟! هذه الأمور هى التى تمنح المؤمن باللّه و المعتقد به الاطمئنان بأنّ خلقه له هدف عظيم،و عليه أن يسعى و يجدّ حتّى يكتشفه بقوّه العقل و العلم.

و العجيب أنّ أصحاب نظريه العبث(فى الخلق)حين يردون أيّه زاويه من زوايا العلوم الطبيعيه-يبحثون عن الهدف لتفسير الظواهر المختلفه و لا يهدأون حتّى يجدوا الهدف!حتّى أنّهم لا يرتضون أن تبقى غدّه صغيره فى بدن الإنسان دون عمل و غايه،و لربّما يقضون سنوات بالبحث عن الحكمه من وجود مثل هذه الغدّه...إلّا أنّهم حين يبلغون أصل خلق الإنسان يقولون بصراحه:لا هدف من ورائه.

فما أعجب هذا التناقض!! و على كلّ حال فالإيمان بحكمه اللّه تعالى من جانب،و ملاحظه فلسفه أجزاء (وجود)الإنسان من جانب آخر،كلّ ذلك يدعونا إلى الإيمان أنّ وراء خلق الإنسان هدفا كبيرا.

و الآن ينبغى علينا أن نبحث عن هذا الهدف و أن نحدّده ما بوسعنا-و أن نسير

فی منهاجه اللاحب.

إنّ ملاحظه عدّه مقدّمات-یمکن لها-أن تسلّط الأضواء علی هدفنا للکشف عن هذا المجهول المظلم.

۱-نحن دائما نقصد فی أعمالنا إلی هدف ما،و عاده یکون هذا الهدف إشباع حاجه و رفعها و إتمام النواقص.و حتّی الخدمه للآخرین أو إنقاذ مبتلی من بلائه..

أو قمنا بعمل إنسانی و آثرنا سوانا علی أنفسنا فذلک أیضا نوع من الحاجات المقدّسه،و برفعها نزداد معنویه و کمالا! و لمّا کنّا نقیس أحیانا صفات اللّه مع أنفسنا فقد یخطر مثل هذا التصوّر و هو ما هی الحاجه عند اللّه حتّی ترتفع بخلقنا؟أو إذا کانت الآیات الآنفه تقول وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ فنقول ما هی حاجته إلی العباده؟! مع أنّ هذه التصوّرات ناشئه من المقایسه بین صفات الخالق و المخلوق و الواجب و الممکن؟! و حیث أنّ وجودنا محدود فإنّنا نسعی وراء إشباع حاجاتنا،و أعمالنا جمیعها تقع فی هذا المسیر..إلاّ أنّ هذا غیر وارد فی وجود مطلق،فینبغی البحث عن هدف أفعاله فی غیر وجوده،فهو عین فیّاضه و مبدأ النعمه الذی یکتنف الموجودات فی کنف حمایته و رعایته و إنمائه و السلوک بها إلی الکمال،و هذا هو الهدف الواقعی لعبودیتنا..و هذه فلسفه عباداتنا و ابتهالاتنا،فهی جمیعا دروس تربویه لتکاملنا.

و أساسا فإنّ أصل الخلق هو خطوه تکاملیه عظیمه،أی مجیء الشیء من العدم إلی الوجود،و من الصفر إلی مرحله العدد.

و بعد هذه الخطوه التکاملیه العظیمه تبدأ مراحل تکاملیه اخری..فجمیع المناهج الدینیه و الإلهیّه تسلک بالإنسان فی هذا المسیر!
۲-و هنا ینقدح هذا السؤال،و هو إذا کان الهدف من الخلق هو الجود-علی

العباد-من المعبود لا النفع للخالق،و هذا الجود يتمثّل فی تکامل الناس،فلم لم یخلق اللّه(الجواد الکریم)العباد کاملین من البدایه-لیکونوا فی جواره و قربه و أن یتمتّعوا ببرکات قربه و جوار ذاته المقدّسه! و الجواب علی هذا السؤال واضح..فتکامل الإنسان لیس أمرا یمکن خلقه بالإجبار،بل هو طریق طویل مدید،و علی الناس أن یسیروه و یجوبوه و یقطّعوه بإرادتهم و تصمیمهم و أفعالهم الاختیاریه.

فمثلا لو أخذ مال باهظ قسرا من أحد لبناء مستشفی،فهل لهذا العمل من أثر تکاملی روحی و أخلاقی فی نفسه؟!قطعا لا!لکن لو أعطی بمحض إرادته و رغبته و میله النفسی و لو درهما واحدا لهذا الهدف المقدّس فإنّه یخطو فی طریق التکامل الأخلاقی و الروحی بتلک النسبه التی ساهم فیها.

و یستفاد من هذا الکلام أنّ علی اللّه أنّ یبیّن لنا هذا المسیر بأوامره و تکالیفه و مناهجه التربویه بواسطه أنبیائه و العقل لیتمّ الإبلاغ بذلک،فنعرف هذا المسیر التکاملی و نطویه باختیارنا و إرادتنا.

۳-و ینقدح هنا سؤال-آخر أیضا-و هو أنّ کلّ هذا حسن...فالهدف من خلقنا هو التکامل الإنسانی،أو بتعبیر آخر القرب من اللّه و حرکه الوجود الناقص نحو الوجود الکامل الذی لا نهایه له،إلاّ أنّه ما الهدف من هذا التکامل؟! و الجواب یتّضح بهذه الجمله أیضا و هو أنّ التکامل هو الهدف النهائی أو بتعبیر آخر«غایه الغایات».

و توضیح ذلک:لو سألنا طالب المدرسه علام تدرس أو لم تدرس؟!فیجیب حتّی أدخل الجامعه! و لو سألناه ثانیه ما تستفید من الجامعه؟فیقول مثلا سأکون طبیبا أو مهندسا جدیرا! فتقول له ما تصنع بشهاده«الدکتوراه»أو الهندسه؟فیقول:لأبرز نشاطاتی

و فعالیّاتی الإیجابیه المثبته و لکی یکون ربح وفیر! فنقول له ما تصنع بالربح الوفیر؟فیقول:لتکون حیاتی منعمه و أعیش مکرما و مرفّها.

و أخیرا نوجّه إلیه هذا السؤال..لم ترید الحیاه المنعمه؟ و هنا نراه یجیب بلحن آخر فیقول:حسن (۱) لتکون حیاتی منعمه و أعیش مکرما و مرفّها علی:أی إنّه یکرّر جواب السؤال السابق! و هذا دلیل علی أنّ ذاک هو الجواب النهائی،و کما یصطلح علیه بأنّه«غایه الغایات»لعمله،و لیس وراءه جواب آخر!و إنّه هو الهدف النهائی..کلّ هذا هو فی المسائل المادیّه و هکذا الحال فی الحیاه المعنویه،فحین یسأل علام مجیء الأنبیاء و نزول الکتب من السماء،و لم هذه التکالیف الشرعیه و المناهج التربویه؟ فنجیب:للتکامل الإنسانی و القرب من اللّه!.

و إذا سألوا:ما المراد من التکامل الإنسانی و القرب من اللّه؟نقول:هو القرب من اللّه،أیّ أنّ هذا هو الهدف النهائی،و بتعبیر آخر أنّنا نرید کلّ شیء للتکامل و القرب من اللّه..و أمّا القرب من اللّه فلنفسه(أی للقرب من اللّه).

۴-و ینقدح مرّه اخری هذا السؤال أنّه

ورد فی حدیث قدسی قوله تعالی:

«کنت کنزا مخفیا فأحببت أن اعرف و خلقت الخلق لکی اعرف».

فما علاقه هذا الحدیث بما ذکرتم آنفا؟! فنجیب علی ذلک:..إنّه بغض النظر عن أنّ هذا الحدیث من باب خبر الواحد، و لا یعتد بخبر الواحد فی المسائل الاعتقادیه،فإنّ مفهوم هذا الحدیث أنّ معرفه اللّه هی الوسیله لتکامل الخلق أی أنّ اللّه أحبّ أن یستوعب فیض رحمته کلّ مکان،فلذلک خلق الخلق و علّمهم طریقه و سبیل معرفته لیسیروا نحو التکامل

۱- ۱) -حسن:خبر لمبتدأ محذوف تقدیره کلامکم أو سؤالکم حسن.

و الکمال!لأنّ معرفه اللّه رمز تکاملهم.

أجل،إنّ علی العباد أن یعرفوا أنّ ذات اللّه هی منبع جمیع الکمالات، و یسترفدوا لأنفسهم من کمالاته و یستلهموا منه فی وجودهم لیشرق فی وجودهم و مض من صفات کماله و جلاله،فالتکامل و القرب من اللّه لا یتحقّقان إلاّ عن طریق التخلّق بأخلاقه،و هذا التخلّق فرع معرفته«فلاحظوا بدقّه».

۵-و بملاحظه ما ذکرناه آنفا فإنّنا نقترب من النتائج فنقول:إنّ عباده اللّه و العبودیه له یعینان السیر فی ما یرتضیه و أن نستودعه أرواحنا و نعشقه بقلوبنا و أن نتخلّق بأخلاقه! و إذا کانت الآیات المتقدّمه قد ذکرت«العباده»علی أنّها الهدف النهائی فمفهومها هو هذا،أی أنّه بتعبیر آخر هو«التکامل الإنسانی»! أجل إنّ«الإنسان الکامل»هو العبد المخلص للّه.

۵-الرّوایات الإسلامیه و فلسفه خلق الإنسان

ذکرنا آنفا مسأله الهدف من خلق الإنسان،و عالجنا هذه المسأله عن طریقین:أحدهما عن طریق تفسیر آیات القرآن،و الآخر عن طریق الفلسفه،و قد أوصلنا کلّ منهما إلی نقطه واحده.

و الآن علینا أن نتابع هذه المسأله فی المسیر الثالث،أی عن طریق الرّوایات الإسلامیه لنعرف نتیجتها من هذه الرّوایات.

و التدقیق أو التأمّل فی الرّوایات التالیه التی هی بعض ما ورد فی هذا الباب یمنحنا العمق فی النظر!

ففی حدیث عن الإمام موسی بن جعفر علیه السّلام أنّه لمّا سئل ما معنی قول النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«اعملوا فکلّ میسّر لما خلق له.قال علیه السّلام:إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق الجنّ و الإنس لیعبدوه و لم یخلقهم لیعصوه و ذلک قوله عزّ و جلّ: وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ

لِيَعْبُدُونِ

فيسّر كلا لما خلق له،فويل لمن استحبّ العمى على الهدى» (۱) .

و هـذا الحـديث إشاره ذات معنى غزير إلى هـذه الحقيقه،و هى أنّ اللّه لمّا خلق الناس لهـدف تكاملى هيّأ له و سائله التكوينيه و التشريعيه و جعلها فى إختياره.

و نقرأ

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّ الإمام الحسين خطب أصحابه فقال:«إنّ اللّه عزّ و جلّ ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده من سواه» (۲) .

۶-الإجابه على سؤال

و يرد هنا سؤال آخر،و هو إذا كان اللّه قـد خلق العباد ليعبـدوه،فعلام يختار قسم منهم طريق الكفر؟و هل يمكن أن تتخلّف إراده اللّه عن هـدفه؟! و فى الحقيقه إنّ الـذين يوردون هـذا الإشـكال خلطوا بين الإراده التكوينيه و الإراده التشـريعيّه.لأنّ الهـدف من العبـاده لم يكن إجباريـا،بل العباده توأم الإراده و الإختيار.و بهـذا يتجلّى الهـدف بصوره تهيأه الأرضـيه أو المجال..فمثلا لو قلت إنّى بنيت هـذا المسـجد ليصـلّى النـاس فيه،فمفهومه أنّنى هيّأته لهـذا العمـل!لا ـ أنّنى أجبر الناس على الصـلاه فيه!و كـذلك فى الموارد الا ـخر كبنـاء المـدرسه للـدرس،و المستشـفى للتـداوى،و المكتبه للمطـالعه! و هكـذا فـإنّ اللّه هيّأ هـذا الإنسان للطاعه و العبـاده،و وفّر له كـلّ وسائـل المساعـده من قبيـل و العقـل و العواطـف و القوى المختلفه فى الـداخل،و إرسـال الأنبيـاء و الكتب السماويه و المناهج التشريعيه فى الخارج إلخ.

و من المسلّم به أنّ هذا المعنى فى المؤمن و الكافر واحد،إلاّ أنّ المؤمن أفاد من هذه الإمكانات،و الكافر لم يفد!

۱- ۱) -توحيد الصدوق طبقا لما نقل فى الميزان،ج ۱۸،ص ۴۲۳.

۲- ۲) -علل الشرائع للصدوق-طبقا للمصدر الآنف.

لذلک

فقد ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه حین سئل عن الآیه وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ ..قال علیه السّلام:«خلقهم للعباده».

قال الراوی:فسألته:خاصّه أم عامّه؟! فقال علیه السّلام:«عامّه» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الإمام نفسه علیه السّلام أنّه لمّا سئل عن تفسیر هذه الآیه قال:

«خلقهم لیأمرهم بالعباده» (۲) .

و هی إشاره إلی أنّ الهدف لم یکن الإجبار علی العباده بل الإعداد و التهیأه له،و هذا المعنی یصدق فی حقّ عموم الناس (۳) .

ص: ۱۴۳

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۵،ص ۳۱۴ الحدیث ۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -یتّضح ممّا ذکرنا آنفا أنّ الألف و اللام فی«الجنّ و الإنس»للاستغراق،و تشمل الآیه جمیع الأفراد،لا أنّ الألف و اللام للجنس،بحیث تشمل جماعه منهم کما ورد فی بعض التفاسیر و اللّه العالم.

الآيتان [سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۵۹ الی ۶۰]

اشاره

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (۵۹) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ اَلَّذِى يُوعَدُونَ (۶۰)

التّفسير

اشاره

هؤلاء يشاركون أصحابهم فی عذاب اللّه:

الآيتان آنفتا الذكر اللتان هما آخر سوره الذاريات،و هما فی الحقيقه نوع من الاستنتاج للآيات المختلفه الوارده فی السوره ذاتها و لا سيّما الآيات التی تتحدّث عن الأمم السالفه كقوم فرعون و قوم لوط و ثمود و عاد،و كذلك الآيات السابقه التی كانت تتحدّث عن الهدف من الخلق و الإيجاد.

فالآيه الاولی تقول أنّه بعد أن أصبح معلوما أنّ هؤلاء المشركين قد انحرفوا عن الهدف الحقيقی للخلقه،فليعلموا أنّ لهم قسطا وافرا من العذاب الإلهی كما كان للأقوام السالفه: فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (۱) ..

۱- ۱) -الفعل فلا يستعجلون مجزوم بلا الناهيه كما هو واضح،و النون هنا للوقايه و قد كسرت للدلاله علی أنّ ياء المتكلّم محذوفه لفظا أو رسما و مقدره معنی..

و يقولوا إن كـان عـذاب اللّه حقّا فلم لا يصـيبنا؟! و التعبير ب«الظلم»فى شـأن هـذه الجمـاعه هو لأنّ الشـرك و الكفر من أكبر الظلم،و لأنّ حقيقه الظلم هى وضع الشىء فى غير موضعه المناسب،و من المعلوم أنّ عبـاده الأصـنام مكان عباده اللّه تعدّ أهمّ مصداق للظلم،و لذلك فهم يستحقّون العاقبه التى نالها الأقدمون من المشركين.

«الذنوب»:-على وزن قبول-فى الأصل معناه«الفرس التى لها ذنب طويل»،كما تطلق الكلمه ذاتها على الدلو الكبير التى لها ذنب.

و كان العرب فى السابق ينزحون ماء البئر بواسطه الحيوانات بأن يهيّئوا دلاء عظيمه متّصله بحبال تعين على سحب الدلاء المملوءه بالماء.

و حيث كـانت هـذه الـدلاء تقسّم أحيانـا على الجماعـات حول البئر،فتنال كلّ مجموعه دلوا أو أكثر،فقـد اسـتعملت هـذه الكلمه بمعنى النصيب و السهم أيضا،و هى فى الآيه محل البحث بهذا المعنى أيضا،غايه ما فى الأمر أنّها هنا تشير إلى السهم الكبير (۱) .

و هل المراد من هـذه الكلمه فى هذه الآيه التهديد بعذاب الدنيا أو عذاب الآخره؟قال جماعه من المفسّرين بالمعنى الأوّل،و قال آخرون بالمعنى الثانى.

و نرى أنّ القرائن تـدلّ على أنّ هـذا العذاب هو العذاب الدنيوى،لأن العجله لدى بعض الكفّار هى أنّهم كانوا يقولون للنبى:متى هذا الوعد..و أين عذاب اللّه..

و لم لا يأتينا..إلخ.فمن الواضح أنّه إشاره إلى عذاب الدنيا (۲) هذا أوّلا.

و ثانيا إنّ التعبير ب مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحٰابِهِمْ الظاهر أنّه إشاره إلى عاقبه الأمم

۱- ۱) -يقول بعض الشعراء العرب: لنا ذنوب و لكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب.
۲- ۲) -تراجع الآيتان(۵۷)و ۵۸)من سوره الأنعام،و الآيه(۷۲)من سوره النمل و أمثالها،و هـذا التعبير فى القرآن قد يستعمل فى شأن القيامه أيضا.

المتقـدّم ذكرها فی هذه السوره كقوم لوط و قوم فرعون و عاد و ثمود الذين نال كلّا منهم نوع من العذاب فی الدنيا و هلكوا به جميعا.

و هنا ينقـدح هـذا السؤال،و هو إذا كانت الآيه تشـير إلى عـذاب الـدنيا فلم لا يتحقّق الوعـد الإلهی فی شأنهم؟! و هذا السؤال له جوابان:

۱-إنّ هذا الوعد تحقّق فی شأن كثير منهم كأبی جهل و جماعه آخرين فی غزوه بدر و غيرها.

۲-نزول العذاب على جميعهم مشروط بعدم الرجوع نحو اللّه و عدم التوبه من الشرك،و لمّا آمن معظمهم فی فتح مكّه..فإنّ هذا الشرط أصبح منتفيا فلم ينزل عذاب اللّه.

و فی الآيه الأخيره استكمال لعذاب الدنيا بعذاب الآخره إذ تقول: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِی يُوعَدُونَ .

و كما أنّ هذه السوره بدئت بمسأله المعاد و القيامه،فإنّها انتهت بالتأكيد عليها كذلك (۱) !.

كلمه«الويل»تستعمل فی لغه العرب عند ما يقع فرد ما أو أفراد فی الهلاك..

كما تعنی العذاب و الشقاء،و قال بعضهم فی الويل معنى أشدّ من العذاب.

و كلمات الويل و الويس،و الويح تستعمل فی لغه العرب لإظهار التأسّف و التأثّر،غايه ما فی الأمر..تستعمل كلمه«ويل»لمن يعمل أعمالا قبيحه،أمّا «ويس»فتستعمل فی مقام التحقير،و كلمه«ويح»تستعمل فی موضع الترحّم.

قـال بعضـهم أنّ«ويلا»بئر من آبـار جهنّم أو بـاب من أبوابهـا،غير أنّ مراد القائلين لا يعنی بأنّ هـذه الكلمه جاءت فی اللغه بهـذا المعنى فحسب،بل هی فی

۱- ۱) -يرى بعض المفسّرين أنّ هذه الآيه تشير إلى عذاب الدنيا.مع أنّ مثل هذا التعبير فی القرآن يكون ليوم القيامه غالبا..

الحقیقه بیان لمصداق من المصادیق.

و قد استعملت هذه الکلمه فی القرآن بکثره،منها فی شأن الکفّار و المشرکین و الکاذبین و المکذّبین و المجرمین،و المطفّفین و المصلّین الذین هم عن صلاتهم ساهون،إلاّ أنّ أکثر استعمالها فی القرآن فی شأن المکذّبین،و قد تکرّرت الآیه وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ فی سوره المرسلات وحدها عشر مرّات!.

ربّنا،نجّنا من عذاب ذلک الیوم العظیم و من خزیه.

اللهمّ ارزقنا قبول الطاعه و التوفیق للعبودیه و الفخر بأن نکون عبیدک! اللهمّ لا تبتلنا بعاقبه المکذّبین المؤلمه الذین کذّبوا رسلک و آیاتک و أیقظنا من نومه الغافلین برحمتک یا أرحم الراحمین.

آمین ربّ العالمین انتهاء سوره الذّاریات

سوره الطّور

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها تسع و أربعون آیه

ص :۱۴۹

محتوى السوره:

تتركز بحوث هذه السوره-أيضا-على مسأله المعاد و عاقبه الصالحين و المتّقين من جهه،و المجرمين و المفسدين فى ذلك اليوم العظيم من جهه اخرى رغم أنّ فيها مواضيع أخر فى مجالات مختلفه من الأمور العقائديه أيضا-.

و يمكن على الإجمال-أن يقسّم محتوى هذه السوره إلى ستّه أقسام.

۱-الآيات الاولى من السوره التى تبدأ بالقسم تلو القسم،و هى تبحث فى عذاب اللّه.و دلائل القيامه و علاماتها-و عن النار و عقاب الكافرين[من الآيه ۱ إلى ۱۶]

.

۲-القسم الآخر من هذه السوره يذكر بتفصيل نعم الجنّه و مواهب اللّه فى القيامه و ما اعدّ للمتّقين،و يتبّه على ذلك على نحو متتابع!..و فى الحقيقه أنّ فى هذه السوره إشاره إلى أغلب نعم الجنّه من الآيه ۱۷-۲۸.

۳-و فى القسم الثّالث من هذه السوره يقع الكلام عن نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما وجّه إليه الأعداء من التّهم،و يردّ عليها بنحو موجز من الآيه ۲۹ إلى ۳۴.

۴-و فى القسم الرّابع بحث عن التوحيد باستدلالات واضحه من الآيه ۳۵- ۴۳.

۵-و فى القسم الخامس من هذه السوره عود على مسأله المعاد و بعض أوصاف يوم القيامه من الآيه ۴۴-۴۷.

ص :۱۵۱

۶-و أخيرا فإنّ القسم الأخير من هذه السوره الذى لا يتجاوز الآيتين يختتم الأمور المذكوره آنفا بأمر نبى الإسلام بالصبر و الاستقامه و التسبيح و الحمد للّه..

و وعده بأنّ اللّه حاميه و ناصره.

و هكذا تتشكّل السوره من مجموعه منسجمه منطقيه و عاطفيه تنشدّ إليها قلوب السامعين.

و تسميه هذه السوره ب«الطور»تناسبا لما ورد فى الآيه الاولى من ذكر كلمه الطور فيها.

فضيله تلاوه هذه السوره:

ورد عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأ سوره الطور كان حقّا على اللّه أن يؤمنه من عذابه و أن ينعّمه فى جنّته» (۱) .

و

ورد فى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «من قرأ سوره الطور جمع اللّه له خير الدنيا و الآخره» (۲) ! و واضح أنّ كلّ هذا الأجر و الثواب العظيم فى الدنيا و الآخره هو لأولئك الذين يجعلون هذه التلاوه وسيله للتفكّر و التفكّر بدوره وسيله للعمل.

ص: ۱۵۲

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۱۶۲-تفسير البرهان،ص ۲۴۰

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلطُّورِ (۱) وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ (۲) فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) وَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ (۴) وَ اَلسَّقْفِ اَلْمَرْفُوعِ (۵) وَ اَلْبَحْرِ اَلْمَسْجُورِ (۶) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّکَ لَوٰاقِعٌ (۷) مٰا لَهُ مِنْ دٰافِعٍ (۸)

التّفسير

هـذه السوره-هی الاـخری-من السور التی تبـدأ بـالقسم..القسم الـذی يهـدف لبيـان حقيقه مهمّه،و هی مسـألة القيامه و المعاد و محاسبه أعمال الناس.

و أهميّه هذه المسأله إلی درجه بحيث إنّ اللّه أقسم فی آيات مختلفه من القرآن بأنواع كثيره من المقدّسات لتتجلّی عظمه ذلک اليوم و وقوعه حتما.

و تلوح فی بـدايه السوره خمسه آيـات تبـدأ بالقسم،و فيها معانی مغلقه تـدعو إلی التفكير ممّا جعلت المفسّرين يبحثون فيها من جميع الوجوه.

يقول سبحانه و تعالی:

وَ الطُّورِ

.

«الطور»-فی اللغه معناه الجبل-و لكن مع ملاحظه أنّ هذه الكلمه تكرّرت

فی عشر آیات من القرآن الکریم،تسع منها کانت فی الکلام علی«طور سیناء» و هو الطور أو الجبل الذی نزل الوحی عنده علی موسی،فیعلم أنّ المراد منه هنا فی الآیه محلّ البحث(الطور ذاته)خاصّه لو أنّنا لاحظنا أنّ الألف و اللام فی هذه الکلمه هی للعهد.

فبناء علی ذلک،فإنّ اللّه یقسم فی أوّل مرحله بواحد من الأمکنه المقدّسه فی الأرض حیث نزل علیها الوحی.

و فی تفسیر قوله تعالی: وَ کِتابٍ مَسْطُورٍ احتمالات متعدّده أیضا،إذ قال بعضهم:المراد به اللوح المحفوظ.و قال آخرون:بل هو القرآن الکریم،و مضی بعض إلی أنّه«صحیفه الأعمال»،و ذهب آخر إلی أنّه«کتاب التوراه»النازل علی موسی علیه السّلام.

و لکن بتناسب القسم المذکور آنفا فإنّ الآیه تشیر هنا إلی«کتاب موسی»أو کلّ کتاب سماوی.

فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ

.

کلمه«الرقّ»مشتقّه من الرقّه،و هی فی الأصل الدقّه و اللطافه، کما تطلق هذه الکلمه علی الورق أو الجلد الخفیف الذی یکتب علیه و«المنشور»:معناه الواسع، و یعتقد بعضهم أنّ هذه الکلمه تحمل فی مفهومها معنی اللمعان أیضا.

فبناء علی ذلک..وقع القسم علی کتاب نشر علی صفحاته أحسن ما یکتب و هو فی الوقت ذاته مفتوح و واسع غیر ملتو.

وَ الْبَیْتِ الْمَعْمُورِ

.

هناک تفاسیر مختلفه فی«البیت المعمور»کذلک...إذ قال بعضهم المراد منه البیت الذی فی السماء محاذیا للکعبه،و هو معمور بطواف الملائکه و زیارتهم إیّاه،

و يلاحظ هذا المعنى فى روايات إسلاميه مختلفه وردت فى مصادر متعدّده (۱) .

و طبقا لبعض الرّوايات فإنّ سبعين ألف ملك يزورون ذلك البيت كلّ يوم و لا يعودون إليه أبدا.

و ذهب البعض أنّ المراد منه«الكعبه»و هى بيت اللّه فى الأرض المعمور بالحجّاج و الزوّار،و هو أوّل بيت وضع للعباده على الأرض.

و قال بعضهم المراد من البيت المعمور هو«قلب المؤمن»الذى يعمره الإيمان و ذكر اللّه.

إلاّ أنّ ظاهر الآيه هو واحد من المعنيين الأوّلين المذكورين آنفا،و بملاحظه التعابير المختلفه فى القرآن عن الكعبه بالبيت يكون المعنى الثانى أكثر انسجاما.

أمّا المقصود ب اَلسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ فهو«السماء»لأنّنا نقرأ فى الآيه(۳۲)من سوره الأنبياء: وَ جَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً .

كما نقرأ فى الآيتين(۲۷)و ۲۸)من سوره النازعات أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمٰاءُ بَنٰاهٰا رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسَوّٰاهٰا فاللّه هو الذى أعلى سقفها و جعلها متّسقه و منتظمه.

و لعلّ الوجه-فى التعبير-بالسقف هو أنّ النجوم و الكرات السماويه إلى درجه من الكثره بحيث غطّت السماء فصارت كأنّها السقف،و يمكن أن يكون إشاره إلى الجوّ الذى يحيط بالأرض أو ما يسمّى بالغلاف الجوّى،و هو بمثابه السقف الذى يمنع النيازك و الشهب أن تهوى إلى الأرض و تصدّ الأشعّه الضارّه من الوصول إلى الأرض.

وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ

.

«للمسجور»:فى اللغه معنيان:الأوّل الملتهب،و الثّانى المملوء.و يقول

۱- ۱) -ورد فى بحار الأنوار أكثر من عشر روايات فى هذا المجال،ج ۵۸،ص ۵۵ و ما بعدها.

الراغب فی مفرداته:سـجر علی وزن فجر معناه إشعال النار،و یعتقد أنّ الآیه تعطی هذا المعنی..و لم یتحدّث عن المعنی الثانی،إلّا أنّ العلّامه الطبرسی یذکر أنّ المعنی الأوّل هو ما تقدّم،و کذلک تشیر بعض کتب اللغه إلی ذلک.

و الآیات الاخر فی القرآن تؤیّـد المعنی الأوّل أیضا کما هی الحال فی الآیتین (۷۱)و (۷۲)إذ قال سبحانه: یُسْحَبُونَ فِی الْحَمِیمِ،ثُمَّ فِی النّارِ یُسْجَرُونَ .

و نقرأ

فی نهـج البلاـغه عن«أمیر المؤمنین»فی شـأن«الحدیـده المحمـاه»إذ یقول لأخیه«عقیل»: «أ تئنّ من حدیـده أحماها إنسانها للعبه و تجرّنی إلی نار سجّرها جبّارها لغضبه...» (۱) .

و لکن أین هو هذا«البحر المسـجور»؟قال بعضـهم هو البحر المحیط بالأرض «أو البحار المحیطه بها»و سیلتهب قبل یوم القیامه،ثمّ ینفجر کما نقرأ ذلک فی الآیه(۶)من سوره التکویر وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ و نقرأ فی الآیه(۳)من سوره الإنفطار وَ إِذَا الْبِحٰارُ فُجِّرَتْ .

إلّا أنّ بعضـهم فسّر ذلک بالبحر الذی فی باطن الأرض و هو مؤلّف من مواد منصهره مذابه،و ما ورد فی حدیث عن الإمام الباقر الـذی نقله«العیاشـی»شاهـد علی هـذا المعنی،و قـد ورد فی هذا الحدیث أنّ قارون یعذّب فی البحر المسـجور (۲) مع أنّ القرآن یقول فی شأنه: فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ الْأَرْضَ (۳) .

و هذان التّفسیران لا یتنافیان،و یمکن أن تکون الآیه قسما بهما معا،إذ کلاهما من آیات اللّه و من عجائب هذا العالم الکبری.

و ممّـا یلفت النظر أنّ المفسّـرین لم یتنـاولوا بـالبحث علاقه هـذه الأقسام الخمسه فیما بینها،إلّا أنّ الظاهر أنّ الأقسام الثلاثه الاوّل بینها ارتباط و علاقه،

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۴.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۳۸.

۳- ۳) -سوره القصص،الآیه ۸۱.

لأنّها جميعا تتحدّث عن الوحی و خصوصیاته،فالطور محلّ نزول الوحی، و الکتاب المسطور إشاره إلی الکتاب السماوی أیضا،سواء کان التوراه أو القرآن، و البیت المعمور هو محلّ ذهاب و إیّاب الملائکه و رسل وحی اللّه.

أمّا القسمان الآخران فیتحدّثان عن الآیات التکوینیه«فی مقابل الأقسام الثلاثه التی کانت تتحدّث عن الآیات التشریعیّه».

و هذان القسمان واحد منهما یشیر إلی أهمّ دلائل التوحید و علائمه و هو «السماء»بعظمتها،و الآخر یشیر واحد من علائم المعاد المهمّه و دلائله،و هو الواقع بین یدی القیامه!.

فبناء علی هذا فإنّ التوحید و النبوّه و المعاد جمعت فی هذه الأقسام[أو الأیمان]

الخمسه.

و بعض المفسّرین یرون أنّ هذه الآیات جمیعها تشیر إلی موسی و سیره تأریخه و حیاته،و ذکروا ارتباط الآیات علی النحو التالی:

الطور..هو الجبل الذی نزل الوحی علی موسی عنده.

و الکتاب المسطور:هو التوراه.

و البیت المعمور:مرکز مجیء و إیّاب الملائکه و یحتمل أن یکون بیت المقدس.

و السقف المرفوع هو ما ذکر فی قصّه بنی إسرائیل وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ کَأَنَّهُ ظُلَّهٌ . (۱)

و البحر المسجور هو البحر الملتهب الذی عوقب قارون به لأنّه خالف موسی فهوی فیه.

إلاّ أنّ هذا التّفسیر یبدو بعیدا،و لا ینسجم مع الرّوایات المنقوله فی المصادر

۱- ۱) -الأعراف،الآیه ۱۷۱.

الإسلامیه،و کما قلنا فإنّ السقف المرفوع بشهاده آیات القرآن الاخر و الرّوایات المذکوره فیه هو السماء.

تبقی لطیفه دقیقه هنا و هی ما العلاقه بین هذه الأقسام و المقسم به.

و یتّضح الجواب علی هذا السؤال-مع ملاحظه ما بیّناه آنفا-و هو أنّ هذه الأقسام و التی تدور حول محور قدره اللّه فی عالم التکوین و التشریع تدلّ علی أنّ اللّه قادر علی إعاده الحیاه و بعث الموتی من قبورهم مرّه اخری.و هذا هو غایه الأقسام المذکوره کما قرأنا فی الآیات الأخیره من-الآیات محلّ البحث- إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ .

ص :۱۵۸

الآیات [سوره الطور (۵۲): الآیات ۹ الی ۱۶]

اشاره

یَوْمَ تَمُورُ اَلسَّمٰاءُ مَوْراً (۹) وَ تَسِیرُ اَلْجِبٰالُ سَیْراً (۱۰) فَوَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۱۱) اَلَّذِینَ هُمْ فِی خَوْضٍ یَلْعَبُونَ (۱۲) یَوْمَ یُدَعُّونَ إِلیٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (۱۳) هٰذِهِ اَلنّٰارُ اَلَّتِی کُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ (۱۴) أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ (۱۵) اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَیْکُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۶)

التّفسیر

کانت فی الآیات السابقه إشاره و تلمیح عن عذاب اللّه فی یوم القیامه- بصوره مغلقه-أمّا الآیات-محلّ البحث-ففیها توضیح و تفسیر لما مرّ،فتتحدّث أوّلا-عن بعض حالات یوم القیامه و خصائصه،ثمّ عن کیفیه تعذیب المکذّبین فتقول: یَوْمَ تَمُورُ السَّمٰاءُ مَوْراً (1) .

«المور»:علی وزن قول-له معان عدیده فی اللغه.یقول الراغب فی مفرداته:

ص :۱۵۹

۱- ۱) -کلمه«یوم»منصوبه علی أنّها ظرف و هی متعلّقه باسم الفاعل«واقع»الوارده فی الآیات المتقدّمه.

المور معناه الجريان السريع.كما قال إنّ المور يطلق على الغبار الذى تجرى به الريح لكلّ جهه أيضا.

و قد ورد فى«لسان العرب»أنّ«المور»معناه الحركه و الذهاب و الإيّاب، كما يطلق على«الموج»و منهم من قال:المور هو الحركه الدائره.و من مجموع هذه التفاسير يستفاد أنّ«المور»هو الحركه السريعه و الدوران المقترن بالذهاب و الإيّاب و الاضطراب و التموّج،و على هذا فإنّ النظام الحاكم على الكرات يضطرب بين يدى يوم القيامه و تنحرف عن مداراتها و تتّجه إلى كلّ جهه ذهابا و إيّابا،ثمّ تتبدّل و تولّد سماء جديده بأمر اللّه كما تقول الآيه(۱۰۴)من سوره الأنبياء: يَوْمَ نَطْوِى السَّمٰاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ .

و نقرأ فى الآيه(۴۸)من سوره إبراهيم: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ .

ثمّ يضيف القرآن فى آيه اخرى: وَ تَسِيرُ الْجِبٰالُ سَيْراً .

أجل،الجبال تنقلع من أمكنتها و تتحرّك و تسير ثمّ تندكّ و تتلاشى كما تشهد بذلك آيات القرآن الاخر فتغدو كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ، (۱) ثمّ تكون قاعا خاليه من كلّ شىء كما يقول القرآن: فَيَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً (۲) .

كلّ ذلك هو إشاره إلى أنّ هذه الدنيا و ما فيها و ما عليها تندكّ و يحدث مكانها عالم جديد بأنظمه جديده و يكون الإنسان أمام نتائج أعماله وجها لوجه.

لذا فإنّ القرآن يضيف فى الآيه التاليه قائلا: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳) .

أجل،حين تعمّ الوحشه و الاضطراب جميع الخلق لتغيّر العالم،تهيمن على المكذّبين وحشه عظيمه و هى العذاب الإلهى..لأنّ«الويل»:إظهار التأسّف

۱- ۱) -سوره القارعه،الآيه ۵.

۲- ۲) -لمزيد التوضيح يراجع التّفسير الأمثل ذيل الآيه(۱۰۵)من سوره طه.

۳- ۳) -إلقاء هنا للتفريع،أى حيث تكون الأرض قاعا صفصفا و لا ملجأ من اللّه فويل يومئذ للمكذّبين.

و الحزن لوقوع حادثه غير مطلوبه!.

ثمّ تبيّن الآيات من هم«المكذّبون»فتقول: اَلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ .

فيزعمون أنّ آيات القرآن ضرب من الكذب و الافتراء و أنّ معجزات النّبى سحر و أنّه مجنون،و يتلقّون جميع الحقائق باللعب و يسخرون منها و يستهزئون بها و يحاربون الحقّ بالكلام الباطل غير المنطقى،و لا يأبون من أيّه تهمه أو كذب فى سبيل الوصول إلى مآربهم.

«خوض»على وزن حوض-معناه الدخول فى الكلام الباطل،و هو فى الأصل ورود الماء و العبور منه.

ثمّ تبيّن الآيات ذلك اليوم و عاقبه هؤلاء المكذّبين فى توضيح آخر:فتقول:

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا

(۱)

أى يساقون نحو جهنّم بعنف و شدّه.

و يقال لهم حينئذ: هٰذِهِ النّٰارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ .

كما يقال لهم أيضا: أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ ؟! لقد كنتم تزعمون فى الدنيا إنّ ما جاء به محمّد سحر،و قد أخذ السحر عن ساحر آخر،فغطّى على أعيننا ليصرفها عن الحقائق و ليختطف عقولنا!و يرينا أمورا على أنّها معاجز،و يذكر لنا كلاما على أنّه وحى منزل من اللّه،إلاّ أنّ جميع ذلك لا أساس له و ما هو إلاّ السحر!! لذلك فحين يردون نار جهنّم يقال لهم بنحو التوبيخ و الملامه و الاحتقار و هم يلمسون حراره النار:أ فسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟! كما يقال لهم هناك أيضا: اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

أجل هذه هى أعمالكم و قد عادت إليكم،فلا ينفع الجزع و الفزع و الآه

۱- ۱) -دعّ على وزن جدّ معناه الدفع الشديد و السوق بخشونه و عنف و«اليوم»فى الآيه منصوب على الظرفيه أو البدليه من يومئذ فى الآيه السابقه.

و الصراخ و لا أثر لكلّ ذلك أبدا.

و هـذه الآيه تأكيد على«تجسّم الأعمال»و عودتها نحو الإنسان،و هى تأكيد جديد أيضا على عداله اللّه..لأنّ نار جهنّم مهما كانت شديده و محرقه فهى ليست سوى نتيجه أعمال الناس أنفسهم،و أشكالها المتبدّله هناك!.

تعقيب

اشاره

١-كيف يساق المجرمون إلى جهنّم؟

لاـ شـكّ أنّ المجرمين يسـاقون و يـدعّون إلى جهنّم بالتحقير و المهانه و الزجر و العـذاب،إلاّ أنّه تشاهـد آيات متعـدّده فى هـذا الصدد ذات تعابير مختلفه.

إذ نقرأ فى الآيتين(٣٠)و ٣١)من سوره الحاقه مثلا خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ .

و نقرأ فى الآيه(٤٧)من سوره الدخان خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلىٰ سَوٰاءِ الْجَحِيمِ .

كما جاء التعبير بالسوق فى بعض الآيات كالآيه(٨۶) من سوره مريم وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً .

و على العكس منهم المتّقون و الصـالحون إذ يتلقّون بكـلّ إكرام و احترام عنـد باب الجنّه: حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهٰا خٰالِدِينَ (١) .

و على هـذا فليست الجنّه و النار-كلّ منهما-مركزا لرحمه اللّه أو عـذابه فحسب،بل تشـريفات الورود لكلّ منهما كاشـفه عن هذا المعنى أيضا.

ص:١۶٢

١- ١) -سوره الزمر،الآيه ٧٣.

۲-الخائضون فی الأباطیل!.

بالرغم من أنّ كلام القرآن فی الآیات الآنفه كان یدور حول المشركین فی عصر النّبی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،إلاّ أنّ هذه الآیات دون شكّ عامّه،فهی تشمل جمیع المكذّبین حتّی الفلاسفه المادیین الخائضین فی حفنه من الخیالات و الأفكار الناقصه،و یتّخذون حقائق عالم الوجود لعبا و هزوا،و لا یعتدون إلاّ بما یقرّ به عقلهم القاصر،فهم ینتظرون أن یروا كلّ شیء فی مختبراتهم و تحت المجهر حتّی ذات اللّه المقدّسه-تعالی عن ذلک علوّا كبیرا-و إلاّ فلا یؤمنون بوجوده أبدا.

هؤلاء أیضا مصداق للذین هم فِی خَوْضٍ یَلْعَبُونَ و هم غارقون فی أمواج من الخیالات و التصوّرات الباطله.

إنّ عقل الإنسان مهما بلغ فهو قبال نور الوحی كالشمعه أمام نور الشمس المضیئه فی العالم،فهذه الشمعه تساعد الإنسان أن یخرج من محیط المادّه المظلم و أن یفتح الأبواب نحو ما وراء الطبیعه،و أن یحلق فی كلّ جهه بنور الوحی لیری العالم الواسع و یتعرّف علی مجهولاته و خفایاه.

ص: ۱۶۳

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۱۷ الى ۲۱]

اشاره

إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ (۱۷) فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ اَلْجَحِيمِ (۱۸) كُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۹) مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (۲۰) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اِتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ اِمْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ (۲۱)

التّفسير

اشاره

مواهب اللّه للمتّقين:

تعقيبا على المباحث الوارده فى الآيات المتقدّمه حول عقاب المجرمين و عذابهم الأليم تذكر الآيات محلّ البحث ما يقابل ذلك من المواهب الكثيره و الثواب العظيم للمؤمنين و المتّقين لتتجلّى بمقايسه واضحه مكانه كلّ من الفريقين.

تقول الآيه الاولى من الآيات محلّ البحث: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ .

ص: ۱۶۴

و التعبير ب«المتّقين»بدلا من المؤمنين،لأنّ هذا العنوان يحمل مفهوم الإيمان،كما يحمل مفهوم العمل الصالح أيضا،خاصّه أنّ«التقوى»تقع مقدّمه و أساسا للإيمان فی بعض المراحل،كما تقول الآيه ۲ من سوره البقره ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ لأنّ الإنسان إذا لم يكن ذا تعهّد و إحساس بالمسؤوليه و روح تطلب الحقّ و تبحث عنه-و كلّ ذلك مرحله من مراحل التقوى -فإنّه لا يمضی فی التحقيق عن دينه و عقيدته و لا يقبل هدايه القرآن أبدا.

و التعبير ب فِي جَنّٰاتٍ وَ نَعِيمٍ بصيغه الجمع و التنكير لكلّ منهما،إشاره إلى تنوّع الجنّات و النعيم و عظمتهما.

ثمّ يتحدّث القرآن عن تأثير هذه النعم الكبرى على روحيه أهل الجنّه فيقول فی الآيه التاليه: فٰاكِهِينَ بِمٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ (۱) .

خاصّه أنّ اللّه قد طمأنهم و آمنهم من العقاب وَ وَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ .

و هذه الجمله قد تكون ذات معنين..الأوّل بيان النعمه المستقلّه قبال نعم اللّه الاخر..و الثانی أن يكون تعقيبا على الكلام السابق،أی أنّ أهل الجنّه مسرورون من شيئين«بما آتاهم اللّه من النعم فی الجنّه»،و«بما وقاهم من عذاب الجحيم».

و التعبير ب«ربّهم»فی الجملتين يشير ضمنا إلى نهايه لطف اللّه و دوام ربوبيته عليهم فی تلك الدار.

ثمّ تشير الآيه الاخرى إشاره إجماليه إلى نعم المتّقين فی الجنّه فتقول: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

و التعبير ب«هنيئا»هو إشاره إلى أنّ أطعمه الجنّه و شرابها السائغه غير المنغّصه،فهی ليست كأطعمه الدنيا و شرابها التی تجرّ الإنسان إلى الوبال عند

۱- ۱) -كلمه«فاكهين»مشتقّه من فكه على وزن نظر-و فكاهه على وزن شباهه،و معناها كون الإنسان مسرورا،و جعل الآخرين مسرورين بالكلام العذب،و يقول الراغب فی مفرداته:الفاكهه معناها كلّ نوع من الثمار.و الفكاهه أحاديث أهل الأنس..و قد احتمل بعضهم أنّ الآيه:فاكهين بما أتاهم ربّهم إشاره إلى تناول أنواع الفواكه و هذا المعنى يبدو بعيدا..

الإفراط أو التفريط بها..إضافه إلى كلّ ذلك لا يحصل عليها بمشقّه،و لا يخاف من انتهائها،و لذلك فهى هنيئه! (۱) .

و من المعلوم أنّ أطعمه الجنّه هنيئه بذاتها،و لكنّ قول الملائكه لأهل الجنّه «هنيئا»هذا القول له لطفه و عذوبته الخاصّه.

و النعمه الاخرى التى يتمتّع بها أهل الجنّه هى كونهم: مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَهٍ .

فهم يلتذّون بالاستئناس إلى أصحابهم و المؤمنين الآخرين،و هذه لذّه معنويه فوق أيّه لذّه اخرى!.

و«سرر»جمع سرير،و أصل المادّه هو«السرور»و تطلق السرر على الكراسى المهيأه لمجالس السرور ليتّكأ عليها.

و«مصفوفه»من مادّه صف،و معناها أنّ هذه السرر مرتبه واحدا إلى جنب الآخر و يتشكّل منه مجلس عظيم للأنس.

و نقرأ فى آيات متعدّده من القرآن أنّ أهل الجنّه يجلسون على سرر متقابلين.[الحجر الآيه ۴۷ و الصافات الآيه ۴۴]

.

و هذا التعبير لا ينافى ما ورد فى هذه الآيه محلّ البحث،لأنّ مجالس الانس و السرور ترتّب الأسّره فيها على شكل مستدير و مصفوفه جنبا إلى جنب، فجلّاسها على سرر مصفوفه متقابلون!.

و التعبير ب«متكئين»إشاره إلى منتهى الهدوء،لأنّ الإنسان عند الهدوء يتكئ عاده،و الذين هم فى قلق و حزن لا يرون كذلك!.

ثمّ يضيف القرآن بأنّا زوجناهم من نساء بيض جميلات ذوات أعين واسعه وَ زَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (۲) .

۱- ۱) -يقول الراغب فى مفرداته:الهنىء كلّ ما لا يلحق فيه المشقّه و لا يعقبه و خامه..

۲- ۲) -«الحور»:جمع(حوراء)و أحور،فهو جمع للمذكّر و المؤنث سواء،و يطلق على من حدقه عينه سوداء و بياضها شفّاف أو

هـذه بعض من نعم أهل الجنّه الماديه و المعنويه،إلّا أنّهم لا يكتفون بهـذه النعم فحسب،و إنّما تضاف إليها نعم و مواهب معنويه و ماديه أخرا! وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ !.

و هذه نعمه بنفسها أيضا أن يرى الإنسان ذريّته فى الجنّه و يلتذّ برؤيتهم دون أن ينقص من عمله شىء أبدا.

و يفهم من تعبير الآيه أنّ المراد من الذريه هم الأبناء البالغون الذين يسيرون فى خطّ الآباء المؤمنين و يتّبعون منهجهم.

فمثل هؤلاء الأبناء و هذه الذريّه إذا كان فى عملهم نقص و تقصير فإنّ اللّه سبحانه يتجاوز عنهم لأجل آبائهم الصالحين،و يرتفع مقامهم عندئذ فيبلغون درجه آبائهم،و هذه المثوبه موهبه للآباء و الأبناء (۱) !.

إلّا أنّ جماعه من المفسّرين يعتقدون أنّ«الذريّه»هنا تشمل الأبناء الكبار و الصغار جميعا..غير أنّ هذا التّفسير لا ينسجم مع ظاهر الآيه،لأنّ الاتّباع بإيمان دليل على وصولهم مرحله البلوغ أو مقاربتهم لها.

إلاّ أن يقال أنّ الأطفال يصلون فى يوم القيامه مرحله البلوغ و يمتحنون فمتى نجحوا فى الامتحان التحقوا بالآباء،كما جاء هذا المعنى

فى الكافى إذ ورد فيه أنّه سئل الإمام عن أطفال المؤمنين فقال عليه السّلام: «إذا كان يوم القيامه جمعهم اللّه و يشعل نارا فيأمرهم أن يلقوا أنفسهم فى النار فمن ألقى نفسه سلم و كان سعيدا و جعل اللّه النار عليه بردا و سلاما و من امتنع حرم من لطف اللّه» . (۲)

(۲)

هو كنايه عن الجمال،لأنّ الجمال يتجلّى فى العينين قبل كلّ شىء،و العين جمع لأعين و عيناء معناه العين الواسعه، و هكذا فإنّ الحور العين مفهوما واسع يشمل الأزواج جميعا الذكور و الإناث من أهل الجنّه فالذكور للإناث و بالعكس.

۱- ۱) -الظاهر أنّ جمله و الذين آمنوا جمله مستقلّه و الواو للاستئناف،و قد اختار جماعه من المفسّرين هذا المعنى«كالعلاّمه الطباطبائى و المراغى و سيّد قطب»إلّا أنّ العجب أن يعدّ الزمخشرى هذه الجمله معطوفه على و زوجناهم بحور عين مع أنّه لا يتناسب هذا المعنى و مفهوم النصّ و لا ينسجم مع فصاحه القرآن و بلاغته.
۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۳۹ بتصرّف و تلخيص.

إلّا أنّ،هذا الحديث إضافه إلى ضعف سنده يواجه إشكالات و مؤخذات فى المتن أيضا..و ليس هنا مجال لبيانها و شرحها.

و بالطبع فإنّه لا مانع أن يلحق الأطفال بالآباء و يكونوا معهم فى الجنّه..إلّا أنّ الكلام هو هل الآيه الآنفه ناظره إلى هذا المطلب أم لا؟و قد قلنا إنّ التعبير ب اِتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ ظاهره أنّ المقصود هو الكبار.

و على كلّ حال-و حيث أنّ ارتقاء الأبناء إلى درجه الآباء يمكن أن يوجد هذا التوهّم أنّه ينقص من أعمال الآباء و يعطى للأبناء فإنّ الآيه تعقّب بالقول: وَ ما أَلَتْناهُمْ (۱) مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ .

و

ينقل ابن عبّاس عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «إذا دخل الرجل الجنّه سأل عن أبويه و زوجته و ولده فيقال له إنّهم لم يبلغوا درجتك و عملك.فيقول:ربّ قد عملت لى و لهم فيؤمر بالحاقهم به» (۲) .

ممّا ينبغى الالتفات إليه أنّ القرآن يضيف فى نهايه الآيه: كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ .

فلا ينبغى التعجّب من عدم إنقاص أعمال المتّقين،لأنّ هذه الأعمال مع الإنسان حيثما كان،و إذا أراد اللّه أن يلحق أبناء المتّقين بهم تفضّلا منه و رحمه،فلا يعنى ذلك أنّه سينقص من ثواب أعمالهم أى شىء! و قال بعض المفسّرين:إنّ كلمه«رهين»هنا معناها مطلق،فكلّ إنسان مرهون بأعماله،سواء أ كانت صالحه أم طالحه،و لا ينقص من جزاء أعماله شىء.

و لكن مع ملاحظه أنّ هذا التعبير لا يتناسب و الأعمال الصالحه،فإنّ بعض المفسّرين قالوا:إنّ«كلّ امرئ»هنا إشاره إلى أصحاب الأعمال السيّئه!و إنّ كلّ إنسان مرهون بأعماله السيّئه فهو حبيسها و أسيرها.

۱- ۱) -الفعل ألتناهم مشتق من مادّه ألت على وزن ثبت:و معناه الإنقاص.

۲- ۲) -تفسير المراغى،ج ۲۷،ص ۲۶.

و يستدلّون أحيانا بالآيتين(٣٨)و ٣٩)من سوره المدثر.. كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاّ أَصْحٰابَ الْيَمِينِ .

غير أنّ هذا التّفسير مع الالتفات إلى سياق الآيات السابقه و اللاحقه-التى تتكلّم فى شأن المتّقين و ليس فيها كلام على المشركين و المجرمين-يبدو غير مناسب! و قبال هذين التّفسيرين الذين يبدو كلّ منهما غير مناسب-من بعض الوجوه -هناك تفسير ثالث ينسجم مع صدر الآيه و الآيات السابقه و الآيات اللاحقه،و هو أنّ من معانى«الرهن»فى اللغه«الملازمه»،و إن كان معروفا أنّه الوثيقه فى مقابل الدين،إلاّ أنّه يستفاد من كلمات أهل اللغه أنّ الرهن من معاينه الدوام و الملازمه (1) .

بل هناك من يصرّح بأنّ المعنى الأصلى للرهن هو الدوام و الثبوت،و يعدّ الرهن بمعنى الوثيقه من اصطلاحات الفقهاء،لذلك فإنّه حين يقال«نعمه راهنه» فمعناها أنّها ثابته و مستقرّه (2) .

و يقول أمير المؤمنين فى شأن الأمم السالفه:«ها هم رهائن القبور و مضامين اللحود» (3) .

فيكون معنى كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ أنّ أعمال كلّ إنسان ملازمه له و لا تنفصل عنه أبدا،سواء كانت صالحه أو طالحه،و لذلك فإنّ المتّقين فى الجنّه رهينو أعمالهم،و إذا كان أبناؤهم و ذريّاتهم معهم،فلا يعنى ذلك أنّ أعمالهم ينقص منها شيء أبدا.

و أمّا فى شأن الآيه(٣٩)من سوره المدثر التى تستثنى أصحاب اليمين ممّا

١- ١) -لسان العرب،مادّه رهن.

٢- ٢) -مجمع البحرين،مادّه رهن.

٣- ٣) -نهج البلاغه،من كتاب له ۴۵.

سبق،فیمکن أن تکون إشاره إلی أنّهم مشمولون بألطاف لا حدّ لها حتّی کأنّ أعمالهم لا أثر لها بالقیاس إلی ألطاف اللّه (۱) و علی کلّ حال،فإنّ هذه الجمله تؤکّد هذه الحقیقه و هی أنّ أعمال الإنسان لا تنفصل عنه أبدا،و هی معه فی جمیع المراحل.

ص: ۱۷۰

۱- ۱) -هناک تفاسیر أخر فی أصحاب الیمین سنتناولها ذیل الآیه من سوره المدثر إن شاء اللّه.

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۲۲ الی ۲۸]

اشاره

وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَهٍ وَ لَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ (۲۲) يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ (۲۳) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (۲۴) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (۲۵) قالُوا إِنّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ (۲۶) فَمَنَّ اَللّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ اَلسَّمُومِ (۲۷) إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْبَرُّ اَلرَّحِيمُ (۲۸)

التّفسير

اشاره

مواهب اخرى لأهل الجنّه:

أشارت الآيات المتقدّمه إلى تسعه أقسام من مواهب أهل الجنّه،و تشير الآيات محلّ البحث إلى خمسه أخر منها بحيث يستفاد من المجموع أنّ ما هو لازم للهدوء و الطمأنينه و الفرح و السرور و اللذّه مهيّأ لهم فى الجنّه! فتشير الآيه الاولى من الآيات محلّ البحث إلى نوعين من طعام أهل الجنّه فتقول: وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَهٍ وَ لَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ .

«أمددناهم»مشتق من الإمداد و معناه العطاء و الزياده و الإدامه..أی أنّ طعام الجنّه و فواكهها لا ینقص منهما شیء بتناولهما،و هما لیسا كطعام الدنیا و فواكهها بحیث یتغیّران أو ینقصان.

و التعبیر ب مِمّٰا یَشْتَهُونَ یدلّ علی أنّ أهل الجنّه أحرار تماما فی انتخاب الأطعمه و نوعها و كمیّتها و كیفیتها،فمهما طلبوا فهو مهیئ لهم..و بالطبع فإنّ طعام الجنّه غیر منحصر بهذین النوعین اللحم و الفاكهه،إلاّ أنّهما یمثّلان الطعام المهمّ، و تقدیم الفاكهه علی اللحم إشاره إلی أفضلیّتها علیه.

ثمّ تشیر الآیه التالیه إلی ما یشربه أهل الجنّه من شراب سائغ فتقول:

یَتَنٰازَعُونَ فِیهٰا كَأْساً لاٰ لَغْوٌ فِیهٰا وَ لاٰ تَأْثِیمٌ

! حیث یناول أحدهم الآخر كؤوس الشراب الطاهر من الإثم و الإفساد، و یشربون شرابا سائغا عذبا لذیذا یهب النشاط خالیا من أی نوع من أنواع التخدیر و فساد العقل!و لا یعقبه لغو و لا إثم،بل كلّه لذّه و انتباه و نشاط«جسمی و روحانی».

و كلمه«یتنازعون»من مادّه التنازع و معناه أخذ بعضهم من بعض،و قد یأتی للمخاصمه و التجاذب،لذلك قال بعض المفسّرین بأنّ أهل الجنّه یتجاذبون الشراب الطهور بعضهم من بعض علی سبیل المزاح و السرور.

لكن كما یستفاد من كلمات أهل اللغه أنّ«التنازع»متی أطلق معه لفظ الكأس أو ما أشبه فمعناه أخذ الكأس من ید الآخر!و لا یعنی التخاصم أو التجاذب!و ینبغی الالتفات إلی هذه اللطیفه اللغویه و هی أنّ«الكأس»هی الإناء المملوء فإذا كان خالیا لا یطلق علیه كأس (1) .

و علی كلّ حال،فحیث أنّ التعبیر بالكأس یتداعی منه إلی الشراب المخدّر

1- 1) -قال الراغب فی مفرداته:الكأس:الإناء بما فیه من الشراب و قال فی مجمع البحرین كذلك فإذا خلا الإناء سمّی «قدحا».

فی الـدنیا فإنّ الآیه تضـیف قائله لاّ لَغْوٌ فِیهٰا وَ لاٰ تَأْثِیمٌ و لا یصـدر علی أثرها عمل قبیح کما یعقب الشـراب المخدّر!فشـراب هذه الکأس طهور نقی یجعلهم أکثر طهاره و خلوصا.

أمّا النعمه الرابعه المذکوره لأهل الجنّه فوجود الخدم و الغلمان إذ تقول الآیه:

وَ یَطُوفُ عَلَیْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ کَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَکْنُونٌ

.

و«اللؤلؤ المکنون»هو اللؤلؤ داخـل صـدفه،و هو فی هـذه الحـاله شـفّاف و جمیل إلی درجه لا توصف و إن کان خارج الصـدف شفّافـا و جمیلاـ أیضـا،غیر أنّ الهـواء الملـوّث و الأیـدی الـتی تتنـاوله کـلّ ذلـک یـؤثّر فیـه،فلاـ یبقی علی حـالته الاـولی من الشفّافیه!فالغلمان و خدمه الجنّه هم إلی درجه من الصفاء حتّی کأنّهم اللؤلؤ المکنون کما یعبّر القرآن الکریم.

و بالرغم من أنّه لا حاجه فی الجنّه إلی الخدمه،و ما یطلبه الإنسان یجده أمامه،إلاّ أنّ هذا بنفسه إکرام أو احترام آخر لأهل الجنّه! و

قد ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین سئل عن أهل الجنّه فقیل له:

یا رسول اللّه إنّ الغلمان هم کاللؤلؤ المکنون فکیف حاله المؤمنین؟قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

و الذی نفسی بیده فضل المخدوم علی الخادم کفضل القمر لیله البدر علی سائر الکواکب (۱) .

و التعبیر ب(لهم)یـدلّ علی أنّ کـلّ مؤمن له خـدمه خاصّون به، و حیث أنّ الجنّه لیست مکانا للهم و الحزن فإنّ الغلمان یلتـذّون بخدمتهم المؤمنین!.

و آخر نعمه فی هـذه السلسـله من النعم هی نعمه الطمـأنینه و راحه البـال من کـلّ عـذاب أو عقـاب إذ تقول الآـیه التالیه: وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ قٰالُوا إِنّٰا کُنّٰا قَبْلُ فِی أَهْلِنٰا مُشْفِقِینَ .

۱- ۱) -مجمع البیان،الکشّاف،روح البیان،أبو الفتوح الرازی.

فمع أنّنـا كنّـا نعيش بين ظهرانى أهلنـا و كـان ينبغى أن نحسّ بالأمـان و الطمـأنينه، إلاّـ أنّنا كنّا مشفقين...مشـفقين أن تحـدق بنا الحوادث المزعجه و المكدّره لحياتنا و أن يصيبنا عذاب اللّه على حين غرّه فى أيّه لحظه.

مشـفقين أن يسـلك أبناؤنـا طريق الضـلال،فيتيهوا فى مفازه جرداء و يتحيّروا! مشـفقين أن يفجؤنا أعـداؤنا القساه و يضـيّقوا علينا الميدان!و لكن اللّه منّ علينا برحمته الواسعه: فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ .

أجل:منّ اللّه الرحيم علينا فنجّانا من سجن الدنيا و وحشتها، و أنعم علينا فى دار القرار و جنّات النعيم.

و حين يتذكّرون ماضـيهم و جزئياته و يقيسونه بما هم عليه من حاله منعّمه! يعرفون قدر نعم اللّه و مواهبه الكبرى أكثر،و ستكون تلك النعم ألذّ و أدعى للقلب، لأنّ القيم تتجلّى أكثر فى القياس بين نعم الدنيا و نعم الآخره.

و الكلاـم الـذى ينقله القرآن على لسـان أهل الجنّه هنا يشـير إلى اعترافهم بهـذه الحقيقه و هى أنّ كون اللّه برّا رحيما يعرفه أهل الجنّه فى ذلك الزمان أكثر من أى وقت مضى فيقولون: إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ .

إلاّ إنّنا نعرف هذه الصـفات الآن بشكل واقعى أكثر ممّا كنّا نعرفها،إذ شملنا برحمته العظيمه قبال هذه الأعمال التى لا تعدّ شيئا و أحسن إلينا مع كلّ تلك الذنوب الكثيره!.

أجل إنّ عرصه القيامه و نعم الجنّه مدعاه لتجلّى صـفات اللّه و أسـمائه، و المؤمنون يتعرّفون فى عرصه القيامه على حقيقه أسـماء اللّه تعالى و صفاته أكثر من أى زمن آخر.

حتّى الجحيم أيضا تبيّن صفاته و حكمته و عدله و قدرته!

ملاحظات

۱-كلمه«يتساءلون»مشتقّه من السؤال،و معناه الاستفهام،أى يسأل بعضهم بعضا،و هذا الفعل هنا يشير إلى أنّ أهل الجنّه يسأل بعضهم بعضا عن ماضيه،لأنّ تذكّر هذه المسائل و النجاه من تلك الآلام و الهموم و الوصول إلى مثل هذه المواهب كلّ ذلك بنفسه تلذّذ أيضا...و هذا يشبه تماما«الإنسان»المسافر العائد من سفر محفوف بالمخاطر إلى محيط آمن.فهو يتحدّث مع من سافر معه عن ما كان فى سفره و يعرب عن سروره لسلامته.

۲-كلمه«مشفقين»مشتقّه من الإشفاق،و كما يقول الراغب فى مفرداته معناه التوجّه المقرون بالخوف..فحين يتعدّى هذا اللفظ«الإشفاق»ب«من»يكون مفهوم الخوف فيها أظهر،و إذا تعدّت ب«فى»يكون مفهوم التوجّه و العنايه فيها أكثر! و الأصل أنّ هذه الكلمه مشتقّه من«الشفق»و هو النور المقرون أو الممزوج بشىء من الظلمه.

و الآن ينبغى أن يعرف ممّ كانوا مشفقين فى الدنيا و خائفين؟و لأى شىء كانوا يتوجّهون؟! و هنا احتمالات ثلاثه و قد جمعناها فى تفسير الآيه إذ لا منافاه بينها جميعا..

«الخوف من اللّه و التوجّه إليه لنجاتهم-و الإشفاق من انحراف أهليهم و الالتفات إلى أمر التربيه-و الخوف من الأعداء و التوجّه لحفظ أنفسهم فى قبالهم»و إن كان المعنى الأوّل-مع ملاحظه الآيات التاليه و خاصّه فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ -أقرب للنظر! ۳-التعبير«فى أهلنا»بإطلاقه يحمل مفهوما واسعا حيث يصدق على جميع الأبناء و الأزواج و الأحباب،و يشير هذا التعبير إلى أنّ الإنسان فى مثل هذا الجمع يحسّ بالأمن أكثر من أى مكان آخر،فإذا كان فيهم مشفقا،فمن المعلوم حاله إذا

كان فى غيرهم!! و يحتمل أيضا أنّ هذا التعبير يشير إلى أولئك المبتلين باسره غير مؤمنه، و كانوا خائفين حتّى منهم،إلّا أنّهم فى الوقت ذاته قاوموا و حافظوا على استقلالهم بالاتّكال على اللّه و لطفه و لم يتلوّنوا بلون الآسره.

۴-«السموم»يعنى الحراره التى تدخل فى مسام البدن فتؤذى الإنسان، و يطلق على الريح التى تتسم بهذه السمه بريح السموم كما يطلق عذاب السموم على مثل هذا العذاب الذى تدخل حرارته مسام البدن فتؤذيه.

و أمّا إطلاق كلمه«السم»على المواد القاتله فهو لأنّها تنفذ فى جميع أجزاء البدن! ۵-كلمه«البرّ»فى الأصل تطلق على اليابسه فى قبال البحر،ثمّ استعملت هذه الكلمه فى من يعمل عملا صالحا و واسعا حسنا،و أجدر بهذه الكلمه الذات المقدّسه،لأنّ لطفه و إحسانه عمّ العوالم كلّها.

۶-ارتباط الآيات و مضامينها قلنا أنّ هذه الآيات و الآيات المتقدّمه تذكر أربعه عشر قسما من نعم أهل الجنّه.

۱-الجنّات ۲-النعيم ۳-السرور ۴-الأمان من عذاب جهنّم ۵-تناول الطعام و الشراب السائغ فى الجنّه ۶-الاتّكاء على السرر المصفوفه ۷-الأزواج من الحور العين ۸-الحاق الذريه التى تبعت آباءها بإيمان ۹-أنواع الفواكه اللذيذه ۱۰-أنواع اللحم،۱۱-ما تشتهى الأنفس ۱۲-كؤوس الشراب الطهور ۱۳-و يطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون ۱۴-التساؤل عن أيّام الدنيا فى مجالس يغمرها الانس!.

ص: ۱۷۶

و هـذه النعم بعضـها مـادّى و بعضـها معنوى،و مع كلّ ذلك فإنّ نعم الجنّه المادیّه و المعنويه غير منحصـره بهـذه النعم،بل ما هو مذكور هنا يعدّ جانب من جوانب نعم الجنّه!

ص :177

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۲۹ الی ۳۴]

اشاره

فَذَكِّرْ فَمٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّكَ بِكٰاهِنٍ وَ لاٰ مَجْنُونٍ (۲۹) أَمْ يَقُولُونَ شٰاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ اَلْمَنُونِ (۳۰) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَكُمْ مِنَ اَلْمُتَرَبِّصِينَ (۳۱) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاٰمُهُمْ بِهٰذٰا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ (۳۲) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۳۳) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كٰانُوا صٰادِقِينَ (۳۴)

سبب النّزول

جاء فی روایه أنّ قریشا اجتمعت فی دار النـدوه (۱) لیفکّروا فی مواجهه دعوه النّبی الإسـلامیه التی کـانت تعـدّ خطرا کبیرا علی منافعهم غیر المشروعه.

فقـال رجـل من قبیله«عبـد الـدار»ینبغی أن ننتظر حتّی یموت،لأـنّه شـاعر علی کلّ حال،و سیمضـی عنّا کما مات زهیر و النابغه و الأعشی«ثلاثه شعراء جاهلیون»و طوی بساطهم..و سیطوی بساط محمّد أیضا بموته.قالوا ذلک

۱- ۱) -دار الندوه هی دار«قصی بن کلاب»جدّ العرب المعروف،و کانوا یجتمعون فیها للمشاوره فی الأمور المهمّه،و کانت هذه الدار إلی جوار بیت اللّه و تفتح بابه نحو جهه الکعبه،و کانت هذه الدار ذات مرکزیه فی زمن قصـی بن کلاب نفسه(راجع سیره ابن هشام،ج ۲،ص ۱۲۴ و ج ص ۱۳۲).

و تفرّقوا فنزلت الآيات آنفه الذكر وردّت عليهم (۱) .

التّفسير

اشاره

أمنيات المشركين و تحدّی القرآن

کـان الکلام فی الآیات المتقـدّمه علی قسم مهمّ من نعم الجنّه و ثواب المتّقین و کـان الکلام فی الآیات التی سبقتها عن بعض عذاب أهل النار.

لذلک فإنّ الآیه الاولی من الآیات محلّ البحث تخاطب النّبی فتقول:

«فتـذکّر»! لأنّ قلوب عشّاق الحقّ تکون أکثر استعدادا بسماعها مثل هـذا الکلام،و قد أن الأوان أن تبیّن الکلام الحقّ لها! و هذا التعبیر یـدلّ بوضوح أنّ الهـدف الأصلی من ذکر جمیع تلک النعم و مجـازاه الفریقین هو تهیئه الأرضیه الروحیه لقبول حقـائق جدیده!و فی الحقیقه فإنّه ینبغی علی کلّ خطیب أنّ یستفید من هذه الطریقه لنفوذ کلامه و تأثیره فی قلوب السامعین.

ثمّ یذکر القرآن الاتّهامات التی أطلقها أعداء النّبی الألدّاء المعاندون فیقول:

فَمٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِکٰاهِنٍ وَ لاٰ مَجْنُونٍ

.

«الکاهن»یطلق علی من یخبر عن الأسرار الغیبیه،و غالبا ما کان الکاهن یدّعی بأنّه له علاقه بالجنّ و یستمد الأخبار الغیبیه منهم،و کان الکهنه فی الجاهلیه -خاصّه-کثیرین..و من ضمنهم الکاهنان«سطیح»و«شق»،و الکهنه أفراد أذکیاء،إلاّ أنّهم یستغلّون ذکاءهم فیخدعون الناس بادّعاءاتهم الفارغه.

و الکهانه محرّمه فی الإسلام و ممنوعه و لا یعتدّ بأقوال الکهنه!لأنّ أسرار

۱- ۱) -راجع تفسیر المراغی،ج ۲۷،ص ۳۱.

الغيب خاصّه بعلم اللّه و لا يطلع غيبه إلّا من ارتضى من رسول و إمام و حسب ما تقتضيه المصلحه.

و على كلّ حال فإنّ قريشا و من أجل أن تشتّت الناس و تصرّفهم عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانت تتّهمه ببعض التّهم،فتاره تتّهمه بأنّه كاهن،و تاره تتّهمه بأنّه مجنون، و العجب أنّها لم تقف على تضاد الوصفين،لأنّ الكهنه أناس أذكياء و المجانين على خلافهم!!و لعلّ الجمع بين الافترائين فى الآيه إشاره إلى هذا التناقض فى الكلام من قبل القائلين.

ثمّ يذكر القرآن الاتّهام الثالث الذى يخالف الوصفين السابقين أيضا فيقول:

أَمْ يَقُولُونَ شٰاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ

.

فطالما هو شاعر فعلينا أن نصبر،إذ أنّ لأشعاره رونقها و جاذبيتها،فإذا حلّ به الموت و انطوت أشعاره كما ينطوى سجل عمره و أودعت فى ضمير النسيان فسنكون حينئذ فى راحه من أمره!!.

و كما يفهم من كتب اللغه فإنّ«المنون»مشتقّ من المنّ،و هو على معنيين:

النقصان و القطع،و هذان المعنيان أيضا بينهما مفهوم جامع! ثمّ استعملت كلمه«المنون»فى الموت أيضا،لأنّه ينقص العدد و يقطع المدد.

و قد يطلق«المنون»على مرور الزمان،و ذلك لأنّه يوجب الموت و يقطع العلائق و ينقص النفر،كما يطلق«المنون»على الليل و النهار أحيانا،و لعلّ ذلك للمناسبه ذاتها (۱) .

و أمّا كلمه(ريب)فأصلها الشكّ و التردّد و الوهم فى الشىء الذى تنكشف أستاره بعدئذ فتتضح حقيقته! و هذا التعبير يستعمل فى شأن الموت،فيقال«ريب المنون»لأنّ وقت

۱- ۱) -راجع«لسان العرب»و«المفردات للراغب»و«المنجد»و«تفسير القرطبى».

حصوله غير معلوم لا أصل تحقّقه (۱) ! إلاّ أنّ جماعه من المفسّرين قالوا إنّ المراد من«ريب المنون»في الآيه محلّ البحث هو حوادث الدهر،حتّى أنّه نقل عن ابن عبّاس أنّه قال حيث ما وردت كلمه«ريب»في القرآن فهى بمعنى الشكّ و التردّد،إلاّ فى هذه الآيه من سوره الطور فمعناها الحوادث (۲) .

و قال جماعه منهم أنّ المراد منه هو حاله الاضطراب،فيكون معنى«ريب المنون»على هذا القول هو حاله الاضطراب التى تنتاب أغلب الأفراد قبل الموت! و يمكن أن يعود هذا التّفسير(الأخير)على المعنى السابق،لأنّ حاله الشكّ و التردّد أساس الاضطراب،و كذلك الحوادث التى لم يتبّأ بها من قبل،فهى تقترن بنوع من الاضطراب و الشكّ و التردّد،و هكذا فإنّ جميع هذه المفاهيم تنتهى إلى أصل«الشكّ و التردّد».

و بتعبير آخر،فإنّ للريب ثلاثه معان مذكوره:الشكّ،و الاضطراب، و الحوادث،و هذه جميعا من باب اللازم و الملزوم!.

و على كلّ حال،فأولئك كانوا يطمئنون أنفسهم و يرضون خاطرهم بأنّ حوادث الزمان كفيله بالقضاء على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كانوا يتصوّرون أنّهم سيتخلّصون من هذه المشكله العظمى التى أحدثتها دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى سائر المجتمع..لذلك فإنّ القرآن يردّ عليهم بجمله موجزه مقتضبه ذات معنى غزير و يهدّد هؤلاء-عمى القلوب-مخاطبا نبيّه فيقول: قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ .

فأنتم تنتظرون تحقّق تصوّراتكم الساذجه التافهه!!و أنا أنتظر أن يصيبكم عذاب اللّه!.

۱- ۱) -راجع المفردات للراغب.

۲- ۲) -القرطبى،ج ۹،ص ۶۲۴۲.

و علیکم أن تنتظروا أن ینطوی بموتی بساط الإسلام!!و أنا بعون اللّه أنتظر أن أجعل الإسلام یستوعب العالم کلّه فی حیاتی و أن یبقی بعد حیاتی أیضا مواصلا طریقه دائما! أجل..إنّما تعوّلون علی تصوراتکم و خیالاتکم،و أنا أعتمد علی لطف اللّه الخاصّ سبحانه.

ثمّ یوبّخهم القرآن توبیخا شدیدا فیقول فی شأنهم: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاٰمُهُمْ بِهٰذٰا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ (۱) .

کان سراه قریش یعرفون بین قومهم بعنوان«ذوی الأحلام»،أی أصحاب العقول،فالقرآن یقول:أی عقل هذا الذی یدّعی بأنّ وحی السماء-الذی تکمن فیه دلائل الحقّ و الصدق-شعر أو کهانه؟!و أن یزعم بأنّ حامله«النبی»الذی عرف بالصدق و الأمانه منذ عهد بعید،بأنّه شاعر أو مجنون!؟ فبناء علی ذلک ینبغی أن یستنتج أنّ هذه التّهم و الافتراءات لیست ممّا تقول به عقولهم و تأمرهم به،بل أساسها طغیانهم و تعصّبهم و روح العصیان و التمرّد..فما أن وجدوا منافعهم غیر المشروعه فی خطر حتّی ودّعوا العقل!! و لوّوا رؤوسهم نحو الطغیان عنادا عن اتّباع الحقّ!.

«الأحلام»جمع حلم و معناه العقل،و لکن کما یقول الراغب فی مفرداته أنّ الحلم فی الحقیقه بمعنی ضبط النفس و التجلّد عند الغضب،و هو واحد من دلائل العقل و الدرایه،و یشترک مع الحلم علی زنه العلم-فی الجذر اللغوی!.

و کلمه«الحلم»قد تأتی بمعنی الرؤیا و المنام و لا یبعد مثل هذا التّفسیر فی

ص :۱۸۲

۱- ۱) -هناک احتمالات و أقوال بین المفسّرین فی معنی«أم»هنا أ هی استفهامیه أم منقطعه و بمعنی بل کلّ له رأیه فیها و إن کان الرأی الثانی أکثر ترجیحا عندهم،إلاّ أنّ سیاق الآیات یتناسب و المعنی الأوّل غیر أنّه ینبغی أن یعرف بأنّ أم فی مثل هذه المواطن ینبغی أن تکون مسبوقه بهمزه الاستفهام و لذلک فإنّ الفخر الرازی قدر لها ما یلی:«أ أنزل علیهم ذکر أم تأمرهم أحلامهم بهذا»و هو یشیر إلی أنّ الإسلام ینبغی أن یتّبع دلیل أو النقل أو العقل!.

الآيه محلّ البحث..فكأنّ كلماتهم ناتجه عن أحلامهم الباطله!! و مرّه اخرى يشير القرآن إلى اتّهام آخر-من اتّهاماتهم-الذى يعدّ الرابع فى سلسله اتّهاماتهم فيقول: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاٰ يُؤْمِنُونَ .

«تقوّله»:مشتقّ من مادّه تقوّل-على وزن تكلّف-و معناه الكلام الذى يفتعله الإنسان بينه و بين نفسه دون أن يكون له واقع (۱) .

و هذه ذريعه اخرى من ذرائع المشركين و الكفّار المعاندين لئلاّ يستسلموا أمام القرآن المجيد و دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد تكرّرت الإشاره إليها مرارا عديده فى آيات القرآن!.

غير أنّ القرآن يردّ عليهم ردّا يدحرهم و يتحدّاهم متهكما فيقول: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كٰانُوا صٰادِقِينَ .

فأنتم أناس مثله و لديكم العقل و القدره على البيان و الاطلاع و الخبره على أنواع الكلام فلم لا يأتى مفكّروكم و خطباؤكم و فصحاءكم بمثل هذا الكلام!.

و جمله«فليأتوا»أمر تعجيزى،و الهدف منه بيان عجزهم و عدم قدرتهم على مجاراه القرآن.

و هذا ما يعبّر عنه فى علم الكلام و العقائد بالتحدّى أى دعوه المخالفين إلى المعارضه و الإتيان بالمثل«فى مواجهه المعجزات!».

و على كلّ حال،فهذه آيه من الآيات التى تبيّن إعجاز القرآن بجلاء، و لا يختصّ مفهومها بمن عاصروا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل يشمل جميع الذين يزعمون-بأنّ القرآن كلام بشر،و أنّه مفترى على اللّه-على امتداد القرون و الأعصار،فهم مخاطبون بهذه الآيه أيضا..أى هاتوا حديثا مثله إن كنتم تزعمون بأنّه ليس من اللّه و أنّه كلام بشر.

۱- ۱) -يقول صاحب مجمع البيان:التقوّل:تكلّف و لا يقال ذلك إلاّ فى الكذب.

و كما نعلم بأنّ نداء القرآن فى هذه الآيه و الآيات المشابهه كان عاليا أبدا،و لم يستطع أى إنسان خلال أربعه عشر قرنا-منذ بعثه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى يومنا هذا-أن يرد بجواب إيجابى.

و من المعلوم أنّ أعداء الإسلام و خاصّه أصحاب الكنيسه و اليهود ينفقون ما لا يحصى من الأموال الطائله للتبليغ ضدّ الإسلام،فما كان يمنعهم أن يدعوا قسما منها تحت تصرّف أصحاب الفكر و القلم المخالفين لينهضوا بوجه معارضه القرآن و يكونوا مصداقا لقوله تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ و هذا العجز«العمومى» شاهد حى على أصاله هذا الوحى السماوى! يقول بعض المفسّرين فى هذا الصدد شيئا جديرا بالملاحظه فلا بأس بالالتفات و الإصغاء إليه...

«إنّ فى هذا القرآن سرّا خاصا يشعر به كلّ من يواجه نصوصه ابتداء قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها..إنّه يشعر بسلطان خاصّ فى عبارات هذا القرآن يشعر أنّ هنالك شيئا ما وراء المعانى التى يدركها العقل من التعبير و أنّ هنالك عنصرا ما ينسكب فى الحسّ بمجرّد الاستماع لهذا القرآن،يدركه بعض الناس واضحا و يدركه بعض الناس غامضا،و لكنّه على كلّ حال موجود..هذا العنصر الذى ينسكب فى الحسّ،يصعب تحديد مصدره،أهو العباره ذاتها؟!أهو المعنى الكامن فيها،أهو الصور و الضلال التى تشعّها؟أهو الإيقاع القرآنى الخاصّ المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغه؟.أ هى هذه العناصر كلّها مجتمعه؟.

أم أنّها هى و شىء آخر وراءها غير محدود! ذلك سرّ مستودع فى كلّ نصّ قرآنى،يشعر به كلّ من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء..ثمّ تأتى وراءه الأسرار المدركه بالتدبير و النظر و التفكير فى بناء

القرآن كلّه» (۱) .

و لمزيد الإيضاح حول إعجاز القرآن من أبوابه المختلفه يراجع ذيل الآيه (۲۳)من سوره البقره إذ ذكرنا هناك بحثا مفصّلا فى هذا الصدد و كذلك ذيل الآيه (۸۸)من سوره الإسراء.

ص :۱۸۵

۱- ۱) -فى ظلال القرآن،ج ۷،ص ۶۰۵.

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۳۵ الى ۴۳]

اشاره

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ اَلْخٰالِقُونَ (۳۵) أَمْ خَلَقُوا اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بَلْ لاٰ يُوقِنُونَ (۳۶) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزٰائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ اَلْمُصَيْطِرُونَ (۳۷) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ (۳۸) أَمْ لَهُ اَلْبَنٰاتُ وَ لَكُمُ اَلْبَنُونَ (۳۹) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (۴۰) أَمْ عِنْدَهُمُ اَلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (۴۱) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ اَلْمَكِيدُونَ (۴۲) أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (۴۳)

التّفسير

اشاره

ما هو كلامكم الحقّ؟

هذه الآيات تواصل البحث الاستدلالى السابق-كذلك-و هى تناقش المنكرين للقرآن و نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قدره اللّه سبحانه.

و هى آيات تبدأ جميعها ب«أم»التى تفيد الاستفهام و تشكّل سلسله من

الاستدلال فی أحد عشر سؤالا متتابعا(بصوره الاستفهام الإنکاری)،و بتعبیر أجلی:إنّ هذه الآیات تسدّ جمیع الطرق بوجه المخالفین فلا تدع لهم مهربا فی عبارات موجزه و مؤثّره جدّا بحیث ینحنی الإنسان لها من دون إختیاره إعظاما و یعترف و یقرّ بانسجامها و عظمتها.فأوّل ما تبدأ به هو موضوع الخلق فتقول: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخٰالِقُونَ (۱) .

و هذه العباره الموجزه و المقتضبه فی الحقیقه هی إشاره إلی«برهان العلیّه» المعروف الوارد فی الفلسفه و علم الکلام لإثبات وجود اللّه،و هو أنّ العالم الذی نعیش فیه ممّا لا شکّ-فیه-حادث(لأنّه فی تغییر دائم،و کلّ ما هو متغیّر فهو فی معرض الحوادث،و کلّ ما هو فی معرض الحوادث محال أن یکون قدیما و أزلیّا).

و الآن ینقدح هذا السؤال،و هو إذا کان العالم حادثا فلا یخرج عن الحالات الخمس التالیه:

۱-وجد من دون علّه! ۲-هو نفسه علّه لنفسه.

۳-معلولات العالم علّه لوجوده.

۴-إنّ هذا العالم معلول لعلّه اخری و هی معلوله لعلّه اخری إلی ما لا نهایه.

۵-إنّ هذا العالم مخلوق لواجب الوجود الذی یکون وجوده ذاتیا له.

و بطلان الاحتمالات الأربع المتقدّمه واضح،لأنّ وجود المعلول من دون علّه محال،و إلاّ فینبغی أن یکون کلّ شیء موجودا فی أی ظرف کان،و الأمر لیس کذلک! و الاحتمال الثانی و هو أن یوجد الشیء من نفسه محال أیضا،لأنّ مفهومه أن

۱- ۱) -هناک تفسیرات أخر و احتمالات متعدّده فی وجوه هذه الآیه،منها أنّ مفادها:هل خلقوا بلا هدف و لم یک علیهم أیّه مسئولیه؟!..و بالرغم أنّ جماعه من المفسّرین اختاروا هذا الوجه إلاّ أنّه مع الالتفات لبقیّه الآیه: أَمْ هُمُ الْخٰالِقُونَ یتّضح أنّ المراد هو ما ذکر فی المتن،أی خلقوا من دون علّه.أم هم علّه أنفسهم؟!.

يكون موجودا قبل وجوده،و يلزم منه اجتماع النقيضين[فلاحظوا بدقّه]

.

و كذلك الاحتمال الثالث و هو أنّ مخلوقات الإنسان خلقته،و هو واضح البطلان إذ يلزم منه الدور!.

و كذلك الاحتمال الرابع و هو تسلسل العلل و ترتّب العلل و المعلول إلى ما لا نهايه أيضا محال،لأنّ سلسله المعلولات اللّامحدوده مخلوقه،و المخلوق مخلوق و يحتاج إلى خالق أوجده،ترى هل تتحوّل الأصفار التى لا نهايه لها إلى عدد؟!أو ينفلق النور من ما لا نهايه الظلمه؟!و هل يولد الغنى من ما لا نهايه له فى الفقر و الفاقه؟ فبناء على ذلك لا طريق إلّا القبول بالاحتمال الخامس،أى خالقيه واجب الوجود[فلاحظوا بدقّه أيضا]

.

و حيث أنّ الركن الأصلى لهذا البرهان هو نفى الاحتمال الأوّل و الثانى فإنّ القرآن اقتنع به فحسب.

و الآن ندرك جيّدا وجه الاستدلال فى هذه العبارات الموجزه! الآيه التاليه تثير سؤالا آخر على الادّعاء فى المرحله الأدنى من المرحله السابقه فتقول: أَمْ خَلَقُوا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ .

فإذا لم يوجدوا من دون علّه و لم يكونوا علّه أنفسهم أيضا،فهل هم واجبو الوجود فخلقوا السماوات و الأرض؟!و إذا لم يكونوا قد خلقوا الوجود،فهل أو كل اللّه إليهم أمر خلق السماء و الأرض؟فعلى هذا هم مخلوقون و بيدهم أمر الخلق أيضا!!.

من الواضح أنّهم لا يستطيعون أن يدّعوا هذا الادّعاء الباطل،لذلك فإنّ الآيه تختتم بالقول: بَلْ لاٰ يُوقِنُونَ ! أجل،فهم يتذرّعون بالحجج الواهيه فرارا من الإيمان! ثمّ يتساءل القرآن قائلا:فإذا لم يدّعوا هذه الأمور و لم يكن لهم نصيب فى

خلق،فهل عندهم خزائن اللّه أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ (۱) لیهبوا من شاؤوا نعمه النبوّه و العلم أو الأرزاق الآخر و یمنعوا من شاؤوا ذلک: أَمْ هُمُ الْمُصَیْطِرُونَ علی جمیع العوالم و فی أیدیهم امور الخلائق؟! انّهم لا یستطیعون-أن یدّعوا أبدا أنّ عندهم خزائن اللّه تعالی،و لا یملکون تسلّطا علی تدبیر العالم،لأنّ ضعفهم و عجزهم إزاء أقل مرض بل حتّی علی بعوضه تافهه و کذلک احتیاجهم إلی الوسائل الابتدائیه للحیاه خیر دلیل علی عدم قدرتهم و فقدان هیمنتهم!و إنّما یجرّهم إلی إنکار الحقائق هوی النفس و العناد و حبّ الجاه و التعصّب و الأنانیه!

و کلمه:«مصیطرون»إشاره إلی أرباب الأنواع التی هی من خرافات القدماء، إذ کانوا یعتقدون أنّ کلّ نوع من أنواع العالم إنسانا کان أمّ حیوانا آخر أم جمادا أم نباتا له مدبّر و ربّ خاصّ یدعی بربّ النوع و یدعون اللّه«ربّ الأرباب»و هذه العقیده تعدّ فی نظر الإسلام«شرکا»و القرآن فی آیاته یصرّح بأنّ التدبیر لجمیع الأشیاء هو للّه وحده و یصفه بربّ العالمین.

و أصل هذه الکلمه من«سطر»و معناه صفّ الکلمات عند الکتابه،و «المسیطر»کلمه تطلق علی من له تسلّط علی شیء ما و یقوم بتوجیهه،کما أنّ الکاتب یکون مسیطرا علی کلماته(و ینبغی الالتفات إلی أنّ هذه الکلمه تکتب بالسین و بالصاد علی السواء- مسیطر و مصیطر-فهما بمعنی واحد و إن کان الرسم القرآن المشهور بالصاد«مصیطر»).

و من المعلوم أنّه لا منکرو النبوّه و لا المشرکون فی العصر الجاهلی و لا سواهما یدّعی أیّا من الأمور الخمسه التی ذکرها القرآن،و لذلک فإنّه یشیر إلی موضوع آخر فی الآیه التالیه فیقول:إنّ هؤلاء هل یدعون أنّ الوحی ینزل علیهم

۱- ۱) -الخزائن جمع الخزینه و معناها مکان کلّ شیء محفوظ لا تصل إلیه الید و یدّخر فیه ما یرید الإنسان یقول القرآن فی هذا الصدد وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر الآیه ۲۱] .

أو يدعون أنّ لهم سلّما يرتقون عليه إلى السماء فيستمعون إلى أسرار الوحى: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ .

و حيث إنّه كان من الممكن أن يدّعوا بأنّهم على معرفه بأسرار السماء فإنّ القرآن يطالبهم مباشره بعد هذا الكلام بالدليل فيقول: فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ .

و من الواضح أنّه لو كانوا يدّعون مثل هذا الادّعاء فإنّه لا يتجاوز حدود الكلام فحسب، إذ لم يكن لهم دليل على ذلك أبدا (۱) .

ثمّ يضيف القرآن قائلا:هل صحيح ما يزعمون أنّ الملائكه إناث و هم بنات اللّه؟! أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَ لَكُمُ الْبَنُونَ ؟! و فى هذه الآيه إشاره إلى واحد من اعتقاداتهم الباطله،و هو استياؤهم من البنات بشدّه،و إذا علموا أنّهم رزقوا من أزواجهم«بنتا»اسودّت وجوههم من الحياء و الخجل!و مع هذا فإنّهم كانوا يزعمون أنّ الملائكه بنات اللّه،فإذا كانوا مرتبطين بالملإ الأعلى و يعرفون أسرار الوحى،فهل لديهم سوى هذه الخرافات المضحكه..و هذه العقائد المخجله؟! و بديهى أنّ الذكر و الأنثى لا يختلفان فى نظر القيمه الإنسانيه..و التعبير فى الآيه المتقدّمه هو فى الحقيقه من قبيل الاستدلال بعقيدتهم الباطله و محاججتهم بها.

و القرآن يعوّل-فى آيات متعدّده-على نفى هذه العقيده الباطله و يحاكمهم فى هذا المجال و يفضحهم (۲) !!

---

۱ - ۱) -سلّم يعنى«المصعد»كما يأتى بمعنى أيّه وسيله كانت و قد اختلف المفسّرون فى المراد من الآيه فأىّ شىء كانوا يدعونه؟!فقال بعضهم:ادّعوا الوحى و قال آخرون هو ما كانوا يدّعونه فى النّبى بأنّه شاعر أو مجنون أو ما كانوا يدّعون من الأنداد و الشركاء للّه...و فسّر بعضهم ذلك بنفى نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم«و لا مانع من الجمع بين هذه المعانى و إن كان المعنى الأوّل أجلى».

۲- ۲) -كانت لنا بحوث مفصّله فى سبب جعل العرب الملائكه بنات اللّه فى الوقت الذى كانوا يستاءون من البنات.و ذكرنا

ثمّ يتنازل القرآن إلى مرحله اخرى،فيذكر واحدا من الأمور التى يمكن أن تكون ذريعه لرفضهم فيقول: أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ .

«المغرم»-على وزن مغنم و هو ضدّ معناه-أى ما يصيب الإنسان من خساره أو ضرر دون جهه،أمّا الغريم فيطلق على الدائن و المدين أيضا.

و«المثّقل»مشتقّ من الأثقال،و معناه تحميل العبء و المشقّه،فبناء على هذا المعنى يكون المراد من الآيه:ترى هل تطلب منهم غرامه لتبليغ الرساله فهم لا يقدرون على أدائها و لذلك يرفضون الإيمان؟! و قد تكرّرت الإشاره فى عدد من الآيات القرآنيه لا فى النّبى فحسب،بل فى شأن كثير من الأنبياء،إذ كان من أوائل كلمات النبيين قولهم لأممهم:لا نريد على إبلاغنا الرساله إليكم أجرا..ليثبت عدم قصدهم شيئا من وراء دعوتهم و لئلّا تبقى ذريعه للمتذرّعين أيضا.

و مرّه اخرى يخاطبهم القرآن متسائلا أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فهؤلاء يدّعون أنّ النّبى شاعر و ينتظرون موته لينطوى بساطه و ينتهى كلّ شىء بموته و تلقى دعوته فى سلّه الإهمال،كما تقدّم فى الآيه السابقه ذلك على لسان المشركين إذ كانوا يقولون.. نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ .

فمن أين لهم أنّهم سيبقون أحياء بعد وفاه النبى؟!و من أخبرهم بالغيب؟! و يحتمل أيضا أنّ القرآن يقول إذا كنتم تدّعون معرفه الأسرار الغيبيه و أحكام اللّه و لستم بحاجه إلى القرآن و دين محمّد فهذا كذب عظيم (۱) .

ثمّ يتناول القرآن احتمالا آخر فيقول:لو لم يكن كلّ هذه الأمور المتقدّمه، فلا بدّ أنّهم يتآمرون لقتل النّبى و إجهاض دعوته و لكن ليعلموا أنّ كيد اللّه أعلى

(۲

الدلائل الحيّه التى أقامها القرآن ضدّهم فليراجع ذيل الآيه(۵۷)سوره النحل و ذيل الآيه(۱۴۹)من سوره الصافات..

۱- ۱) -قال بعض المفسرين أنّ المراد بالغيب هو اللوح المحفوظ،و قال بعضهم:بل هو إشاره إلى ادّعاءات المشركين و قولهم إذ كانت القيامه فسيكون لنا عند اللّه مقام كريم.إلّا أنّ هذه التفاسير لا تتناسب و الآيه محلّ البحث و لا يرتبط بعضها ببعض.

و أقوى من كيدهم: أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (۱) .

و الآيه الآنفه يطابق تفسيرها تفسير الآيه(۵۴)من سوره آل عمران التى تقول: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ .

و احتمل جماعه من المفسّرين أنّ المراد من الآيه محلّ البحث هو:«انّ مؤامراتهم ستعود عليهم أخيرا و تكون وبالا عليهم...»و هذا المعنى يشبه ما ورد فى الآيه(۴۳)من سوره فاطر: وَ لاٰ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّٰ بِأَهْلِهِ .

و الجمع بين التّفسيرين الآنفين ممكن و لا مانع منه.

و يمكن أن يكون لهذه الآيه ارتباط آخر بالآيه المتقدّمه،و هو أنّ أعداء الإسلام كانوا يقولون:ننتظر موت محمّد.فالقرآن يردّهم بالقول بأنّهم ليسوا خارجين عن واحد من الأمرين التاليين..أمّا أنّهم يدّعون بأنّ محمّدا يموت قبل موتهم حتف أنفه.فلازم هذا الادّعاء أنّهم يعلمون الغيب،و أمّا أنّ مرادهم أنّه سيمضى بمؤامراتهم فاللّه أشدّ مكرا و يردّ كيدهم إليهم،فهم المكيدون! و إذا كانوا يتصوّرون أنّ فى اجتماعهم فى دار الندوه و رشق النّبى بالتّهم كالكهانه و الجنون و الشعر أنّهم سينتصرون على النّبى فهم فى منتهى العمى و الحمق،لأنّ قدره اللّه فوق كلّ قدره،و قد ضمن لنبيّه السلامه و النجاه حتّى يبلغ دعوته العالميه.

و أخيرا فإنّ آخر ما يثيره القرآن من أسئله فى هذا الصدد قوله: أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ ؟!و يضيف-منزّها- سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ .

فعلى هذا لا أحد يستطيع أن يمنعهم من اللّه و يحميهم، و هكذا فإنّ القرآن يستدرجهم و يضعهم أمام استجواب عجيب و أسئله متّصله تؤلّف سلسله متكامله مؤلّفه من أحد عشر سؤالا!و يقهقرهم مرحله بعد مرحله إلى الوراء!!و يضطرهم

۱- ۱) -الكيد على وزن صيد نوع من الحيله و قد يستعمل فى التحيّل إلى سبيل الخير،إلاّ أنّه غالبا ما يستعمل فى الشرّ، و تعنى هذه الكلمه المكر و السعى أو الجدّ كما تعنى الحرب أحيانا..

إلى التنزّل من الادّعاءات ثمّ يوصد عليهم سبل الفرار كلّها و يحاصرهم فى طريق مغلق!.

كم هى رائعه استدلالات القرآن و كم هى متينه أسئلته و استجوابه!..فلو أنّ فى أحد منهم روحا تبحث عن الحقّ و تطلبه لأذعنت أمام هذه الأسئله و استسلمت لها.

الطريف أنّ الآيه الأخيره من الآيات محلّ البحث لا تذكر دليلا لنفى المعبودات ممّا سوى اللّه،و تكتفى بتنزيه اللّه سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ .

و ذلك لأنّ بطلان الوهيه الأصنام و الأوثان المصنوعه من الأحجار و الخشب و غيرهما مع ما فيها من ضعف و احتياج أجلى و أوضح من أى بيان و تفصيل آخر، أضف إلى كلّ ذلك فإنّ القرآن استدلّ على إبطال هذا الموضوع بآيات متعدّده غير هذه الآيه.

ص :١٩٣

الآيات [سوره الطور (۵۲): الآيات ۴۴ الی ۴۹]

اشاره

وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ سٰاقِطاً يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ (۴۴) فَذَرْهُمْ حَتّٰى يُلاٰقُوا يَوْمَهُمُ اَلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ (۴۵) يَوْمَ لاٰ يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (۴۶) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذٰاباً دُونَ ذٰلِكَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۴۷) وَ اِصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنٰا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (۴۸) وَ مِنَ اَللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبٰارَ اَلنُّجُومِ (۴۹)

التّفسير

اشاره

إنّك بأعيننا!

تعقيبا على البحث الوارد فى الآيات المتقدّمه الـذى يناقش المشركين و المنكرين المعانـدين،هذا البحث الذى يكشف الحقيقه ساطعه لكلّ إنسان يطلب الحقّ،تميط الآيات محلّ البحث النقاب عن تعصّبهم و عنادهم فتقول: وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطاً يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ (۱) .

۱- ۱) -«الكشف»:على وزن فسق-معناه القطعه من كلّ شىء،و مع ملاحظه بقيّه التعبير.«من السماء»:يظهر المراد منه هنا

هؤلاء المشركين معاندون إلى درجه إنكارهم الحقائق الحسيّه و تفسيرهم الحجاره الساقطه من السماء بالسحاب،مع أنّ كلّ من رأى السحاب حين ينزل و يقترب من الأرض لم يجده سوى بخار لطيف،فكيف يتراكم هذا البخار اللطيف و يتبدّل حجرا!؟ و هكذا يتّضح حال هؤلاء الأشخاص إزاء الحقائق المعنويه!أجل انّ ظلمه الإثم و عباده الهوى و العناد كلّ ذلك يحجب أفق الفكر السليم فيجعله متجهّما حتّى تنجرّ عاقبه أمره إلى إنكار المحسوسات و بذلك ينعدم الأمل فى هدايته.

و«المركوم»معناه المتراكم،أى ما يكون بعضه فوق بعض! لذلك فإنّ الآيه التاليه تضيف بالقول: فَذَرْهُمْ حَتّٰى يُلاٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ .

و كلمه«يصعقون»مأخوذه من صعق،و الإصعاق هو الإهلال،و أصله مشتقّ من الصاعقه،و حين أنّ الصاعقه تهلك من تقع عليه فإنّ هذه الكلمه استعملت بمعنى الإهلاك أيضا.

و قال بعض المفسّرين أنّ هذه الجمله تعنى الموت العامّ و الشامل الذى يقع آخر هذه الدنيا مقدّمه للقيامه.

إلاّ أنّ هذا التّفسير يبدو بعيدا،لأنّهم لا يبقون إلى ذلك الزمان بل الظاهر هو المعنى الأوّل،أى دعهم إلى يوم موتهم الذى يكون بدايه لمجازاتهم و العقاب الاخروى! و يتبيّن ممّا قلنا أنّ جمله«ذرهم»أمر يفيد التهديد،و المراد منه أنّ الإصرار على تبليغ مثل هؤلاء الأفراد لا يجدى نفعا إذ لا يهتدون.

فبناء على ذلك لا ينافى هذا الحكم إدامه التبليغ على المستوى العامّ من قبل

١)

القطعه من حجر السماء،و قد دلّت عليه بعض كتب اللغه و هذه الكلمه تجمع على كسف على وزن عنب،إلاّ أنّ أغلب المفسّرين يرون بأنّ الكلمه هنا مفرده و ظاهر الآيه أنّها مفرده أيضا،لأنّها و صفتها بالمفرد ساقطا..

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لا ینافی الأمر بالجهاد.فما یقوله بعض المفسّرین أنّ هذه الآیه نسخت آیات الجهاد غیر مقبول! ثمّ یبیّن القرآن فی الآیه التالیه هذا الیوم فیقول: یَوْمَ لا یُغْنِی عَنْهُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ .

أجل:من یمت تقم قیامته الصغری

«من مات قامت قیامته» و موته بدایه للثواب أو العقاب الذی یکون قسم منه فی البرزخ و القسم الآخر فی القیامه الکبری،أی القیامه العامّه،و فی هاتین المرحلتین لا تنفع ذریعه متذرّع و لا یجد الإنسان ولیّا من دون اللّه و لا نصیرا.

ثمّ تضیف الآیه أنّه لا ینبغی لهؤلاء أن یتصوّروا أنّهم سیواجهون العذاب فی البرزخ و فی القیامه فحسب،بل لهم عذاب فی هذه الدنیا أیضا: وَ إِنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا عَذٰاباً دُونَ ذٰلِکَ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ .

أجل،إنّ علی الظالمین أن ینتظروا فی هذه الدنیا عذابا کعذاب الأمم السابقه کالصاعقه و الزلازل و الکسف من السماء و القحط أو القتل علی أیدی جیش التوحید کما کان ذلک فی معرکه بدر و ما ابتلی به قاده المشرکین فیها إلاّ أنّ یتیقّظوا و یتوبوا و یعودوا إلی اللّه آیبین منیبین.

و بالطبع فإنّ جماعه منهم ابتلوا بالقحط و المحل،و منهم من قتل فی معرکه بدر کما ذکرنا آنفا-إلاّ أنّ طائفه کبیره تابوا و أنابوا و التحقوا بصفوف المسلمین الصادقین فشملهم اللّه بعفوه (۱) .

و جمله وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ تشیر إلی أنّ أغلب أولئک الذین ینتظرهم العذاب فی الدنیا و الآخره هم جهله،و مفهومها أنّ القلیل منهم یعرف هذا المعنی، إلاّ أنّه فی الوقت ذاته یصرّ علی المخالفه لما فیه من اللجاجه و العناد عن الحقّ.

۱- ۱) -من قال بأنّ جمله فیه یصعقون تشیر إلی یوم القیامه فسّر العذاب«فی الآیه»محلّ البحث بعذاب البرزخ فی القبر،إلاّ أنّه حیث کان تفسیرها ضعیفا فهذا الاحتمال ضعیف أیضا.

و فی الآیه التالیه یخاطب القرآن نبیّه و یدعوه إلی الصبر أمام هذه التّهم و المثبّطات و أن یستقیم فیقول: وَ اصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ (۱)
.

فإذا ما اتّهموک بأنّک شاعر أو کاهن أو مجنون فاصبر،و إذا زعموا بأنّ القرآن مفتری فاصبر،و إذا أصرّوا علی عنادهم و واصلوا رفضهم لدعوتک برغم کلّ هذه البراهین المنطقیّه فاصبر، و لا تضعف همّتک و یفتر عزمک: فَإِنَّکَ بِأَعْیُنِنا !.

نحن نری کلّ شیء و نعلم بکلّ شیء و لن ندعک وحدک.

و جمله فَإِنَّکَ بِأَعْیُنِنا تعبیر لطیف جدّا حاک عن علم اللّه و کذلک کون النّبی مشمولا بحمایه اللّه الکامله و لطفه! أجل،إنّ الإنسان حین یحسّ بأنّ قادرا کبیرا ینظره و یری جمیع سعیه و عمله و یحمیه من أعدائه فإنّ إدراک هذا الموضوع یمنحه الطاقه و القوّه أکثر کما یحسّ بالمسؤولیه بصوره أوسع.

و حیث أنّ الحاجه للّه و عبادته و تسبیحه و تقدیسه و تنزیهه و الالتجاء إلی ذاته المقدّسه کلّ هذه الأمور تمنح الإنسان الدّعه و الاطمئنان و القوّه،فإنّ القرآن یعقّب علی الأمر بالصبر بالقول: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِینَ تَقُومُ .

سبّحه حین تقوم سحرا للعباده و صلاه اللیل.

...و حین تنهض من نومک لأداء الصلاه الواجبه.

...و حین تقوم من أی مجلس و محفل،فسبّحه و احمده.

و للمفسّرین أقوال مختلفه فی تفسیر هذه الآیه،إلاّ أنّ الجمع بین هذه الأقوال ممکن أیضا،سواء کان الحمد التسبیح سحرا،أو عند صلاه الفریضه،أو عند القیام من أی مجلس کان.

۱- ۱) -قد یکون المراد من«حکم ربّک»هو تبلیغ حکم اللّه الذی امر النّبی به،فعلیه أن یصبر عند إبلاغه،أو أنّه عذاب اللّه الذی و عد أعداؤه به أی:اصبر یا رسول اللّه حتّی یعذّبهم اللّه،أو المراد منه أوامر أی بما إنّ اللّه أمرک فاصبر لحکمه،و الجمع بین هذه المعانی و إن کان ممکنا إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل یبدو أقرب خاصّه بملاحظه فإنّک بأعیننا.

أجل،نوّر روحک و قلبک بتسبیح اللّه و حمده فإنّهما یمنحان الصفاء..و عطر لسانک بذکر اللّه..و استمدّ منه المدد و استعدّ لمواجهه أعدائک!.

و قد جاء فی روایات متعدّده أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین کان یقوم من مجلسه کان یسبّح اللّه و یحمده و

یقول: «إنّه کفّاره المجلس» (۱) .

و من ضمن ما کان یقول بعد قیامه من مجلس کما

جاء فی بعض الأحادیث عنه: «سبحانک اللهمّ و بحمدک أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرک و أتوب إلیک!».

و

سأل بعضهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن هذه الکلمات فقال:«هنّ کلمات علمنیهنّ جبرئیل کفّارات لما یکون فی المجلس» (۲) .

ثمّ یضیف القرآن فی آخر آیه من الآیات محلّ البحث قائلا: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبٰارَ النُّجُومِ .

و قد فسّر کثیر من المفسّرین جمله وَ مِنَ اللَّیْلِ فَسَبِّحْهُ بصلاه اللیل،و أمّا إدبار النجوم فقالوا هی إشاره إلی«نافله الصبح»التی تؤدّی عند طلوع الفجر و اختفاء النجوم بنور الصبح.

کما

ورد فی حدیث عن علی علیه السّلام أنّ المراد من«إدبار النجوم»هو«رکعتان قبل الفجر» نافله الصبح اللتان تؤدّیان قبل صلاه الصبح و عند غروب النجوم،أمّا «إدبار السجود»الوارد ذکرها فی الآیه ۴۰ من سوره«ق»فإشاره إلی«رکعتان بعد المغرب»«و بالطبع فإنّ نافله المغرب أربع رکع إلاّ أنّ هذا الحدیث أشار إلی رکعتین منها فحسب» (۳) .

و علی کلّ حال،فإنّ العباده و التسبیح و حمد اللّه فی جوف اللیل و عند طلوع الفجر لها صفاؤها و لطفها الخاصّ،و هی فی منأی عن الریاء،و یکون الاستعداد

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۱۹،ص ۲۴

۲- ۲) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۲۰.

۳- ۳) -مجمع البیان ذیل الآیه(۴۰)،سوره ق،ج ۹،ص ۱۵۰.

الروحی لها أكثر فی ذلك الوقت،لأنّ الإنسان یكون فیه بعیدا عن امور الدنیا و مشاكلها،و الاستراحه فی اللیل تمنح الإنسان الدّعه،فلا صخب و لا ضجیج، و فی الحقیقه هذه الفتره تقترن بالوقت الذی عرج بالنّبی إلی السماء،فبلغ قاب قوسین أو أدنی یناجی ربّه و یدعوه فی الخلوه! و لذلك فقد عوّلت الآیات محلّ البحث علی هذین الوقتین،و نقرأ حدیثا

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول فیه: ركعتا الفجر خیر من الدنیا و ما فیها (۱) .

اللهمّ وفّقنا للقیام فی السحر و مناجاتك طوال عمرنا.

اللهمّ اجعل قلوبنا بعشقك مطمئنه و نوّرها بمحبّتك و أمّلها بلطفك.

اللهمّ منّ علینا بالصبر و الاستقامه بوجه قوی الشیاطین و مؤامرات أعدائك و كیدهم لنتأسّی برسولك فنعیش علی هدیه و نموت علی سنّته.

آمین یا ربّ العالمین انتهاء سوره الطّور

ص :۱۹۹

۱- ۱) -تفسیر القرطبی ج ۹ ص ۶۲۵۱ ذیل الآیات محلّ البحث.

سوره النّجم

اشاره

مكّيه و عدد آياتها اثنان و سبعون آيه

ص :۲۰۱

محتوى السّوره:

هـذه السـوره كمـا يقول بعض المفسّـرين هى أوّل سوره تلاهـا النّبى جهرا و بصوت عـال فى حرم مكّه بعـد أن أضـحت دعوته علنا..و أصغى إليها المشركون و سجد لها جميع المسلمين حتّى المشركون (١) .

و هذه السوره كما يعتقد بعض المفسّـرين نزلت فى شهر رمضان من السنه الخامسه للبعثه (٢) ! و قال بعضهم إنّ هذه السوره هى السوره الاولى التى نزلت فيها سـجده واجبه بمكّه (٣) .لكن مع ملاـحظه أنّ سوره العلق كما هو معروف نزلت قبلها و فى آخرها آيه سجده واجبه فإنّ هذا القول يبدو بعيدا.

و على كـلّ حـال،فـإنّ هـذه السوره-لكونهـا مكيّه-تحمـل بين ثناياهـا بحوثـا فى الأـصول الاعتقاديه خاصّه«النبوّه و المعاد»و فيها تهديد و وعيد و إنذارات مكرّره لإيقاظ الكفّار و ردعهم عن غيّهم!.

و يمكن تقسيم محتوى هذه السوره إلى سبعه أقسام:

١-بـدايه السوره تتحـدّث بعـد القسم العميق المغزى.عن حقيقه الوحى و اتّصال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم مباشـره بمنزل الوحى«جبريل»و تبيّن ذلك بجلاء،و تبرئ ساحه النّبى المقدّسه عن كلّ شىء سوى الوحى المنزل عليه.

ص:٢٠٣

١- ١) -تفسير روح البيان،ج ٩،ص ٢٠٨.

٢- ٢) -المصدر السابق.

٣- ٣) -تفسير المراغى،ج ٢٧،ص ۴١.

۲-و فی قسم آخر من هذه السوره یجری الکلام علی معراج الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جوانب منه بعبارات موجزه و غزیره المعنی،له علاقه مباشره بالوحی أیضا.

۳-ثمّ یجری الکلام عن خرافات المشرکین فی شأن الأصنام و عباده الملائکه و امور أخر لیس لها أی أساس إلاّ الهوی و الهوس،و یعنّف المشرکین فی هذا المجال و یحذّرهم من عباده الأوثان و یثبت هذا المعنی بمنطق قوی متین.

۴-و فی قسم آخر منها یفتح القرآن سبیل التوبه بوجه المنحرفین و عامّه المذنبین،و یؤمّلهم بمغفره اللّه الواسعه،و یؤکّد علی أنّ کلّا مسئول عن عمله،و لا تزر وازره و زر اخری.

۵-و إکمالا لهذه الأهداف یأتی القسم الخامس من هذه السوره لیبیّن جوانب من مسأله-المعاد-و یقیم دلیلا واضحا علی هذه المسأله بما هو موجود فی النشأه الاولی-الدنیا-.

۶-و کعاده القرآن فی سائر السور ترد فی هذه السوره إشارات لعواقب الأمم المؤلمه لعداوتهم للحقّ و عنادهم-کما حدث لقوم نوح و ثمود و عاد و قوم لوط لیتیقّظ الغافلون من نومتهم عن هذا الطریق.

۷-و أخیرا فإنّ السوره تختتم بالأمر بالسجود للّه و عبادته،و من امتیازات هذه السوره قصر آیاتها و إیقاع آیاتها الخاصّ الذی ینفذ-بمفاهیمها-نفوذا عمیقا،فیوقظ قلوب الغافلین و یحملها معه إلی السماوات العلی.

و تسمیه هذه السوره ب«النجم»هی لورود هذا اللفظ فی الآیه الاولی من السوره ذاتها.

فضیله تلاوه هذه السوره:

وردت فی الرّوایات الإسلامیه فضائل مهمّه لتلاوه هذه السوره،ففی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال:«من قرأ سوره النجم أعطی من الأجر عشر حسنات

بعدد من صدّق بمحمّد و من جحد به» (۱) .

و نقرأ

فی بعض الرّوایات عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من کان یدمن قراءه«و النجم»فی کلّ یوم أو فی کلّ لیله عاش محمودا بین الناس و کان مغفورا له و کان محبّبا بین الناس» (۲) .

و من المسلّم به أنّ مثل هذا الثواب العظیم هو لأولئک الذین یتّخذون تلاوه هذه السوره وسیله للتفکیر،ثمّ العمل،و أن یطبّقوا تعلیمات هذه السوره علی أنفسهم فی حیاتهم.

ص:۲۰۵

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۹،ص ۱۷۰.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۹۲،ص ۳۰۵.

الآيات [سوره النجم (۵۳): الآيات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلنَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ (۱) مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَ مٰا غَوىٰ (۲) وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ (۳) إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (۴)

التّفسير

ممّا يجدر بيانه أنّ السوره السابقه«الطور»ختمت بكلمه«النجوم»و هذه السوره بدئت ب«و النجم»-إذ أقسم به اللّه قائلا: وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ ! و هناك احتمالات كثيره فى المراد من«النجم»هنا،فكلّ من المفسّرين يختار تفسيرا.إذ قال بعضهم بأنّ المراد منه هو«القرآن المجيد»لأنّه يتناسب و الآيات التى تلى الآيه محلّ البحث،و هى فى شأن الوحى،و التعبير بالنجم هو لأنّ العرب يستعملون هذا اللفظ فى ما يتمّ فى مراحل أو فواصل مختلفه و يسمّونها(أى الفواصل)«نجوما»(و تستعمل كلمه النجوم على أقساط الدين و امور أخر من هذا القبيل أيضا).

و حيث أنّ القرآن نزل خلال ۲۳ سنه فى مراحل و مقاطع مختلفه على النّبى

صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقد سمّی نجما و المراد من«إذا هوی»نزوله علی قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و فسّره آخرون ببعض الکواکب فی السماء کالثریا (۱) أو الشعری (۲) لأنّ لکلّ منهما أهمیّته الخاصّه!.

و قال بعضهم بأنّه الشهاب الثاقب»الذی ترمی به الشیاطین لئلّا تصعد فی السماء و العرب یسمّون الشهاب نجما.

إلّا أنّه لا دلیل مقبول علی أیّ من هذه التفاسیر الأربعه بل الظاهر من الآیه ما یقتضیه إطلاق کلمه«و النجم»القسم بنجوم السماء کافّه التی هی من أدلّه عظمه اللّه و من أسرار عالم الوجود الکبری و من المخلوقات العظیمه للّه تعالی.

و لیست هذه هی المرّه الاولی التی یقسم القرآن فیها بموجودات عظیمه من عالم الخلق و الإیجاد،ففی آیات أخر أیضا أقسم القرآن بالشمس و القمر و أمثالها! و التعویل علی غروبها و أفولها مع أنّ طلوعها و إشراقها یسترعی النظر أکثر، هو لأنّ غروب النجم دلیل علی حدوثه کما أنّه دلیل علی نفی عقیده عباده الکواکب کما ورد فی قصّه إبراهیم الخلیل علیه السّلام فَلَمّٰا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأیٰ کَوْکَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّی فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لاٰ أُحِبُّ الْآفِلِینَ (۳) .

و ینبغی الالتفات إلی هذا المعنی،و هو أنّ«الطلوع»فی اللغه یعبّر عنه ب «النجم»لأنّه کما یقول الراغب فی مفرداته:أصل النجم هو الکوکب الطالع،و لذلک فإنّهم یعبّرون عن ظهور النبات علی الأرض و السنّ فی اللثّه و وضوح النظریه فی الذهن ب نجم!

۱- ۱) -الثریا مجموعه النجوم السبعه التی ستّه منها واضحه و واحد منها خافت النور و عاده یختبر بها قوّه البصر فیمتحن الناس بالنظر إلیها،و القسم بهذه المجموعه من النجوم لعلّه لمسافتها البعیده عنّا..

۲- ۲) -«الشعری»:واحد من نجوم السماء و اللامعه و سیأتی البحث عن هذا النجم ذی ذیل الآیه(۴۹)من هذه السوره ذاتها بإذن اللّه،و القسم بهذا النجم لعلّه لإشراقه الشدید و لخصائصه المتمیّز بها.

۳- ۳) -الأنعام،الآیه ۷۶.

و هكذا فإنّ اللّه أقسم بطلوع الكواكب و غروبها أيضا،لأنّ ذلك دليل على حدوثها و إسارتها فى قبضه قوانين الخلق (۱) .

لكن لنعرف لم أقسم اللّه بالنجم؟الآيه التاليه توضّح ذلك فتقول: مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَ مٰا غَوىٰ .

فهو يخطو فى مسير الحقّ دائما،و ليس فى أقواله و لا فى أعماله أىّ انحراف! و التعبير ب«الصاحب»أى الصديق أو المحبّ لعلّه إشاره إلى أنّ ما يقوله نابع من الحبّ و الشفقه! و الكثير من المفسّرين لم يفرّقوا بين«ضلّ»و«غوى»بل عدّوا كلاّ منهما مؤكّدا للآخر،إلاّ أنّ بعضهم يعتقد أنّ بينهما فرقا و تفاوتا!فالضلال هو أن لا يجد الإنسان طريقا إلى هدفه،و الغوايه هى أن لا يخلو طريقه من إشكال أو لا يكون مستقيما.فالضلال كالكفر مثلا و الغوايه كالفسق و الذنب..إلاّ أنّ«الراغب»يقول فى الغى:انّه الجهل الممزوج بالاعتقاد الفاسد.

فبناء على ذلك فالضلاله معناها مطلق الجهل و عدم المعرفه،إلاّ أنّ الغوايه جهل ممزوج أو مشوب بالعقيده الباطله.

و على كلّ حال فإنّ اللّه سبحانه يريد بهذه العباره الموجزه أن ينفى كلّ نوع من أنواع الانحراف و الجهل و الضلال و الخطأ عن نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أن يحبط ما وجّهه أعداؤه إليه من التّهم فى هذا الصدد.

و من أجل التأكيد على هذا الموضوع و إثبات أنّ ما يقوله هو من اللّه فإنّ القرآن يضيف قائلا: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ .

و هذا التعبير مشابه التعبير الاستدلالى الوارد فى الآيه آنفه الذكر فى صدد نفى الضلاله و الغوايه عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنّ أساس الضلال غالبا ما يكون من اتّباع

۱- ۱) -و ما ورد فى بعض الرّوايات من أنّ المراد بالنجم هو شخص النّبى و المراد من هوى هو نزوله من السماء فى ليله المعراج،فهذا التّفسير فى الحقيقه يعدّ من بطون الآيه لا من ظاهرها!

الهوی.

و نقرأ فی سوره ص الآیه(۲۶)منها: وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ .

کما

ورد فی حدیث معروف عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عن أمیر المؤمنین: «أمّا اتّباع الهوی فیصدّ عن الحقّ» (۱) .

و یعتقد بعض المفسّرین أنّ جمله مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ ناظره إلی نفی الجنون عن النّبی و جمله وَ مٰا غَویٰ ناظره إلی نفی الشعر عنه لأنّه ورد فی الآیه(۲۲۴) من سوره الشعراء قوله تعالی: وَ الشُّعَرٰاءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغٰاوُونَ (أی الشعراء من أهل الدنیا)و أمّا جمله وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ الْهَویٰ فناظره إلی نفی الکهانه،لأنّ الکهنه أفراد یعبدون الهوی.

ثمّ تأتی الآیه التالیه لتصرّح: إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ .

فهو لا یقول شیئا من نفسه،و لیس القرآن من نسج فکره!بل کلّ ما یقوله فمن اللّه،و الدلیل علی هذا الادّعاء کامن فی نفسه.فالتحقیق فی آیات القرآن یکشف بجلاء أنّه لن یستطیع إنسان مهما کان عالما و مفکّرا-فکیف بالامّی الذی لم یقرأ و لم یکتب فی محیط مملوء بالخرافات-أن یأتی بکلام غزیر المحتوی کالقرآن، إذ ما یزال بعد مضی القرون و العهود ملهما للأفکار،و یمکنه أن یکون أساسا لبناء مجتمع صالح مؤمن سالم! و ینبغی الالتفات-ضمنا-إلی أنّ هذا القول لیس خاصّا بآیات القرآن،بل بقرینه الآیات السابقه یشمل سنّه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا و أنّها وفق الوحی،لأنّ هذه الآیه تقول بصراحه«و ما ینطق عن الهوی».

و الحدیث الطریف التالی شاهد آخر علی هذا المدّعی.

یقول العلاّمه السیوطی فی تفسیره الدرّ المنثور: أمر رسول اللّه یوما أن توصد

۱- ۱) -نهج البلاغه،و من کلام له علیه السّلام رقم ۴۲.

جمیع الأبواب المشرفه علی المسجد-من بیوت الصحابه-سوی باب علی فکان هذا الأمر عزیزا علی المسلمین حتّی أنّ حمزه عمّ النّبی عتب علیه و قال:کیف أوصدت أبواب عمّک و أبی بکر و عمر و العبّاس؟!و ترکت باب علی مفتوحا «و فضّلته علی الآخرین؟!»فلمّا علی النّبی أنّ هذا الأمر صعب علیهم دعا الناس إلی المسجد و خطب خطبه عصماء و حمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:«أیّها الناس ما أنا سددتها و لا أنا فتحتها و لا أنا أخرجتکم و أسکنته ثمّ قرأ: وَ النَّجْمِ إِذٰا هَویٰ مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ وَ مٰا غَویٰ وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ الْهَویٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ » (1) .

و هذا الحدیث الذی یکشف عن علوّ مقام أمیر المؤمنین علی بین جمیع الامّه الإسلامیه بعد الرّسول یدلّ علی أنّه لیست أقوال النّبی طبق الوحی فحسب بل حتّی أعماله و أفعاله و تقدیره و سیرته أیضا.

۱- ۱) -تفسیر الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۲۲ من شیء من التلخیص.

الآیات [سوره النجم (۵۳): الآیات ۵ الی ۱۲]

اشاره

عَلَّمَهُ شَدِیدُ اَلْقُویٰ (۵) ذُو مِرَّهٍ فَاسْتَویٰ (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ اَلْأَعْلیٰ (۷) ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰی (۸) فَکٰانَ قٰابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنیٰ (۹) فَأَوْحیٰ إِلیٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحیٰ (۱۰) مٰا کَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأیٰ (۱۱) أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ (۱۲)

التّفسیر

اشاره

أوّل لقاء مع الحبیب:

تعقیبا علی الآیات المتقدّمه التی تحدّثت عن نزول الوحی علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یجری الکلام فی هذه الآیات عن معلّم الوحی.

و لکن ینبغی قبل کلّ شیء الالتفات إلی أنّ هذه الآیات تبدو لأوّل وهله و کأنّها محاطه بهاله من الإبهام ممّا یستلزم أن تبحث فی معطیاتها و مفاهیمها بدقّه کامله لإزاله الإبهام عنها،فتتناول أوّلا تفسیرها الإجمالی ثمّ نتناولها بالتفصیل! تقول الآیه:إنّ من له تلک القدره العظیمه هو الذی علم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُویٰ .

و للتأکید أکثر تضیف الآیه بعدها إنّه ذو قدره خارقه و متسلّط علی کلّ شیء:

ص: ۲۱۱

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ

.

و قد علّمه هذا التعليم عند ما كان بالأفق الأعلى: وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ .

ثمّ اقترب و اقترب حتّى كان بفاصله قوسين من معلّمه أو أقل ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ثمّ أنّ اللّه تعالى أنزل عليه الوحى فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلىٰ مٰا يَرىٰ .

و هناك فى تفسير هذه الآيات نظريتان إحداهما مشهوره،و الاخرى مغموره...

و لكن يلزمنا أن نتناول بعض مفردات الآيات بالإيضاح ثمّ بيان التّفسيرين المختلفين.

«المرّه»..كما يقول أرباب اللغه و أهلها معناها الفتل،و حيث أنّ الحبل كلّما فتل أكثر كان أشدّ إحكاما و قوّه..فإنّ هذه الكلمه استعملت فى الأمور الماديه أو المعنويه المحكمه و القويّه.

و قال بعض المفسّرين:المرّه مأخوذه من المرور،فمعناها العبور،لكن هذا الرأى لا ينسجم مع ما كتبه أهل اللغه فى هذا الصدد.

«تدّلى»فعل مأخوذ من التدلّى على وزن تجلّى،و معناه كما يقول الراغب فى مفرداته الاقتراب،فبناء على ذلك فهو تأكيد على جمله«دنا»الوارده قبله،و كلا الفعلين بمعنى واحد تقريبا.

على أنّ بعض المفسّرين فرّق بين الفعلين فى المعنى فقال:«التدلّى»معناه التعلّق بالشىء كتعلّق الثمر بالشجر و لذلك يقال فى الأثمار المتدلّيه من أشجارها «دوالى» (١) .

«قاب»بمعنى مقدار-و«قوس»(معروف معناه)و هو ما يوضع فى وتره السهم ليرمى به فمعنى«قاب قوسين»..قدر طول قوسين.

١- ١) -مقتبس من«روح المعانى»ذيل الآيات محلّ البحث.

و فسّر بعضهم«القوس»بأنّه المقياس فهو مشتقّ من القياس،و حيث انّ مقياس العرب[الذراع]

و هو ما بين الزند و المرفق فيكون معنى«قاب قوسين» على هذا الرأى:مقدار ذراعين.

و ورد فى بعض كتب اللغه لكلمه«قاب»معنى آخر،هو الفاصله بين محل اليد من القوس إلى نقطه انتهاء القوس.

فبناء على هذا فإنّ«قاب قوسين»معناه مجموع انحناء القوس(فلاحظوا بدقّه) (۱) .

-بعد هذا كلّه لنرجع إلى التّفسيرين- فالنظريه المشهوره الاولى تقول أنّ معلّم النّبى أمين الوحى جبرئيل الذى له قدره خارقه.

و كان يأتى النّبى بصوره رجل حسن الطلعه و يبلّغه رساله اللّه،و ظهر للنّبى بصورته الحقيقيّه مرّتين طوال فتره رساله النّبى و عمره الشريف.

المرّه الاولى هى ما تشير إليه الآيات محلّ البحث،إذ ظهر فى الأفق الأعلى فطبق المشرق و المغرب جميعهما،و كان عظيما حتّى أنّه هال النبى،ثمّ دنا فاقترب من النّبى فلم يكن بينهما مسافه بعيده إلاّ بمقدار ذراعين،و التعبير ب«قاب قوسين»كنايه عن منتهى الاقتراب.

و المرّه الثانيه-ظهر له-فى معراجه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سنبيّن ذلك فى الآيات المقبله التى تتحدّث عن هذا الأمر بإذن اللّه.

و يرى بعض المفسّرين ممّن اختار هذه النظريه بأنّ اللقاء الأوّل الذى ظهر له جبرئيل فيها بصورته الحقيقيّه كان فى غار حراء الواقع فى جبل النور (۲) .

۱- ۱) -قالوا:هنا قلب فى الكلام،و أصله فكان قابى قوس.

۲- ۲) -هذا التّفسير و هو أنّ المراد من«شديد القوى»«جبرئيل»اختاره جماعه كثيرون منهم الطبرسى فى مجمع البيان،

إلّا أنّ هذه النظريه بالرغم ممّا لها من أتباع كثيرين لا تخلو من إشكالات مهمّه:

۱-فی الآیه: فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ مرجع الضمیر فی«عبده»هو اللّه بلا شکّ،مع أنّه لو کان«شدید القوی»یعنی جبرئیل فإنّ جمیع الضمائر فی الآیات بعده تعود علیه...صحیح أنّه یمکن أن یعرف أنّ موضوع هذه الآیه خارج عن الآیات الآخر من خلال القرائن الموجوده فیها،إلّا أنّ اضطراب السیاق فی الآیات،و عدم تناسق عود الضمائر خلاف الظاهر قطعا! ۲- شَدِیدُ الْقُویٰ :هذا التعبیر الذی یعنی من له قوی خارقه إنّما یناسب ذات اللّه المقدّسه فحسب،صحیح أنّ الآیه(۲۰)من سوره التکویر تعبّر عن جبرئیل ب ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ إلاّ أنّ بین شَدِیدُ الْقُویٰ الواسع فی مفهومه و بین«ذی قوّه»المذکوره فیه کلمه«قوّه»بصیغه التنکیر و الإفراد فرقا کبیرا.

۳-جاء فی الآیات التالیه أنّ النّبی رآه«عند سدره المنتهی»(فی السماء العلیا)و لو کان المقصود منه جبرئیل فهو کان مع النّبی فی معراجه من بدایه المعراج إلی المنتهی،و لم یره النّبی عند سدره المنتهی فحسب..إلّا أن یقال رآه فی الأرض بصوره بشر و فی السماء بصورته الحقیقیّه..و لا قرینه علی ذلک فی الآیات.

۴-التعبیر ب«علّمه»-و أمثاله لم یرد فی القرآن فی شأن جبرئیل أبدا،بل هو فی شأن تعلیم اللّه نبیّه محمّدا و أنبیاءه الآخرین،و بتعبیر آخر فإنّ جبرئیل لم یکن معلّم النّبی محمّد،بل أمین وحیه،و معلّمه اللّه فحسب.

۲)

و البیضاوی فی أنوار التنزیل،و الزمخشری فی الکشّاف،و القرطبی فی تفسیره روح البیان،و الفخر الرازی فی تفسیره الکبیر،و سیّد قطب فی تفسیره فی ظلال القرآن،و المراغی فی تفسیره و تعبیرات العلاّمه الطباطبائی فی میزانه تحمیل إلی هذا الرأی أیضا..

۵-صحیح أنّ جبرئیل ملک له مقام رفیع،إلاّ أنّه من المقطوع به أنّ مقام النّبی أعلی منه شأنا:کما ورد فی قصّه المعراج أنّه کان یصعد-فی المعراج-مع النّبی فوصلا إلی نقطه فتوقّف جبرئیل عن الصعود و قال للنبی:

«لو دنوت قید أنمله لاحترقت» إلاّ أنّ النّبی واصل سیره و صعوده!.

فمع هذه الحال فإنّ رؤیه جبرئیل فی صورته الأصلیه لا تتناسب و الأهمیّه المذکوره فی هذه الآیات،و بتعبیر أکثر بساطه:لم تکن رؤیه النّبی لجبرئیل علی تلک الأهمیّه..فمع أنّ هذه الآیات اهتمّت بهذه الرؤیه اهتماما بالغا! ۶-جمله: مٰا کَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأیٰ هی أیضا دلیل علی الرؤیه القلبیه لا البصریه الحسّیه لجبرئیل.

۷-ثمّ بعد هذا کلّه فما ورد من الرّوایات عن أهل البیت لا یفسّر هذه الآیات بأنّها فی رؤیه النّبی لجبرئیل،بل الرّوایات موافقه للتفسیر الثانی القائل بأنّ المراد من هذه الآیات الرؤیه الباطنیه(القلبیه)لذات اللّه المقدّسه التی تجلّت للرسول و تکرّرت فی المعراج و اهتزّ لها النّبی و هالته (۱) .

ینقل الشیخ الطوسی فی أمالیه عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال:

«لمّا عرج بی إلی السماء دنوت من ربّی عزّ و جلّ حتّی کان بینی و بینه قاب قوسین أو أدنی» (۲) .

و

ینقل الشیخ الصدوق رحمه اللّه فی علل الشرائع المضمون ذاته عن هشام بن الحکم عن الإمام موسی بن جعفر علیه السّلام من حدیث طویل أنّه قال: «فلمّا أسری بالنّبی و کان من ربّه کقاب قوسین أو أدنی رفع له حجاب من حجبه» (۳) .

۱- ۱) -فی دعاء الندبه تعبیر یناسب هذا المعنی أیضا إذ یقول:یا ابن من دنا فتدلّی فکان قاب قوسین أو أدنی دنوا و اقترابا من الملأ الأعلی و فی ذیل هذا الدعاء ورد بعض القاب اللّه«شدید القوی»إذ یقول:و أره سیّده یا شدید القوی..

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۴۹.

۳- ۳) -المصدر السابق

و فى تفسير على بن إبراهيم ورد أيضا:«ثمّ دنا-يعنى رسول اللّه-من ربّه عزّ و جلّ» (۱) و قد ورد هذا المعنى فى روايات متعدّده و لا يمكن عدم الاكتراث بهذا المعنى.

كما ورد هذا المعنى فى روايات أهل السنّه،إذ نقل صاحب«الدّر المنثور» ذلك عن ابن عبّاس من طريقين (۲) .

فمجموع هذه القرائن يدعونا إلى إختيار التّفسير الثانى القائل بأنّ المراد من «شديد القوى»هو اللّه،و أنّ النّبى كان قد اقترب من اللّه تعالى أيضا.

و يبدو أنّ ما دعا أغلب المفسّرين إلى الإعراض عن هذا التّفسير(الثانى) و أن يتّجهوا إلى التّفسير(الأوّل)هو أنّ هذا التّفسير فيه رائحه التجسّم،و وجود مكان للّه،مع أنّه من المقطوع به أنّه لا مكان له و لا جسم: لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصٰارَ ، (۳) فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ، (۴) وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ (۵) و لعلّ مجموع هذه المسائل أيضا جعل بعض المفسّرين يظهر عجزه عن تفسير هذه الآيات و يقول:هى من أسرار الغيب الخفيّه علينا.

قيل أنّهم سألوا بعض المفسّرين عن تفسير هذه الآيات فقال:إذا كان جبرئيل غير قادر على بلوغ ذلك المكان فمن أنا حتّى أدرك معناه (۶) ؟! و لكن بملاحظه أنّ القرآن كتاب هدايه و هو نازل ليتدبّر الناس و يتفكّروا فى آياته فقبول هذا المعنى مشكل أيضا.

إلاّ أنّنا إذا أخذنا بنظر الإعتبار أنّ المراد من هذه الآيات هو نوع من الرؤيه

۱- ۱) -المصدر ذاته،ص ۱۴۸.

۲- ۲) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۲۳.

۳- ۳) -سوره الأنعام،الآيه ۱۰۳.

۴- ۴) -سوره البقره،الآيه ۱۱۵.

۵- ۵) -سوره الحديد،الآيه ۴.

۶- ۶) -روح المعانى،ج ۹،ص ۲۱۹.

الباطنيه و القرب المعنوى الخاصّ فلا تبقى أيّه مشكله حينئذ.

توضيح ذلك:ممّا لا شكّ فيه أنّ الرؤيه الحسّيه للّه غير ممكنه لا فى الدنيا و لا فى الاخرى..لأنّ لازمها جسمانيّته و ماديّته،و لازم ذلك أيضا تغيّره و تحوّله و فساده و أنّه يحتاج إلى الزمان و المكان،و هو مبرّأ عن كلّ ذلك لأنّه واجب الوجود.

إلاّ أنّ اللّه سبحانه يمكن رؤيته بالرؤيه العقليه و القلبيه،و هو ما أشار إليه أمير المؤمنين فى جوابه على«ذعلب اليمانى»:

«لا تدركه العيون بمشاهده العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» (۱) .

لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الرؤيه الباطنيه على نحوين:رؤيه عقلانيه و تحصل عن طريق الاستدلال.و اخرى رؤيه قلبيه،و هى إدراك فوق إدراك العقل و رؤيه وراء رؤيته! هذا المقام لا ينبغى أن يدعى بمقام الاستدلال،بل هو المشاهده،مشاهده قلبيه باطنيه،و هذا المقام يحصل لأولياء اللّه على درجاتهم المتفاوته و سلسله مراتبهم..لأنّ الرؤيه الباطنيه هى على مراتب أيضا و لها درجات كثيره،و بالطبع فإنّ إدراك حقيقتها لمن لم يبلغ ذلك المقام فى غايه الصعوبه.

و من الآيات المتقدّمه بما فيها من قرائن مذكوره يمكن أن يستفاد أنّ نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الوقت الذى كان ذا مقام مشهود و فى مقام الشهود،فإنّه بلغ الأوج فى طول عمره مرّتين فنال الشهود الكامل:

الأوّل:يحتمل أنّه كان فى بدايه البعثه،و الثانى فى المعراج،فبلغ مقاما قريبا من اللّه و تكشّفت عنه الحجب الكثيره،مقاما عجز عن بلوغه حتّى جبرئيل الذى هو من الملائكه المقرّبين.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۹.

و واضح أنّ تعابير مثل«فكان قاب قوسين أو أدنى»و أمثال ذلك إنّما هو كنايه عن شدّه القرب،و إلاّ فإنّ اللّه ليس بينه و بين عبده فاصله مكانيه لتقاس بالقوس أو الذراع،و«الرؤيه»فى الآيات-هنا-ليست رؤيه بصريه أيضا،بل الباطنيه القلبيه.

و فى البحوث السابقه فى تفسير«لقاء اللّه»الوارد فى آيات متعدّده على أنّه من ميزات يوم القيامه مرارا قلنا إنّ هذا اللقاء على خلاف ما يتصوّر أصحاب الأفكار القصيره،و العقول الضيّقه بأنّه لقاء حسّى و مادّى،بل هو نوع من الشهود الباطنى و إن كان فى المراحل الدنيا و لا يصل إلى مراحل لقاء الأنبياء و الأولياء للّه،فكيف بمرحله شهود النّبى الكامل ليله المعراج!! و مع ملاحظه هذا التوضيح تزول الإشكالات على هذا التّفسير،و إذا روعيت بعض التعابير المخالفه للظاهر فلم تعامل بالمنطق الضيق و فسّرت بما وراء المسائل الماديه فما يرد من إشكالات على هذا التّفسير لا يعدّ شيئا مهمّا بالقياس إلى ما يرد من إشكالات على التّفسير الأوّل..

فمع الالتفات إلى ما قلناه نمرّ مرورا جديدا على الآيات محلّ البحث و نعالج مضمونها من هذا المنطلق و المنظار! فعلى هذا التّفسير يبيّن القرآن نزول الوحى على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصوره التاليه.

إنّ اللّه الذى هو شديد القوى علّم النّبى فى وقت بلغ حدّ الكمال و الاعتدال فى الأفق الأعلى (۱) .

ثمّ قرب و صار أكثر اقترابا حتّى كان بينه و بين اللّه مقدار قاب قوسين أو أقل و هناك أوحى اللّه إليه ما أوحاه.

و حيث أنّ هذا اللقاء الباطنى يصعب تصوّره لدى البعض،فانّه يؤكّد أنّ ما رآه

۱- ۱) -الضمير فى:فاستوى و الضمير فى:و هو بالأفق الأعلى يمكن أن يعودا على شخص النبى،كما يمكن أن يعودا على ذات اللّه المقدّسه.

قلب النّبی کان حقّا و صادقا و لا ینبغی تکذیبه أو مجادلته.

و کما بیّنا فإنّ تفسیر هـذه الآیات بشـهود النّبی الباطنی للّه تعالی هو أکثر صـحّه و أکثر انسـجاما و موافقه للرّوایات الإسـلامیه،و أکرم فضیله للنبی،و مفهومها أجمل و ألطف،و اللّه أعلم بحقائق الأمور (1) .

و نختم هذا البحث بحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و آخر عن علی علیه السّلام.

-1

سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم«هل رأیت ربّک؟فأجاب:«رأیته بفؤادی» (2) .

2-و

فی خطبه الإمام علی(179)فی نهـج البلاغه إذ سأله ذعلب الیمانی:هل رأیت ربّک یا أمیر المؤمنین؟ فأجاب:«أ فأعبد ما لا أراه..» ثمّ أشار سلام اللّه علیه بتفصیل ما بیّنه آنفا.

1- 1) -لا بأس بذکر هذه اللطیفه هنا إجمالا و هی أنّ المعراج هل حدث للنبی مرّه فی عمره أو مرّتین؟هناک کلام بین العلماء. و لعلّ هذه الآیات فیها إشاره إلی شهودین فی معراجین.

2- 2) -بحار الأنوار،ج 18،ص 287 ذیل مبحث المعراج.

الآيات [سوره النجم (۵۳): الآيات ۱۳ الی ۱۸]

اشاره

وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرىٰ (۱۳) عِنْدَ سِدْرَهِ اَلْمُنْتَهىٰ (۱۴) عِنْدَهٰا جَنَّهُ اَلْمَأْوىٰ (۱۵) إِذْ يَغْشَى اَلسِّدْرَهَ مٰا يَغْشىٰ (۱۶) مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ (۱۷) لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ اَلْكُبْرىٰ (۱۸)

التّفسير

اشاره

الرّؤيه الثّانيه:

هـذه الآيـات هی أيضـا تتمّه للأبحـاث السـابقه فی شأن مسأله الوحی و ارتباط النّبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم باللّه و الشـهود الباطنی.

إذ تقول: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرىٰ أی مرّه ثانيه،و كان ذلک عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهىٰ أی عند شجره سدر فی الجنّه تدعی بسدره المنتهی و محلّها فی جنّه المأوی عِنْدَهٰا جَنَّهُ الْمَأْوىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَهَ مٰا يَغْشىٰ .

هـذه حقـائق واقعيّه شاهـدها النّبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم بـامّ عينيه و مٰا زٰاغَ الْبَصَـرُ وَ مٰا طَغىٰ (۱) لَقَـدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ .

ص : ۲۲۰

---

۱ – ۱) –الفعـل«طغی»مضـارعه يطغو،و طغی مضـارعه يطغی،و بـاب الأـول نصـر ينصـر،و باب الثانی فرح يفرح،و كلاهما بمعنی واحد،و من هذا القبيل صغا يصغو و صغی يصغی.

و كما نلاحظ فى هذه الآيات فإنّ البدو الإبهامى الذى كان يحيط الآيات المتقدّمه يحيط هذه الآيات أيضا التى تتضمّن ظلالا من المواضيع السابقه،و من أجل أن نفهم مفاد هذه الآيات لا بدّ من الرجوع إلى مفرداتها اللغويه أيضا.

النزله:هى النّزول مرّه واحده،فالنزله الاخرى تعنى نزولا آخر، و يستفاد من هذا التعبير أنّه حدثت نزلتان،و هذا الموضوع يتعلّق بالنزله الثانيه (۱) .

و السدره:على وزن حرفه-طبقا لتفسير أغلب علماء اللغه هى شجره وريقه و ريفه الظلال و التعبير ب سِدْرَهِ الْمُنْتَهىٰ إشاره إلى شجره و وريقه ذات ظلال و ريفه فى أوج السماوات فى منتهى ما تعرج إليه الملائكه و أرواح الشهداء و علوم الأنبياء و أعمال الناس.و هى مستقرّه فى مكان لا تستطيع الملائكه أن تتجاوزه..

و حين بلغ جبرئيل أيضا فى معراجه مع النّبى إلى ذلك المكان توقّف عنده و لم يتجاوزه! و رغم أنّه لم يرد توضيح عن سدره المنتهى فى القرآن الكريم،إلاّ أن الأخبار و الرّوايات الإسلاميه ذكرت لها أوصافا كثيره..و جميعها كاشف عن أنّ انتخاب هذا التعبير هو لبيان نوع من التشبيه و لغاتنا قاصره عن بيان مثل هذه الحقائق الكبرى.

ففى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «رأيت على كلّ ورقه من أوراقها ملكا قائما يسبّح اللّه تعالى» (۲) .

كما

جاء عن الإمام الصادق عليه السّلام نقلا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «انتهيت إلى سدره المنتهى و إذا الورقه منها تظلّ امّه من الأمم» (۳) .

ص: ۲۲۱

۱- ۱) -قال بعض أصحاب(اللغه)و المفسّرين معنى النزله هنا«مرّه»و ليس المراد منها النّزول،فالنزله الاخرى تعنى المرّه الثانيه لا غير،لكن لا ندرى لم عرفوا عن المادّه الأصليه للنزله فى حين أنّ غيرهم أشاروا إليها و فسّروها بما بيّنا آنفا [فلاحظوا بدقّه] .

۲- ۲) -مجمع البيان:ذيل الآيات محلّ البحث.

۳- ۳) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۵۵

و هذه التعابير تشير إلى أنّ المراد من هذه الشجره ليس كما نألفه من الأشجار المورقه و الباسقه على الأرض أبدا،بل إشاره إلى ظلّ عظيم فی جوار رحمه اللّه و هناک محلّ تسبیح الملائکه و مأوى الأمم الصالحه.

أمّا جَنَّهُ الْمَأْوىٰ فمعناها الجنّه التی يسكن فيها (۱) و هناک أقوال فی ما هو المراد من هذه الجنّه؟!فبعضهم قال بأنّها«جنّه الخلد»التی أعدّت للمتّقين المؤمنين و مكانها فی السماء،و الآيه(۱۹)من سوره السجده،دليلهم على مدّعاهم فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوىٰ نُزُلاً بِمٰا كانُوا يَعْمَلُونَ ..فهذه الآيه بقرينه ما بعدها تتحدّث عن جنّه الخلد-و لا شکّ أنّها تتحدّث عن جنّه الخلد.

إلاّ أنّنا نجد فی آيه اخرى قوله: وَ سٰارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ ، (۲) فاحتمل بعض المفسّرين أنّ جنّه المأوى التی فی السماء غير جنّه الخلد التی عرضها السماوات و الأرض.

لذلک فقد فسّر بعضهم«جنّه المأوى»بأنّها مكان خاصّ فی جنّه الخلد،و هی قريبه من سدره المنتهى و معدّه للمخلصين! و ربّما فسّرها بعضهم بأنّها«جنّه البرزخ»التی تحلّ فيها أرواح الشهداء و المؤمنين بصوره مؤقته.

و يبدو أنّ التّفسير الأخير أنسب التفاسير و أقربها،و ممّا يدلّ عليه بجلاء أنّنا نقرأ فی كثير من الرّوايات الوارده فی المعراج أنّ النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأى جماعه متنعّمين فی الجنّه،مع أنّنا نعرف أنّه لن يدخل جنّه الخلد أحد قبل يوم القيامه،لأنّ آيات القرآن تشير بوضوح أنّ المتّقين يدخلون الجنان بعد الحساب[فی يوم القيامه]

لا بعد الموت مباشره و أنّ أرواح الشهداء أيضا فی جنّه برزخيه لأنّهم أيضا

۱- ۱) -المأوى فی الأصل معناه الانضمام،و حيث أنّ سكون الأفراد فی محلّ ما يسبّب انضمام بعضهم لبعض فقد استعملت هذه الكلمه«المأوى»على محلّ السكن مطلقا.

۲- ۲) -آل عمران،الآيه ۱۳۳.

لا يدخلون جنّه الخلد قبل يوم القيامه.

و الآيه: مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ إشاره إلى أنّ بصر النبى،و أنّ عينيه الكريمتين لم تميلا يمنه و لا يسره و لم تجاوزا حدّهما،و ما رآه النّبى بعينيه هو عين الواقع،لأنّ«زاغ»من مادّه زيغ معناه الانحراف يمينا أو شمالا،و«طغى»من الطغيان،معناه التجاوز عن الحدّ،و بتعبير آخر إنّ الإنسان حين يرى شيئا فيخطئ رؤيته و لا يلتفت إليه بدقّه فإمّا أنّه يلتفت يمنه و يسره أو إلى ما ورائه (۱) .

و الآن و حيث فرغنا من تفسير مفردات الآى نعود إلى التّفسير العامّ للآيات.

نعود مرّه اخرى إلى النظريتين فى تفسير الآيه.

فقال جماعه من المفسّرين بأنّ الآيات ناظره إلى مشاهده النّبى للمرّه الثانيه جبرئيل فى صورته الحقيقيّه عند نزوله من المعراج عند سدره المنتهى و لم يزغ بصره فى رؤيه الملك و لم يخطئ أبدا.

و النّبى رأى فى هذه الحال بعضا من آيات اللّه الكبرى،و المقصود بها هى رؤيه جبرئيل فى صورته الواقعيه،أو بعض آيات السماء فى عظمتها و عجائبها،أو كلتيهما.

إلاّ أنّ الإشكالات الوارده على التّفسير السابق ما تزال باقيه هنا،بل تضاف إلى تلك الإشكالات إشكالات أخر و منها:

إنّ التعبير ب نَزْلَةً أُخْرىٰ حسب هذا التّفسير ليس فيه مفهوم واضح،لكن بحسب التّفسير الثانى يكون المعنى إنّ النّبى رأى اللّه فى شهود باطنى عند معراجه فى السماء،و بتعبير آخر نزل اللّه مرّه اخرى على قلب النّبى و تحقّق الشهود الكامل فى(المنتهى إليه)القريب إلى اللّه من عباده عند سدره المنتهى حيث جنّه المأوى و السدره تغطّيها حجب من أنوار اللّه.

۱- ۱) -جاء فى تفسير الميزان أنّ الزيغ هو الخطأ فى مشاهده كيفيه الشىء و أنّ الطغيان فى البصر هو الخطأ فى أصل الرؤيه إلاّ أنّه لا دليل واضح على هذا التفاوت..بل ما ورد فى اللغه هو ما بيّناه فى المتن.

و رؤيه قلب النّبى فى هذا الشهود لم تكن بغير الحقّ أبدا،و لم ير سواه،و لقد رأى من دلائل عظمه اللّه فى الآفاق و الأنفس أيضا و شاهدها بعينيه.

و مسأله الشهود الباطنى كما أشرنا إليها من قبل هى نوع من الإدراك أو الرؤيه التى لا تشبه الإدراكات العقليه و لا الإدراكات الحسيّه التى يدركها الإنسان بواسطه الحواس الظاهره،و لعلّه يشبه من بعض الجهات بعلم الإنسان بوجود نفسه و أفكاره و تصوّراته.

توضيح ذلك..انّنا نوقن بوجود أنفسنا و ندرك أفكارنا و نعرف إرادتنا و ميولنا النفسيّه،إلّا أنّ مثل هذه المعرفه لم تحصل لا عن طريق الاستدلال و لا ـ عن طريق المشاهده الظاهريه بل هى نوع من الشهود الباطنى لنا،و عن هذا الطريق وقفنا على وجودنا و روحياتنا.

و لذلك فإنّ العلم الحاصل عن الشهود الباطنى لا يقع فيه الخطأ،لأنّه لم يحصل عن طريق الاستدلال الذى قد يقع الخطأ فى مقدّماته،و لا عن طريق الحسّ الذى قد يقع الخطأ فيه بواسطه الحواس.

صحيح أنّنا لا نستطيع أن نكشف حقيقه الشهود الذى حصل للنبى ليله المعراج فى رؤيته اللّه عزّ و جلّ إلّا أنّ المثال الذى ذكرناه مناسب للتقريب..

و الرّوايات الإسلاميه بدورها خير معين لنا فى هذا الموضوع.

بحوث

اشاره

۱-المعراج حقيقه مقطوع بها

لا خلاف بين علماء الإسلام فى أصل معراج النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالآيات تشهد على ذلك سواء فى هذه السوره محل البحث أو فى بدايه سوره الإسراء،و كذلك الرّوايات المتواتره.

غایه ما فی الأمر أنّ بعض المفسّرین و لأحکامهم المسبّقه لم یستطیعوا أن یتقبّلوا صعود النّبی بجسده و روحه إلی السماء،ففسّروه بـالمعراج الروحـانی و ما یشـبه حاله الرؤیا و المنام!!مع أنّ هـذا الصـعود أو المعراج الجسـمانی للنبی لا إشـکال فیه عقلا و لا من ناحیه العلوم المعاصره،و قد بیّنا تفصیل هذا الموضوع فی تفسیر سوره الإسراء بشکل مبسّط!.

فبناء علی هذا لا داعی للإعراض عن ظاهر الآیات و صریح الرّوایات لمجرّد الاستبعاد..

ثمّ بعـد هـذا کلّه فالتعـابیر فی الآیات هـذه تشـیر إلی أنّ جماعه جادلوا فی هـذه المسأله،و التاریـخ یقول أیضا إنّ مسأله المعراج أثـارت نقاشـا حـادّا بین المخـالفین! فلو أنّ النّبی کـان یـدّعی المعراج الروحانی و ما یشـبه الرؤیا لم یکن لهـذا النقاش محلّ من الإعراب.

۲-ما هو الهدف من المعراج؟

الهدف من المعراج هو بلوغ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم مرحله الشـهود الباطنی من جهه، و رؤیه عظمه اللّه فی السـماوات بالبصر الظاهری من جهه اخری و التی أشارت إلیه آخر آیه من الآیات محلّ البحث: لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ الْکُبْریٰ .

و فی الآـیه الاـولی من سوره الإسـراء: لِنُرِیَهُ مِنْ آیٰاتِنٰا و الاطلاـع علی مسائل مهمّه-کثیره-کأحوال الملائکه و أهل الجنّه و أهل النار و أرواح الأنبیاء و التی کانت مصدر إلهام للنبی طوال عمره الشریف فی تعلیم و تربیه الناس.

۳-المعراج و الجنّه

یسـتفاد من الآیات-محلّ البحث-أنّ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم مرّ بالجنّه لیله المعراج و دخلها،و سواء أ کانت هذه الجنّه هی جنّه الخلد کما قال بها جماعه من المفسّرین أو جنّه البرزخ کما اخترناه،فإنّ النّبی علی أیّه حال-رأی مسائل مهمّه من

مستقبل الناس فی هذه الجنّه،و قد جاء بیان ذلک فی الرّوایات الإسلامیه،و سنشیر إلی قسم منها.

۴-المعراج فی الرّوایات الإسلامیه:

من جمله المسائل المهمّه فی قضیّه المعراج و التی کان لها دور مهمّ فی إثاره التشکیکات من قبل البعض فی أصل قضیّه المعراج هو وجود روایات ضعیفه أو مدسوسه ضمن روایاته حتّی أنّ العلاّمه الطبرسی قال:یمکن تقسیم روایات المعراج إلی أربعه أقسام:

أ-الرّوایات القطعیّه لتواترها«کأصل مسأله المعراج».

ب-الرّوایات المنقوله من مصادر معتبره،و هی مشتمله علی مسائل لا مانع عقلا من قبولها کالرّوایات الحاکیه عن مشاهده النّبی لکثیر من آیات عظمه اللّه فی السماوات! ج-الرّوایات التی لا یتنافی ظاهرها مع ما لدینا من الأصول المستقاه من آیات القرآن و الرّوایات الإسلامیه المقطوع بها..إلاّ أنّها مع ذلک تقبل التوجیه، کالرّوایات القائله بأنّ النّبی رأی جماعه من أهل الجنّه ینعمون فی الجنّه و جماعه من أهل النار یعذّبون فیها«فینبغی أن تؤول بأنّ المراد من الجنّه و النار هو جنّه البرزخ و ناره»..حیث أنّ أرواح المؤمنین و الشهداء فی الاولی متنعّمه و أرواح الکفّار و المشرکین فی الثانیه«معذّبه» (۱) .

د-الرّوایات المشتمله علی مطالب باطله و عاریه عن الصحّه و محتواها یدلّ علی أنّها مدسوسه أو مجعوله،کالرّوایات القائله بأنّ النّبی رأی اللّه بعینیه و بصره

۱- ۱) -جاء فی آیات القرآن«أنّ المتّقین یساقون إلی الجنّه زمرا و أنّ الکفّار یساقون إلی النار زمرا(الزّمر الآیات ۷۱-۷۳) و جاء هذا المعنی فی سوره اخری کالآیه(۷۰)من الزخرف،و الآیتین(۸۵)و ۸۶)من سوره مریم،و الآیه(۴۷)من سوره الدخان.

الظاهری أو تکلّم معه أو شاهده،فهذه الرّوایات و أمثالها مجعوله قطعا،إلاّ أن تفسّر بالشهود الباطنی.

بعد ملاحظه هذا التقسیم نلقی الضوء علی روایات المعراج،حیث یستفاد من مجموع هذه الرّوایات أنّ النّبی واصل معراجه إلی السماء خلال مراحل عدیده.

۱-المرحله الاولی:و هی ما بین المسجد الحرام و المسجد الأقصی و قد أشیر إلیها فی الآیه الاولی من سوره الإسراء: سُبْحانَ الَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی .

و تقول بعض الرّوایات أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نزل فی المدینه أثناء إسرائه مع جبرئیل فصلّی بها (۱) .

کما صلّی أیضا فی المسجد الأقصی مع أرواح الأنبیاء العظام کإبراهیم و موسی و عیسی علیهم السّلام،و کان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إمامهم فی الصلاه،ثمّ بدأ المعراج إلی السماوات السبع (۲) فجابهنّ سماء بعد سماء و واجه فی کلّ سماء مشاهد جدیده، فالتقی الملائکه و النبیین فی بعضها،و الجنّه و أهلها فی بعضها،و النار و أهلها فی بعضها،و حمل من کلّ فی خاطره و روحه ذکریات قیّمه،و شاهد فی عجائب کلّ واحده منها رمز من رموز عالم الوجود و سرّ من أسراره،و بعد عودته ذکرها لامّته صراحه أحیانا و بالکنایه أو المجاز أحیانا،و کان یستلهم منها لتربیه أمّته و تعلیمه بکثره.

و هذا الأمر یدلّ علی أنّ واحدا من أهداف هذا السفر السماوی الاستفاده من النتائج العرفانیّه و التربویه لهذه المشاهدات،و التعبیر القرآنی الغزیر لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ الْکُبْریٰ فی هذه الآیات محلّ البحث یمکن أن یکون إشاره إجمالیه

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۸،ص ۳۱۹.

۲- ۲) -طبقا لبعض آیات القرآن کالآیه السادسه من سوره الصافات: إِنّٰا زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِزِینَهٍ الْکَوٰاکِبِ ما نراه من العالم العلوی من النجوم و المجرّات هو فی السماء الاولی فحسب أمّا السماوات الستّ الاخری فهی فوقها..

لجميع هذه الأمور.

و كما ذكرنا آنفا فإنّ الجنّه و النار اللتين رآهما النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى معراجه و الأشخاص الذين كانوا منعّمين أو معذّبين فيهما لم تكونا جنّه القيامه و نارها،بل هما جنّه البرزخ و ناره،لأنّه كما أشرنا سابقا طبقا لآيات القرآن فإنّ الجنّه و النار تكونان بعد يوم القيامه و الفراغ من الحساب معدّتين للمتّقين و المسيئين.

و أخيرا وصل النّبى إلى السماء السابعه و رأى حجبا من النور هناك حيث «سدره المنتهى»و«جنّه المأوى»و بلغ النّبى هناك و فى العالم النورانى أوج الشهود الباطنى و القرب إلى اللّه قاب قوسين أو أدنى...و خاطبه اللّه هناك و أوحى إليه تعاليم مهمّه و أحاديث كثيره نراها اليوم فى الرّوايات الإسلاميه تحت عنوان الأحاديث القدسيّه،و سنعرض قسما منها بإذن اللّه فى الفصل المقبل.

الطريف هنا هو أنّ الرّوايات الكثيره تصرّح بأنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأى أخاه و ابن عمّه عليا فى مراحل مختلفه من معراجه بصوره مفاجئه،و ما نجده من التعابير فى هذه الرّوايات كاشف عن مدى مقام على و فضله بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و على الرغم من كثره الرّوايات فى شأن المعراج فهناك تعابير مغلقه ذات أسرارا ليس من الهيّن كشف محتواها و هى كما يصطلح عليها من الرّوايات المتشابهه..أى الرّوايات التى ينبغى إحاله تفسيرها على أهل بيت العصمه! (لمزيد الاطلاع تراجع الرّوايات فى هذا الصدد بالجزء ۱۸ من بحار الأنوار من الصفحه ۲۸۲ إلى ۴۱۰).

و قد ذكرت كتب أهل السنّه روايات المعراج بشكل موسّع بحيث نقل ثلاثون راويه من رواتهم حديث المعراج (۱) .

و هنا ينقدح السؤال التالى و هو:كيف تمّ كلّ هذا السفر الطويل و هذه

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۱۳،ص ۲۹(ذيل الآيات الاولى من سوره الإسراء بحث روائى).

المشاهدات العجيبه و المتنوّعه و الأحداث الطويله فى ليله واحده،بل فى جزء منها؟! و لكن يتّضح الجواب على السؤال بملاحظه أنّ سفر المعراج لم يكن سفرا بسيطا كالمعتاد حتى يقاس بالمعايير المعتاده!فلا السفر كان طبيعيّا و لا وسيلته و ركوبه و لا مشاهده و لا أحاديثه و لا المعايير الوارده فيها كمعاييرنا المحدوده و الصغيره على كرتنا الأرضيه فكلّ شىء كان فى المعراج خارقا للعاده!و كان وفق مقاييس خارجه عن زماننا و مكاننا.

فبناء على هذا لا مجال للعجب أن تقع كلّ هذه الأمور بمقياس ليله أو أقل من ليله من مقاييس-الكره الأرضيه-الزمانيه[فلاحظوا بدقّه]

.

۵-جانب من إيحاءات اللّه و كلماته لرسوله فى ليله المعراج:

وردت فى كتب الأحاديث روايه عن أمير المؤمنين على عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى هذا الشأن«المعراج»و هى مفصّله و طويله نذكر جانبا منها و فيها مطالب تكشف عن أحداث و أحاديث تلك الليله التأريخيه و كيف إنّها بلغت أوج السمو و الرفعه.

و نقرأ فى بدايه

الحديث أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سأل اللّه سبحانه:يا ربّ أىّ الأعمال أفضل؟! فقال تعالى:«ليس شىء عندى أفضل من التوكّل علىّ و الرضا بما قسمت، يا محمّد!وجبت محبّتى للمتحابّين فىّ و وجبت محبّتى للمتعاطفين فىّ و وجبت محبّتى للمتواصلين فىّ،و وجبت محبّتى للمتوكّلين علىّ و ليس لمحبّتى علم و لا غايه و لا نهايه.

و هكذا تبدأ الأحاديث من المحبّه،المحبّه الشامله و الواسعه،و أساسا فإنّ عالم الوجود يدور حول هذا المحور!

ص :۲۲۹

و جاء فی جانب آخر:«

یا أحمد (۱) فاحذر أن تکون مثل الصبی إذا نظر إلی الأخضر و الأصفر أحبّه و إذا اعطی شیء من الحلو و الحامض اغترّ به،فقال:یا ربّ دلّنی علی عمل أتقرّب به إلیک قال:اجعل لیلک نهارا و نهارک لیلا قال:ربّ و کیف ذلک؟قال:اجعل نومک صلاه و طعامک الجوع.

کما جاء فی مکان آخر منه:

یا أحمد محبّتی محبّه للفقراء فادن الفقراء و قرّب مجلسهم منک ادنک و بعد الأغنیاء و بعد مجلسهم منک فإنّ الفقراء أحبّائی.

و جاء فی موضع آخر أیضا:

یا أحمد أبغض الدنیا و أهلها و أحبّ الآخره و أهلها قال یا ربّ و من أهل الدنیا و من أهل الآخره؟قال:أهل الدنیا من کثر أکله و ضحکه و نومه و غضبه قلیل الرضا لا یعتذر إلی من أساء إلیه و لا یقبل معذره من اعتذر إلیه،کسلان عند الطاعه،شجاع عند المعصیه،أمله بعید و أجله قریب، لا یحاسب نفسه قلیل المنفعه کثیر الکلام،قلیل الخوف،کثیر الفرح عند الطعام و إنّ أهل الدنیا لا یشرکون عند الرخاء و لا یصبرون عند البلاء،کثیر الناس عندهم قلیل یحمدون أنفسهم بما لا یفعلون،و یدّعون بما لیس فیهم،و یتکلّمون بما یتمنّون و یذکرون مساوئ الناس و یخفون حسناتهم.

قال:یا ربّ،هل یکون سوی هذا العیب فی أهل الدنیا،قال:یا أحمد إنّ عیب أهل الدنیا کثیر فیهم،الجهل و الحمق،لا یتواصفون لمن یتعلّمون منه،و هم عند أنفسهم عقلاء و عند العارفین حمقاء.

ثمّ یتناول الحدیث أهل الجنّه فیقول:

یا أحمد إنّ أهل الخیر و أهل الآخره رقیقه وجوههم کثیر حیاؤهم قلیل حمقهم،

۱- ۱) -ممّا ینبغی الالتفات إلیه أنّ اسم النّبی فی کلّ مکان من هذا الحدیث ورد بلفظ أحمد إلّا فی بدایته،أجل فاسم النّبی فی الأرض محمّد و فی السماء أحمد و لم لا یکون کذلک مع أنّ أحمد بالإضافه إلی أنّه اسم تفضیل مبین للحمد و التکریم أکثر،و قد کان علی النّبی فی تلک اللیله التاریخیه أن یتجاوز من«محمّد»إلی«أحمد»لأنّ الفاصله بین أحمد واحد غیر بعیده.

کثير نفعهم،الناس منهم فی راحه و أنفسهم منهم فی تعب كلامهم موزون، محاسبين لأنفسهم،متعبين لها، تنام أعينهم و لا تنام قلوبهم أعينهم باكيه و قلوبهم ذاكره،إذا كتب الناس فی الغافلين كتبوا من الذاكرين،فی أوّل النعمه يحمدون و فی آخرها يشكرون دعاؤهم عند اللّه مرفوع،و كلامهم مسموع،تفرح الملائكه بهم،الناس(الغفله)عندهم موتی و اللّه عندهم حی قيّوم«و همّتهم عاليه فلا ينظرون إلّا إليه»قد صارت الدنيا و الآخره عندهم واحده يموت الناس مرّه و يموت أحدهم فی اليوم سبعين مرّه«و يحيا حياه جديده»من مجاهده أنفسهم و مخالفه هواهم.

و إن قاموا بين يدی كأنّهم البنيان المرصوص لا أری فی قلبهم شغلا لمخلوق ...فوعزّتی و جلالی لأحيينّهم حياه طيبه إذا فارقت أرواحهم أبدانهم و لا ـ أسلّط عليهم ملك الموت و لا يلی قبض روحهم غيری و لأفتحنّ لروحهم أبواب السماء كلّها و لأرفعنّ الحجب كلّها دونی،و لآمرنّ الجنان فلتزيننّ.

يا أحمد إنّ العباده عشره أجزاء تسعه منها طلب الحلال فإذا طيّبت مطعمک و مشربک فأنت فی حفظی و كنفی.

و جاء فی مكان آخر منه:

يا أحمد هل تدری أیّ عيش أهنا و أیّ أبقی؟قال اللهمّ لا،قال:أمّا العيش الهنیء فهو الذی لا يغترّ صاحبه عن ذكری و لا ينسی نعمتی و لا يجهل حقّی،يطلب رضای فی ليله و نهاره.

و أمّا الحياه الباقيه فهی التی يعمل لنفسه حتّی تهون عليه الدنيا و تصغر فی عينه و تعظم الآخره عنده و يؤثر هوای علی هواه و يبتغی مرضاتی و يعظّم حقّ عظمتی و يذكر علمی به و يراقبنی بالليل و النهار عند كلّ سيّئه أو معصيه و ينقّی قلبه عن كلّ ما أكره و يبغض الشيطان و وساوسه و لا ـ يجعل لإبليس علی قلبه سلطانا...فإذا فعل ذلک أسكنت قلبه حبّا حتّی أجعل قلبه لی و فراغه و اشتغاله و همّه و حديثه من النعمه التی أنعمت علی أهل محبّتی من خلقی..و افتح عين قلبه

و سمعه حتّى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى«و حقائق الغيب».

و أخيرا فإنّ هذا الحديث القدسى الكريم يختتم بهذه العبارات المؤثره!..

يا أحمد لو صلّى العبد صلاه أهل السماء و الأرض و يصوم صيام أهل السماء و الأرض و يطوى من الطعام مثل الملائكه،و لبس لباس العارى ثمّ أرى فى قلبه من حبّ الدنيا ذرّه أو سعتها أو رئاستها أو حليّها أو زينتها لا يجاورنى فى دارى و لأنزعنّ من قلبه محبّتى و عليك سلامى و رحمتى و الحمد للّه ربّ العالمين» (۱) .

هذه الأحاديث القدسيّه«من ربّ العرش»التى تحمل روح الإنسان إلى أوج السماوات معها و تعرج به إلى حاله الشهود هى قسم من الحديث القدسى المشار إليه آنفا.

و نضيف إلى ذلك أنّنا على يقين أنّه كان بين النّبى و محبوبه فى تلك الليله الكريمه أسرار و إشارات و كلمات اخرى لا تستطيع الآذان الإصغاء إليها و لا الأفكار الساذجه استيعابها...و لذلك بقيت فى نفس النّبى طىّ الكتمان فلم يبح بها لأحد إلاّ لخلصائه المختصّين به.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۷،ص ۲۱-۳۰ بشىء من التلخيص.

الآیات [سوره النجم (۵۳): الآیات ۱۹ الی ۲۳]

اشاره

أَ فَرَأَيْتُمُ اَللاّٰتَ وَ اَلْعُزّٰى (١٩) وَ مَنٰاةَ اَلثّٰالِثَةَ اَلْأُخْرىٰ (٢٠) أَ لَكُمُ اَلذَّكَرُ وَ لَهُ اَلْأُنْثىٰ (٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاّٰ أَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى اَلْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ اَلْهُدىٰ (٢٣)

التّفسیر

اشاره

هذه الأصنام ولیده أهوائکم:

بعد بیان الأبحاث المتعلّقه بالتوحید و الوحی و المعراج و آیات عظمه الواحد الأحد فی السماء،یتناول القرآن أفکار المشرکین،فینقضها و یتحدّث عن معتقداتهم الخرافیه..فیقول:بعد أن أدرکتم عظمه اللّه و آیاته فی خلقه فهل أنّ أصنامکم مثل اللات و العزّی و الصنم الثالث و هو«مناه»بإمکانها أن تنفعکم أو تضرّکم: أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّٰتَ وَ الْعُزّٰى وَ مَنٰاةَ الثّٰالِثَةَ الْأُخْرىٰ (۱) ؟!

ص: ۲۳۳

۱- ۱) -سنتحدّث عن الأصنام الثلاثه المشار إلیها فی الآیات محلّ البحث بإذن اللّه،لکن ممّا ینبغی الالتفات إلیه هو التعبیر

مع أنّكم تزعمون أنّ قيمه البنت دون قيمه الولد و لو بلغكم أنّ أزواجكم أنجبن بنات حزنتم و اسودّت وجوهكم!! تِلْكَ إِذاً قِسْمَهٌ ضِيزى (١) فهذه قسمه غير عادله بينكم و بين اللّه تعالى فعلام تجعلون نصيب اللّه دون نصيبكم؟! و هكذا يتناول القرآن أفكارهم الخرافيه مستهزئا بها!و يقول لهم:إنّكم ترون البنت عارا و ذلّه و تئدونها و هى حيّه فى القبر،و فى الوقت ذاته تزعمون بأنّ الملائكه بنات اللّه،و لا تعبدون الملائكه من دون اللّه فحسب بل تصنعون لها التماثيل و تجعلون لها تلك القدسيّه!و تسجدون لها و تلتجئون إليها لحلّ مشاكلكم و تطلبون حوائجكم منها،و ذلك مثار للسخريه و الاستهزاء حقّا!.

و من هنا يبدو واضحا أنّ العرب الجاهليين كانوا يعبدون بعض هذه الأصنام على الأقل على أنّها تماثيل الملائكه،الملائكه التى يسمّون كلّا منها بربّ النوع و مدير الوجود و مدبّره،و كانوا يرون أنّ الملائكه بنات اللّه!! فحين تقرن هذه الخرافات إلى خرافه اخرى و هى نظرتهم عن البنت فإنّ التضادّ العجيب الواقع بين هذه الخرافات بنفسه خير شاهد على سخافه هذه المعتقدات،و كم هو طريف أن يبطل القرآن جميع تلك الخرافات بعدّه جمل قصيره و موجزه و يفضحها ساخرا بها.

و من هنا يتبيّن أنّ القرآن لا يقصد إمضاء ما كان عليه العرب من التفريق بين الذكر و الأنثى،بل يريد بيان ما هو مقبول و مسلّم عندهم (و هو منطق الجدل)،و إلاّ فلا فرق فى نظر الإسلام و منطقه بين الذكر و الأنثى من حيث القيمه الإنسانيه،و لا

(١)

بمناه الثالثه الاخرى فقد ذكر لهذه الآيه تفاسير عديده أغلبها عار من الصحّه و لا أساس له و لكن المناسب من هذه التفاسير أنّ أهميّه هذه الأصنام عند مشركى العرب كانت بحسب ما ذكره القرآن فالتعبير بمناه الثالثه أى ثالث الأصنام(فى الأهميّه)عند العرب و التعبير بالأخرى هو لتأخّر رتبتها عندهم!

١- ١) -ضيزى أى ناقصه و غير منصفه.

الملائكه فيهم ذكر و أنثى،و لا هم بنات اللّه،و ليس عند اللّه من ولد أساس،فهذه افتراضات لا أساس لها..إلاّ أنّ هذا الردّ خير جواب لمن يعتقد بهذه الخرافات.

و فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث يقول القرآن بضرس قاطع: إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ (۱) .

فلا دليل لديكم من العقل،و لا دليل عن طريق الوحى على مدّعاكم،و ليس لديكم إلاّ حفنه من الأوهام و الخيالات الباطله.

ثمّ يختتم القرآن الآيه بالقول: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ (۲) فهذه الخيالات و الموهومات وليده هوى النفس وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى ..

إلاّ أنّهم أغمضوا أعينهم عنه و خلّفوه وراء ظهورهم و تاهوا فى هذه الأوهام و الضلالات!

بحوث

اشاره

۱-أصنام العرب الثلاثه المشهوره

كان لمشركى العرب أصنام كثيره،إلاّ أنّ ثلاثه منها كانت ذات أهميّه خاصّه عندهم،و هى«اللات»و«العزّى»و«مناه».

و هناك كلام بل أقوال فى تسميه هذه الأصنام و من صنعها و مكانها و الجماعه التى تعبدها،و نكتفى بما ورد فى كتاب«بلوغ الأرب فى معرفه أحوال العرب» هنا فحسب.

فأوّل صنم معروف اختاره العرب كان(مناه)،حيث أنّه بعد أن نقل«عمرو بن لحى»عباده الأصنام من الشام إلى الحجاز،صنع هذا الصنم فى منطقه قريبه من

۱- ۱) -السلطان:معناه السلطه و الغلبه،و يطلق على الدليل القاطع أنّه سلطان أيضا،لأنّه أساس الغلبه على الخصم.

۲- ۲) -«ما»فى«ما تهوى الأنفس»موصوله،و يحتمل أن تكون مصدريه،و لا فرق كبير بينهما.

البحر الأحمر بين المدينه و مكّه،و كان العرب جميعهم يحترمون هذا الصنم و يقدّمون له القرابين،إلّا أنّ أكثر القبائل اهتماما بهذا الصنم قبيلتا الأوس و الخزرج..حتّى كان فتح مكّه فى السنه الثامنه للهجره-و كان النّبى متّجها من المدينه إلى مكّه-فأرسل أمير المؤمنين عليا فكسره.

و بعد أن صنع عرب الجاهليه صنم مناه،عمدوا فصنعوا صنما آخر،هو اللات من صخر ذى أربع زوايات،و جعلوه فى الطائف،فى المكان الذى توجد فيه اليوم مناره مسجد الطائف الشماليه،و كان أغلب ثقيف فى خدمه هذا الصنم،و حين أسلمت ثقيف أرسل النّبى المغيره،فكسر ذلك الصنم،و الصنم الثالث الذى اختاره العرب هو العزّى و كان فى محلّ قريب من ذات عرق فى طريق مكّه باتّجاه العراق و كانت قريش تهتمّ بهذا الصنم كثيرا.

و كان العرب يهتّمون بهذه الأصنام الثلاثه إلى درجه أنّهم كانوا يقولون عند الطواف حول البيت:و اللات و العزّى و مناه الثالثه الاخرى فإنّهم الغرانيق العلى و إن شفاعتهم لترتجى (1) .

و كانوا يزعمون بأنّ هذه الأصنام بنات اللّه«و يظهر أنّهم كانوا يتصوّرون أنّ هذه الأصنام تماثيل الملائكه التى كانوا يزعمون أنّها بنات اللّه!!».

العجب أنّ تسميتها مستقاه من أسماء اللّه..غالبا غايه ما فى الأمر كانت أسماؤها مؤنثه لتدلّ على اعتقادهم..فاللات (2) أصلها اللاهه،ثمّ سقط حرف الهاء فصارت الكلمه اللات،و العزّى مؤنث الأعز،و مناه من منى اللّه الشىء أى قدّره، و يعتقد بعضهم أنّ مناه من النوء و هو عباره عن طلوع بعض النجوم التى تصحبها المزن و بعضهم قالوا بأنّ مناه مأخوذه من«منى»على وزن«سعى»،و معناه سفك

١- ١) -بلوغ الإرب فى معرفه أحوال العرب،ج ٢،ص ٢٠٢ و ٢٠٣.

٢- ٢) -كلمه«اللات»كان ينبغى أن تكتب اللاه بالتاء القصيره و لكنّها لمّا كانت فى الوقف تبدّل هاء فتصير اللاه و يوهم لفظها بالاسم الكريم اللّه كتبت بالصوره الآنفه اللات.

الدم،لأنّ دماء القرابين كانت تسفك (۱) عندها و على كلّ حال فإنّ العرب كانوا يحترمون هذه الأصنام حتّى أنّهم سمّوا كثيرا من رجالهم بعبد العزّى و عبد منات و ربّما سمّوا بعض قبائلهم بمثل هذه الأسماء (۲) .

۲-أسماء دون مسمیّات

إنّ واحدا من أقدم أسس الشرك هو تنوّع الموجودات فی العالم حیث أنّ ذوی الفکر القصیر و النظر الضیّق لم یستطیعوا تصدیق أنّ کلّ هذه الموجودات المتنوّعه فی السماء،و الأرض مخلوقه للّه الأحد«لأنّهم یقیسون ذلک بأنفسهم إذ لا یتسنّی لهم التسلّط إلاّ علی أمر واحد أو عدّه امور»لذلک کانوا یزعمون أنّ لکلّ نوع من الموجودات ربّا یعبّر عنه«بربّ النوع»کربّ نوع البحر،و ربّ نوع الصحراء،و ربّ نوع المطر،و ربّ نوع الشمس،و ربّ الحرب،و ربّ الصلح...

و هذه الآلهه المزعومه التی کانوا یسمّونها الملائکه أحیانا کانت حسب اعتقادهم تحکم هذا العالم و حیثما تقع مشکله یلتجأ إلی ربّ نوعها و حیث أنّ أرباب الأنواع لم تکن موجودات محسوسه فقد صنعوا لها تماثیل و عبدوها! هذه العقائد الخرافیه انتقلت من الیونان إلی المناطق الاخری حتّی وصلت إلی الحجاز،و لکن حیث أنّ التوحید الإبراهیمی کان سائدا لدی العرب فلم یمکنهم إنکار وجود اللّه،فمزجت هذه العقائد واحده بالأخری،ففی الوقت الذی یعتقدون فیه باللّه اعتقدوا بالملائکه الذین هم فی زعمهم بناته،و عبدوا الأحجار التی صنعوا منها التماثیل.

فالقرآن هدم هذه الخرافات بعباره موجزه غزیره المعنی فقال: إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فلم یک أی شیء صادرا

ص: ۲۳۷

۱- ۱) -الاحتمال الأوّل جاء فی الکشّاف و الثانی فی بلوغ الإرب.

۲- ۲) -بلوغ الإرب،ج ۲،ص ۲۰۲ و ۲۰۳.

من ربّ المطر الذی سمّیتموه أنتم،و لا من ربّ الشمس المزعوم،و لا البحر،و لا الحرب،و لا الصلح.

فکلّ شیء صادر عن اللّه،و عالم الوجود کلّه طوع أمره،و اتّساق جمیع هذه الموجودات المختلفه فی السماء و الأرض و انسجامها بعضها مع بعض دلیل علی وحده الخالق،و لو کان فیهما آلهه إلاّ اللّه لفسدتا.

۳-الدافع النفسی لعباده الأصنام

عرفنا الأصل التاریخی لعباده الأصنام إلاّ أنّ لها دوافع و مبادئ نفسیّه و فکریه أیضا،و قد أشیر إلیها فی الآیات المتقدّمه،و ذلک هو اتّباع الظنّ و ما تهوی الأنفس!!و الخیالات و الأوهام الحاصله للجهلاء،و من ثمّ تنتقل إلی مقلّدیهم من المتحجّرین،و ینتقل هذا التقلید من نسل إلی نسل.

و بالطبع فإنّ معبودا کالصنم یتلاءم جیّدا مع أهوائهم،لأنّه لیس له سلطه علی العباد،و لا معاد،و لا جنّه،و لا نار،و لا کتاب،و یعطیهم الحریه الکامله،و إنّما یأتونه فی المشاکل فحسب،و یتصوّرون أنّه سینفعهم و أنّهم إنّما یستمدّون منه العون.

و أساسا فانّ«هوی النفس»ذاته یعدّ أکبر الأصنام و أخطرها،و هو الأصل لظهور الأصنام الاخری.

۴-اسطوره الغرانیق مرّه اخری:

من خلال بحثنا حول الأصنام الثلاثه التی کان العرب یهتّمون بها«أی اللات و العزّی و مناه»و یعبدونها-من خلال هذا البحث التاریخی وردت الإشاره إلی أنّ هذه الأصنام کانت تدعی بالغرانیق العلی و انّ شفاعتهنّ لترتجی.

و«الغرانیق»جمع غرنوق علی زنه عصفور و بهلول...و الغرنوق نوع من

الطیور الرمادیه أو السوداء،و لـذلک کـان العرب أحیانا إذا ذکروا الأصـنام قالوا بعـد ذکرها:تلک الغرانیق العلی و انّ شـفاعتهنّ لترتجی.

و قـد وردت هنـا قصّه خرافیه نقلتهـا بعض الکتب،و هی أنّ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم حین قرأ الآـیه: أَ فَرَأَیْتُمُ اللاّٰتَ وَ الْعُزّٰی أضاف علیها من عنده الجملتین هاتین:تلک الغرانیق العلی و انّ شـفاعتهنّ لترتجی..فکان سـببا لارتیاح المشـرکین و عدوّه انعطافا من قبل النّبی إلی عباده الأصـنام،و حیث أنّ ختام السوره یدعو الناس للسـجود..فإنّ المسـلمین سجدوا و سجد المشرکون أیضا،فکان هذا الخبر مدعاه لإشاعه إسـلام المشـرکین فی کلّ مکان!حتّی بلغ ذلک أسماع المهاجرین إلی الحبشه من المسلمین و سرّ جماعه منهم إلی درجه أنّهم أحسّوا بالأمان فعادوا من مهجرهم إلی مکّه (۱) .

و لکن کما فصّـلنا ذلک فی تفسـیر الآیه ۵۲ من سوره الحـجّ فإنّ هـذا الادّعاء کـذب مفضوح،و تبطله الـدلائل و القرائن الکثیره بجلاء.

فأولئک المفتعلون لهـذه الکـذبه لم یفکّروا أنّ القرآن فی ذیل هـذه الآیات محلّ البحث ینقض عباده الأصـنام بصـراحه،و یعدّها اتّباعا لما تهوی النفس و ظنونها، کما أنّه فی الآیات التی تلی هـذه الآیات یعنّف عباده الأصـنام بصـراحه و بشـدّه، و یعدّها دلیلا علی عدم الإیمان و المعرفه،و یأمر النّبی بصراحه أن یقطع علاقته بهم و یعرض عنهم.

فمع هـذه الحـال کیف یمکن أن یتلفّـظ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم بهـاتین الجملتین،أو أن یکون المشـرکون حمقی إلی درجه بحیث یصـغون إلی هـذه العبـاره و لاـ یلتفتـوا إلی الآیـات بعـدها الـتی تعنّف المشـرکین علی عبـاده الأصـنام..و یفرحوا و یسجدوا فی آخر ما یتلی من هذه السوره مع الساجدین.

ص :۲۳۹

۱- ۱) -نقل الطبری هذه القصّه الخرافیه فی تاریخه،ج ۲،ص ۷۵ فما بعد.

و الحقيقه أنّ ناسـجى هذه الاسطوره سذّج للغايه و سطحيّون،و يمكن أن يكون عند قراءه النّبى للآيه أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى تلا الشيطان بعـدها أو الإنسان المتّصف بالشيطنه الجملتين بين المشـركين الحاضـرين«لأنّ هاتين الجملتين كانتا بمثابه الشـعار الذى يودع المشـركون بهما أسماء الأصنام»فاشتبه جماعه مؤقتا بأنّهما تتمّه للآيه!! إلاّ أنّه لا معنى لسجود المشركين فى انتهاء السوره،و لا لانعطاف النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نحو عباده الأصنام،لأنّ جميع آيات القرآن و سيره النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حيـاته كـلّ ذلـك يكشف عن أنّه لم يظهر أىّ انعطـاف نحو الأصـنام فى أى شـكل و صوره،و لم يقبـل بـأىّ اقتراح فى هـذا الصـدد، لأـنّ الإسـلام بـأجمعه كـان يتلخّص فى التوحيـد:لا إله إلاّ اللّه! فكيف يمكن لنبى الإسـلام أن يساوم على روح محتوى الإسلام الأصيل.

«و كان لنا فى هذا المجال دلائل و استدلالات ذيل الآيه ۵۲ من سوره الحجّ».

ص :۲۴۰

الآيات [سوره النجم (۵۳): الآيات ۲۴ الی ۲۶]

اشاره

أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى (۲۴) فَلِلّٰهِ اَلْآخِرَهُ وَ اَلْأُولىٰ (۲۵) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِى شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اَللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ (۲۶)

التّفسير

اشاره

الشفاعه أيضا بإذنه:

هـذه الآيـات أيضـا تتنـاول بـالبحث و التعقيب-موضوع عبـاده الأصـنام و خرافتها،و هى تتمّه لما سبق بيانه فى الآيات المتقـدّمه! فتتناول أوّلا الامنيات الجوفاء عند عبده الأصنام و ما كانوا يتوقّعون من الأصنام: أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى ؟!.

ترى!هل من الممكن أن تشـفع هذه الأجسام التى لا قيمه لها و لا روح فيها عند اللّه سبحانه؟أو يلتجأ إليها عند المشكلات!؟كلّا! فَلِلّٰهِ الْآخِرَهُ وَ الْأُولىٰ .

إنّ عـالم الأسـباب يـدور حول محور إرادته،و كـلّ ما لـدى الموجودات فمن بركات وجوده،فالشـفاعه من اختياراته أيضا،و حلّ المشاكل بيد قدرته كذلك! ممّا يلفت النظر أنّ القرآن يتحدّث عن الآخره أوّلا،ثمّ عن الدنيا،لأنّ أكثر ما

یشغل فکر الإنسان هو النجاه فی الآخره..و حاکمیه اللّه فی الدار الآخره تتجلّی أکثر منها فی هذه الدنیا.

و هکذا فإنّ القرآن یقطع أمل المشرکین تماما-بشفاعه الأصنام-و یسدّ بوجوههم هذه الذریعه بأنّها تشفع لهم«و یقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه».

و هناک احتمال آخر فی تفسیر الآیتین آنفتی الذکر:و هو أن یتوجّه الإنسان نحو اللّه لعدم بلوغه أمانیّه و ما یرغب إلیه..لأنّ الآیه الاولی من الآیات محلّ البحث تقول: أَمْ لِلْإِنْسانِ مٰا تَمَنّٰی؟ و هذا استفهام إنکاری،و حیث أنّ جواب هذا الاستفهام أو السؤال بالنفی قطعا،لأنّ الإنسان لا ینال کثیرا من أمانیه أبدا،و هذا یدلّ علی أنّ تدبیر هذا العالم بید اخری تتحکّم فی هذا العالم،و لذلک فإنّ الآیه الثانیه تقول:حیث کان الأمر کذلک فَلِلّٰهِ الْآخِرَهُ وَ الْأُولیٰ ! و هذا المعنی یشبه ما جاء

فی کلام الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السّلام: «عرفت اللّه بفسخ العزائم و حلّ العقود و نقض الهمم» (1) . و لا یبعد الجمع بین هذا التّفسیر و التّفسیر السابق أیضا.

و فی آخر الآیات محلّ البحث یقول القرآن مضیفا و مؤکّدا علی هذه المسأله:

وَ کَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی السَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِی شَفٰاعَتُهُمْ شَیْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَرْضیٰ

.

فحیث لا تستطیع الملائکه علی عظمتها حتّی و لو بشکل جماعی أن تشفع لأحد إلاّ بإذن اللّه و رضاه،فما عسی ینتظر من هذه الأصنام التی لا قیمه لها،و هی لا تعی شیئا!؟.و حینما تتساقط النسور المحلّقه و تهوی بأجنحتها عاجزه فما تنفع البعوضه الضعیفه؟ألیس من المخجل أن تقولوا إنّما نعبدهم لیقرّبونا إلی اللّه زلفی، أو هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه؟!

1- 1) -نهج البلاغه،الکلمات القصار-الکلمه رقم 250.

و التعبير ب«كم»فى الآيه يفيد العموم،أى ليس لأى ملك أن يشفع دون إذن اللّه و رضاه،لأنّ هذه اللفظه تفيد العموم فى لغه العرب،كما أنّ لفظه«كثير»تفيد العموم أحيانا و قد جاء فى الآيه ۷۰ من سوره الإسراء ما يدلّ على ذلك:

وَ فَضَّلْنٰاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلاً أى فضّلنا بنى آدم على جميع من خلقنا.

كما نجد هذا الاستعمال فى شأن الشياطين إذ نقرأ الآيه ۲۲۳ من سوره الشعراء قائله: وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ مع أنّنا نعلم أنّ جميع الشياطين كاذبون (۱) .

أمّا الفرق بين«الإذن»و«الرضا»فهو-أنّ الإذن يعبّر عنه فى مقام يكشف الإنسان عن رضاه الباطنى،إلّا أنّ الرضا..أعمّ من ذلك، و قد تستعمل كلمه «الرضا»لانسجام الطبع مع ما يفعل،و حيث أنّ الإنسان قد يأذن بشىء ما دون أن يكون راضيا فى قلبه فقد جاءت كلمه«يرضى»تأكيدا على الإذن،و إن كان الإذن و الرضا عند اللّه لا ينفصل بعضهما عن بعض و لا مجال(للتقيّه)عند اللّه!

تعقيب

اشاره

۱-سعه الأمانى:

الأمل أو التمنّى إنّما ينبع من محدوديه قدره الإنسان و ضعفه الإنسان إذا كانت له علاقه بالشىء و لم يستطع أن يبلغه و يحقّقه فانّه يأخذ صوره التمنّى عنده ..و إذا استطاع الإنسان أن يحقّق كلّ ما يريده و يرغب فيه،لم يكن للتمنّى من معنى! و بالطبع قد تكون أمانىّ الإنسان أحيانا نابعه من روحه العاليه و باعثا على الحركه و الجدّ و النشاط و الجهاد و سيره التكاملى..كما لو تمنّى بأن يتقدّم الناس بالعلم و التقوى و الشخصيّه و الكرامه!

۱- ۱) -مع أنّ كلمه ملك فى الآيه مفرده فقد عاد الضمير عليها جمعا فى«شفاعتهم»و ذلك لمفهوم الكلام و رعايه للمعنى!

إلاّـ أنّه كثيرا ما تكون هـذه الأحلام«و الأماني»كاذبه،و على العكس من الأماني الصادقه فانّها أساس للغفله و الجهل و التخـدير و التخلّف كما لو تمنّى الإنسان الخلود في الأرض و العمر الـدائم،و أن يملك أموالا طائله،و أن يحكم الناس جميعا و أمثال ذلك القبيل الموهوم.

و لذلك فقد رغّبت الرّوايات الإسلاميه الناس في تمنّي الخير،كما نقرأ

في بعض ما وصـلنا عن رسو اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من تمنّى شيئا و هو للّه عزّ و جلّ رضى لم يخرج من الدنيا حتّى يعطاه» (۱) .

و يستفاد من بعض الرّوايات أنّه إذا لم يصل إلى ذلك في الدنيا فسينال ثوابه (۲) .

۲-كلام في شأن الشفاعه

إنّ الآـيه الأـخيره-من الآيات محلّ البحث-تخبر بجلاء عن إمكان أن يشـفع الملائكه،فحيث أنّه للملائكه الحقّ أن يشـفعوا بإذن اللّه و رضاه،فمن باب الأولى أن يكون للأنبياء و المعصومين حقّ الشفاعه عند اللّه.

إلاّ أنّه لا ينبغي أن ننسـى أنّ الآيه آنفه الذكر تقول بصـراحه إنّ هذه الشـفاعه ليست من دون قيد و شـرط.بل هي مشـروطه بإذن اللّه و رضـاه،و حيث أنّ إذن اللّه و رضـاه لم يكونـا عبثا أو اعتباطا،فينبغي أن تكون بين الإنسان و ربّه علاقه حتّى يأذن بالشـفاعه للمقرّبين في شأنه،و من هنا فإنّ رجاء الشـفاعه يكون مذهبا تربويّا للإنسان و مانعا من اليأس و قطع جميع الروابط باللّه تعالى (۳) .

ص:۲۴۴

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۱،ص ۲۶۱(باب تمنّي الخيرات).

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -التعبير ب«من يشـاء»الوارد في الآـيه المتقـدّمه يمكن أن يكون إشاره إلى الناس الـذين يأذن اللّه لهم بالشـفاعه،أو إشاره إلى الملائكه الذين يأذن اللّه لهم بالشفاعه،إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل أنسب.

الآیات [سوره النجم (۵۳): الآیات ۲۷ الی ۳۰]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ لَيُسَمُّونَ اَلْمَلاٰئِكَهَ تَسْمِيَهَ اَلْأُنْثىٰ (۲۷) وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنَّ اَلظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئاً (۲۸) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ اَلْحَيٰاهَ اَلدُّنْيٰا (۲۹) ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِهْتَدىٰ (۳۰)

التّفسیر

اشاره

إنّ الظنّ لا یغنی من الحقّ شیئا:

هذه الآیات-محلّ البحث-کالآیات المتقدّمه،تبحث موضوع نفی عقائد المشرکین.

فتقول أوّلها: إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاٰئِكَهَ تَسْمِيَهَ الْأُنْثىٰ ! أجل،إنّ هذا الکلام القبیح و المخجل إنّما یصدر من أناس لا یعتقدون بیوم الحساب و لا بجزاء أعمالهم،فلو کانوا یعتقدون بالآخره لما تجاسروا فقالوا مثل هذا الکلام،و أی کلام؟!کلام لیس لهم فیه أدنی دلیل..بل الدلائل العقلیّه تبرهن علی أنّه لیس للّه من ولد،و لیس الملائکه إناثا،و لا هم بنات اللّه کذلک!

ص:۲۴۵

و التعبير ب«تسميه الأنثى»إشاره إلى ما نوّهنا عنه فى الآيات المتقدّمه،و هو أنّ مثل هذا الكلام لا معنى له.و إنّ هذا الأسماء لا مسمّيات لها،و بتعبير آخر إنّها لا تعدو حدود التسميه،و لا واقع لها أبدا.

ثمّ يتناول القرآن واحدا من الأدلّه الواضحه على بطلان هذه التسميه فيقول معقّبا: وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً .

فالإنسان الهادف و المعتقد لا يطلق كلامه دون علم و درايه،و لا ينسب أيّه نسبه لأحد دونما دليل..فالتعويل عن الظنّ و التصوّر إنّما هو من عمل الشيطان أو من يتّصف بالشيطانيّه..و قبول الخرافات و الأشياء الموهومه دليل الانحراف و عدم العقل! و واضح أنّ كلمه«الظنّ»لها معنيان مختلفان،فتاره تطلق هذه الكلمه على الأوهام التى لا أساس لها،و طبقا لتعبير الآيات آنفه الذكر تعنى الخرافات و الأوهام و ما تهوى الأنفس..و المراد من هذه الكلمه فى الآيه هو هذا المعنى ذاته.

المعنى الآخر،الظنّ المعقول و هو ما يخطر فى الذهن،و يكون مطابقا للواقع غالبا،و عليه يكون مبنى العمل فى اليوم-مره أو أكثر-كشهاده الشهود فى المحكمه و قول أهل الخبره و ظواهر الألفاظ و أمثال ذلك،فلو أعرضنا عن مثل هذه الأمور و عوّلنا على اليقين القطعى لاضطربت الحياه و اختلّ نظامها.

و لا شكّ أنّ هذا القسم من الظنّ غير داخل فى هذه الآيات،و هناك شواهد كثيره فى الآيات ذاتها على ذلك..و فى الحقيقه أنّ القسم الثانى نوع من العلم العرفى لا الظنّ،فبناء على هذا لا يصحّ الاستدلال بالآيه إِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً و أمثالها على نفى حجيّه الظنّ بشكل مطلق.

و ينبغى الالتفات إلى هذه اللطيفه و المسأله الدقيقه..و هى أنّ الظنّ فى اصطلاح الفقهاء و الأصوليين معناه«الإعتقاد الراجح»،إلاّ أنّه فى اللغه أوسع

ص:۲۴۶

مفهوما،فيشمل حتّى الوهم و الاحتمالات الضعيفه،و من هذا القبيل ظنّ عبده الأوثان-إذ كان خرافه تظهر فى أذهانهم بشكل احتمال ضعيف.ثمّ ينهض هوى النفس فيزيّن ذلك الاحتمال،و يهمل الاحتمال الآخر الذى هو أقوى من هذا الاحتمال،و يصير الاحتمال الضعيف اعتقادا راسخا مع أنّه لا أساس له أبدا.

و من أجل أن يبيّن القرآن أنّ هؤلاء الجماعه ليسوا أهلا للاستدلال و المنطق الصحيح،و قد ألهاهم حبّ الدنيا عن ذكر اللّه و جرّهم إلى الوحل فى خرافاتهم و أوهامهم يضيف قائلا: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياةَ الدُّنْيا .

و المراد من(ذكرنا)فى إعتقاد أغلب المفسّرين هو«القرآن»،و قد يفسّر بأنّه الدلائل المنطقيه و العقليه التى توصل الإنسان إلى اللّه،كما احتملوا أن يكون المراد هو ذكر اللّه الذى يقابل الغفله عند الإنسان.

إلاّ أنّ الظاهر أنّ هذا التعبير ذو مفهوم واسع بحيث يشمل كلّ توجّه نحو اللّه، سواء أ كان ذلك عن طريق القرآن،أو عن طريق العقل،أو عن طريق السنّه،أو تذكّر القيامه و ما إلى ذلك! و يستفاد من هذه الآيه-ضمنا-أنّ هناك علاقه بين الغفله عن ذكر اللّه و الإقبال على الماديات،و بين زخرف الدنيا و زبرجها و أنّ بينهما تأثيرا متلازما! فالغفله عن ذكر اللّه تسوق الإنسان نحو عباده الدنيا،كما أنّ عباده الدنيا تصرف الإنسان عن ذكر اللّه،فيكون غافلا عنه-و هما جميعا يقترنان مع هوى النفس،و بالطبع فإنّ الخرافات التى تنسجم مع هوى النفس تتزيّن فى نظر الإنسان و تتبدّل تدريجا إلى إعتقاد راسخ! و ربّما لا حاجه إلى التذكير أنّ الأمر بالإعراض عن هذه الفئه(أهل الدنيا)لا ينافى تبليغ الرساله الذى هو وظيفه النّبى الأساسيّه،لأنّ التبليغ و الإنذار و البشاره كلّها لا تكون إلاّ فى موارد احتمال التأثير،فحيث يعلم و يتيقّن عدم التأثير فلا يصحّ هدر الطاقات،و ينبغى الإعراض بعد إتمام الحجّه.

كما ينبغى الإشاره إلى أنّ الأمر بالإعراض عمّن تولّى عن ذكر اللّه،ليس مختصّا بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل هو شامل لجميع الدعاه فى طريق الحقّ،ليصرفوا طاقاتهم الكريمه فى ما يحتمل تأثيرها فيه،أمّا عبده الدنيا و موتى القلوب الذين لا أمل فى هدايتهم فينبغى-بعد إتمام الحجّه عليهم-الإعراض عنهم ليحكم اللّه حكمه فيهم!.

و فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث يثبت القرآن انحطاط أفكار هذه الفئه فيقول مضيفا: ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .

أجل،إنّ أوج أفكارهم منته إلى هذا الحدّ و هو اسطورتهم أنّ الملائكه بنات اللّه!!-و خبطهم فى الخرافات..و هذه آخر نقطه تبلغ إليه همّتهم،إذ نسوا اللّه و أقبلوا على الدنيا و استعاضوا عن جميع شرفهم و وجودهم بالدينار و الدرهم! و هذه الجمله ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ يمكن أن تكون إشاره إلى خرافاتهم كعباده الأصنام و جعلهم الملائكه بنات اللّه:أى أنّ منتهى علمهم هو هذه الأوهام!.

أو أنّها إشاره إلى حبّ الدنيا و الأسر فى قبضه الماديات،أى أن؟منتهى إدراكهم هو قناعتهم بالأكل و الشرب و النوم و المتاع الفانى فى هذه الدنيا و زبرجها و زخرفها إلخ.

و قد جاء فى الدعاء المعروف فى أعمال شعبان المنقول

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «و لا تجعل الدنيا أكبر همّنا و لا مبلغ علمنا» (١) .

و تختتم الآيه بالقول: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ ختام الآيه يشير إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ اللّه يعرف الضالّين جيّدا كما يعرف المهتدين أيضا،فيصبّ غضبه على الضالّين و يسبغ لطفه على المهتدين، و يجازى كلاّ بعمله يوم القيامه.

١- ١) -جاء هذا الدعاء من دون الإشاره إلى أنّه من أعمال شهر شعبان فى مجمع البيان و فى تفاسير اخرى ذيل الآيه محلّ البحث.

ملاحظه

اشاره

رأس مال عبده الدنيا:

الطريف أنّ الآيات الآنفه فى الوقت الذى تنسب العلم لعبده الدنيا،إلاّ أنّها تعدّهم ضالّين،و هذا يدلّ على أنّ العلوم التى لا تهدف إلى شيء سوى الماديّات فمن وجهه نظر القرآن ليست علوما،بل هى الضلاله بعينها.

و من الغريب أنّ كلّ هذه الشقوه و الحروب و سفك الدماء و الظلم و التجاوز و الفساد و التلوّث ناشئ من علوم الضلال هذه-و من الذين منتهى ما توصّلت إليه علومهم حبّ الدنيا و الحياه الفانيه،و لا يتّسع أفق متطلّباتهم لأكثر من متطلّبات الحيوان.

أجل،إنّ علوم«التقنيه»و المسائل الحديثه إذا لم تكن تسعى لأهداف أسمى من الماديّات،فهى الجهل بعينه،و إذا لم تؤدّ إلى نور الإيمان فهى الضلال!.

ص :۲۴۹

الآیتان [سوره النجم (۵۳): الآیات ۳۱ الی ۳۲]

اشاره

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ یَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی (۳۱) اَلَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ إِنَّ رَبَّکَ وٰاسِعُ اَلْمَغْفِرَهِ هُوَ أَعْلَمُ بِکُمْ إِذْ أَنْشَأَکُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّهٌ فِی بُطُونِ أُمَّهٰاتِکُمْ فَلاٰ تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِتَّقیٰ (۳۲)

التّفسیر

اشاره

لا تزکّوا أنفسکم:

لمّا کان الکلام فی الآیات المتقدّمه عن علم اللّه بالضالّین و المهتدین،فإنّ الآیات أعلاه تتمّه لما جاء آنفا،تقول: وَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ .

فالمالکیه المطلقه فی عالم الوجود له وحده،و الحاکمیه المطلقه علی هذا العالم له أیضا،و لذلک فإنّ تدبیر عالم الوجود بیده فحسب.و لمّا کان الأمر کذلک فهو وحده الجدیر بالعباده و الشفاعه! إنّ هدفه الکبیر من هذا الخلق الواسع لیتألّف الإنسان فی عالم الوجود و لیسیر فی مسیر التکامل فی ضوء المناهج التکوینیه و التشریعیّه و تعلیم الأنبیاء

ص :۲۵۰

و تربيتهم،لذلک فإنّ القرآن يذکر نتيجه هذه المالکيه فيختتم الآيه بالقول: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (١) .

ثمّ يصف القرآن المحسنين فى الآيه التاليه فيقول: اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ کَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ .

و«الکبائر»جمع کبيره،و«الإثم»فى الأصل هو العمل الذى يبعد الإنسان عن الخير و الثواب،لذلک يطلق على الذنب عاده،و«اللمم»على وزن القلم-کما يقول الراغب فى المفردات معناه الاقتراب من الذنب،و قد يعبّر عن الذنوب الصغيره باللمم أيضا،و هذه الکلمه فى الأصل مأخوذه من الإلمام و معناها الاقتراب من شىء دون أدائه،و قد يطلق«اللمم»على الأشياء القليله أيضا «و إطلاقه على الذنوب الصغيره من هذا الباب».

و قد فسّر المفسّرون«اللمم»فى هذه الحدود،فقال بعضهم:هو الذنوب الصغيره،و قال آخرون هو نيّه المعصيه دون أدائها،و فسّره غيرهم بأنّ اللمم معاص لا أهميّه لها.

و ربّما قالوا بأنّ اللمم يشمل الذنوب الصغيره و الکبيره على أن لا تکون معتاده و التى تقع أحيانا فيتذکّرها الإنسان فيتوب منها.

و هناک تفاسير متعدّده لهذه الکلمه فى الرّوايات الإسلاميه،

فقد جاء من الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: اللمم الرجل يلمّ به الذنب فيستغفر اللّه منه (٢) و ورد عنه أيضا أنّه قال:هو الذنب يلمّ به الرجل فيمکث ما شاء اللّه ثمّ يلمّ به بعد (٣) .

کما وردت روايات اخرى فى هذا المعنى أيضا.

١- ١) -«اللام»فى(ليجزى)هى لام الغايه،فبناء على ذلک الجزاء هو غايه الخلق،و إن کان بعضهم يعتقد بأنّ«ليجزى» متعلّق بأعلم فى الآيه السابقه،و أنّ جمله(و للّه ما فى السماوات و الأرض)معترضه،إلاّ أنّ هذا الاحتمال يبدو بعيدا..

٢- ٢) -الکافى،ج ٢ کتاب الإيمان و الکفر باب اللمم ٣٢٠.

٣- ٣) -المصدر السابق.

و القرائن الموجوده فی هـذه الآیه تشـهد علی هـذا المعنی أیضا..إذ قـد تصـدر من الإنسان بعض الـذنوب،ثمّ یلتفت إلیها فیتوب منها،لأنّ استثناء اللمم من الکبائر(مع الالتفات إلی أنّ ظاهر الاستثناء کونه استثناء متّصلا)یشهد علی هذا المعنی.

أضف إلی ذلک فإنّ الجمله التالیه بعد الآیه فی القرآن تقول: إِنَّ رَبَّکَ واسِعُ الْمَغْفِرَهِ !.

و هذا یدلّ علی أنّ ذنبا صدر من الإنسان و هو بحاجه إلی غفران اللّه،لا أنّه قصد الاقتراب منه و نواه دون أن یرتکبه.

و علی کلّ فالمراد من الآیه أنّ الـذین أحسـنوا من الممکن أن ینزلقوا فی منزلق ما فیـذنبوا،إلاّ أنّ الذنب علی خلاف سـجیّتهم و طبعهم و قلوبهم الطاهره- و إنّما تقع الـذنوب عرضا،و لـذلک فما أن یصـدر منهم الذنب إلاّ ندموا و تذکّروا و طلبوا المغفره من اللّه سـبحانه کما نقرأ فی الآیه(۲۰۱)من سوره الأعراف إذ تشـیر إلی هـذا المعنی: إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ .

و نظیر هذا المعنی فی الآیه(۱۳۵)من سوره آل عمران إذ تقول فی وصف المحسنین و المتّقین: وَ الَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ! فکلّ هذا شاهد علی ما جاء من تفسیر«اللّمم».

و نختتم بحثنا هنا بحدیث للإمام الصادق علیه السّلام إذ أجاب علی سؤال حول تفسیر الآیه-محلّ البحث-

فقال: «اللمام العبد الذی یلمّ بالذنب بعد الذنب لیس من سلیقته أی من طبیعته» (۱) .

ص :۲۵۲

۱- ۱) -الکافی،ج ۲ باب اللمم ص ۳۲۱.

و يتحدّث القرآن فی ذيل الآيه عن علم اللّه المطلق مؤكّدا عدالته فی مجازاه عباده حسب أعمالهم فيقول: هُوَ أَعْلَمُ بِكَمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ (۱) .

و قوله:«أنشأكم من الأرض»أمّا هو باعتبار الخلق الأوّل عن طريق آدم عليه السّلام الذی خلقه من تراب،أو باعتبار أنّ ما يتشكّل منه وجود الإنسان كلّه من الأرض، حيث له الأثر الكبير فی التغذيه و تركيب النطفه،ثمّ بعد ذلك له الأثر فی مراحل نمو الإنسان أيضا.

و على كلّ حال،فإنّ الهدف من هذه الآيه أنّ اللّه مطّلع على أحوالكم و عليم بكم منذ كنتم ذرّات فی الأرض و من يوم انعقدت نطفتكم فی أرحام الامّهات فی أسجاف من الظلمات فكيف-مع هذه الحال-لا يعلم أعمالكم؟! و هذا التعبير مقدّمه لما يليه من قوله تعالى: فَلاٰ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقىٰ ! فلا حاجه لتعريفكم و تزكيتكم و بيان أعمالكم الصالحه،فهو مطّلع على أعمالكم و على ميزان خلوص نيّاتكم،و هو أعرف بكم منكم، و يعلم صفاتكم الداخليه و الخارجيه.

قال بعض المفسّرين أنّ الآيتين آنفتی الذكر نزلتا فی جماعه كانوا يمدحون أنفسهم بعد أداء الصوم أو الصلاه فيقولون:إنّنا صلّينا و صمنا و قمنا بكذا و كذا.

فنزلت الآيتان و نهتهم عن تزكيه الأنفس (۲) .

ص: ۲۵۳

۱- ۱) -الأجنّه:جمع جنين:الطفل الذی فی بطن امّه..

۲- ۲) -روح المعانی،ج ۷،ص ۵۵.

بحوث

اشاره

۱-علم اللّه المطلق

مرّه اخرى يشار فى هاتين الآيتين إلى علم اللّه المطلق و سعته،إلّا أنّ التعبير فيهما تعبير جديد،لأنّه يستند إلى لطيفتين (۱) و هما من أشدّ حالات الإنسان خفاء و التواء..حاله خلق الإنسان من التراب إذ ما تزال عقول المفكّرين حائره فيها، فكيف يوجد موجود حى من موجود لا روح فيه(ميّت)؟و ممّا لا شكّ فيه أنّ هـذا الأمر حدث فى السابق سواء فى الإنسان أو الحيوانات الاخر،و لكن فى أيّه ظروف؟!فالمسأله فى غايه الخفاء و الالتواء بحيث ما تزال أسرارها مطويه و مكتومه عن علم الإنسان.

و الاـخرى مسأله التحوّلات المفعمه بالأسـرار فى وجود الإنسان فى مرحله الجنين،فهى أيضا من الأسـرار الغامضه فى كيفيه خلق الإنسان و إن كان شبح منها قد انكشف لعلم البشر،إلّا أنّ الأسئله حول أسرار الجنين التى ما زالت دون جواب كثيره.

فالمطّلع على هاتين،الحالتين من جميع أسرار وجود الإنسان و تحوّلاته و تغييراته و هاديه و مربّيه،كيف يكون غير عالم بأعماله و أفعاله!و لا يجازى كلّا بحسب ما يقتضيه عمله! إذا،فهذا العلم المطلق أساس عدالته المطلقه!

۲-ما هى كبائر الإثم

هناك كلام طويل بين المفسّـرين من جهه،و الفقهاء و المحـدّثين من جهه اخرى فى شأن الذنوب الكبيره المشار إليها فى بعض الآيات من القرآن (۲) .

ص :۲۵۴

۱- ۱) -اللطيفه:ما فيها من دقّه و خفاء.

۲- ۲) -كما فى النساء الآيه(۳۱)و الشورى الآيه(۳۷)و الآيات محلّ البحث.

فبعضهم يعتقد أنّ جميع الذنوب تعدّ من الكبائر،لأنّ كلّ ذنب-أمام الخالق الكبير يعدّ ذنبا كبيرا.

فی حين أنّ بعضهم ينظر إلی الذنوب نظره نسبيّه فيری كلّ ذنب بالنسبه إلی ما هو أهمّ منه صغيرا و بالعكس.

و قال آخرون إنّ الكبائر ما جاء الوعيد من قبل اللّه فی القرآن بارتكابها! و ربّما قيل إنّ الكبائر ما يجری عليها«الحدّ»الشرعی.

إلاّ أنّ الأفضل أنّ يقال بأنّه مع ملاحظه أنّ التعبير بالذنوب الكبيره دليل علی عظمها،فكلّ ذنب فيه أحد الشروط التاليه يعدّ كبيرا:

أ-الذنوب التی ورد الوعيد من قبل اللّه فی شأنها و العذاب لمرتكبها.

ب-الذنوب المذكوره فی نظر أهل الشرع و لسان الرّوايات بأنّها عظيمه.

ج-الذنوب التی عدّتها المصادر الشرعيّه أكبر من الذنوب التی هی من الكبائر.

د-و أخيرا الذنوب المصرّح بها فی الرّوايات المعتبره بأنّها من الكبائر!.

و قد ورد ذكر الكبائر فی الرّوايات الإسلاميه مختلفا عددها فيه،إذ جاء فی بعضها أنّها سبع

«قتل النفس،و عقوق الوالدين،و أكل الربا،و العوده إلی دار الكفر بعد الهجره،و رمی المحصنات بالزنا،و أكل مال اليتيم،و الفرار من[الزحف]

الجهاد» (۱) .

و قد جاء فی بعض الرّوايات ذكر هذا النصّ:

«كلّما أوجب عليه اللّه النار» [مكان عقوق الوالدين]

.

و جاء فی بعض الرّوايات أنّها«عشر»،و أوصلتها روايات أخر إلی«تسع عشره»كبيره!و ربّما ترقّی هذا العدد إلی أكثر ممّا ذكر فی بعض الرّوايات أيضا (۲) .

۱- ۱) -الوسائل،ج ۱۱-أبواب جهاد النفس الباب ۴۶ الحديث ۱.

۲- ۲) -لمزيد الإيضاح يراجع المصدر السابق الباب ۴۶ من أبواب جهاد النفس و قد جاء فی هذا الباب سبع و ثلاثون روايه..

و هـذا التفـاوت فی عـدد الکبـائر هو لأنّ الـذنوب الکـبیره لیست بمرتبه واحـده، فبعضـها أهمّ من بعض،و بتعبیر آخر یعـدّ أکبر الکبائر،فبناء علی هذا لا تضادّ بین الرّوایات فی اختلاف العدد.

۳-تزکیه النفس:

«تزکیه النفس»قبیح إلی درجه أنّها یضرب بها المثل!فیقال تزکیه المرء نفسه قبیحه.

و أساس هذا العمل القبیح و أصـله عدم معرفه النفس،لأنّ الإنسان إذا عرف نفسه حقّا تصاغر أمام عظمه الخالق و رأی أعماله لا شیء لما علیه من مسئولیه، و لما وهبه اللّه من النعم العظیمه،و إذا لما خطا أیّه خطوه نحو تزکیه النفس.

و الغرور و الغفله و الاسـتعلاء و الأفکار الجاهلیه أیضا بواعث أخر علی هـذا العمل القبیـح! و حیث أنّ تزکیه النفس تکشف عن إعتقـاد الإنسـان بکماله فهی مـدعاه إلی تخلّفه!لأنّ رمز التکامل الاعتراف بالتقصـیر و قبول وجود النواقص و الضـعف! و من هنا نری أولیاء اللّه یعترفون بتقصیرهم أمام اللّه و ما علیهم من وظائف من قبله!و ینهون الناس عن تزکیه النفس و تعظیم أعمالهم!.

فقد ورد عن الإمام الباقر علیه السّـلام فی تفسیر الآیه الکریمه فَلاٰ تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ أنّه قال:«لا یفتخر أحدکم بکثره صلاته..و صومه و زکاته و نسکه لأنّ اللّه عزّ و جلّ أعلم بمن اتّقی» (۱) .

و

یقول الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السّـلام فی إحدی رسائله إلی معاویه مشـیرا إلی هذا المضـمون فی ما یقول: «و لو لا ما نهی اللّه عنه من تزکیه المرء نفسه لذکر

ص: ۲۵۶

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۶۵.

ذاکر فضائل جمّه،تعرفها قلوب المؤمنین و لا تمجّها آذان السامعین» «یعنی بذلک نفسه علیه السّلام» (۱) .

«و فی هذا الصدد أوردنا بحثا مفصّلا فی هذا التّفسیر ذیل الآیه ۴۹ من سوره النساء فراجع إن شئت».

و لا ننسی أن نقول إنّ الضرورات قد توجب علی الإنسان أحیانا تزکیه نفسه أمام الغیر بکلّ ما لدیه من امتیازات حتّی لا تسحق أهدافه المقدّسه،و بین هذا النوع من التعریف بالنفس و تزکیه النفس المذموم اختلافا کبیرا.

و من أمثله ذلک خطبه الإمام زین العابدین فی مسجد بنی امیّه فی الشام لما أراد أن یعرف نفسه و أهل بیته لأهل الشام لیحبط مؤامره الأمویین بکون الحسین و الشهداء معه خوارج و یفضحهم!! و

قد ورد فی بعض الرّوایات أنّه سئل الإمام الصادق عن«تزکیه النفس»فقال نعم إذا اضطرّ إلیه-أما سمعت قول یوسف أحیانا للضروره- ثمّ استدلّ بموضعین من کلام الأنبیاء أحدهما اقتراح یوسف علی عزیز مصر أن یکون مسئولا و مشرفا علی خزائن مصر و تعقیبه: إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ ..و قول العبد الصالح: أَنَا لَکُمْ نٰاصِحٌ أَمِینٌ . (۲)

ص: ۲۵۷

۱- ۱) -نهج البلاغه،من کتاب له برقم ۲۸.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۶۶.

الآیات [سوره النجم (۵۳): الآیات ۳۳ الی ۴۱]

اشاره

أَ فَرَأَیْتَ اَلَّذِی تَوَلّی (۳۳) وَ أَعْطی قَلِیلاً وَ أَکْدی (۳۴) أَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْغَیْبِ فَهُوَ یَری (۳۵) أَمْ لَمْ یُنَبَّأْ بِما فِی صُحُفِ مُوسی (۳۶) وَ إِبْراهِیمَ اَلَّذِی وَفّی (۳۷) أَلاّ تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری (۳۸) وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعی (۳۹) وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُری (۴۰) ثُمَّ یُجْزاهُ اَلْجَزاءَ اَلْأَوْفی (۴۱)

سبب النّزول

ذکر أغلب المفسّرین أسبابا لنزول الآیات أعلاه،إلاّ أنّها لا تنسجم کثیرا مع الآیات هذه،و ما هو معروف بکثره شأنان للنّزول:

۱-إنّ هذه الآیات ناظره إلی«عثمان بن عفّان»حیث کانت لدیه أموال طائله و کان ینفق منها،فقال له بعض أرحامه و اسمه«عبد اللّه بن سعد»:إذا واصلت إنفاقک فلا یبقی عندک شیء،فقال عثمان:لدی ذنوب و أرید أن أنال بإنفاقی رضا ربّی و عفوه.فقال له عبد اللّه:إن أعطیتنی ناقتک بما علیها من جهاز تحمّلت ذنوبک و جعلتها فی رقبتی،ففعل عثمان و أشهده علی ما اتّفق علیه و امتنع من الإنفاق بعدئذ.«فنزلت الآیات و ذمّت هذا العمل بشدّه،و أوضحت أنّه لا یمکن لأحد أن

يحمل وزر الآخر و كلّ ينال جزاء سعيه» (۱) .

۲-إنّ الآیه فی شأن«الولید بن المغیره»إذ جاء إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و صبا إلی الإسلام فلامه بعض المشرکین و قال: ترکت ما کان علیه کبراؤنا و عددتهم ضلّالا و ظننت أنّهم من أهل النار!فقال إنّی أخاف من عذاب اللّه.فقال له اللائم:إن أعطیتنی شیئا من مالک و رجعت إلی الشرک تحمّلت وزرک و جعلته فی رقبتی! ففعل الولید بن المغیره ذلک إلّا أنّه لم یعط من المال المتّفق علیه إلّا قلیلا.فنزلت الآیه و وبّخته علی ارتداده من الإیمان (۲) .

التّفسیر

اشاره

کلّ یتحمّل مسئولیه أعماله:

کان الکلام فی الآیات السابقه فی أن یجزی اللّه تعالی من أساء بإساءته و یثیب المحسنین بإحسانهم..و بما أنّه من الممکن أن یتصوّر أن یعذّب أحد بذنب غیره أو أن یتحمّل أحد وزر غیره،فقد جاءت هذه الآیات لتنفی هذا التوهّم فی المقام،و بیّنت هذا الأصل الإسلامی المهمّ أنّ کلّا یری نتیجه عمله،فقالت أوّلا:

أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلّی

أی تولّی من الإسلام أو الإنفاق!؟ وَ أَعْطی قَلِیلاً وَ أَکْدی (۳) بمعنی أنّه أنفق القلیل ثمّ امتنع و أمسک و هو یظنّ أنّ غیره سیحمل وزره یوم القیامه.

فأیّ رجل جاءهم من الغیب و«القیامه»فأخبرهم بأنّه یمکن أخذ الرشوه و تحمّل آثام الآخرین؟أو من جاءهم من قبل اللّه فأخبرهم بأنّ اللّه راض عن هذا

۱- ۱) -ذکره الطبرسی فی مجمع البیان و مفسّرون آخرون أمثال الزمخشری فی الکشّاف و الفخر الرازی فی التّفسیر الکبیر.. و یضیف الطبرسی أنّه ذکره ابن عبّاس و السدی و الکلبی و جماعه من المفسّرین!..

۲- ۲) -ذکر هذا الشأن صاحب مجمع البیان و القرطبی و روح البیان..و روح المعانی و بعض التفاسیر الاخر.

۳- ۳) -أکدی مأخوذ من الکدیه و معناه الصلابه،ثمّ أطلق علی من یمسک و البخیل.

التعامل إلّا ما تدور فی أذهانهم من أوهام؟فهم يتّبعون ما يتوهّمون فرارا من تحمّل المسؤوليه.

و بعد هذا تأتی الآيه الاخری لتبيّن اعتراض القرآن الشديد علی ذلک،و بيان لأصل كلّی مطّرد فی الأديان السماويه كلّها فتقول:تری أ هذا الذی امتنع عن الإنفاق أو الإيمان بالوعود الخياليه.و يريد أن يخلص نفسه من عذاب اللّه بإنفاقه اليسير و الزهيد من أمواله،أ تغنيه هذه الخيالات و التصوّرات: أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمٰا فِی صُحُفِ مُوسیٰ وَ إِبْرٰاهِيمَ الَّذِی وَفّٰی (1) .

«إبراهيم»:هو ذلک النّبی العظيم الذی أدّی حقّ رساله اللّه،و بلّغ ما أمره به و وفی بجميع عهوده و مواثيقه،و لم يخش تهديد قومه و طاغوت زمانه، ذلک الإنسان الذی امتحن بمختلف الامتحانات حتّی بلغ به أن يقدّم ولده ليذبحه بأمر اللّه،و خرج منتصرا مرفوع الرأس من جميع هذه الامتحانات و نال المقام السامی لقياده الامّه..كما نقرأ هذا المعنی فی الآيه(124)من سوره البقره إذ تقول: وَ إِذِ ابْتَلیٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّی جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً .

و قال بعض المفسّرين فی توضيح معنی الآيه:أنّه بذل نفسه للنيران و قلبه للرحمن و ولده للقربان و ماله للإخوان (2) .

ثمّ تأتی الآيه الاخری لتقول: أَلاّٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْریٰ .

«الوزر»فی الأصل مأخوذ من«الوزر»-علی زنه خطر-و معناه المأوی أو الكهف أو الملجأ الجبلی،ثمّ استعلمت هذه الكلمه فی الإعباء الثقيله!لشباهتها الصخور الجبليه العظيمه،و أطلقت علی الذنب أيضا،لأنّه يترک عبئا ثقيلا علی ظهر الإنسان.

1- 1) -وفّی مصدره توفيه معناه البذل و الأداء التامّ..

2- 2) -روح البيان،ج 9،ص 246.

و المراد من«الوازره»من يتحمّل الوزر (۱) .

و لمزید الإیضاح یضیف القرآن قائلا: وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعیٰ (۲) .

«السعی»فی الأصل معناه السیر السریع الذی لا یصل مرحله الرکض،إلاّ أنّه یستعمل غالبا فی الجدّ و المثابره،لأنّ الإنسان یؤدّی حرکات سریعه فی جدّه و مثابرته سواء کان ذلک فی الخیر أو الشرّ! و الذی یسترعی الانتباه أنّ القرآن لا یقول:و ان لیس للإنسان إلاّ ما أدّی من عمل..بل یقول:إلاّ ما سعی.و هذا التعبیر إشاره إلی أنّ علی الإنسان أن یجدّ و یثابر فذلک هو المطلوب منه و إن لم یصل إلی هدفه،فالعبره بالنیّه،فإذا نوی خیرا أعطاه اللّه ثوابه،لأنّ اللّه یتقبّل النیّات و المقاصد لا الأعمال المؤدّاه فحسب.

أمّا الآیه التالیه فتقول: وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُریٰ فالإنسان لا یری غدا نتائج أعماله التی کانت فی مسیر الخیر أو الشرّ فحسب،بل سیری أعماله نفسها یوم الحساب،کما نجد التصریح بذلک فی الآیه(۳۰)من سوره آل عمران: یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً .

کما ورد التصریح بمشاهده الأعمال الصالحه و الطالحه عند القیامه فی سوره الزلزله الآیتین(۷)و ۸): فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ ! أمّا الآیه الأخیره من الآیات محل البحث فتقول: ثُمَّ یُجْزٰاهُ الْجَزٰاءَ الْأَوْفیٰ (۳) .

و المراد من«الجزاء الأوفی»هو الجزاء الذی یکون طبقا للعمل.و بالطبع هذا

ص: ۲۶۱

۱- ۱) -أتت لفظ الوازره لکونه وصفا للنفس المحذوفه فی الآیه و مثلها تأنیث اخری.

۲- ۲) -کلمه«ما»فی«ما سعی»مصدریه.

۳- ۳) -نائب الفاعل فی یجزاه ضمیر یعود علی الإنسان و الهاء فی یجزاه تعود علی العمل(مع حذف حرف الجرّ)و تقدیر الآیه هکذا ثمّ یجزی الإنسان بعمله أو علی عمله الجزاء الأوفی..یقول الزمخشری فی الکشّاف:یمکن أن لا یکون هناک حرف مقدّر لأنّه یقال یجزی العبد سعیه..إلاّ أنّه ینبغی الالتفات إلی أنّه یقال مثلا جزاه اللّه علی عمله و یندر أن یقال جزاه اللّه عمله،و الجزاء الأوفی یمکن أن یکون مفعولا ثانیا أو مفعولا مطلقا.

لا ينافى لطف اللّه و تفضّله بأن يضاعف الجزاء على الأعمال الصالحه عشره أضعاف أو عشرات الأضعاف و مئاتها و إلى ما شاء اللّه!و ما فسّره بعضهم بأنّ «الجزاء الأوفى»معناه الجزاء الأكثر فى شأن الحسنات،لا يبدو صحيحا،لأنّ كلام هذه الآيه يشمل الذنوب و الأعمال الطالحه،بل الكلام فيها أساسا على الوزر و الذنب«فلاحظوا بدقّه»!

بحوث

اشاره

۱-ثلاثه اصول إسلاميه مهمّه

أشير فى الآيات-آنفه الذكر-إلى ثلاثه اصول من الأصول الإسلاميه، و قد أكّدت عليها الكتب السماويه السابقه و هى:

أ-كلّ إنسان مسئول عن ذنبه و وزره.

ب-ليس للإنسان فى آخرته إلّا سعيه.

ج-يجزى اللّه كلّ إنسان على عمله الجزاء الأوفى.

و هكذا فإنّ القرآن يشجب الكثير من الأوهام و الخرافات التى يهتمّ بها عامّه الناس أو السائده بينهم و كأنّها مذهب عقائدى! و القرآن لا ينفى-عن هذا الطريق-عقيده العرب المشركين الذين يعتقدون أنّ بإمكان الإنسان أن يتحمّل وزر الآخر فحسب!بل ينفى الإعتقاد الذى كان سائدا-و لا يزال-بين المسيحيين،و هو أنّ اللّه أرسل ابنه المسيح ليصلب و يذوق العذاب و الألم و يحمل على عاتقه ذنوب المذنبين!.

و كذلك يحكم على جماعه من القسسه و الرهبان بقبح عملهم لما كانوا يبيعونه من صكوك الغفران و منح قطع الأراضى فى الجنّه لمن يشاءون،و العفو عن المخطئين!!فكلّ هذه الأمور باطله.

ص:۲۶۲

و منطق العقل أيضا يقتضى أنّ كلّا مسئول عن عمله،و يعود عليه عمله بالنفع أو الضرر.

و هـذا المبـدأ الإسـلامى يؤدّى إلى أن يسـعى الإنسان إلى الخير و أن يجتهد بدلا من الالتجاء إلى الخرافات أو أن يتحمّل آثامه غيره!و أن يتجنّب الذنب و يتّقى اللّه،و إذا ما اتّفق له أن عثرت قدمه فى معصيه،فعليه أن يبادر إلى التوبه و يجبر ذلک بالاستغفار و العمـل الصالـح! و تـأثير هـذه العقيـده التربويه فى النـاس واضـح تماما و لا يقبل الإنكار،كما أنّ أثر تلک المعتقـدات الجاهليه الفاسده-المخرّب لا يخفى على أحد.

و صـحيح أنّ هذه الآيات ناظره إلى السـعى و المثابره و العمل للآخره و رؤيه الثواب فى الآخره!إلّا أنّ الملاک و المعيار الأصلى لـه يتجلّى فى الـدنيا أيضـا..أى أنّ الأـفراد المـؤمنين لاـ ينبغى لهـم أن يتوقّعـوا مـن الآـخرين أن يعملـوا لهـم و يحلّـوا مشـاكلهم الاجتماعيه،بل عليهم أنفسهم أن ينهضوا و يجدّوا و يثابروا أبدا.

و يسـتفاد من هـذه الآيـات أصل حقوقى فى المسائل الجزائيه أيضا،و هو أنّ الجزاء أو العقاب إنّما ينال المـذنب الحقيقى،و ليس لأحد أن يجعل إثم غيره فى ذمّته!

۲-سوء الاستفاده من مفاد الآيه:

كما بيّنا آنفا،فإنّ هـذه الآيات بقرينه الآيات التى قبلها و الآيات التى بعـدها ناظره إلى سـعى الإنسان لأمور الآخره،إلّا أنّه مع هذه الحال-لما كان ذلک على أساس حكم عقلى مسلّم به فيمكن تعميم السعى و الجدّ حتّى يشمل السعى لأمور الدنيا و يشمل أيضا الجزاء الـدنيوى،إلاـ أنّ ذلـک لا يعنى أن يتأثّر بعضـهم بالمـذاهب الاشتراكيه فيقول:إنّ مفهوم الآيه أنّ المالكيه إنّما تحصل عن طريق العمل فحسب،و بذلک يخطّى قانون الإرث و المضاربه و الإجاره و أمثالها!

ص :۲۶۳

و العجب أنّه ينادى بالإسلام و يستدلّ بآيات القرآن أيضا مع أنّ مسأله الإرث من الأصول الإسلاميه القطعيه،و كذلك الخمس و الزكاه!علما بأنّه لم يسع الوارث إلى إرثه و لا مستحقّو الزكاه أو الخمس إليهما،و لم يقع سعى فى مواطن النذر و الوصايا و مع كلّ ذلك فإنّ القرآن الكريم ذكر هذه الأمور.

و بتعبير آخر أنّ هذا هو الأصل،إلاّ أنّه غالبا ما يوجد استثناء أمام كلّ أصل، فمثلا الولد يرث أباه هذا أصل إسلامى،لكن متى قتل الولد أباه أو خرج عن الإسلام حرم حقّ الإرث.

و كذلك نتيجه سعى كلّ شخص تعود عليه أو إليه،هذا هو الأصل،إلاّ أنّه لا مانع من أن يعطى مقدار من المال للآخر طبقا لقرار الإجاره بين الطرفين،و هو أصل قرآنى (۱) كذلك،أو أن ينتقل المال عن طريق النذر أو الوصيه،كما صرّح به القرآن الكريم.

۳-الجواب على سؤالين

يرد هنا سؤالان و ينبغى أن نجيب عليها:

أوّلا:إذا كان ما يناله الإنسان يوم القيامه هو نتيجه سعيه،فما معنى الشفاعه إذا؟! و الثّانى:إنّنا نقرأ فى الآيه(۲۱)من سوره الطور فى شأن أهل الجنّه: أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ !مع أنّ الذريّه لم تسع فى هذا المضمار،ثمّ إنّنا نجد فى الرّوايات الإسلاميه أنّ الإنسان إذا عمل عملا صالحا فإنّ نتيجه ذلك تنعكس على أبنائه أيضا.

و الجواب على هذه الأسئله جمله واحده و هى أنّ القرآن يقول أنّ الإنسان

۱- ۱) -جاء هذا الأصل فى قصّه موسى و شعيب فى سوره القصص الآيه(۲۷).

ليس له أن يأخذ أكثر من سعيه و عمله،إلاّ أنّه لا يمنع أن ينال بعض الناس اللائقين نعما أخر عن طريق اللطف و التفضّل الإلهى.

فالاستحقاق شيء،و التفضّل شيء آخر!كما أنّ اللّه يضاعف الحسنات عشرات المرّات بل مئات المرّات و آلافها أحيانا.

ثمّ-الشفاعه-كما ذكرنا فى محلّه-ليست اعتباطا..-بل هى بحاجه إلى السعى و الجدّ و إيجاد العلاقه بالشافع أيضا،و كذلك الأمر فى شأن ذريّه الأشخاص الصالحين،فإنّ القرآن يقول أيضا: وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ !.

۴-صحف إبراهيم و موسى

«الصحف»جمع صحيفه،و تطلق هذه الكلمه على كلّ شيء واسع كما يقال مثلا صحيفه الوجه،ثمّ استعملوا هذه الكلمه على صفحات الكتاب.

فالمراد من صحف موسى هى التوراه النازله عليه و أمّا صحف إبراهيم فما نزل عليه من كتاب سماوى أيضا.

ينقل المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان حديثا عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير سوره الأعلى و خلاصته ما يلى.

يسأل أبو ذرّ النّبى:يا رسول اللّه كم عدد الأنبياء؟ فيجيبه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّهم مائه الف نبى و أربعه و عشرون ألفا.

فيسأله ثانيه عن الرسل منهم:كم المرسلون؟ فيجيبه النبى:ثلاثمائه و ثلاثه عشر و بقيّتهم أنبياء..«و الرّسول هو المأمور بالإنذار و الإبلاغ فى حين أنّ النّبى أعمّ منه مفهوما».

و يسأل أبو ذرّ مرّه اخرى:كان آدم نبيّا؟! فيجيب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:نعم،كلّمه اللّه و خلقه بيده.

فيسأله أبو ذرّ:كم أنزل اللّه من كتاب؟فيجيب النبى:مائه و أربعه كتب أنزل اللّه

منها على آدم عشر صحف،و على شيث خمسين صحيفه و على أخنوخ و هو «إدريس»ثلاثين صحيفه،و هو أوّل من خطّ بالقلم،و على إبراهيم عشر صحائف، و التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان» (۱) .

۵-المسؤوليه عن الأعمال فى كتب السابقين

الذى يلفت النظر أنّ التّوراه الحاليه أوردت المضمون الذى ذكرته الآيات محلّ البحث فى كتاب حزقيل إذ جاء فيه:

«الجانى الذى يذنب سيموت،و الابن لا يحمل عبء أبيه و الأب لا يحمل ذنب ابنه» (۲) .

و جاء هذا المعنى ذاته أيضا فى مورد القتل فى سفر التثنيه من التوراه.

«لا يقتل الآباء عوضا عن الأبناء و لا يقتل الأبناء عوضا عن الآباء،فكلّ يقتل بذنبه» (۳) .

و بالطبع فإنّ كتب الأنبياء الأصليه ليست فى متناول اليد،و إلاّ لكان من الممكن أن نعثر على موارد أكثر فى شأن هذا الأصل و أمثاله.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۷۶ و ذكر هذا الحديث فى روح البيان أيضا،ج ۹،ص ۲۴۶.

۲- ۲) -كتاب حزقيل،الفصل ۱۸ ص ۲۰.

۳- ۳) -التوراه،سفر التثنيه،باب ۲۴ الرقم ۱۶.

الآیات [سوره النجم (۵۳): الآیات ۴۲ الی ۴۹]

اشاره

وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ اَلْمُنْتَهىٰ (۴۲) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكىٰ (۴۳) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمٰاتَ وَ أَحْيٰا (۴۴) وَ أَنَّهُ خَلَقَ اَلزَّوْجَيْنِ اَلذَّكَرَ وَ اَلْأُنْثىٰ (۴۵) مِنْ نُطْفَهٍ إِذٰا تُمْنىٰ (۴۶) وَ أَنَّ عَلَيْهِ اَلنَّشْأَهَ اَلْأُخْرىٰ (۴۷) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ (۴۸) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ اَلشِّعْرىٰ (۴۹)

التّفسیر

اشاره

كلّ شیء ینتهی إلیه:

فی هذه الآیات تتجلّی بعض صفات اللّه التی ترشد الإنسان إلی مسأله التوحید و كذلك المعاد أیضا.

ففی هذه الآیات و إكمالا للبحوث الوارده فی شأن جزاء الأعمال یقول القرآن: وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ .

و لیس الحساب و الثواب و الجزاء فی الآخره بید قدرته فحسب،فإنّ الأسباب و العلل جمیعها تنتهی سلسلتها إلی ذاته المقدّسه،و جمیع تدبیرات هذا العالم تنشأ من تدبیراته،و أخیرا فإنّ ابتداء هذا العالم و الموجودات و انتهاؤها كلّها

منه و إليه،و تعود إلى ذاته المقدّسه.

و نقرأ فی بعض الرّوايات فی تفسير هذه الآيه

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال:

«إذا انتهى الكلام إلى اللّه فأمسكوا» (۱) .

أی لا تتكلّموا فی ذات اللّه فإنّ العقول تحار فيه و لا تصل إلى حدّ فإنّه لا يمكن للعقول المحدوده أن تفكّر فی ما هو غير محدود لأنّه مهما فكّرت العقول فتفكيرها محدود و حاشا للّه أن يكون محدودا.

و بالطبع فإنّ هذا التّفسير يبيّن مفهوما آخر لهذه الآيه و لا ينافی ما ذكرناه آنفا و يمكن الجمع بين المفهومين فی الآيه.

ثمّ يضيف القرآن فی الآيه التاليه مبيّنا حاكميه اللّه فی أمر ربوبيته و انتهاء امور هذا العالم إليه فيقول: وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكىٰ وَ أَنَّهُ هُوَ أَمٰاتَ وَ أَحْيٰا وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ (۲) مِنْ نُطْفَهٍ إِذٰا تُمْنىٰ ! و هذه الآيات الأربع و ما قبلها فی الحقيقه هی بيان جامع و توضيح طريف لمسأله انتهاء الأمور إليه و تدبيره و ربوبيته،لأنّها تقول:إنّ موتكم و حياتكم بيده و استمرار النسل عن طريق الزوجين بيده،و كلّ ما يحدث فی الحياه فبأمره،فهو يضحك،و هو يبكی،و هو يميت،و هو يحيی،و هكذا فإنّ أساس الحياه و المعوّل عليه من البدايه حتّى النهايه هو ذاته المقدّسه.

و قد جاء فی بعض الأحاديث ما يوسع مفهوم الضحک و البكاء فی هذه الآيه ففسّرت بأنّه سبحانه:أبكی السماء بالمطر و أضحک الأرض بالنبات (۳) .

و قد أورد بعض الشعراء هذا المضمون فی شعره فقال:

ص: ۲۶۸

۱- ۱) -تفسير علی بن إبراهيم طبقا لما جاء فی نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۷۰.

۲- ۲) -هذه الأفعال و إن جاءت بصيغه الماضی إلاّ أنّها تعطی معنى الفعل المضارع أيضا و الدلاله على الدوام...(فلاحظوا بدقّه).

۳- ۳) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۷۲.

انّ فصل الربیع فصل جمیل

تضحک الأرض من بکاء السماء

و ما یسترعی النظر أنّ القرآن أشار إلی صفتی الضحک و البکاء دون سائر أفعال الإنسان،لأنّ هاتین الصفتین خاصّتان بالإنسان و غیر موجودتین فی الحیوانات الاخر أو نادرتان جدّا.

أمّا تصویر انفعالات الإنسان عند الضحک أو البکاء و علاقتهما بالتغیّرات فی نفس الإنسان و روحه فانّها غریبه و عجیبه جدّا،و کلّ هذه الأمور فی مجموعها یمکن أن تکون آیه واضحه من آیات المدبّر الحقّ،بالإضافه إلی التناسب الموجود بین الضحک و البکاء و الحیاه و الفناء! و علی کلّ حال،فانتهاء جمیع الأمور إلی تدبیر اللّه و ربوبیته لا ینافی أصل الإختیار و حریه إراده الإنسان،لأنّ الإختیار و حریه الإراده فی الإنسان أیضا من قبل اللّه و تدبیره و تنتهی إلیه!.

و بعد ذکر الأمور المتعلّقه بالربوبیه و التدبیر من قبل اللّه یتحدّث القرآن عن موضوع المعاد فیقول: وَ أَنَّ عَلَیْهِ النَّشْأَهَ الْأُخْریٰ .

«النشأه»:معناها الإیجاد و التربیه،و«النشأه الاخری»لیست شیئا سوی القیامه! و التعبیر ب«علیه»من جهه أنّ اللّه لمّا خلق الناس و حمّلهم الوظائف و المسؤولیات و أعطاهم الحریه و کان بینهم المطیعون و غیر المطیعون و الظلمه و المظلومون و لم یبلغ أی من هؤلاء جزاءه النهائی فی هذا العالم،اقتضت حکمته أن تکون نشأه اخری للتحقّق العداله.

أضف إلی ذلک فإنّ الحکیم لا یخلق هذا العالم الواسع لأیّام أو سنوات محدوده بما فیها من مسائل غیر منسجمه،فلا بدّ أن یکون مقدّمه لحیاه أوسع تکمن فیها قیمه هذا الخلق الواسع،و بتعبیر آخر إذا لم تکن هناک نشأه اخری فإیجاد هذا العالم لا یبلغ هدفه النهائی!

و ممّا ينبغى الالتفات إليه أنّ اللّه سبحانه جعل هـذا الوعـد لعباده وعدا محتوما على نفسه،و صدق كلام اللّه يوجب أن لا يخلف وعده.

ثمّ يضيف القرآن فى الآيه التاليه قائلا: وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ فاللّه سبحانه لم يرفع حاجات الإنسان الماديه عنه بلطفه العميم فحسب،بل أولاده غنى يرفع عنه حاجاته المعنويه من امور التربيه و التعليم و التكامل عن طريق إرسال الرسل إليه و إنزال الكتب السماويه و إعطائه المواهب العديده.

«و أغنى»:فعل مشتق من غنى و معناه عدم الحاجه.

«و أقنى»:فعل مشتقّ من قنيه على وزن جزيه،و معناها الأموال التى يدّخرها الإنسان (۱) .

فيكون معنى الآيه على هذا النحو:هو أغنى أى رفع الحاجات الفعليه،و أقنى معناه إيلاء المواهب التى تدخّر سواء فى الأمور الماديه كالحائط أو البستان و الأملاك و ما شاكلها،أو الأمور المعنويه كرضا اللّه سبحانه الذى يعدّ أكبر«رأس مال»دائم! و هناك تفسير آخر لأقنى،و هو أنّه ما يقابل أغنى،أى أنّ الغنى و الفقر بيد قدرته،نظير ذلك ما جاء فى الآيه(۲۶)من سوره الرعد: اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ .

إلاّ أنّ هذا التّفسير لا ينسجم مع ما ورد عن«أقنى»من معنى فى كتب اللغه و الآيه المذكوره فى هذا الصدد لا يمكن أن تكون«شاهدا»على هذا التّفسير.

أمّا آخر آيه من الآيات محلّ البحث فتقول: وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ .

و التعويل فى القرآن على«الشعرى»النجم المعروف فى السماء بالإضافه إلى أنّه أكثر النجوم لمعانا و يطّلع عند السحر فى مقربه من الجوزاء ممّا يلفت النظر

۱- ۱) -راجع المفردات للراغب،مادّه قنى.

تماما..هذا التعويل و التصريح به لأنّ طائفه من المشركين العرب كانت تعبده، فالقرآن يشير إلى أنّ الأولى بالعباده هو اللّه لأنّه ربّ الشعرى«و ربّكم».

و ينبغى الالتفات-ضمنا-أنّ هناك نجمين معروفين باسم الشعرى أحدهما إلى الجنوب و يدعى بنجم الشعرى اليمانى«لأنّ اليمن جنوب الجزيره العربيه» و الآخر نجم الشعرى الشامى الواقع فى الجهه الشماليه«و الشام شمال الجزيره أيضا»إلّا أنّ المعروف و المشهور هو الشعرى اليمانى.

و هناك لطائف و مسائل خاصّه فى هذا النجم«الشعرى»سنتحدّث عنه بعد قليل.

بحوث

اشاره

١-كلّ الدلائل تشير إليه

إنّ ما تثيره هذه الآيات فى الحقيقه إشاره إلى هذا المعنى،و هو أنّ أى نوع من أنواع التدبير فى هذا العالم إنّما يعود إلى ذات اللّه المقدّسه،بدءا من مسأله الموت و الحياه،إلى خلق الإنسان من نطفه لا قيمه لها،و كذلك الحوادث المختلفه التى تقع فى حياه الإنسان فتضحكه تاره و تبكيه اخرى،كلّ ذلك من تدبير اللّه سبحانه.

و النجوم و الكواكب المشرقه فى السماء تطلع و تغيب بأمره و تحت ربوبيته.

و فى الأرض الغنى و عدم الحاجه و ما يقتنيه الإنسان كلّ ذلك يعود إلى ذاته المقدّسه.

و بالطبع فإنّ النشأه الاخرى بأمره أيضا،لأنّها حياه جديده و امتداد لهذه الحياه و استمرارها.

هذا البيان-يبرز خطّ التوحيد من جهه..و من-جهه اخرى-خطّ المعاد، لأنّ خالق الإنسان من نطفه لا قيمه لها فى الرحم قادر على تجديد حياته أيضا.

و بتعبير آخر،إنّ جميع هذه الأمور كاشفه عن توحيد أفعال اللّه و توحيد ربوبيته..أجل كلّ هذى الأصداء من إيحائه!

٢-عجائب نجم الشعرى:

«نجم الشعرى»كما أشرنا إليه آنفا من أشدّ النجوم فى السماء لمعانا و إشراقا و هو معروف بنجم الشعرى اليمانى،لأنّه يقع فى جهه جنوب الجزيره العربيه، و حيث أنّ اليمن فى جنوب الجزيره أيضا فقد أطلق عليه«باليمانى»! و كانت طائفه من العرب كقبيله«خزاعه»تقدّس هذا النجم و تعبده و تعتقد أنّه مبدأ الموجودات على الأرض..فتأكيد القرآن على أنّ اللّه ربّ الشعرى هو لإيقاظ هذه القبيله و أمثالها من غفوتها،لئلاّ يشتبه المخلوق بالخالق و يجعل المربوب مكان الربّ كما كانت القبيله آنفه الذكر عليه.

هذا النجم العجيب الخلقه لإشراقه الكثير عدّ ملك النجوم و له أسرار و عجائب نشير إليها فى هذا البحث مع ملاحظه أنّ هذه الحقائق كانت فى ذلك العصر مجهوله عند العرب و غيرهم عن الشعرى فإنّ تأكيد القرآن على هذا الموضوع ذو معنى غزير! أ-طبقا للتحقيقات التى أجريت فى المراصد المعروفه فى العالم عن «الشعرى»ظهر أنّ حراره هذا النجم تبلغ ١٢٠ ألف درجه سانتيغراد!.

مع العلم أنّ حراره سطح الشمس لا تتجاوز ٦٥٠٠ درجه سانتيغراد و هذا التفاوت بين الحرارتين يبيّن مدى حراره الشعرى بالنسبه إلى الشمس.

ب-الجرم المخصوص لهذا النجم أثقل وزنا من الماء بمقدار خمسين ألف مرّه تقريبا،أى أنّ وزن الليتر من الماء على الشعرى يعادل خمسين طنّا على سطح الأرض!مع أنّ من بين مجموع المنظومه الشمسيه يعدّ كوكب عطارد أكثر الأجرام فى وزنه النوعى و لا يتجاوز وزنه النوعى ستّه أضعاف الوزن النوعى للماء!

فينبغى أن نعرف بهذا الوصف كم هذا النجم مثير للدهشه و العجب،و من أى عنصر يتألّف حتّى صار مضغوطا بهذا المستوى؟! ج-يظهر نجم الشعرى-فى قرننا-عند فصل الشتاء إلاّ أنّ هذا النجم أو الكوكب كان يظهر فى عصر منجّمى مصر فى الصيف!و هو كوكب كبير يعادل عشرين ضعفا من كوكب الشمس،و مسافته تبعد عن الأرض أكثر من مسافه الشمس بمقدار كبير و قد ذكروا أنّ مسافه بين الشعرى و الأرض تعادل مليون مرّه المسافه بيننا و بين الشمس.

و نعرف أنّ سرعه النور فى الثانيه ۳۰۰ ألف ألف متر(ثلاثمائه ألف كيلومتر) و أنّ نور الشمس يصل إلينا خلال ثمانى دقائق و ثلاث عشره ثانيه مع أنّها تبعد عنّا مسافه خمسه عشر مليون كيلو«مترا»..فى حين أنّ شعاع الشعرى لا يصلنا إلاّ بعد عشر سنين،و الآن قدّروا كم هى الفاصله بين الشعرى و الأرض! د-لكوكب الشعرى نجم تابع له يدور حوله و هو من نجوم السماء الغامضه.

و أوّل من اكتشفه عالم يدعى بسل Besell عام ۱۸۴۴ م إلاّ أنّه رؤى عام ۱۸۶۲ بالمجهر«التلسكوب»و يكمل هذا النجم دورته حول الشعرى فى ۵۰ عاما (۱) .

كلّ هذا يدلّ أنّ تعابير القرآن إلى أىّ مدى عميقه و ذات معنى غزير،و فى طيّات تعابيره حقائق كامنه إذا لم يقدّر لها أن تعرف فى عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان.

۳-حديث عميق المحتوى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

جاء فى بعض الأحاديث أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرّ بقوم يضحكون فقال:لو تعلمون

۱- ۱) -دائره المعارف الإسلاميه مادّه،شعرى.

مـا أعلم لبكيتم كثيرا و لضـحكتم قليلاـ فنزل عليه جبرئيـل فقـال:إنّ اللّه هو أضـحك و أبكى فرجع النّبى إليهم و قال ما خطوت أربعين خطوه حتّى أتانى جبرئيل فقال:

ائت هؤلاء،فقل لهم:إنّ اللّه أضحك و أبكى (۱) .

و فى ذلـك إشـاره إلى أنّ المؤمن لا يلزمه أن يبكى دائما،فالبكاء من خوف اللّه فى محلّه مطلوب،و الضـحك فى محلّه مطلوب أيضا،لأنّهما من اللّه! و على كلّ حال،فإنّ هـذه التعابير لا تنافى أصل الإختيار و حريه الإراده فى الإنسان،لأنّ الهدف هو بيان علّه العلـل و خالق هـذه الغرائز و الإحساسات! و عنـد ما نقرأ فى الآيه ۸۲ من سوره التوبه قوله تعـالى: فَلْيَضْـحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ فهذا الأمر وارد فى المنافقين،لأنّ الآيات التى قبل هذه الآيه و بعدها تشـهد بذلك! الذى يلفت النظر أنّ القرآن يقسم فى بـدايه السوره بـالنجم فيقول: وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ و فى الآـيه محلّ البحث يقول فى بيان صـفات اللّه: وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ فإذا جمعنا الآيتين جنبا إلى جنب فهمنا لم لا يصـحّ عباده الشعرى،لأنّ كوكب الشـعرى يأفل أيضا،و هو أسـير فى قبضـه قوانين الخلق!

۱- ۱) -تفسير الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۳۰.

الآيات [سوره النجم (۵۳): الآيات ۵۰ الی ۵۵]

اشاره

وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً اَلْأُولىٰ (۵۰) وَ ثَمُودَ فَمٰا أَبْقىٰ (۵۱) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كٰانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغىٰ (۵۲) وَ اَلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوىٰ (۵۳) فَغَشّٰاهٰا مٰا غَشّٰى (۵۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكَ تَتَمٰارىٰ (۵۵)

التّفسير

اشاره

ألا تكفی دروس العبره هذه؟!

هذه الآيات-كالآيات المتقدّمه-تستكمل المسائل المذكوره فی الصحف الاولی و ما جاء فی صحف إبراهيم و موسی.

و كانت الآيات المتقدّمه قد ذكرت عشر مسائل ضمن فصلين:

الأوّل:كان ناظرا إلی مسئوليه كلّ إنسان عن أعماله.

الثانی:ناظر إلی انتهاء جميع الخطوط و الحوادث إلی اللّه سبحانه!أمّا الآيات محلّ البحث فتتحدّث عن مسأله واحده-و إن شئت قلت-تتحدّث عن موضوع واحد ذلك هو مجازاه أربع امم من الأمم المنحرفه الظالمه و إهلاكهم،و فی ذلك إنذار لأولئك الذين يلوون رؤوسهم عن طاعه اللّه و لا يؤمنون بالمبدأ و المعاد (۱) .

۱- ۱) -ينبغی الالتفات بأنّ هذه المسائل أو المواضيع المشار إليها فی القرآن فی أحد عشر فصلا،كلّها بدأت بأنّ:فأوّلها جاء

فتبدأ الآیه الاولی من الآیات محلّ البحث فتقول: وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عٰاداً الْأُولیٰ وصف عاد ب«الاولی»إمّا لقدمها حتّی أنّ العرب تطلق علی کلّ قدیم أنّه«عادیّ» أو لوجود امّتین فی التاریخ باسم«عاد»و الامّه المعروفه التی کانت نبیّها هود علیه السّلام تدعی ب«عاد الاولی» (۱) .

و یضیف القرآن فی الآیه التالیه قائلا: وَ ثَمُودَ فَمٰا أَبْقیٰ .

و یقول فی شأن قوم نوح: وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کٰانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغیٰ .

لأنّ نبیّهم نوحا عاش معهم زمانا طویلا،و بذل قصاری جهده فی إبلاغهم و نصحهم،فلم یستجب لدعوته إلاّ قلیل منهم،و أصرّوا علی شرکهم و کفرهم و عتوّهم و استکبار هم و إیذائهم نبیّهم نوحا و تکذیبهم إیّاه و عباده الأوثان بشکل فظیع کما سنعرض تفصیل ذلک فی تفسیر سوره نوح إن شاء اللّه.

و أمّا رابعه الأمم فهی«قوم لوط»المشار إلیهم بقوله تعالی: وَ الْمُؤْتَفِکَهَ أَهْویٰ .

و الظاهر أنّ زلزله شدیده أصابت حیّهم و قریتهم فقذفت عماراتهم نحو السماء بعد اقتلاعها من الأرض و قلبتها علی الأرض،و طبقا لبعض الرّوایات کان جبرئیل قد اقتلعها بإذن اللّه و جعل عالیها سافلها و دمّرها تدمیرا.. فَغَشّٰاهٰا مٰا غَشّٰی (۲) .

أجل..لقد أمطروا بحجاره من السماء،فغشّت حیّهم و عماراتهم المنقلبه و دفنتها عن آخرها.

و بالرغم من أنّ التعبیر فی هذه الآیه و الآیه السابقه لم یصرّح بقوم لوط،إلاّ

(۱)

فی الآیه ۳۸ ألا تزر وازره وزر اخری و آخرها و أنّه أهلک عادا الاولی.

۱- ۱) -مجمع البیان و روح المعانی،و تفسیر الرازی.

۲- ۲) -«ما»فی ما غشّی یمکن أن تکون مفعولا به أو فاعلا نظیر و السماء و ما بناها إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل أکثر انسجاما مع ظاهر الآیه..و علی کلّ حال فإنّ هذا التعبیر یأتی للتهویل!

أنّ المفسّرين فهموا منه كما فهموا من الآيه ۷۰ من سوره التوبه و الآيه ۹ من سوره الحاقه هذا المعنى من عباره المؤتفكات،و قد احتمل بعضهم أنّه هذا التعبير يشمل كلّ المدن المقلوبه و النازل عليها العذاب من السماء،إلاّ أنّ آيات القرآن الاخر تؤيّد ما ذهب إليه المشهور بين المفسّرين!.

و قد جاء فى الآيه(۸۲)من سوره هود: فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ! و جاء فى تفسير على بن إبراهيم أنّ المؤتفكه«المدينه المقلوبه»هى «البصره»!لأنّه ورد فى روايه أنّ أمير المؤمنين عليا خاطب أهلها بالقول:يا أهل البصره و يا أهل المؤتفكه و يا جند المرأه و أتباع البهيمه! غير أنّه من المعلوم أنّ هذا التعبير فى كلام الإمام على عليه السّلام هو من باب التطبيق و المصداق،لا التّفسير،لاحتمال أن يكون أهل البصره يومئذ فيهم شبه بأهل المؤتفكه من الناحيه الأخلاقيه..و ما ابتلى به قوم لوط من عذاب اللّه! و فى ختام هذا البحث يشير القرآن إلى مجموع النعم الوارد ذكرها فى الآيات المتقدّمه و يلمح إليها بصوره استفهام إنكارى قائلا: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى ؟ فهل تشّك و تتردّد بنعم اللّه،كنعمه الحياه أو أصل نعمه الخلق و الإيجاد،أو نعمه أنّ اللّه هذه لا يأخذ أحدا بوزر أحد،و ما جاء فى الصحف الاولى و أكّده القرآن؟! و هل من شاكّ بهذه النعمه،و هى أنّ اللّه أبعدكم عن البلاء الذى عمّ الأمم السابقه بكفرهم و شملكم بعفوه و رحمته؟! أو هل هناك شكّ فى نعمه نزول القرآن و موضوع الرساله و الهدايه؟ صحيح أنّ المخاطب بالآيه هو شخص النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ أنّ مفهومها شامل لجميع المسلمين،بل الهدف الأصلى من هذه الآيه إفهام الآخرين.

«تتماری» (۱) مشتقّ من تماری و معناه المحاجه و المجادله المقرونه بالشکّ و التردّد! «آلاء»جمع:ألأ،أو إلی-علی وزن فعل-و الألئ معناها النعمه..و بالرغم من أنّ بعض ما جاء فی الآیات المتقدّمه و من ضمنها إهلاک الأمم السابقه و تعذیبهم لیس مصداقا للنعمه..إلاّ أنّه من جهه کونه درسا للعبره«للآخرین» و لأنّ اللّه لم یعذّب المسلمین و حتّی الکفّار المعاصرین لهم بذلک العذاب یمکن اعتبار ذلک نعمه عظیمه.

۱- ۱) -بالرغم من أنّ باب التفاعل فی اللغه العربیه یدلّ علی اشتراک طرفین فی الفعل،إلاّ أن تتماری هنا مخاطب به شخص واحد،و هو أمّا لتعدّد الحالات أو للتأکید..«فلاحظوا بدقّه».

الآيات [سوره النجم (۵۳): الآيات ۵۶ الی ۶۲]

اشاره

هٰذٰا نَذِيرٌ مِنَ اَلنُّذُرِ اَلْأُولىٰ (۵۶) أَزِفَتِ اَلْآزِفَهُ (۵۷) لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ كٰاشِفَهٌ (۵۸) أَ فَمِنْ هٰذَا اَلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (۵۹) وَ تَضْحَكُونَ وَ لاٰ تَبْكُونَ (۶۰) وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ (۶۱) فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَ اُعْبُدُوا (۶۲)

التّفسير

اشاره

اسجدوا له جميعا..

تعقيبا على الآيات المتقدّمه التى كانت تتحدث عن إهلاك الأمم السالفه لظلمهم، تتوجّه هذه الآيات-محلّ البحث-إلى المشركين،و الكفّار و منكرى دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتخاطبهم بالقول: هٰذٰا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولىٰ أى النّبى أو القرآن نذير كمن سبقه من المنذرين.

و قوله عن«القرآن أو النّبى«هذا نذير من النذر الاولى»يعنى أنّ رساله محمّد و كتابه السماوى لم يكن(أى منهما)موضوعا لم يسبق إليه،فقد أنذر اللّه أمما بمثله فى ما مضى من القرون،فعلام يكون ذلك مثار تعجّبكم؟ و قال بعض المفسّرين إنّ المراد من هٰذٰا نَذِيرٌ هو الإشاره إلى الإخبار

الوارد فی الآیات المتقدّمه عن نهایه الأمم السالفه،لأنّ هذا الإخبار بنفسه نذیر أیضا،إلاّ أنّ التّفسیرین السابقین أنسب کما یبدو.

و من أجل أن یلتفت المشرکون و الکفّار إلی الخطر المحدق بهم و یهتّموا به أکثر یضیف القرآن قائلا: أَزِفَتِ الْآزِفَهُ .

أجل،فقد اقترب و عد القیامه فأعدّوا أنفسکم للحساب،و التعبیر ب«الآزفه» عن القیامه هو لاقترابها و ضیق وقتها،لأنّ الکلمه هذه مأخوذه من الأزف علی وزن نجف.و معناه ضیق الوقت،و بالطبع فإنّ مفهومه یحمل الاقتراب أیضا..

و تسمیه القیامه بالآزفه فی القرآن بالإضافه إلی هذه الآیه محلّ البحث، وارده فی الآیه ۱۸ من سوره غافر أیضا..و هو تعبیر بلیغ و موقظ،و هذا المعنی جاء بتعبیر آخر فی سوره القمر(الآیه الاولی) اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ ،و علی کلّ حال فإنّ اقتراب القیامه مع الأخذ بنظر الإعتبار عمر الدنیا المحدود و القصیر یمکن إدراکه بوضوح،خاصّه ما ورد أنّ من یموت تقوم قیامته الصغری.

ثمّ یضیف القرآن قائلا:أنّ المهمّ هو أنّه لا أحد غیر اللّه بإمکانه إغاثه الناس فی ذلک الیوم و الکشف عمّا بهم من شدائد: لَیْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ کاشِفَهٌ (۱) .

«الکاشفه»هنا معناه مزیحه الشدائد.إلاّ أنّ بعضهم فسّرها بأنّها العامل لتأخیر القیامه،و بعضهم فسّرها بأنّها الکاشفه عن تاریخ وقوع یوم القیامه،إلاّ أنّ المعنی الأوّل أنسب ظاهرا.

و علی کلّ حال،فالحاکم و المالک و صاحب القدره فی ذلک الحین و کلّ حین هو اللّه سبحانه،فإذا أردت النجاه فالتجئوا إلیه و إلی لطفه و إذا طلبتم الدّعه و الأمان فاستظلّوا بالإیمان به.

و یضیف القرآن فی الآیه التالیه قائلا: أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ .

۱- ۱) -الضمیر فی لها یعود علی الآزفه و تأنیث الکاشفه،لأنّها صفه للنفس المحذوفه،و قال آخرون هی تاء المبالغه کالتاء فی العلامه.

و لعلّ هـذه الجمله إشـاره إلى القيـامه الوارد ذكرهـا آنفـا،أو أنّهـا إشاره إلى القرآن،لأنّه ورد التعبير عنه ب«الحـديث»فى بعض الآيـات كما فى الآيه ۳۴ من سوره الطور،أو أنّ المراد من«الحـديث»هو مـا جـاء من القصـص عن هلاـك الأمم السابقه أو جميع هذه المعانى.

ثمّ يقـول مخاطبـا: وَ تَضْـحَكُونَ وَ لاـ تَبْكُونَ وَ أَنْتُمْ سامِـدُونَ أى فى غفله مسـتمرّه و لهو و تكـالب على الـدنيا،مع أنّه لاـ مجـال للضـحك هنا و لا الغفله و الجهل، بل ينبغى أن يبكى على الفرص الفائته و الطاعات المتروكه،و المعاصى المرتكبه، و أخيرا فلا بدّ من التوبه و الرجوع إلى ظلّ اللّه و رحمته! و كلمه سامدون مشـتقّه من سـمود على وزن جمود-و معناه اللهو و الانشغال و رفع الرأس للأعلى تكبّرا و غرورا،و هى فى أصل استعمالها تطلق على البعير حين يرفل فى سيره و يرفع رأسه غير مكترث بمن حوله.

فهؤلاـء المتكـبّرون المغرورون كالحيوانـات همّهم الأكـل و النوم،و هم غـارقون باللذائـذ جـاهلون عمّـا يحـدق بهم من الخطر و العواقب الوخيمه و الجزاء الشديد الذى سينالهم.

و يقول القرآن فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث-و هى آخر آيه من سوره النجم أيضا-بعد أن بيّن أبحاثا متعدّده حول إثبات التوحيد و نفى الشرك:

فَاسْجُدُوا لِلّهِ وَ اعْبُدُوا

.

فإذا أردتم أن تسـيروا فى الصراط المستقيم و السبيل الحقّ فاسجدوا لذاته المقدّسه فحسب،إذ للّه وحده تنتهى الخطوط فى عالم الوجود،و إذا أردتم النجاه من العواقب الوخيمه التى أصابت الأمم السالفه لشركهم و كفرهم فوقعوا فى قبضه عذاب اللّه،فاعبدوا اللّه وحده.

الذى يجلب النظر-كما جاء فى روايات متعدّده-أنّ النّبى عند ما تلا هذه الآيه و سمعها المؤمنون و الكافرون سجدوا لها جميعا.

ص :۲۸۱

و وفقا لبعض الرّوايات أن الوحيد الذى لم يسجد لهذه الآيه عند سماعها هو «الوليد بن المغيره» [لعلّه لم يستطع أن ينحنى للسجود]

فأخذ قبضه من التراب و وضعها على جبهته فكان سجوده بهذه الصوره.

و لا مكان للتعجّب أن يسجد لهذه الآيه حتى المشركون و عبده الأصنام،لأنّ لحن الآيات البليغ من جهه،و محتواها المؤثّر من جهه اخرى و ما فيها من تهديد للمشركين من جهه ثالثه،و تلاوه هذه الآيات على لسان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المرحله الاولى من نزول الآيات عن لسان الوحى من جهه رابعه..كلّ هذه الأمور كان لها دور فى التأثير و النفوذ إلى القلوب حتّى أنّه لم يبق أىّ قلب إلاّ اهتزّ لجلال آيات اللّه و ألقى عنه.ستار الضلال و حجب العناد-و لو مؤقتا-و دخله نور التوحيد المشعّ!.

و إذا تلونا الآيه-بأنفسنا-و أنعمنا النظر فيها بكلّ دقّه و تأمّل و حضور قلب و تصوّرنا أنفسنا أمام النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فى جوّ نزول الآيات و بقطع النظر-عن اعتقادنا الإسلامى-نجد أنفسنا ملزمين على السجود عند تلاوتنا لهذه الآيه و أنّ نحنى رؤوسنا إجلالا لربّ الجلال! و ليست هذه هى المرّه الاولى التى يترك القرآن بها أثره فى قلوب المنكرين و يجذبهم إليه دون اختيارهم،إذ ورد فى قصّه«الوليد بن المغيره»أنّه لمّا سمع آيات فصّلت و بلغ النّبى(فى قوله)إلى الآيه: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَهِ عادٍ وَ ثَمُودَ قام من مجلسه و اهتزّ لها و جاء إلى البيت فظنّ جماعه من المشركين أنّه صبا إلى دين محمّد.

فبناء على هذا،لا حاجه أن نقول بأنّ جماعه من الشياطين أو جماعه من المشركين الخبثاء حضروا عند النّبى و لمّا سمعوا النّبى يتلو الآيه: أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى وَ مَناهَ الثّالِثَهَ الْأُخْرى بسطوا ألسنتهم و قالوا:تلك الغرانيق العلى!!و لذلك انجذب المشركون لهذه الآيات فسجدوا أيضا عند تلاوه النّبى آيه السجده!

لأنّنا كما أشرنا آنفا فی تفسیر هذه الآیات.انّ الآیات التی تلت هذه الآیات عنّفت المشرکین و لم تدع مجالا للشکّ و التردّد و الخطأ لأی أحد(فی مفهوم الآیه) [لمزید الإیضاح یراجع تفسیر الآیتین ۱۹ و ۲۰ من هذه السوره]

.

و ینبغی الالتفات أیضا إلی أنّ الآیه الآنفه یجب السجود عند تلاوتها،و لحن الآیه التی جاءت مبتدئه بصیغه الأمر-و الأمر دالّ علی الوجوب-شاهد علی هذا المعنی.

و هکذا فإنّ هذه السوره ثالثه السور الوارد فیها سجود واجب،أی هی بعد سوره الم السجده،و حم السجده..و إن کان بعضهم یری بأنّ أوّل سوره فیها سجود واجب نزلت علی النّبی من الناحیه التاریخیه-هی هذه السوره.

اللهمّ أنر قلوبنا بأنوار معرفتک لئلاّ نعبد سواک شیئا و لا نسجد إلاّ لک.

اللهمّ إنّ مفاتیح الرحمه و الخیر کلّها بید قدرتک،فارزقنا من خیر مواهبک و عطایاک،أی رضاک یا ربّ العالمین.

اللهمّ ارزقنا بصیره فی العبر-لنعتبر بالأمم السالفه و عاقبه ظلمها و أن نحذر الاقتفاء علی آثارهم آمین یا ربّ العالمین.

انتهت سوره النّجم

ص :۲۸۳

سوره القمر

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها خمس و خمسون آیه

ص :۲۸۵

محتوى السوره:

تحوى هذه السّوره خصوصيات السور المكيّه التى تتناول الأبحاث الأساسيّه حول المبدأ و المعاد،و خصوصا العقوبات التى نزلت بالأمم السالفه، و ذلك نتيجه عنادهم و لجاجتهم فى طريق الكفر و الظلم و الفساد..ممّا أدّى بها الواحده تلو الاخرى إلى الابتلاء بالعذاب الإلهى الشديد،و سبّب لهم الدمار العظيم.

و نلاحظ فى هذه السوره تكرار قوله تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ و ذلك بعد كلّ مشهد من مشاهد العذاب الذى يحلّ بالأمم لكى يكون درسا و عظه للمسلمين و الكفّار.

و يمكن تلخيص أبحاث هذه السوره فى عدّه أقسام هى:

١-تبدأ السوره بالحديث عن قرب وقوع يوم القيامه،و موضوع شقّ القمر، و إصرار و عناد المخالفين فى إنكار الآيات الإلهيّه.

٢-و القسم الثانى يبحث بتركيز و اختصار عن أوّل قوم تمرّدوا على الأوامر الإلهيّه،و هم قوم نوح،و كيفيّه نزول البلاء عليهم.

٣-أمّا القسم الثالث فإنّه يتعرّض إلى قصّه قوم«عاد»و أليم العذاب الذى حلّ بهم.

۴-و فى القسم الرابع تتحدّث الآيات عن قوم«ثمود»و معارضتهم لنبيّهم صالح عليه السّلام و بيان معجزه الناقه،و أخيرا ابتلاؤهم بالصيحه السماويه.

۵-تتطرّق الآيات بعد ذلك إلى الحديث عن قوم«لوط»ضمن بيان واف

لانحرافهم الأخلاقی...ثمّ عن السخط الإلهی علیهم و ابتلائهم بالعقاب الرّبانی.

۶-و فی القسم السادس ترکّز الآیات الکریمه-بصوره موجزه-الحدیث عن آل فرعون،و ما نزل بهم من العذاب الألیم جزاء کفرهم و ضلالهم.

۷-و فی القسم الأخیر تعرض مقارنه بین هذه الأمم و مشرکی مکّه و مخالفی الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المستقبل الخطیر الذی ینتظر مشرکی مکّه فیما إذا استمرّوا علی عنادهم و إصرارهم فی رفض الدعوه الإلهیّه.

و تنتهی السوره ببیان صور و مشاهد من معاقبه المشرکین،و جزاء و أجر المؤمنین و المتّقین.

و سوره القمر تتمیّز آیاتها بالقصر و القوّه و الحرکیه.

و قد سمّیت هذه السوره ب(سوره القمر)لأنّ الآیه الاولی منها تتحدّث عن شقّ القمر.

فضیله تلاوه سوره القمر:

ورد عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال:

«من قرأ سوره اقتربت الساعه فی کلّ غبّ بعث یوم القیامه و وجهه علی صوره القمر لیله البدر،و من قرأها کلّ لیله کان أفضل و جاء یوم القیامه و وجهه مسفر علی وجوه الخلائق» (۱) .

و من الطبیعی أن تکون النورانیه التی تتّسم بها هذه الوجوه تعبیرا عن الحاله الإیمانیه الراسخه فی قلوبهم نتیجه التأمّل و التفکّر فی آیات هذه السوره المبارکه و العمل بها بعیدا عن التلاوه السطحیه الفارغه من التدبّر فی آیات اللّه.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۹(بدایه سوره القمر).

الآيات [سوره القمر (۵۴): الآيات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَهُ وَ اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ يَرَوْا آيَهً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَ كَذَّبُوا وَ اِتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳)

التّفسير

اشاره

شقّ القمر!!

يتناول الحديث فى الآيه الاولى حادثتين مهمّتين:

أحدهما:قرب وقوع يوم القيامه،و الذى يقترن بأعظم تغيير فى عالم الخلق، و بدايه لحياه جديده فى عالم آخر،ذلك العالم الذى يقصر فكرنا عن إدراكه نتيجه محدوديه علمنا و استيعابنا للمعرفه الكونيه.

و الحادثه الثانيه التى تتحدّث الآيه الكريمه عنها هى معجزه انشقاق القمر العظيمه التى تدلّل على قدره البارئ عزّ و جلّ المطلقه،و كذلك تدلّ-أيضا-على صدق دعوه الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال تعالى: اِقْتَرَبَتِ السّٰاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ .

ص :۲۸۹

و جدير بالذكر أنّ سوره النجم التى أنهت آياتها المباركه بالحديث عن يوم القيامه أَزِفَتِ الْآزِفَهُ تستقبل آيات سوره القمر بهذا المعنى أيضا،ممّا يؤكّد قرب وقوع اليوم الموعود رغم أنّه عند ما يقاس بالمقياس الدنيوى فقد يستغرق آلاف السنين و يتوضّح هذا المفهوم،حينما نتصوّر مجموع عمر عالمنا هذا من جهه،و من جهه اخرى عند ما نقارن جميع عمر الدنيا فى مقابل عمر الآخره فانّها لا تكون سوى لحظه واحده.

إنّ اقتران ذكر هاتين الحادثتين فى الآيه الكريمه:«انشقاق القمر و اقتراب الساعه»دليل على قرب وقوع يوم القيامه،كما ذكر ذلك قسم من المفسّرين حيث أنّ ظهور الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-و هو آخر الأنبياء-قرينه على قرب وقوع اليوم المشهود...

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «بعثت أنا و الساعه كهاتين» (۱) مشيرا إلى إصبعيه الكريمين.

و من جهه اخرى،فإنّ انشقاق القمر دليل على إمكانيه اضطراب النظام الكونى،و نموذج مصغّر للحوادث العظيمه التى تسبق وقوع يوم القيامه فى هذا العالم،حيث اندثار الكواكب و النجوم و الأرض يعنى حدوث عالم جديد،استنادا إلى الرّوايات المشهوره التى ادّعى البعض تواترها.

قال ابن عبّاس: اجتمع المشركون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالوا:إن كنت صادقا فشقّ لنا القمر فلقتين،فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إن فعلت تؤمنون؟»قالوا:نعم، و كانت ليله بدر فسأل رسول اللّه ربّه أن يعطيه ما قالوا،فانشقّ القمر فلقتين و رسول اللّه ينادى:«يا فلان يا فلان،اشهدوا» (۲) .

و لعلّ التساؤل يثار هنا عن كيفيه حصول هذه الظاهره الكونيه:(انشقاق هذا الجرم السماوى العظيم)و عن مدى تأثيره على الكره الأرضيه و المنظومه

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۲۹،ص ۲۹.

۲- ۲) -ذكر فى مجمع البيان و كتب تفسير اخرى فى هامش تفسير الآيه مورد البحث.

الشمسيه،و كذلك عن طبيعه القوّه الجاذبه التى أعادت فلقتى القمر إلى وضعهما السابق،و عن كيفيّه حصول مثل هذا الحدث؟و لماذا لم يتطرّق التاريخ إلى ذكر شىء عنه؟بالإضافه إلى مجموعه تساؤلات اخرى حول هذا الموضوع و التى سنجيب عليها بصوره تفصيليّه فى هذا البحث إن شاء اللّه.

و النقطه الجديره بالذكر هنا أنّ بعض المفسّرين الذين تأثّروا بوجهات نظر غير سليمه،و أنكروا كلّ معجزه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عدا القرآن الكريم،عند ما التفتوا إلى وضوح الآيه الكريمه محلّ البحث و الرّوايات الكثيره التى وردت فى كتب علماء الإسلام فى هذا المجال،واجهوا عناءا فى توجيه هذه المعجزه الربّانيه، و حاولوا نفى الظاهره الإعجازيه لهذا الحادث...

و الحقيقه أنّ مسأله«انشقاق القمر»كانت معجزه،و الآيات اللاحقه تحمل الدلائل الواضحه على صحّه هذا الأمر كما سنرى ذلك إن شاء اللّه.

لقد كان جديرا بهؤلاء أن يصحّحوا و جهات نظرهم تلك،ليعلموا أنّ للرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معجزات عديده أيضا.

و إذا أريد الاستفاده من الآيات القرآنيه لنفى المعجزات فإنّها تنفى المعجزات المقترحه من قبل المشركين المعاندين الذين لم يقصدوا قبول دعوه الحقّ من أوّل الأمر و لم يستجيبوا للرسول الأكرم بعد إنجاز المعجز،لكن المعجزات التى تطلب من الرّسول من أجل الاطمئنان إلى الحقّ و الإيمان به كانت تنجز من قبله،و لدينا دلائل عديده على هذا الأمر فى تأريخ حياه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

يقول سبحانه: وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ .

و المراد من قوله تعالى«مستمر»أنّهم شاهدوا من الرّسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معجزات عديده،و شقّ القمر هو استمرار لهذه المعاجز،و أنّهم كانوا يبرّرون إعراضهم عن الإيمان و عدم الاستسلام لدعوه الحقّ و ذلك بقولهم:إنّ هذه المعاجز كانت«سحر مستمر».

و هنالک بعض المفسّرین من فسّر«مستمر»بمعنی«قوی»کما قالوا:(حبل مریر)أی:محکم،و البعض فسّرها بمعنی:الطارئ و غیر الثابت،و لکن التّفسیر الأنسب هو التّفسیر الأوّل.

أمّا قوله تعالی: وَ کَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ فإنّه یشیر إلی سبب مخالفتهم و عنادهم و سوء العاقبه التی تنتظرهم نتیجه لهذا الإسرار.

إنّ مصدر خلاف هؤلاء و تکذیبهم للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو تکذیب معاجزه و دلائله، و کذلک تکذیب یوم القیامه،هو اتّباع هوی النفس.

إنّ حاله التعصّب و العناد و حبّ الذات لم تسمح لهم بالاستسلام للحقّ، و من جهه اخری فإنّ المشرکین رکنوا للملذّات الرخیصه بعیدا عن ضوابط المسؤولیه، و ذلک إشباعا لرغباتهم و شهواتهم،و کذلک فإنّ تلوّث نفوسهم بالآثام حال دون استجابتهم لدعوه الحقّ،لأنّ قبول هذه الدعوه یفرض علیهم التزامات و مسئولیات الإیمان و الاستجابه للتکالیف...

نعم إنّ هوی النفس کان و سیبقی السبب الرئیسی فی إبعاد الناس عن مسیر الحقّ...

و بالنسبه لقوله تعالی: وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ،یعنی أنّ کلّ إنسان یجازی بعمله و فعله،فالصالحون سیکون مستقرّهم صالحا،و الأشرار سیکون مستقرّهم الشرّ.

و یحتمل أن یکون المراد فی هذا التعبیر هو أنّ کلّ شیء فی هذا العالم لا یفنی و لا یزول،فالأعمال الصالحه أو السیّئه تبقی مع الإنسان حتّی یری جزاء ما فعل.

و یحتمل أن یکون تفسیر الآیه السابقه أنّ الأکاذیب و الاتّهامات لا تقوی علی الاستمرار الأبدی فی إطفاء نور الحقّ و التکتّم علیه،حیث إنّ کلّ شیء(خیر أو شرّ)یسیر بالاتّجاه الذی یصبّ فی المکان الملائم له،حیث إنّ الحقّ سیظهر وجهه الناصح مهما حاول المغرضون إطفاءه،کما أنّ وجه الباطل القبیح سیظهر قبحه کذلک،و هذه سنّه إلهیّه فی عالم الوجود.

و هذه التفاسير لا تتنافى فيما بينها،حيث يمكن جمعها فى مفهوم هذه الآيه الكريمه.

بحوث

اشاره

[۱-شقّ القمر معجزه كبيره]

شقّ القمر معجزه كبيره للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مع ذلك فإنّ بعض الأشخاص السطحيين يصرّون على إخراج هذا الحادث من حاله الإعجاز،حيث قالوا:إنّ الآيه الكريمه تحدّثنا فقط عن المستقبل و عن أشراط الساعه،و هى الحوادث التى تسبق وقوع يوم القيامه...

لقد غاب عن هؤلاء أنّ الأدلّه العديده الموجوده فى الآيه تؤكّد على حدوث هذه المعجزه،و من ضمنها ذكر الفعل(انشقّ)بصيغه الماضى،و هذا يعنى أنّ(أشقّ القمر)شىء قد حدث كما أنّ قرب وقوع يوم القيامه قد تحقّق،و ذلك بظهور آخر الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

بالإضافه إلى ذلك،إن لم تكن الآيه قد تحدّثت عن وقوع معجزه،فلا يوجد أى تناسب أو انسجام بينها و بين ما ورد فى الآيه اللاحقه حول افترائهم على الرّسول بأنّه(ساحر)و كذلك قوله: وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ و التى تخبر الآيه هنا عن تكذيبهم للرساله و الرّسول و معاجزه.

إضافه إلى ذلك فإنّ الرّوايات العديده المذكوره فى الكتب الإسلاميه،و التى بلغت حدّ التواتر نقلت وقوع هذه المعجزه،و بذلك أصبحت غير قابله للإنكار.

و نشير هنا إلى روايتين منها:

الاولى:أوردها الفخر الرازى أحد المفسّرين السنّه،و الاخرى للعلاّمه الطبرسى أحد المفسّرين الشيعه.

يقول الفخر الرازى:«و المفسّرون بأسرهم على أنّ المراد أنّ القمر انشقّ

و حصل فیه الإنشقاق،و دلّت الأخبار علی حدیث الإنشقاق،و فی الصحیح خبر مشهور رواه جمع من الصحابه...و القرآن أدلّ دلیل و أقوی مثبت له و إمکانه لا یشکّ فیه،و قد أخبر عنه الصادق فیجب إعتقاد وقوعه» (۱) .

أمّا عن نظریه بطلیموس و القائله بأنّ(الأفلاک السماویه لیس بإمکانها أن تنفصل أو تلتئم)فإنّها باطله و لیس لها أی أساس أو سند علمی،حیث إنّه ثبت من خلال الأدلّه العقلیّه أنّ انفصال الکواکب فی السماء أمر ممکن.

و یقول العلّامه الطبرسی فی(مجمع البیان):لقد أجمع المفسّرون و المحدّثون سوی عطاء و الحسین و البلخی الذین ذکرهم ذکرا عابرا،أنّ معجزه شقّ القمر کانت فی زمن الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و نقل أنّ حذیفه-و هو أحد الصحابه المعروفین-ذکر قصّه شقّ القمر فی جمع غفیر فی مسجد المدائن و لم یعترض علیه أحد من الحاضرین،مع العلم أنّ کثیرا منهم قد عاصر زمن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(و نقل هذا الحدیث فی هامش الآیه المذکوره فی الدرّ المنثور و القرطبی).

و ممّا تقدّم یتّضح جیّدا أنّ مسأله شقّ القمر أمر غیر قابل للإنکار،سواء من الآیه نفسها و القرائن الموجوده فیها،أو من خلال الأحادیث و الرّوایات،أو أقوال المفسّرین،و من الطبیعی أن تطرح أسئله اخری حول الموضوع سنجیب عنها إن شاء اللّه فیما بعد.

۲-مسأله شقّ القمر و العلم الحدیث:

اشاره

السؤال المهمّ المطروح فی هذا البحث هو:هل أنّ الأجرام السماویه یمکنها أن تنفصل و تنشقّ؟و ما موقف العلم الحدیث من ذلک؟

۱- ۱) -التّفسیر الکبیر،الفخر الرازی،ج ۲۹،ص ۲۸،أوّل سوره القمر.

و للإجابه على هذا السؤال و بناء على النتائج التى توصّل إليها العلماء الفلكيون،فإنّ مثل هذا الأمر فى نظرهم ليس بدرجه من التعقيد بحيث يستحيل تصوّره...إنّ الاكتشافات العلميه التى توصّل إليها الباحثون تؤكّد أنّ مثل هذه الحوادث مضافا إلى أنّها ليست مستحيله فقد لوحظت نماذج عديده من هذا القبيل و لعدّه مرّات مع اختلاف العوامل المؤثّره فى كلّ حاله.

و بعباره اخرى:فقد لوحظ أنّ مجموعه انفجارات و انشقاقات قد وقعت فى المنظومه الشمسيه،بل فى سائر الأجرام السماويه.

و يمكن ذكر بعض النماذج كشواهد على هذه الظواهر...

أ-ظهور المنظومه الشمسيه:

إنّ هذه النظريه المقبوله لدى جميع العلماء تقول:إنّ جميع كرات المنظومه الشمسيه كانت فى الأصل جزءا من الشمس ثمّ انفصلت عنها،حيث أصبحت كلّ واحده منها تدور فى مدارها الخاصّ بها غايه الأمر هناك كلام فى السبب لهذا الانفصال..

يعتقد(لا پلاس)أنّ العامل المسبّب لانفصال القطع الصغيره من الشمس هى:

(القوّه الطارده)التى توجد فى المنطقه الإستوائيه لها،حيث أنّ الشمس كانت تعتبر و لحدّ الآن كتله ملتهبه،و ضمن دورانها حول نفسها فإنّ السرعه الموجوده فى المنطقه الإستوائيه لها تسبّب تناثر بعض القطع منها فى الفضاء ممّا يجعل هذه القطع تدور حول مركزها الأصلى(الشمس).

و لكن العلماء الذين جاءوا بعد(لا پلاس)توصّلوا من خلال تحقيقاتهم إلى فرضيه اخرى تقول:إنّ السبب الأساس لحدوث الانفصال فى الأجرام السماويه عن الشمس هو حاله المدّ و الجزر الشديدين التى حدثت على سطح الشمس نتيجه عبور نجمه عظيمه بالقرب منها.

الأشخاص المؤيّدون لهذه النظريه الذين يرون أنّ الحركه الوضعيه للشمس فى ذلك الوقت لا- تستطيع أن تعطى الجواب الشافعى لأسباب هذا الانفصال،قالوا:

إنّ حاله المدّ و الجزر الحاصله فى الشمس أحدثت أمواجا عظيمه على سطحها.

كما فى سقوط حجر كبير فى مياه المحيط،و بسبب ذلك تناثرت قطع من الشمس الواحده تلو الاخرى إلى الخارج،و دارت ضمن مدار الكره الامّ(الشمس).

و على كلّ حال فإنّ العامل المسبّب لهذا الانفصال أيّا كان لا يمنعنا من الإعتقاد أنّ ظهور المنظومه الشمسيه كان عن طريق الإنشقاق و الانفصال.

ب-(الأستروئيدات):

الأستروئيدات:هى قطع من الصخور السماويه العظيمه تدور حول المنظومه الشمسيه،و يطلق عليها فى بعض الأحيان ب(الكرات الصغيره) و(شبه الكواكب السياره)يبلغ قطر كبراها(۲۵)كم،لكن الغالبيه منها أصغر من ذلك.

و يعتقد العلماء أنّ«الأستروئيدات»هى بقايا كوكب عظيم كان يدور فى مدار بين مدارى المريخ و المشترى تعرّض إلى عوامل غير واضحه ممّا أدّى إلى انفجاره و تناثره.

لقد ثمّ اكتشاف و مشاهده أكثر من خمسه آلاف من(الأستروئيدات)لحدّ الآن،و قد تمّ تسميه عدد كثير من هذه القطع الكبيره،و تمّ حساب حجمها و مقدار و مدّه حركتها حول الشمس،و يعلّق علماء الفضاء أهميّه بالغه على الأستروئيدات، حيث يعتقدون أنّ بالإمكان الاستفاده منها فى بعض الأحيان كمحطّات للسفر إلى المناطق الفضائيه النائيه.

كان هذا نموذج آخر لانشقاق الأجرام السماويه.

ص :۲۹۶

ج-الشهب:

الشهب:أحجار سماويه صغيره جدّا،حتّى أنّ البعض منها لا يتجاوز حجم (البندقه)،و هى تسير بسرعه فائقه فى مدار خاصّ حول الشمس و قد يتقاطع مسيرها مع مدار الأرض أحيانا فتنجذب إلى الأرض،و نظرا لسرعتها الخاطفه التى تتميّز بها-تصطدم بشدّه مع الهواء المحيط بالأرض،فترتفع درجه حرارتها بشدّه فتشتعل و تتبيّن لنا كخطّ مضىء وهّاج بين طبقات الجوّ و يسمّى بالشهاب.

و أحيانا نتصوّر أنّ كلّ واحده منها تمثّل نجمه نائيه فى حاله سقوط،إلّا أنّها فى الحقيقه عباره عن شهاب صغير مشتعل على مسافه قريبه يتحوّل فيما بعد إلى رماد.

و يلتقى مدارى الشهب و الكره الأرضيه فى نقطتين هما نقطتا تقاطع المدارين و ذلك فى شهرى(آب و كانون الثانى)حيث يصبح بالإمكان رؤيه الشهب بصوره أكثر فى هذين الشهرين.

و يقول العلماء:إنّ الشهب هى بقايا نجمه مذنّبه انفجرت و تناثرت أجزاؤها بسبب جمله عوامل غير واضحه...و هذا نموذج آخر من الإنشقاق فى الأجرام السماويه.

و على كلّ حال،فإنّ الإنفجار و الإنشقاق فى الكرات السماويه ليس بالأمر الجديد،و ليس بالأمر المستحيل من الناحيه العلميه،و من هنا فلا معنى حينئذ للقول بأنّ الإعجاز لا يمكن أن يتعلّق بالحال.

هذا كلّه عن مسأله الإنشقاق.

أمّا موضوع رجوع القطعتين المنفصلتين إلى وضعهما الطبيعى السابق تحت تأثير قوى الجاذبيه التى تربط القطعتين فهو الآخر أمر ممكن.

و رغم أنّ الإعتقاد السائد قديما فى علم الهيئه القديم طبق نظريه(بطليموس) و اعتقاده بالأفلاك التسعه التى هى بمثابه قشور البصل فى تركيبها-الواحده على

الاخری-فأیّ جسم لا یستطیع أن یخترقها صعودا أو نزولا،و لذلک فانّ أتباع هذه النظریه ینکرون المعراج الجسمانی و اختراقه للأفلاک التسعد،کما أنّه لا یمکن وفقا لهذه النظریات انشقاق القمر،و من ثمّ التئامه،و لذلک أنکروا مسأله شقّ القمر،و لکن الیوم أصبحت فرضیه(بطلیموس)أقرب للخیال و الأساطیر منها للواقع،و لم یبق أثر للأفلاک التسعه،و أصبحت الأجواء لا تساعد لتقبّل مثل هذه الآراء.

و غنی عن القول أنّ ظاهره شقّ القمر کانت معجزه،و لذا فإنّها لم تتأثّر بعامل طبیعی اعتیادی،و الشیء الذی یراد توضیحه هنا هو بیان إمکانیه هذه الحادثه،لأنّ المعجزه لا تتعلّق بالأمر المحال.

۳-شقّ القمر تاریخیّا:

لقد طرح البعض من غیر المطّلعین إشکالا آخر علی مسأله شقّ القمر،حیث ذکروا أنّ مسأله شقّ القمر لها أهمیّه بالغه،فإذا کانت حقیقیّه فلما ذا لم تذکر فی کتب التأریخ؟ و من أجل أن تتوضّح أهمیّه هذا الإشکال لا بدّ من الإلمام و الدراسه الدقیقه لمختلف جوانب هذا الموضوع،و هو کما یلی:

أ-یجب الالتفات إلی أنّ القمر یری فی نصف الکره الأرضیه فقط،و لیس فی جمیعها،و لذا فلا بدّ من إسقاط نصف مجموع سکّان الکره الأرضیه من إمکانیه رؤیه حادثه شقّ القمر وقت حصولها.

ب-و فی نصف الکره الأرضیه التی یری فیها القمر فإنّ أکثر الناس فی حاله سبات و ذلک لحدوث هذه الظاهره بعد منتصف اللیل.

ج-لیس هنالک ما یمنع من أن تکون الغیوم قد حجبت قسما کبیرا من السماء،و بذلک یتعذّر رؤیه القمر لسکّان تلک المناطق.

د-إنّ الحوادث السماويه التى تلفت انتباه الناس تكون غالبا مصحوبه بصوت أو عتمه كما فى الصاعقه التى تقترن بصوت شديد أو الخسوف و الكسوف الكليين الذى يقترن كلّ منها بانعدام الضوء تقريبا و لمدّه طويله.

لذلك فإنّ الحالات التى يكون فيها الخسوف جزئيا أو خفيفا نلاحظ أنّ الغالبيه من الناس لم تحط به علما،اللهمّ إلّا عن طريق التنبيه المسبق عنه من قبل المنجّمين،بل يحدث أحيانا خسوف كلّى و قسم كبير من الناس لا يعلمون به.

لذا فإنّ علماء الفلك الذين يقومون بر صد الكواكب أو الأشخاص الذين يتّفق وقوع نظرهم فى السماء وقت الحادث هم الذين يطّلعون على هذا الأمر و يخبرون الآخرين به.

و بناء على هذا و نظرا لقصر مدّه المعجزه(شقّ القمر)فلن يكون بالمقدور أن تلفت الأنظار إليها على الصعيد العالمى،خصوصا و أنّ غالبيه الناس فى ذلك الوقت لم تكن مهتّمه بمتابعه الأجرام السماويه.

ه-و بالإضافه إلى ذلك فإنّ الوسائل المستخدمه فى تثبيت نشر الحوادث التأريخيه فى ذلك الوقت،و محدوديه الطبقه المتعلّمه،و كذلك طبيعه الكتب الخطيّه التى لم تكن بصوره كافيه كما هو الحال فى هذا العصر حيث تنشر الحوادث المهمّه بسرعه فائقه بمختلف الوسائل الإعلاميه فى كلّ أنحاء العالم عن طريق الإذاعه و التلفزيون و الصحف...كلّ هذه الأمور لا بدّ من أخذها بنظر الإعتبار فى محدوديه الاطلاع على حادثه(شقّ القمر).

و مع ملاحظه هذا الأمر و الأمور الاخرى السابقه فلا عجب أبدا من عدم تثبيت هذه الحادثه فى التواريخ غير الإسلاميه،و لا يمكن اعتبار ذلك دليلا على نفيها.

۴-تأريخ وقوع هذه المعجزه:

من الواضح أنّه لا خلاف بين المفسّرين و رواه الحديث حول حدوث ظاهره شقّ القمر فی مکّه و قبل هجره الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،لکن الذی یستفاد من بعض الرّوایات هو أنّ حدوث هذا الأمر کان فی بدایه بعثه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (۱) .فی حین یستفاد من البعض الآخر أنّ حدوث هذا الأمر قد وقع قرب هجره الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و فی آخر عهده بمکّه،و کان استجابه لطلب جماعه قدموا من المدینه لمعرفه الحقّ و أتباعه،إذ أنّهم بعد رؤیتهم لهذه المعجزه آمنوا و بایعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی العقبه (۲) .

و نقرأ فی بعض الرّوایات أیضا أنّ سبب اقتراح شقّ القمر کان من أجل المزید من الاطمئنان بمعاجز الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنّها لم تکن سحرا لأنّ السحر عاده یکون فی الأمور الأرضیه (۳) . و مع ذلک فإنّ قسما من المتعصّبین و المعاندین لم یؤمنوا برغم مشاهدتهم لهذا الإعجاز،و تعلّلوا بأنّهم ینتظرون قوافل الشام و الیمن،فإنّ أیّدوا هذا الحادث و رؤیتهم له آمنوا...و مع إخبار المسافرین لهم بذلک،إلاّ أنّهم بقوا مصرّین علی الکفر رافضین للإیمان (۴) .

و النقطه الأخیره الجدیره بالذکر أنّ هذه المعجزه العظیمه و الکثیر من المعاجز الاخری ذکرت فی التواریخ و الرّوایات الضعیفه مقترنه ببعض الخرافات و الأساطیر،ممّا أدّی إلی حصول تشویش فی أذهان العلماء بشأنها،کما فی نزول قطعه من القمر إلی الأرض.لذا فإنّ من الضروری فصل هذه الخرافات و عزلها بدقّه و غربله الصحیح من غیره،حتّی تبقی الحقائق بعیده عن التشویش و محتفظه بمقوّماتها الموضوعیه.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۷،ص ۳۵۴ حدیث(۸).

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۱۷،ص ۳۵۲ حدیث(۱).

۳- ۳) -بحار الأنوار،ج ۱۷،ص ۳۵۵ حدیث(۱۰).

۴- ۴) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۲۳.

الآيات [سوره القمر (۵۴): الآيات ۴ الى ۸]

اشاره

وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ اَلْأَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ فَمٰا تُغْنِ اَلنُّذُرُ (۵) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اَلدّٰاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ (۶) خُشَّعاً أَبْصٰارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ كَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ (۷) مُهْطِعِينَ إِلَى اَلدّٰاعِ يَقُولُ اَلْكٰافِرُونَ هٰذٰا يَوْمٌ عَسِرٌ (۸)

التّفسير

اشاره

يوم البعث و النشور:

تأتى هـذه الآيات لتواصل البحث عن الكفّار الـذين كـذّبوا الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و لم يذعنوا للحقّ حيث أعرضوا عن جميع المعاجز التى شاهدوها.

و الآيات أعلاه تشرح حال هؤلاء الأفراد و موضّحه المصير البائس الذى ينتظر هؤلاء المعاندين فى يوم القيامه.

يقول سبحانه إنّ هؤلاء لم يعدموا الإنذار و الإخبار،بل جاءهم من الأخبار ما يوجب انزجارهم عن القبائح و الذنوب: وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ و ذلك ليلقى عليهم الحجّه.

و بناء على هذا فلا يوجد نقص فى تبليغ الدعاه الإلهيين،و ما يوجد من

ص :۳۰۱

نقصان أو خلل يمكن فيهم،حيث ليس لديهم روح تواقه لمعرفه الحقّ و لا آذان صاغيه،و نفوسهم متنكّبه عن التقوى و التدبّر فى الآيات الإلهيه.

و القصد من«الأنباء»الإخبار عن الأمم و الأقوام السابقه الذين هلكوا بألوان العذاب المدمّر الذى حلّ بهم،و كذلك أخبار يوم القيامه و جزاء الظالمين و الكفّار، حيث اتّضحت كلّ تلك الأخبار فى القرآن الكريم.

و يضيف تعالى: حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ فهذه الآيات حكم إلهيّه بليغه و مواعظ مؤثّره،إلّا أنّها لا تفيد أهل العناد (١) (٢) .

تبيّن هذه الآيه أن لا نقص فى«فاعليه الفاعل»،أو تبليغ الرسل.لكن الأمر يكمن فى مدى استعداد الناس و أهليتهم لقبول الدعوه الإلهيّه،و إلاّ فإنّ الآيات القرآنيه و الرسل و الأخبار التى وردتهم عن الأمم السابقه و الأخبار التى تنبؤهم عن أحوال يوم القيامه...كلّ هذه الأمور هى حكمه بالغه و مؤثّره فى النفوس الخيّره ذات الفطره السليمه.

الآيه التاليه تؤكّد على أنّ هؤلاء ليسوا على استعداد لقبول الحقّ،فأتركهم لحالهم و أعرض عنهم و تذكّر يوم يدعو الداعى الإلهى إلى أمر مخيف،و هو الدعوه إلى الحساب،حيث يقول سبحانه: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ (٣) .

و على هذا تكون عباره: يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ عباره مستقلّه و منفصله عن جمله:

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ

.لكن البعض يرى أنّ كلّ واحده من الجملتين مكمّله للأخرى، حيث يذهبون إلى أنّ قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ جاءت بصيغه الأمر للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالإعراض عن المشركين الذين يرجون الشفاعه منه يوم القيامه عند ما يدعوهم

١- ١) -(حكمه بالغه)خبر لمبتدأ محذوف تقديره(هذه حكمه بالغه).

٢- ٢) -نذر جمع نذير و يعنى(المنذرين)و المقصود بالمنذرين هى الآيات القرآنيه و أخبار الأمم و الأنبياء الذين وصل صوتهم إلى أسماع الناس،و يحتمل البعض أنّ(نذر)مصدر بمعنى إنذار.لكن المعنى الأوّل هو الأنسب.و ضمنا فإنّ(ما) فى عباره(ما تغن بالنذر)نافيه و ليست استفهاميه.

٣- ٣) -فى الآيه أعلاه(يوم)يتعلّق بمحذوف تقديره(اذكر)و يحتمل البعض أنّها تتعلّق ب(يخرجون)و لكن ذلك مستبعد.

الداعی الإلهی للحساب.و هذا الرأی مستبعد جدّا.

و هنـا یثار السؤال التالی:هل الـداعی هو اللّه سـبحانه؟أم الملائکه؟أم إسـرافیل الـذی یـدعو الناس لیوم الحشـر عنـد ما ینفـخ فی الصور؟أم جمیع هؤلاء؟ ذکر المفسّـرون احتمالات عدّه للإجابه علی هذا التساؤل، و لکن بالرجوع إلی قوله تعالی: یَوْمَ یَدْعُوکُمْ فَتَسْتَجِیبُونَ بِحَمْدِهِ ، (۱) یرجّح الرأی الأـوّل.رغم أنّ الآیـات اللاحقه تتناسب مع کون الـداعی هم الملائکه المختّصون بشؤون الحساب و الجزاء.

أمّا المراد من شَیْءٍ نُکُرٍ (۲) فهو الحساب الإلهی الـدقیق الذی لم یکن معلوما من حیث وقته قبل قیام الساعه،أو العذاب الذی لم یخطر علی بالهم،أو جمیع هذه الأمور،ذلک لأنّ یوم القیامه فی جمیع أحواله حاله غیر مألوفه للبشر.

و فی الآیه اللاحقه یبیّن اللّه سبحانه و تعالی توضیحا أکثر حول هـذا الموضوع و یـذکر أنّ هؤلاء یخرجون من القبور فی حاله: خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ کَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ .

نسبه«الخشوع»هنا للأبصار لأنّ المشـهد مرعب و مخیف إلی حـدّ لا تسـتطیع الأنظار رؤیته،لـذلک فإنّها تتحوّل عنه و تطرّق نحو الأسفل.

و التشبیه هنـا بـالجراد المنتشـر لأـنّ النشور فی یوم الحشـر یکون بصوره غیر منتظمه لحـاله الهول التی تعتری النـاس فیه،کما هی حرکه انتشـار الجراد التی تتمثّل فیهـا الفوضـی و الاضـطراب خلافا للقسم الأکبر من حرکه الطیور التی تطیر وفق نظم خاصّه فی الجو،مضافا إلی أنّهم کالجراد من حیث الضعف و عدم القدره.

نعم،إنّ حاله هؤلاء الفاقـدین للعلم و البصـیره،حاله ذهول و وحشه و تخبّط فی المسـیر کالسـکاری یرتطم بعضـهم ببعض فاقدین للوعی و الإراده کما فی قوله

۱- ۱) -الإسراء ۲

۲- ۲) -(نکر)مفرد من مادّه(نکاره)و تعنی الشیء المبهم المخیف.

تعالی: وَ تَرَی النّٰاسَ سُکٰاریٰ وَ مٰا هُمْ بِسُکٰاریٰ . (۱)

و الحقیقه أنّ هذا التشبیه هو ما ورد أیضا فی الآیه(۴)من سوره القارعه حیث یقول سبحانه: یَوْمَ یَکُونُ النّٰاسُ کَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ .

و أمّا قوله تعالی: مُهْطِعِینَ إِلَی الـدّٰاعِ فإنّ کلمه«مهطعین»تأتی من مادّه (إهطاع)أی مـدّ الرقبه،و البعض یرجعها إلی النظر بانتباه أو الرکض بسرعه نحو الشیء،و یحتمل أن تکون کلّ واحده من هذه المعانی هی المقصوده،و لکن المعنی الأوّل هو الأنسب،لأنّ الإنسان عند سماعه لصوت موحش یمدّ رقبته علی الفور و ینتبه إلی مصدر الصوت،و یمکن أن تکون هذه المفاهیم مجتمعه فی الآـیه الکریمه حیث أنّ بمجرّد سماع صوت الـداعی الإلـهی تمـدّ الرقـاب إلیه ثمّ یتبعه التـوجّه بـالنظر نحـوه،ثمّ الإسراع إلیه و الحضور فی المحکمه الإلهیّه العادله عند دعوتهم إلیها.

و هنا یستولی الخوف من الأهوال العظیمه لـذلک الیوم علی وجود الکفّار و الظالمین،لذا یضـیف سبحانه معبّرا عن حاله البؤس التی تعتری الکافرین بقوله:

یَقُولُ الْکٰافِرُونَ هٰذٰا یَوْمٌ عَسِرٌ

.

و الحقّ أنّه یوم صعب و عسیر.و هذا ما یؤکّده الباریٔ عزّ و جلّ بقوله: وَ کٰانَ یَوْماً عَلَی الْکٰافِرِینَ عَسِیراً . (۲)

و یستفاد من هذا التعبیر أنّ یوم القیامه یوم غیر عسیر بالنسبه للمؤمنین.

ص:۳۰۴

۱- ۱) -الحجّ،۲.

۲- ۲) -الفرقان،۲۶.

مسأله

اشاره

لماذا كان يوم القيامه يوما عسيرا؟:

و لماذا لا يكون عسيرا؟في الوقت الذى يحاط فيه المجرمون بكلّ أجواء الرهبه و الوحشه،و خاصّه عند ما يستلمون صحائف أعمالهم حيث يصطرخون:

يا وَيْلَتَنا ما لِهٰذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها ، (١) هذا من جهه.

و من جهه اخرى فإنّهم يواجهون بما ليس فى الحسبان،حيث يحاسبون بدقّه حتّى على أصغر الأعمال التى أدّوها،سواء كانت صالحه أم طالحه: إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . (٢)

و من جهه ثالثه،لا سبيل يومئذ للتكفير عن الذنوب و التعويض بالطاعه، و الاعتذار عن التقصير،حيث لا عذر يقبل و لا مجال للعوده مرّه اخرى إلى الحياه يقول تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ . (٣)

و نقرأ كذلك فى قوله تعالى: وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . (۴) .و لكن هيهات.

و من جهه رابعه فإنّ العذاب الإلهى شديد و مرعب إلى درجه تنسى الامّهات أولادها،و تسقط الحوامل أجنّتهن،و يكون الجميع يومئذ فى حيره و ذهول و فقدان للوعى كالسكارى و ما هم بسكارى و لكنّ عذاب اللّه شديد،قال تعالى:

ص :٣٠۵

١- ١) -الكهف،۴٩.

٢- ٢) -لقمان،١۶.

٣- ٣) -البقره،۴٨.

۴- ۴) -الأنعام،٢٧.

يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلَّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلَّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ . (۱)

و الدليل على اضطراب و هلع العاصين هو حاله التشبّث بالافتداء بكلّ ما فى الدنيا أملا فى الخلاص من العذاب الأليم،قال تعالى: يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ، وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلاّ إِنَّها لَظى . (۲)

إذا،هل يمكن مع كلّ هذه الأوصاف و الأوصاف الأخرى المهوله التى وردت فى آيات اخرى أن يكون ذلك اليوم يوما مريحا و بعيدا عن الهمّ و الغمّ و الشدّه؟! (حفظنا اللّه جميعا فى ظلّ لطفه و رعايته).

ص: ۳۰۶

۱- ۱) -الحجّ،۲.

۲- ۲) -المعارج،۱۱-۱۵.

الآیات [سوره القمر (۵۴): الآیات ۹ الی ۱۷]

اشاره

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ (۹) فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِی بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ (۱۴) وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۵) فَكَيْفَ كانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۷)

التّفسیر

اشاره

قصّه قوم نوح عبره و عظه:

جرت السنّه القرآنیه فی کثیر من الموارد أنّ اللّه سبحانه یستعرض حاله الأقوام السابقه و العاقبه المؤلمه التی انتهوا إلیها إنذارا و توضیحا(للکفّار و المجرمین)بأنّ الاستمرار فی طریق الضلال سوف لن یؤدّی بهم إلاّ إلی المصیر البائس الذی لاقته الأقوام السابقه.

ص: ۳۰۷

و فى هـذه السوره،إكمالا ـ للبحث الـذى تنـاولته الآيـات السـابقه،فى إثارات و إشارات مختصـره و معبّره حول تاريـخ خمسه من الأقوام المعانـده ابتـداء من قوم نوح كما فى قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا وَ قٰالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ .فمضافا إلى تكذيبه و اتّهامه بالجنون صبّوا عليه ألوان الأذى و التعذيب و منعوه من الاستمرار فى أداء رسالته.

فتاره يقولون له مهدّدين و منذرين قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ . (۱)

و تـاره اخرى يضـغطون رقبته بأيـديهم حتّى يفقـد وعيه،و لكنّه مـا أن يفيـق إلى وعيه حتّى يقـول:«اللهمّ اغفر لقـومى فـإنّهم لا يعلمون» (۲) .

و خلاصه القول فإنّ قوم نوح مارسوا كلّ وسيله لأذى نبيّهم،و مع ذلك فإنّه لم يتوقّف عن التبليغ و الإرشاد أملا فى هدايتهم.

و الجـدير بالـذكر أنّنـا نلاحظ أنّ لفـظ(التكـذيب)قـد ورد مرّتيـن،و لعـلّ السـبب أنّـه ورد فى الحـاله الاـولى(مختصـرا)و فى الثانيه(مفصّلا).

و التعبير ب«عبدنا»إشاره إلى أنّ هؤلاء القوم المعاندين و المغرورين فى الواقع يبارزون اللّه تعالى لا مجرّد شخص«نوح».

كلمه(و ازدجر)أصـلها(زجر)بمعنى الطرد،و هو الإبعاد المقترن بصوت شديد، كما أنّه يطلق على كلّ عمل يراد منه منع الشـخص من الاستمرار به.

و الظريف فى هـذه الآيه أنّ الفعل(قالوا)أتى بصوره فعل معلوم(و ازدجر) بصـيغه فعل مجهول و لعلّ ذلك للإشاره إلى أنّ عـدم ذكر الفاعـل هنـا للترفّع عن ذكر قوم نوح بسـبب سوء و قبـح الأعمـال التى مارسوهـا و التى كانت أقـذر و أقبـح من أقوالهم،ممّا يكون سببا فى عدم ذكرهم بالصيغه المعلومه كما فى قوله تعالى:

ص:۳۰۸

۱- ۱) -الشعراء،۱۱۶.

۲- ۲) -تفسير الكشّاف و أبو الفتوح و الرازى هامش الآيه مورد البحث

قالُوا .

ثمّ يضيف تعالى أنّ نوح عند ما يئس من هدايه قومه تماما: فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱) .

و الغلبه المذكوره فی الآیه الكریمه لم تكن غلبه فی الحجّه و الدلیل أو البرهان علی عدم صحّه الدعوه،و إنّما كانت تتجسّد بالظلم و الجنایه و التكذیب و الإنكار و أنواع الزجر و الضغوط...و لهذا فإنّ هؤلاء القوم لا یستحقّون البقاء، فانتقم لنا منهم و انصرنا علیهم.

نعم،فهذا النّبی العظیم كان یطلب من اللّه المغفره لقومه ما دام یأمل فی هدایتهم و صلاحهم،و لكن عند ما یئس منهم غضب علیهم و لعنهم و دعا ربّه أنّ ینتقم منهم.

ثمّ یشیر هنا إشاره معبّره و قویّه فی كیفیه العذاب الذی ابتلوا به وصبّ علیهم حیث یقول سبحانه: فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ .

إنّ تعبیر انفتاح أبواب السماء لتعبیر رائع جدّا،و یستعمل عاده عند هطول الأمطار الغزیره.

(منهمر)من مادّه(همر)علی وزن(صبر)و تعنی النّزول الشدید للدموع أو الماء،و یستعمل هذا التعبیر أیضا عند ما یستدر الحلیب من الضرع حتّی النهایه.

و العجیب هنا أنّه ورد فی أقوال المفسّرین أنّ قوم نوح كانوا قد أصیبوا بالجدب لعدّه سنوات قد خلت،و كانوا یرتقبون بتلهّف سقوط المطر علیهم،و فجأه ینزل المطر و لكن لا لیحیی أرضهم و یزید خیرهم بل ما حقا و ممیتا لهم (۲) .

و یذكر أنّ الماء الذی أدّی إلی الطوفان لم یكن من هطول الأمطار فقط،بل

۱- ۱) -(انتصر):طلب العون كما فی الآیه(۴۱)سوره الشوری،و هنا جاءت بمعنی طلب الانتقام علی أساس العدل و الحكمه كما فسّرها البعض فی التقدیر(انتصر لی).

۲- ۲) -روح المعانی هامش الآیه مورد البحث.

کـان من تفجیر العیون فی الأـرض حیث یقول تعـالی: وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً (۱) و هکـذا اختلط ماء السـماء بماء الأرض بمقدار مقدّر و ملأ البسیطه: فَالْتَقَى الْمٰاءُ عَلىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ .

إنّ هـذا التعبیر یجسّـِد حـاله الطوفـان الـذی غمر الأـرض،إلاّ أنّ بعض المفسّـِرین فسّـِروا عباره(قـد قـدر)بقولهم:إنّ کمیّتی المیاه المتدفّقه من الجانبین المتقابلین کانتا متساویتین فی مقادیرهما بصوره دقیقه،إلّا أنّ الرأی الأوّل هو الأرجح.

و خلاصه الأمر:إنّ الماء قد فار من جمیع جهات الأرض و فجّرت العیون و هطلت الأمطار من السـماء،و اتّصل الماء بعضه ببعض و شکّل بحرا عظیما و طوفانا شدیدا.

و تترک الآیـات الکریمه مسألـه الطوفـان،لأـنّ مـا قیل فیها من الآیات السابقه یعتبر کافیا فتنتقل إلی سـفینه نجاه نوح علیه السّـِلام حیث یقول تعالی: وَ حَمَلْنٰاهُ عَلىٰ ذٰاتِ أَلْوٰاحٍ وَ دُسُرٍ .

(دسـر)جمع(دسار)علی وزن(کتاب)،کما یقول الراغب فی المفردات،أنّها فی الأصل بمعنی الإبعاد أو النهر بشـدّه مقترنا مع حاله عدم الرضا،و لکون المسمار عند ما یتعرّض للطرق الشدید یدخل فی الخشب و ما شاکل فیقال له (دسار).

و ذکر قسم من المفسّـِرین أنّ معنی هـذه الکلمه هو(الحبل)مشـیرین بـذلک إلی حبال أشـرعه السـفینه و ما إلی ذلک،و التّفسـیر الأوّل هو الأرجح نظرا لذکر کلمه (ألواح).

علی کـلّ حـال،فـإنّ التعبیر القرآنی هنـا ظریف،لأنّه کما یقول البارئ عزّ و جلّ بأنّنا و فی وسط ذلک الطوفان العظیم،الـذی غمر کلّ شیء أودعنا أمر نجاه

۱- ۱) -«عیونا»:یمکن أن تکون تمیّزا للأرض و التقـدیر فجرنا عیون الأرض،ثمّ إنّ العیون مفعول به منفصل و قـد جاءت بصوره تمییز کی تعبّر عن المبالغه و الأهمیّه و کأنّ الأرض جمیعا تحوّلت إلی عیون.

نوح و أصحابه إلى مجموعه من المسامير و قطع من الخشب،و أنّها أدّت هذه الوظيفه على أحسن وجه،و هكذا تتجلّى القدره الإلهيّه العظيمه.

و يمكن أن يستفاد من هذا التعبير طبيعه البساطه التى كانت عليها سفن ذلك الزمان و التى هى بعيده عن التعقيد و التكلّف قياسا مع السفن المتقدّمه فى العصور اللاحقه.و مع ذلك فإنّ سفينه نوح عليه السّلام كان حجمها بالقدر المطلوب و طبق الحاجه، و طبقا للتواريخ فإنّ نوح عليه السّلام قد أمضى عدّه سنين فى صنعها كى يتمكّن من وضع (من كلّ زوجين إثنين)من مختلف الحيوانات فيها.

و يشير سبحانه إلى لطف عنايته للسفينه المخصّصه لنجاه نوح عليه السّلام حيث يقول سبحانه تَجْرِی بِأَعْيُنِنٰا أى أنّ هذه السفينه تسير بالعلم و المشيئه الإلهيّه،و تشقّ الأمواج العاليه بقوّه و تستمر فى حركتها تحت رعايتنا و حفظنا.

إنّ التعبير(بأعيننا)كنايه ظريفه للدلاله على المراقبه و الرعايه للشىء و يتجسّد هذا المعنى بوضوح فى قوله تعالى فى الآيه(٣٧)من سوره هود:

وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنٰا وَ وَحْيِنٰا .

بعض المفسّرين ذهبوا إلى أنّ المقصود من تَجْرِی بِأَعْيُنِنٰا هو الإشاره إلى الشخصيات المهمّه التى كانت على ظهر السفينه،و بناء على هذا فإنّ المقصود من قوله تعالى: تَجْرِی بِأَعْيُنِنٰا (١) أنّ تلك السفينه كانت تحمل عباد اللّه الخالصين المخلصين،و نظرا لطبيعه الموارد التى استعمل فيها هذا التعبير فى الآيات القرآنيه الاخرى فإنّ الرأى الأوّل هو الأصحّ.

و يحتمل أيضا أنّ المراد بجمله(بأعيننا)هو الملائكه التى كان لها الأثر فى هدايه سفينه نوح عليه السّلام،و لكن هذا الرأى ضعيف أيضا لسبب أعلاه.

ثمّ يضيف تعالى: جَزٰاءً لِمَنْ كٰانَ كُفِرَ (٢) .

١- ١) -«أعين»جمع عين،و إحدى معانيها العين الباصره،و المعنى الآخر لها هو:الشخصيه المعتبره،و لها معان اخرى.

٢- ٢) -يجدر بالملاحظه هنا أنّ فعل(كفر)مبنى للمجهول،و المراد به نوح عليه السّلام الذى كفر به،و ليس فعلا معلوما يشير إلى

نعم إنّ نوح عليه السّلام كسائر الأنبياء الإلهيين يعتبر نعمه إلهيّه عظيمه و موهبه من مواهبه الكبيره على البشريه،إلاّ أنّ قومه الحمقى كفروا به و برسالته (۱) .

ثمّ يقول سبحانه و كنتيجه لهذه القصّه العظيمه موضع العظّه و الإعتبار: وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

و الحقيقه أنّ كلّ ما كان يستحقّ الذكر فى هذه القصّه قد قيل،و كلّما ينبغى للإنسان الواعى المتّعظ أن يدركه فهو موجود.

و استنادا إلى هذا التّفسير المنسجم مع الآيات السابقه و اللاحقه،فإنّ الضمير فى(تركناها)يرجع إلى قصّه الطوفان و ماضى نوح عليه السّلام و مخالفيه.و لكن البعض يرى أنّ المراد هو(سفينه نوح)لأنّها بقيت مدّه من الزمن شاخصه لأنظار العالم، و كلّما يراها أحد تتجسّد أمامه قصّه الطوفان الذى حلّ بقوم نوح عليه السّلام،و مع علمنا بأنّ بقايا سفينه نوح عليه السّلام كانت حتّى عصر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما أنّ البعض من المعاصرين ادّعى رؤيه بقاياها فى جبال(آرارات)فى القفقاز،عندئذ يمكن أن يكون المعنيان مقصودين فى الآيه الكريمه.

و لهذا فإنّ قصّه نوح عليه السّلام كانت آيه للعالمين،و كذا سفينته التى بقيت ردحا من الزمن بين الناس (۲) .

و فى الآيه اللاحقه يطرح اللّه سبحانه سؤالا معبّرا و مهدّدا للكافرين الذين اتّبعوا نفس المنهج الذى كان عليه قوم نوح حيث يقول سبحانه: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ .

هل هذه حقيقه واقعه،أم قصّه و اسطوره؟

(۲)

الكفّار.

۱- ۱) -إذا لم يكن فى الآيه شىء مقدّر فيكون نائب الفاعل للفعل(كفر)هو شخص نوح عليه السّلام حين أنّه عليه السّلام يكون النعمه التى (كفر)بها،أمّا إذا قلنا أنّ للآيه محذوف مقدّر،فيكون تقديره(كفر به)فعندئذ تكون إشاره إلى عدم الإيمان بنوح عليه السّلام و تعاليمه.

۲- ۲) -لقد ذكرت أبحاث مفصّله حول قصه قوم نوح عليه السّلام فى هامش الآيات الكريمه ۲۵-۴۹ من سوره هود

و يضيف مؤكّدا هذه الحقيقه فى آخر الآيه مورد البحث فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

نعم إنّ هـذا الكتـاب العظيم الخـالى من التعقيـد و المجسّـد لعناصـر التأثير من حيث عـذوبه ألفاظه و جاذبيتها،و حيويه عباراته و صراحتها فى عرض المطالب ترغيبا و تهديـدا،و طبيعه قصـصه الواقعيه ذات المحتوى الغزير بالإضافه إلى قوّه دلائله و أحكامها و منطقه المتين،و احتوائه على كلّ ما يلزم من عناصر التأثير...

لـذا فإنّ القلوب المهيأه لقبول الحقّ و المتفاعله مع منطق الفطره و المسـتوعبه لمنهـج العقل تنجذب بصوره متميّزه،و الشاهد على هذا أنّ التأريخ الإسـلامى يذكر لنا قصـصا عديده عجيبه محيّره من حالات التأثير العميق الذى يتركه القرآن الكريم على القلوب الخيّره.

و لكن ما العمل حينما تكون النطفه لبذره ما ميته،حتّى لو هيّأ لزراعتها أخصب الأراضى،و سقيت بماء الكوثر،و اعتنى بها من قبل أمهر المزارعين،فإنّها لن تنمو و لن تزهر و تثمر أبدا.

ص :۳۱۳

الآیات [سوره القمر (۵۴): الآیات ۱۸ الی ۲۲]

اشاره

کَذَّبَتْ عٰادٌ فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی وَ نُذُرِ (۱۸) إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (۱۹) تَنْزِعُ اَلنّٰاسَ کَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (۲۰) فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی وَ نُذُرِ (۲۱) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۲۲)

التّفسیر

اشاره

مصیر قوم عاد:

تستعرض الآیات الکریمه أعلاه و باختصار أخبار نموذج آخر من الکفّار و المجرمین بعد قوم نوح،و هم(قوم عاد)و ذلک کتحذیر لمن یتنکّب طریق الحقّ و الهدایه الإلهیه.

و تبدأ فصول أخبارهم بقوله تعالی: کَذَّبَتْ عٰادٌ .

لقد بذل هود علیه السّلام غایه جهده فی توعیه قومه و تبلیغهم بالحقّ الذی جاء به من عند اللّه،و کان علیه السّلام کلّما ضاعف سعیه و جهده لانتشالهم من الکفر و الضلال ازدادوا إصرارا و نفورا و لجاجه فی غیّهم و غرورهم الناشئ من الثراء و الإمکانات المادیه،بالإضافه إلی غفلتهم نتیجه انغماسهم فی الشهوات،جعلتهم صمّ الآذان،

عمّی العیون،فجازاهم اللّه بعقاب ألیم و عذاب شدید،و لهذا تشیر الآیه الکریمه باختصار حیث یقول سبحانه: فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی وَ نُذُرِ .

کما نلاحظ التفصیل فی الآیات اللاحقه بعد هذا الإجمال حیث یقول سبحانه: إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ .

«صرصر»من مادّه(صرّ)علی وزن(شرّ)،و فی الأصل تعنی(الإغلاق و الإحکام)و یأتی تکرارها فی هذا السیاق للتأکید،و لأنّ الریاح التی عذّبوا بها کانت بارده و شدیده و لاذعه و مصحوبه بالأزیز،لذا اطلق علیها(صرصر).

أمّا(نحس)ففی الأصل معناها(الاحمرار الشدید)الذی یظهر فی الأفق أحیانا،کما یطلق العرب أیضا کلمه(نحاس)علی وهج النار الخالیه من الدخان، ثمّ أطلق هذا المصطلح علی کلّ(شؤم)مقابل(السعد).

«مستمر»صفه ل(یوم)أو ل(نحس)و مفهومه فی الحاله الاولی هو استمرار حوادث ذلک الیوم کما فی قوله تعالی: سَخَّرَهٰا عَلَیْهِمْ سَبْعَ لَیٰالٍ وَ ثَمٰانِیَهَ أَیّٰامٍ حُسُوماً،فَتَرَی الْقَوْمَ فِیهٰا صَرْعیٰ کَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ خٰاوِیَهٍ . (۱)

و تعنی فی الحاله الثانیه استمرار نحوسه ذلک الیوم حتّی هلک الجمیع.

کما یفسّر البعض معنی(النحس)بأنّه حاله الجو المکفهر المغبّر،لأنّ العاصفه کانت مغبره إلی درجه أنّها لم تسمح برؤیه بعضهم البعض.و عند ما شاهدوا العاصفه من بعید ظنّوا أنها غیوم محمله بالأمطار متّجهه نحوهم،و سرعان ما تبیّن لهم أنّها ریح عاتیه لا تبقی و لا تذر أمرت بعذابهم و الانتقام منهم،کما فی قوله تعالی: فَلَمّٰا رَأَوْهُ عٰارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِیَتِهِمْ قٰالُوا هٰذٰا عٰارِضٌ.مُمْطِرُنٰا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِیحٌ فِیهٰا عَذٰابٌ أَلِیمٌ . (۲)

إنّ هذین التّفسیرین غیر متنافیین،و یمکن جمعهما فی معنی الآیه الکریمه

۱- (۱) -الحاقّه،۷.

۲- (۲) -الأحقاف،۲۴.

مورد البحث.

ثمّ يستعرض سبحانه وصف الريح بقوله: تَنْزِعُ النّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ .

«منقعر»من مادّه(قعر)بمعنى أسفل الشيء أو نهايته،و لذا يستعمل هذا المصطلح بمعنى قلع الشيء من أساسه.

كما يحتمل أن يكون المقصود من هذا التعبير أنّ ضخامه الهياكل و قوّه الأبدان التى كان عليها قوم عاد لم تغنهم من فتك الريح بهم و هلاكهم حيث ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ قوم عاد حاولوا التخلّص من العذاب الذى باغتهم و ذلك بأن التجأوا إلى حفر عميقه و ملاجئ تحت الأرض لحفظ أنفسهم،و لكن دون جدوى حيث أنّ الريح كانت من القوّه بحيث قلعتهم من أعماق تلك الحفر و قذفت بهم من جهه إلى اخرى،حتّى قيل أنّها كانت تدحرجهم و تجعل أعلى كلّ منهم أسفله و تفصل رؤوسهم عن أجسادهم.

«أعجاز»جمع(عجز)-على وزن(رجل)-بمعنى خلف أو تحت،و قد شبّهوا بالقسم الأسفل من النخله و ذلك حسبما يقول البعض لأنّ شدّه الريح قطّعت أيديهم و رؤوسهم و دفعتها باتّجاهها،و بقيت أجسادهم المقطّعه الرؤوس و الأطراف كالنخيل المقطّعه الرؤوس،ثمّ قلعت أجسادهم من الأرض و كانت الريح تتقاذفها.

و للسبب المذكور أعلاه،يكرّر اللّه سبحانه و تعالى إنذاره للكفّار بقوله:

فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ

.

فنحن كذلك فعلنا و جازينا الأقوام السالفه التى سلكت سبيل الغى و الطغيان و العصيان،فعليكم أن تتفكّروا فى مصيركم و أنتم تسلكون نفس الطريق الذى سلكوه!! و فى نهايه القصّه يؤكّد قوله سبحانه: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ فهل هنالك من آذان صاغيه و قلوب واعيه لهذا النداء الإلهى و الإنذار

الربّانی؟.

و النقطه الأخیره الجدیره بالذکر هی تأکید قوله سبحانه: فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی وَ نُذُرِ حیث تکرّرت مرّتین:الأولی:فی بدایه الحدیث عن قصّه قوم عاد، و الثانیه:فی نهایتها.و لعلّ سبب هذا الاختلاف بین قوم عاد و الأقوام الاخری،أنّ عذاب قوم عاد کان أکثر شدّه و انتقاما،رغم أنّ جمیع ألوان العذاب الإلهی شدید.

بحث

اشاره

سعد الأیّام و نحسها:

الشیء المتعارف بین الناس،هو أنّ بعض الأیّام سعیده و مبارکه،و البعض الآخر نحس و مشؤوم،مع وجود اختلاف کثیر فی تشخیصها.

و یدور الحدیث حول مدی قبولها إسلامیا،و هل أنّها مأخوذه من تعالیم الإسلام أم لا؟.

من الناحیه العقلیه لا یعدّ اختلاف أجزاء الزمان من هذه الجهه محالا،بأن یتّصف بعضها بالنحوسه و الاخری بالبرکه و السعد.و لا نملک أی استدلال عقلی لإثبات أو نفی هذا المعنی،و لهذا نستطیع القول:إنّ هذا الأمر بهذا القدر شیء ممکن،و لکنّه غیر ثابت من الناحیه العقلیه.

و بناء علی ذلک فإذا کانت لدینا دلائل شرعیه لهذا المعنی ثبتت عن طریق الوحی فلا مانع من قبولها،بل الالتزام بها.

و حول(نحس الأیّام)تشیر الآیات القرآنیه مرّتین إلی هذا الموضوع، الاولی فی الآیات مورد البحث،و الثانیه:فی قوله تعالی: فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً

صَرْصَراً فِی أَیّامٍ نَحِسٰاتٍ

(۱)

(۲)

.

و فی مقابـل«النحوسه»فإنّنا نلاحظ فی بعض الآیات القرآنیه تعبیر(مبارک) کما فی قوله تعالی حول لیله القـدر: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبٰارَکَهٍ . (۳)

و قلنـا إنّ«نحس»مـأخوذ فی الأصل من صوره الاحمرار الشدیـد فی الأفق، الـذی یشـبه النار المتوهّجه الخالیه من الـدخان و التی یطلق علیها(النحاس).و بهذه المناسبه استعمل فی معنی الشؤم.

و مـن هنـا نلاحـظ أنّ القرآن الکریـم لـم یتطرّق لهــذه المسـأله إلاّ ـ مـن خلاـل إشـاره مغلقـه فقط.لکنّنـا حینمـا نقرأ فی الکتب الإسـلامیه،یواجهنـا العدیـد من الرّوایـات فی هـذا المجـال،مع العلم أنّ الکثیر منهـا ضـعیف،و أنّ البعض الآـخر منهـا موضوع أو ملفّق،أو مشوب بالخرافات.و لیست جمیعا کذلک،بل هناک ما هو معتبر منها و موضع اطمئنان کما یؤکّد المفسّرون صحّه ذلک من خلال تفسیر الآیات أعلاه.

و یذکر لنا المحدّث الکبیر العلاّمه المجلسی روایات عدیده فی هذا المجال فی بحار الأنوار (۴) .

و فی هذا المجال نستطیع إیراد الملاحظات التالیه:

أ-لقـد ذکروا فی روایات عدیده(سـعد و نحس)الأیّام،و کذلک الحوادث التی وقعت فیها،حیث نقرأ فی الرّوایه التالیه فی أسـئله الشامی لأمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال:(أخبرنی عن یوم الأربعاء و التطیّر منه و ثقله،و أی أربعاء هو)،

قال علیه السّلام: «آخر أربعاء من الشهر،و هو المحاق،و فیه قتل قابیل هابیل أخاه،و یوم الأربعاء أرسل

۱- ۱) -یجـدر الانتباه إلی أنّ نحسات جاءت صـفه للأیّام،و ذلک یعنی أنّ الأیّام المـذکوره و صـفت بالنحوسه،فی الوقت الذی ذکرت کلمـه(یـوم)فی الآـیه الکریمـه(فی یـوم نحس مسـتمر)إضـافه ل(النحس)و لیست وصـفا و لکن بقرینه الآـیه أعلاـه یجب القول:إنّ الإضافه هنا تکون إضافه موصوف إلی صفه(یرجی الانتباه).

۲- ۲) -فصّلت،۱۶.

۳- ۳) -الدخان،۳.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۵۹ کتاب السماء و العالم،ص ۱-۹۱ و ما بعدها.

اللّه عزّ و جلّ الريح على قوم عاد» (۱) .

و من هنا فإنّ الكثير من المفسّرين يرتّبون أثرا على هذه الرّوايات،و يعتبرون أنّ آخر أربعاء من كلّ شهر هو يوم نحس،و يطلقون عليه(أربعاء لا تدور)أى لا تتكرّر.

و نقرأ فى بعض الرّوايات أنّ اليوم الأوّل من كلّ شهر هو سعد و مبارك،و ذلك لأنّ آدم عليه السّلام خلق فى هذا اليوم،و كذلك فإنّ اليوم ۲۶ من كلّ شهر يوم مبارك، حيث:(ضرب موسى فيه البحر فانفلق) (۲) .

كما أنّ اليوم الثالث من كلّ شهر،هو يوم نحس،نزع عن آدم و حواء لباسهما و أخرجا من الجنّه (۳) .

كما أنّ اليوم السابع من كلّ شهر هو يوم مبارك،لأنّ نوح عليه السّلام قد ركب فى السفينه(و نجا من الغرق) (۴) .

و نقرأ

فى الحديث التالى عن الإمام الصادق عليه السّلام فى هذا المعنى حول يوم (النوروز)حيث يقول:

«...يوم مبارك استوت فيه سفينه نوح على الجودى،و هو اليوم الذى نزل فيه جبرائيل على النبى،و هو اليوم الذى حمل فيه رسول اللّه أمير المؤمنين على منكبه حتّى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشّمها...و هو اليوم أمر النّبى أصحابه أن يبايعوا عليا بإمره المؤمنين...» (۵) .

و قد اقترن سعد و نحس الأيّام بذكر بعض الوقائع التأريخيه الحسنه و السيّئه كما فى العديد من الرّوايات،فمثلا ما ذكر عن يوم عاشوراء الذى اعتبره الامويون

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۸۳ حديث(۲۵).

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۰۵.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۸.

۴- ۴) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۱.

۵- ۵) -بحار الأنوار،ج ۵۹،ص ۹۲.

یوم سعد لمّا حقّقوا فیه و بظنّهم من انتصار علی أهل البیت علیه السّلام...نلاحظ الرّوایات تنهی بشدّه عن التبرّک فی مثل هذا الیوم،کما تحذر من ادّخار الأقوات السنویه فیه،و الابتعاد عن أجواء الاحتفالات التی کان یقیمها الامویون فی هذا الیوم و کذلک تؤکّد علی تعطیل الأعمال فیه.

و من ملاحظه مجموعه الرّوایات السابقه،دفع البعض أن یفسّر مسأله سعد و نحس الأیّام علی أنّها مجعوله من أجل شدّ المسلمین بهذه الحوادث التاریخیّه المهمّه،و حثّهم عملیّا علی تطبیق ما تستلزمه تلک الحوادث من التفاعل و ما تفرزه من معطیات،و کذلک الابتعاد عن محطّات الحوادث السیّئه و اجتناب سبلها.

و یمکن أن یصدّق هذا التّفسیر فی قسم من هذه الرّوایات و لا یصدق علی القسم الآخر منها،ذلک لأنّ المستفاد من البعض منها أنّ هنالک تأثیرا ملموسا فی بعض الأیّام(إیجابا و سلبا)و لیس لنا تفسیر أو علم لهذا التأثیر.

ب-ممّا یجدر الانتباه إلیه أنّ هنالک من یفرط فی موضوع سعد و نحس الأیّام،بحیث إنّهم یمتنعون من الشروع بأی عمل إلاّ بالاعتماد علی هذه الخلفیه، و بذلک یفوتون علیهم فرصا کثیره یمکن الاستفاده منها.

و بدلا من التعمّق فی البحث الموضوعی الذی تحسب فیه حسابات الربح و الخساره و الاستفاده من الفرص و التجارب الثریه...فإنّهم یرجعون کسب الأرباح إلی سعد الأیّام و الانتکاسات و الخساره إلی شؤم الأیّام...و هذا المنهج یعبّر عن الانهزام من الواقع و الهروب من الحقیقه و الإفراط فی التعلیل الخرافی لحوادث الحیاه الذی یجب أن نحذّره و نتجنّبه بشدّه.

و الجدیر بنا فی هذه المسائل أن لا نعطی آذانا صاغیه لأقوال المنجّمین و الإشاعات المنتشره فی الأجواء الاجتماعیه المتخلّفه،و لا لحدیث أولئک الذین یدّعون المعرفه المستقبلیه لفأل الأشخاص،و نستمرّ فی حیاتنا العملیه بجهد حثیث و خطی ثابته و بالتوکّل علی اللّه و بروح موضوعیه بعیده عن التأثّر بهذه

الحكايات و الأقاويل،و نستمدّ من اللّه وحده العون و الرعايه.

ج-إنّ مسأله الاهتمام بموضوع(سعد و نحس)الأيّام بالإضافه إلى أنّها ترشدنا للكثير من الحوادث التأريخيّه ذات العظه و العبره،فإنّها أيضا عامل للتوسّل باللّه و التوجّه إلى رحاب عظمته السامقه،و استمداد العون من ذاته القدسيّه،و هذا ما نلاحظه في روايات عديده.

ففي الأيّام النحسه مثلا-نستطيع أن نطمئن نفسيّا لممارستنا العمليه و بكلّ تفاؤل و موفّقيه،و ذلك حينما ندعو اللّه و نطلب منه العون و نتصدّق على الفقراء، و نقرأ شيئا من الآيات القرآنيه و نتوكّل على الذات الإلهيّه المقدّسه.

روى عن على بن عمر العطّار،أنّه قال: دخلت على أبي الحسن العسكرى يوم الثلاثاء،فقال:لم أرك أمس؟قال:كرهت الحركه في يوم الإثنين،قال:

«يا على من أحبّ أن يقيه اللّه شرّ يوم الإثنين،ليقرأ في أوّل ركعه من صلاه الغداه هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسٰانِ... ثمّ قرأ أبو الحسن: فَوَقٰاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقّٰاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (1) .

و في هذا الصدد نقرأ الرّوايه التاليه أيضا

عن الحلبى عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام، أ يكره السفر في شيء من الأيّام المكروهه،الأربعاء و غيره؟قال:«افتتح سفرك بالصدقه،و اقرأ آيه الكرسى إذا بدا لك» (2) .

و

ذكر أيضا عن الحسن بن مسعود أحد أصحاب الإمام على الهادى عليه السّلام أنّه قال: دخلت على أبي الحسن على بن محمّد عليهما السّلام،و قد نكبت إصبعى،و تلقّاني راكب فصدم كتفي،و دخلت في زحمه فخرقوا عليّ بعض ثيابي.فقلت:كفانا اللّه شرّك من يوم فما أشأمك!،فقال عليه السّلام لي:«يا حسن هذا و أنت تغشانا ترمى بذنبك من لا ذنب له».

١- ١) -بحار الأنوار،ج ٥٩،ص ٣٩،حديث ٧.

٢- ٢) -المصدر السابق،ص ٢٨.

قال الحسن:فأناب إلىّ عقلى،و تبيّنت خطئى،فقلت يا مولاى:استغفر لى.

فقال عليه السّلام:«يا حسن،ما ذنب الأيّام حتّى صرتم تتشاءمون منها إذا جوزيتم بأعمالكم».

قال الحسن:أنا أستغفر اللّه أبدا،و هى توبتى،يا ابن رسول اللّه.

قال عليه السّلام:«و اللّه ما ينفعكم و لكنّ اللّه يعاقبكم بذمّها على ما لا ذمّ عليها فيه، أما علمت يا حسن أنّ اللّه هو المثيب و المعاقب و المجازى بالأعمال عاجلا و آجلا؟».

قلت:بلى يا مولاى.

قال عليه السّلام:«لا تعد و لا تجعل للأيّام صنعا فى حكم اللّه».

قال الحسن:بلى يا ابن رسول اللّه (1) .

إنّ هذا الحديث الهامّ يشير إلى أنّ التأثير الممكن حصوله فى الأيّام مردّه إلى أمر اللّه،و ليس للأيّام تأثير مستقل على حياه الإنسان،و لا بدّ من استشعار لطف اللّه دائما،الذى لا غنى لنا عنه أبدا،و بذلك لا ينبغى أن نتصوّر الحوادث التى هى بمثابه كفّاره لأعمالنا و سيئاتنا غالبا على أنّها مرتبطه بتأثير الأيّام و نبرّئ أنفسنا منها،و لعلّ هذا البيان أفضل طريق للجمع بين الأخبار المختلفه فى هذا الباب.

١- ١) -تحف العقول،عن بحار الأنوار،ج ٥٩،ص ٢ باختصار.

الآیات [سوره القمر (۵۴): الآیات ۲۳ الی ۳۲]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (۲۳) فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (۲۴) أَ أُلْقِیَ اَلذِّكْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا بَلْ هُوَ كَذّابٌ
أَشِرٌ (۲۵) سَیَعْلَمُونَ غَداً مَنِ اَلْكَذّابُ اَلْأَشِرُ (۲۶) إِنّا مُرْسِلُوا اَلنّاقَهِ فِتْنَهً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اِصْطَبِرْ (۲۷) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ اَلْماءَ قِسْمَهٌ بَیْنَهُمْ
كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (۲۸) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطی فَعَقَرَ (۲۹) فَكَیْفَ كانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۳۰) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ صَیْحَهً واحِدَهً فَكانُوا
كَهَشِیمِ اَلْمُحْتَظِرِ (۳۱) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۳۲)

التّفسیر

اشاره

العاقبه الألیمه لقوم ثمود:

تكمله للأبحاث السابقه،تتحدّث الآیات الكریمه باختصار عن ثالث قوم ذكروا فی هذه السوره،و هم(قوم ثمود)الذین عاشوا فی(حجر)الواقعه فی شمال الحجاز،لیستفاد من قصّتهم الدروس و العبر.

ص:۳۲۳

لقد بذل نبيّهم«صالح»عليه السّلام أقصى الجهد من أجل هدايتهم و إرشادهم و لكن دون جدوى.

قال تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ .

قال بعض المفسّرين:أنّ كلمه(نذر)تعنى(الأنبياء المنذرين) و لذا فإنّهم يرون بأنّ تكذيب قوم ثمود لنبيّهم صالح عليه السّلام كان بمثابه تكـذيب لكـلّ الأنبياء،ذلـك أنّ دعـوه الأنبيـاء أجمـع هى دعـوه واحـده و منسـجمه،لكـن الظـاهر أنّ(نـذر)جـاءت هنا جمع(إنذار)و هو الكلام الذى يتضمّن التهديد،و الذى هو الطابع العام لكلام الأنبياء جميعا عليهم السّلام.

و يستعرض سبحانه سبب تكذيبهم(الأنبياء)حيث يقول على لسان قوم ثمود: فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ،إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ .

نعم،إنّ الكبريـاء و الغرور و النظره المتعـاليه تجـاه الآخرين،بالإضافه إلى حبّ الـذات كانت حاجزا عن الاسـتجابه لـدعوه الأنبياء عليهم السّـلام،لقـد قالوا:إنّ(صالـح) شـخص مثلنا و ليست له أىّ امتيازات علينا ليصـبح زعيما و قائـدا نطيعه و نتّبعه،كما لا يوجد سبب لاتّباعه.

و هذا هو الإشكال الذى تورده جميع الأقوام الضاله على أنبيائها بأنّهم أشخاص مثلنا،و لذا لا يمكن أن يكونوا أنبياء إلهيين.

و استفاد قسم آخر من المفسّرين من تعبير(واحدا)أنّ قوم صالح كانوا ينظرون إلى نبيّهم أنّه شخص(عادى)و ليس له مال وفير و لا نسب رفيع يمتاز به عليهم.

كما يفسّـر البعض كلمه(واحـدا)أنّه شـخص واحـد لا يمتلك العمق و الامتـداد الاجتماعى الذى يتطلّبه الموقع القيادى فى ذلك العصر،حيث النصره و المؤازره.

و هنالك رأى ثالث يـذهب إلى أنّ المقصود بكلمه(واحـدا)ليس هو الواحـد العـددى،بل مرادهم الواحد النوعى،أى انّه فرد من نوعنا و جنسنا و نوع البشر لا

يستطيع أن يبلغ رساله سماويه حيث مقتضى ضروره التبليغ للرسالات السماويه- حسب رأيهم-أن يكون النّبى أو الرّسول(ملكا).

و طبعا يمكن الجمع بين هذه التفاسير الثلاثه.

و على كلّ حال،فإنّ ادّعاءات قوم صالح كانت واهيه و غير منطقيه.

(سعر)على وزن(حمر)جمع سعير،و فى الأصل بمعنى اشتعال النار و هيجانها،و فى بعض الأحيان بمعنى(جنون)لأنّ الإنسان المجنون يكون فى حاله هيجان خاصّه،لذا يقال فى بعض الأحيان ناقه مسعوره.

و يحتمل أنّ قوم ثمود أخذوا هذا التعبير من نبيّهم(صالح)عليه السّلام حيث كان يقول لهم:إذا لم تتخلّوا عن عباده الأصنام و تستجيبون إلى دعوه اللّه فإنّكم فى «ضلال و سعر»،و كان ردّهم: أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ و على كلّ حال فإنّ ذكر كلمه(سعر)بصيغه الجمع جاءت هنا للتأكيد و الاستمرار، سواء كان معناها الجنون أو اشتعال النار.

و تزداد اللجاجه و العناد فى قوم ثمود فيتساءلون:إذا أريد نزول الوحى على إنسان،فلما ذا اختّص بصالح من بيننا،مع وجود الشخصيات الأكثر مالا و الأقوى اعتبارا: أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا .

و فى الحقيقه أنّ هذه الأقوال لها شبه كبير بأقوال مشركى مكّه،ذلك أنّهم شكّكوا برساله النّبى بأقوال مماثله: ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ،لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً . (1)

و تاره يقولون: لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . (2)

ثمّ تساءلوا:إذا قدّر لبشر أن يتصدّى لمهمّه الرساله الإلهيّه،فلما ذا كان الإختيار لأشخاص مغمورين ليس لهم ظهير من عشيره و لا كثره من مال...

۱- ۱) -الفرقان،۷.

۲- ۲) -الزخرف،۳۱.

هـذه الإشـكالات التى تحكى السـطحيه فى التفكير كـانت تتناقلهـا و تتـداولها أجيـال المشـركين جيلاـ بعـد جيل للتشـكيك فى الرسالات الإلهيّه،و ذلك لتصوّرهم أنّ من كان خلال افتراضـهم أنّ من يتصـدّى لهذه المهمّه لا بدّ أن يكون ذا قوّه و قوم و مال و نسب و جاه و منصب فهو شخصـيه مهمّه،و هذه الأمور تدلّ على شخصـيه و كرامه الإنسان،فى حين أنّ أكثر العناصر الظالمه و المتجبّره هى المتّصفه بالصفات السابقه.

و يمكن تفسـير الآيه أيضا-كما اختاره بعض المفسّـرين-على ضوء التساؤلات التى أطلقها قوم ثمود و التى تتركّز بما يلى:ما هى علّه نزول الوحى على صالـح عليه السّـلام؟و لمـاذا لم ينزل علينـا جميعا؟،و ما هى المميّزات التى اختصـر بها صالـح عليه السّـلام ليتميّز علينا بهذا الخصوص!؟و هذا المعنى ورد أيضا فى سوره المدثر، الآيه ۵۲ حيث يقول سبحانه فى ذلك: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً .

ثمّ تختتم الآيه بقوله سبحانه: بَلْ هُوَ كَذّٰابٌ أَشِرٌ و ذلك اتّهاما لصالح عليه السّلام بالكذب فيما ادّعاه من اختصاص من الوحى به و إنذار قومه و أنّه يريد أن يتحكّم علينا و يجعل كلّ أمورنا تحت قبضته و يسيرنا وفق هواه و إرادته..

(أشر)وصف من مادّه(أشر)على وزن(قمر)بمعنى بطر و مرح زائد عن الحدّ.

و يردّ البارئ عزّ و جلّ عليهم بصوره قاطعه بقوله: سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذّٰابُ الْأَشِرُ .

و عند ما يدركهم العذاب الإلهى و يسوّيهم مع التراب و يحوّلهم رمادا،و بعد أن يجازيهم اللّه بأعمالهم فى يوم لا ينفع فيه مال و لاـ بنون...عندئـذ سـيدركون حقيقـه اتّهامـاتهم الزائفـه الـتى اتّهمـوا بهـا نـبى من أنبيـاء اللّه المقرّبين، و سـيعلمون أيضـا أنّ هـذه الافتراءات هى أحقّ بهم و ألصق.

و معلوم أنّ المراد من«غدا»هو المستقبل القريب،و إنّه حقّا لتعبير رائع.

ص :۳۲۶

و السؤال المطروح هنا:فی الوقت الذی نزلت هذه الآیات علی قوم ثمود کان العذاب قد وقع علیهم مجازاه لأعمالهم،فما معنی(سیعلمون)مع أنّهم قد هلکوا؟ هنالک إجابتان علی هذا السؤال:

الأولی:إنّ حدیث الآیات الکریمه کان موجّها للنبی صالح علیه السّلام،و من المعلوم أنّ العذاب لم یکن قد نزل بهم حینئذ.

الثّانیه:إنّ المقصود من(غدا)هو یوم القیامه الذی سیظهر فیه کلّ شیء بوضوح.(و التّفسیر الأوّل هو الأنسب عند ملاحظه الآیات اللاحقه).

و هنا یطرح تساؤل آخر:لماذا قال تعالی: سَیَعْلَمُونَ غَداً ؟فی الوقت الذی لمس مشرکو قوم ثمود صدق دعوه النّبی صالح علیه السّلام لما شاهدوه من معجزاته غیر القابله للإنکار؟ و یتّضح الجواب علی هذا التساؤل إذا علمنا أنّ للعلم مراتب،و یمکن إنکاره من قبل الآخرین فی بعض مراتبه،و قد یصل العلم بهم إلی مرتبه،لا یمکن إنکارها لما تمثّله من حقیقه صارخه متجسّده للعیان،و المقصود هنا من جمله: سَیَعْلَمُونَ غَداً هو العلم الحقیقی الذی لا یمکن إنکاره،و الذی هو حقیقه العذاب الذی سیحلّ بقوم ثمود بصوره لا ریب فیها مطلقا.

ثمّ یشیر سبحانه إلی قصّه«الناقه»التی أرسلت کمعجزه و دلاله علی صدق دعوه صالح علیه السّلام حیث یقول: إِنّٰا مُرْسِلُوا النّٰاقَهِ فِتْنَهً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ .

(الناقه)أنثی البعیر،و هی لیست کبقیّه النوق لما تتّصف به من خصوصیات خارقه للعاده،و طبقا للروایات المشهوره فإنّ هذه الناقه قد خرجت من بطن صخره جبل حجّه دامغه للمنکرین و المعاندین.

معنی«الفتنه»-کما مرّ فی بحث سابق-هو التمحیص و الاختبار،و اکتشاف مدی الإخلاص و الصفاء و الاستقامه عند الإنسان.

و من الواضح أنّ قوم ثمود قد جعلوا أمام إمتحان عسیر،حیث یستعرض

سبحانه هذا الاختبار لهم بقوله: وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمٰاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (١) يوم لهم و يوم للناقه.

و مع أنّ القرآن الكريم لم يوافنا بتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع،و لكن كما يذكر الكثير من المفسّرين فإنّ ناقه صالح عليه السّلام كانت تشرب كلّ الماء يوم يكون شربها،و يعتقد البعض الآخر أنّ هيئتها و وضعها كانا بشكل يدفع الحيوانات إلى الفرار من الماء عند ما تقترب الناقه نحوه،و لذلك فإنّهم اقترحوا حلا و هو:أن يكون الماء يوما لهم و آخر للناقه.

و على كلّ حال فإنّ هؤلاء القوم وقعوا في مضيقه من ناحيه الماء،و لم يطيقوا وجود الناقه و مشاطرتها لمائهم يوما كاملا خصوصا ما يحتمله بعض المفسّرين من شحّه الماء في القريه(مع العلم أنّ هذا لا يتناسب مع ما ذكر في الآيات(١۴۶- ١۴٨)من هذه السوره،حيث المستفاد من هذه الآيات أنّ هؤلاء القوم كانوا يعيشون في أرض مليئه بالبساتين و العيون).

و على كلّ حال فإنّ قوم ثمود المتمرّدين عقدوا العزم على قتل الناقه،في الوقت الذي حذّرهم نبيّهم صالح عليه السّلام من مسّها بسوء،و أخبرهم بأنّ العذاب الإلهي سيقع عليهم بعد فتره وجيزه إن فعلوا ذلك.

و نظرا لاستخفافهم بهذا التحذير(فقد نادوا أحد أصحابهم حيث تصدّى للناقه و قتلها)يقول اللّه سبحانه: فَنٰادَوْا صٰاحِبَهُمْ فَتَعٰاطىٰ فَعَقَرَ .

و يمكن أن يكون المراد ب(صاحب)أحد رؤساء ثمود،و كان أحد أشرارهم المعروفين و يعرف في التاريخ ب(قداره بن سالف) (٢) .

و(تعاطى)في الأصل بمعنى تناول الشيء،أو تبنّي الموضوع و تقال أيضا

ص: ٣٢٨

١- ١) -«محتضر»اسم مفعول من مادّه(حضور)و(شرب)بمعنى السهم و النوبه الخاصّه بالماء،و بناء على ذلك فإنّ مفهوم جمله(كلّ شرب محتضر)أي أنّ نوبه كلّ شخص من الماء حاضره له،و لا يحقّ للآخرين الحضور و التزاحم عليها.

٢- ٢) -قداره على وزن(مناره)-كان رجلا قبيح الشكل و السيره،و من أكثر الأشخاص شؤما في التاريخ.

عند إنجاز الأعمال المهمّه و الخطيره و كذلك الأعمال الشاقّه،أو العمل المقابل بعوض.

كلّ هذه التفاسير تجمّع فی الآیه مورد البحث،لأنّ الإقدام علی القتل یستدعی جرأه و خساره کبیره،کما أنّه عمل شاقّ،و کذلک یستلزم اجره فی الغالب.

(عقر)من مادّه(عقر)علی وزن(ظلم)و فی الأصل بمعنی الأساس و الجذر، و إذا استعمل هذا المصطلح بخصوص الناقه فإنّه یعنی القتل و النحر.

و الجدیر بالذکر أنّ قتل الناقه نسب لشخص واحد فی هذه الآیه،فی الوقت الذی یلاحظ نسبه القتل فی سوره(الشمس)لقوم ثمود جمیعا حیث یقول سبحانه: فَعَقَرُوهٰا ،و یمکن تعلیل هذا الأمر بأنّ فعل الشخص القاتل کان نیابه عن الجمیع و برضاهم،و کما نعلم فإنّ الذی یرضی بفعل قوم یکون شریکا لهم فیه (۱) .

و جاء فی بعض الرّوایات أنّ(قداره)کان قد شرب مسکرا،و قد أقدم علی هذا العمل القبیح و الجنایه الکبیره و هو فی هذه الحاله.

و فی طریقه قتل الناقه أقوال کثیره،حیث یذهب البعض إلی أنّ قتلها کان بالسیف،و یقول البعض الآخر:إنّ(قداره)قد نصب لها کمینا وراء صخره و ضربها بالسهم أوّلا ثمّ هجم علیها بالسیف.

و تأتی الآیه الکریمه اللاحقه مؤکّده إنذارهم قبل نزول العذاب الشدید علیهم،حیث یقول سبحانه: فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی وَ نُذُرِ ثمّ وقع العذاب و السخط الإلهی علی هؤلاء المتمردّین المعاندین حیث یضیف سبحانه: إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ صَیْحَةً وٰاحِدَةً فَکٰانُوا کَهَشِیمِ الْمُحْتَظِرِ .

۱- ۱) -کما بیّنا شرح هذا الموضوع تحت عنوان(الارتباط الرسالی)فی الآیه ۶۵ سوره هود.

«الصيحه»هنا تعنى الصوت العظيم الذى يأتى من السماء،و يحتمل أن يكون إشاره للصاعقه المخيفه التى ضربت قريتهم،حيث يقول سبحانه: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَهِ عادٍ وَ ثَمُودَ . (۱)

(الهشيم)من مادّه(هشم)على وزن«حسم»و فى الأصل بمعنى انكسار الأشياء الضعيفه كالنباتات،و تطلق عاده على النباتات اليابسه المتكسّره التى يهيؤها الرعاه لمواشيهم بعد سحقها،كما تطلق أحيانا على النباتات اليابسه المسحوقه بأرجل الحيوانات فى الحضيره.

(محتظر)فى الأصل من مادّه(حظر)على وزن(حفز)بمعنى المنع،و لذلك فإنّ إعداد الحظائر للحيوانات و المواشى تكون مانعه لها من الخروج و لدرء المخاطر عنها،و مفردها(الحظيره)،و«محتظر»على وزن محتسب-هو الشخص الذى يملك مثل هذا المكان.

و الاستعراض الذى ذكرته الآيه الكريمه حول عذاب قوم ثمود عجيب جدّا و معبّر للغايه،حيث لم يرسل اللّه لهم جيوشا من السماء أو الأرض للتنكيل بهم، و إنّما كان عذابهم بالصيحه السماوه العظيمه،فكانت صاعقه رهيبه،أخمدت الأنفاس،و كان انفجارا هائلا حطّم كلّ شىء فى قريتهم،فأصبحت بيوتهم و قصورهم كحظيره المواشى،و أجسادهم المحطّمه كالنبات اليابس المرضوض المهشّم.

إنّ استيعاب هذا اللون من العذاب كان صعبا و عسيرا للأقوام السالفه،و لكنّه يسير بالنسبه لنا،و ذلك من خلال معرفتنا لتأثير الأمواج الناتجه من الإنفجارات، حيث أنّها تحطّم كلّ شىء يقع ضمن دائره إشعاعاتها.

و من الطبيعى أنّنا لا نستطيع المقارنه بين الإنفجارات البشريه و صاعقه

۱- ۱) -فصّلت،۱۳.

العذاب الإلهی التی أشاعت الدمار الرهیب فی هؤلاء القوم الحمقی المستبدّین، و علی بیوتهم و قصورهم،عسی أن یکون عبره و درسا للآخرین،حیث یقول سبحانه: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ .

و هکـذا تنهی الآیات الکریمه هـذا المشـهد المثیر بالتأکید علی ضـروره الاسـتفاده من هذه الدروس البلیغه،حیث التعابیر الحیویه الواضحه،و القصص المعبّره،و الإنذارات المحفّزه و التهدیدات القویّه.

ص :۳۳۱

الآيات [سوره القمر (۵۴): الآيات ۳۳ الى ۴۰]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (۳۳) إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ حٰاصِباً إِلاّٰ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنٰاهُمْ بِسَحَرٍ (۳۴) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (۳۵) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنٰا فَتَمٰارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنٰا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذٰابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ (۳۹) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۴۰)

التّفسير

اشاره

المصير الأكثر شؤما:

نلاحظ فى هذه الآيات تعبيرات قصيره و قويّه حول قصّه«قوم لوط» و العذاب الشديد الذى حلّ بهم،و هم المجموعه الرابعه من الأقوام التى اتّصفت بالقبح و الضلال و التى استعرضتهم هذه السوره المباركه...حيث يبدأ الحديث عنهم بقوله سبحانه: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ .

و«نذر»كما ذكر سابقا جمع(إنذار)و تعنى التهديد و التخويف،و من المحتمل

ص :۳۳۲

أن يكون المراد بها بعد ذكرها بصيغه الجمع هو الإنذارات المتعاقبه من النّبى لوط عليه السّلام لقومه،و التى كذّب بها أجمع،كما يمكن أن يكون المقصود منها هو إشاره إلى إنـذار لوط عليه السّـلام و الأنبياء الـذين سـبقوه فى الدعوه إلى اللّه،ذلك أنّ جميع الأنبياء يسعون من أجل تثبيت حقيقه أساسيه واحده و هى العبوديه للّه.

و تستعرض الآيات التاليه بجمل قصيره مشاهد من العذاب الذى نزل بقوم لوط و كيفيه نجاه عائلته حيث يقول سبحانه: إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ حٰاصِباً .

و«حاصب»تعنى الريح الشديده التى تأتى بالحجاره و الحصباء،و الحصباء هى الحصى،و يكون المقصود:إنّا أمطرناهم بالحجاره و الحصباء حتّى علت أجسادهم و دفنوا تحتها، إِلاّٰ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنٰاهُمْ بِسَحَرٍ .

و تتحـدّث الآيات القرآنيه الاخرى عن هول العذاب الذى حلّ بقوم لوط حيث الزلازل التى قلبت مدنهم فأصـبح عاليها سافلها،و بـذلك أصـيبت بكارثه الدمار الماحق...و تتحدّث عن مطر الحجاره و الحصـى الذى نزل عليهم بشدّه، فيقول سـبحانه فى ذلك: فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا جَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا سٰافِلَهٰا وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهٰا حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . (١)

و يثـار السؤال التـالى و هو:هـل أنّ العـذاب الـذى نزّل بقوم لوط كان على نوعين:الأوّل:العاصـفه التى حملت الحجاره و حصـى الصحراء و قذفتهم بها.

و الثانى:الأحجار السـماويه من السـجّيل المنضود.أو أنّهما كانا نوعا واحدا؟حيث العواصف العظيمه المحمّله بالحصى و الحجاره المأخوذه من الصحراء ترفعه العواصف العاتيه نحو السماء ليعود مرّه اخرى إلى الأرض بعد انخفاض العواصف باتّجاهها.

و لذا فليس من المستبعد أن تأخذ العاصفه قسما من الحصى و الحجاره

١- ١) -هود،٨٢.

و ترفعها إلى السماء بأمر من اللّه تعالى لتسقط مرّه اخرى على مدنهم بعد أن أصابها الزلزال العظيم،فتطمس معالمها المدمّره،و تمحو آثار خرائبها من على وجه الأرض،و تدفن أجسادهم و تنهى كلّ أثر لهم،كى يكونوا إلى الأبد عبره و عظه للآخرين (۱) .

و الذى يفهم من الآيه السابقه أنّ نجاه آل لوط كان فى وقت السحر،و السبب فى ذلك أنّ الوعد بالانتقام الإلهى من قوم لوط كان وقت الصبح،لذلك-بأمر من اللّه-قد نجت هذه العائله المؤمنه بخروجها من المدينه آخر الليل-باستثناء زوجته التى تنكّبت و أعرضت عن دعوته-حيث لم يمض وقت طويل حتّى نزل العذاب عليهم زلزالا-و عاصفه عاتيه تمطرهم بالحصى و الحجاره،كما يتحدّث القرآن الكريم عن هذا المشهد المثير فى سوره هود و يقول: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۲) .

و من هنا يتّضح عدم تناسب أقوال المفسّرين الذين اتّبعوا أقوال أئمّه اللغه و ذلك باعتبارهم«السحر»ما بين الطلوعين فى الآيه أعلاه (۳) .

و يضيف البارئ عزّ و جلّ بقوله: نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (۴) .

إنّ لوطا عليه السّلام قد أتمّ الحجّه على قومه قبل أن ينزل البلاء عليهم،حيث يوضّح اللّه سبحانه هذه الحقيقه فيقول تعالى: وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنٰا فَتَمٰارَوْا بِالنُّذُرِ .

(بطش)على وزن(فرش)و تعنى فى الأصل أخذ الشيء بالقوّه،و لأنّ المجرم لا يؤخذ إلاّ بالقوّه ليلقى جزاءه،لذلك فإنّها تعنى المجازاه.

ص:۳۳۴

۱- ۱) -توجد أبحاث اخرى حول هذا الموضوع فى الآيه(۸۲)من سوره هود.

۲- ۲) -هود،۸۱.

۳- ۳) -يقول الراغب فى المفردات:السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار.

۴- ۴) -نعمه مفعول به لفعل مقدّر من نفس جنسه،أو أنّه مفعول له ل(نجّينا)الذى ورد فى الآيه السابقه.

(تماروا)من(تماری)بمعنی محادثه طرفین لإیجاد الشکّ و إلقاء الشبهه مقابل الحقّ،فهؤلاء سعوا بطرق مختلفه إلی إلقاء الشکوک و الشبهات بین الناس لإبطال تأثیر إنذارات هذا النّبی العظیم«لوط»علیه السّلام.

و لم یکتف هؤلاء المعاندون بإلقاء الشبهات العقائدیه بین الناس،بل بلغت بهم الوقاحه و الصلف و عدم الحیاء حدّا أنّهم تجرّؤوا علی ملائکه الرحمن و ضیوف النّبی الکریم المأمورین بعذاب هؤلاء القوم حینما دخلوا بیت لوط علیه السّلام بصوره شباب و سیمین،حیث یقول سبحانه: وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَیْفِهِ أی أنّهم طلبوا منه أن یضع ضیوفه تحت تصرّفهم.

لقد بلغ الألم الذی اعتری«لوطا»علیه السّلام حدّا لا یطاق نتیجه هذا التصرّف القبیح و المخجل لقومه،و طلب بإصرار أن یکفّوا عن هذا السلوک المشین المخجل البعید عن الشرف و الحیاء.بل و أدبی استعداده علیه السّلام لتزویج بناته لهم-إن أعلنوا توبتهم-و هذه أعلی حالات المظلومیه التی یتعرّض لها هذا النّبی الکریم من قبل قوم عدیمی الحیاء و الإیمان و القیم الخیره،کما فی قوله سبحانه: قٰالَ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی إِنْ کُنْتُمْ فٰاعِلِینَ . (1)

و لم یمض وقت طویل حتّی واجهت هذه الفئه المجرمه الباغیه الجزاء الأوّلی لعملهم الإجرامی حیث یقول فی ذلک سبحانه: فَطَمَسْنٰا أَعْیُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذٰابِی وَ نُذُرِ .

إنّ ید القدره الإلهیّه امتدّت لتنتقم من هؤلاء القوم المجرمین،و ذلک بأن طمست علی أعینهم،حیث یقول البعض بأنّ جبرائیل قد امر أن یخفق بجناحهم علی عیونهم حیث فقدوا بصرهم حالا،و قیل أنّ بؤر أبصارهم قد أصبحت مستویه مع وجوههم.

1- 1) -الحجر،71

و مع أنّ القرآن الكريم لم يبيّن من هم الأشخاص الذين راودوا(الملائكه) ضيوف النّبى الكريم لوط عليه السّلام،إلاّ أنّ من الواضح أنّه لم يكن جميع القوم،بل أوباشهم الأكثر وقاحه و إجراما الذين تسابقوا للقيام بهذا الجرم المشين،و لذا فإنّ العذاب الذى لحقهم فى طمس عيونهم يفترض أن يكون عبره للآخرين من قومهم.و للأسف الشديد لم يكن هنالك من يتّعظ و يعتبر بهذا الدرس الإلهى البليغ، و الذى كان مقدّمه للعذاب الإلهى المحتوم عليهم جميعا.

و يقال:أنّ سبب تأخير العذاب على قوم لوط إلى الصبح،هو أنّ هذه الحادثه كانت قد وقعت قبل يوم،لذا فقد اعطى لهؤلاء المعاندين مهله ليله اخرى عسى أن يفكّروا فى مصيرهم قبل نزول البلاء عليهم،و يعتبروا بهذه الثّله السيّئه الحظّ ممّن فقدوا بصرهم.

و تذكر الرّوايه أنّ الجناه الذين فقدوا بصرهم لم يتّعظوا أيضا بما أصابهم،فقد توعّدوا آل لوط أن لا يبقوا منهم أحدا،و ذلك فى طريق عودتهم إلى بيوتهم و هم يتلمّسون الجدران ليهتدوا بواسطتها إلى أهليهم (1) .

و جاءت الساعه المرتقبه حيث أمر اللّه بفنائهم و قلبت الزلزله مدينتهم رأسا على عقب و صبّ عليهم العذاب صبّا مع أوّل خيط من أشعّه فجر ذلك اليوم، فتتمزّق أجسادهم و تتلاشى أبدانهم و تدمّر بيوتهم و تندثر قصورهم و تتحوّل إلى انقاض و خرائب،و إذا بالمطر الحجرى ينهمل عليهم و يطمس كلّ معالم الحياه لديهم حتّى لم يبق أى أثر لهم.

و ذلك ما تشير له الآيه الكريمه حيث تعكس هذا المعنى باختصار و تركيز وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَهً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ .

نعم،و فى لحظات قصار انتهى كلّ شىء و لم يبق لهم أثرا!!

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۸۵.

كلمه(بكره)تعنى(أوّل اليوم)لأنّ(صبّحهم)واسع المعنى و يشمل كلّ الصباح،فى الوقت الذى يقصد فى الصباح هنا(أوّله).

و هل كان وقت العذاب الإلهى بدايه طلوع الفجر،أو أنّه حصل فى بدايه طلوع الشمس؟إنّ هذا الأمر لم يعرف بالضبط و لكن تعبير(بكره)يتناسب أكثر مع بدايه طلوع الشمس.

كلمه(مستقرّ)تعنى الثبوت و الإحكام،أى بمعنى(ثابت الحكم)و يحتمل أن يكون المراد به هنا هو:أنّ العذاب الإلهى كان شديدا إلى حدّ أنّ أىّ قوه لم تكن قادره على مواجهته.

و يقال لأنّ العذاب الدنيوى لهؤلاء القوم متّصل مع عذاب البرزخ،لذا اطلق عليه أنّه(مستقرّ).

ثمّ يضيف سبحانه مؤكّدا و مكرّرا مرّه اخرى قوله: فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ .

لكي لا يكون مجال للشكّ و التردّد فى إنذار الأنبياء لكم بعد هذا،و رغم أنّ هذه الجمله ذكرت مرّتين فى القصّه: فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ إلاّ أنّه من الواضح هنا أنّ الجمله الاولى تشير إلى العذاب الذى حلّ بالمجموعه التى اقتحمت بيت لوط عليه السّلام و ما نتج من إصابتهم بالعمى مقدّمه للعذاب العامّ،و الثانيه إشاره إلى العذاب الذى نزل بقوم لوط أجمع من الزلازل و الدمار و مطر الحجاره.

و فى نهايه المطاف و فى آخر آيه من بحثنا هذا تتكرّر جمل الموعظه و العبره و للمرّه الرابعه فى هذه السوره بقوله تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

نعم،لم يتّعظ قوم لوط من النذر،و لم يتّعظوا من العذاب الأوّل الذى أعمى أبصار البعض منهم و الذى كان بمثابه إنذار لهم فهل أنّ الآخرين الذين يرتكبون نفس الذنوب يتّعظون لدى سماع آيات القرآن هذه و ينوبوا إلى رشدهم و يندموا على ما فرط منهم؟!..

الآيات [سوره القمر (۵۴): الآيات ۴۱ الی ۴۶]

اشاره

لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ اَلنُّذُرُ (۴۱) كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا كُلِّهٰا فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (۴۲) أَ كُفّٰارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِي اَلزُّبُرِ (۴۳ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (۴۴ سَيُهْزَمُ اَلْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ اَلدُّبُرَ (۴۵) بَلِ اَلسّٰاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ اَلسّٰاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ (۴۶)

التّفسير

اشاره

هل أنتم أفضل من الأقوام السابقه؟!

المجموعه الخامسه التی يتحدّث عنها القرآن فی هذه السلسله هم قوم فرعون،و لأنّ الحديث عن هؤلاء القوم قد طرح بصوره تفصيليه فی السور القرآنيه المختلفه،لذا فإنّ هذه السوره المباركه تستعرض هذه القصّه فی مقاطع مختصره و مركّزه حول ضروره الاستفاده من العبر التی جاءت فيها و الاتّعاظ منها...

ص: ۳۳۸

يقول سبحانه: وَ لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (۱) .

المقصود من(آل فرعون)ليسوا أهل بيته و متعلّقيه فقط،بل يشمل كلّ أتباعه بصوره عامّه،لأنّ كلمه(آل)و بالرغم من أنّها تستعمل فى الغالب لأهل البيت و العائله،إلاّ أنّ معناها أوسع من ذلك،حيث تأتى بالمعنى الذى ذكر،و القرائن العامّه فى هذا المورد تؤيّد هذا المعنى الواسع لها.

(نـذر)على وزن(كتب)و هى جمع نـذير،و بمعنى«المنـذر»سواء كان هذا المنذر إنسانا أو حادثه من الحوادث التى تحذّر الإنسان من عـاقبه أعمـاله،و فى الحـاله الاـولى يمكن أن يكون المقصود فى الآـيه أعلاـه(موسـى و هارون)عليهما السّـلام، و فى الصوره الثـانيه إشـاره إلى المعجزات التسع لموسـى عليه السّـلام،و من خلاـل ملاـحظه الآـيه التى بعـدها تشـير إلى أنّ المعنى الثـانى هو الأنسب.

و الآـيه اللاـحقه تكشف عن ردّ الفعل لآل فرعون من دعوه النبيين الإلهيين عليهما السّـلام، و الإنـذارات التى وجّهوها لهم حيث يقول اللّه سبحانه: كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا كُلِّهٰا .

نعم إنّ هؤلاء المغرورين من الجبابره و المعاندين قد أنكروا كلّ الآيات الإلهيّه و بدون استثناء،و حسبوها سحرا و كذبا و صدفه.

(آيات)لها معنى واسع تشـمل الـدلائل العقليه و المعجزات و الـدلائل النقليه، و عند ملاحظه قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسىٰ تِسْعَ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ يتبيّن لنا أنّ المقصود ب(الآيات)هنا هى المعجزات التسع لموسى عليه السّلام (۲) .

---

۱ – ۱) -(نـذر)بالإضـافه إلى كونهـا جمع(نـذير)،فإنّهـا تعطى أيضا معنى المصـدر أو اسم المصـدر،و لكون المصـدر يطلق على المعنى الوصفى أيضا،لذا يمكن جمع الإثنين فى مفهوم واحد.

۲ – ۲) -المعجزات التسع لموسى عليه السّلام و بالنظر إلى الآيات القرآنيه المختلفه فهى عباره عن:«تبديل العصا لثعبان عظيم»(طه ۲۰/)(۲)«يد بيضاء»و لمعان يد موسـى عليه السّـلام كمصدر نور(طه۲۲/)(۳)الطوفانات المحطّمه الأعراف۱۳۳/(۴) (الجراد)الذى سلّط على المزارع،(۵)(و القمل)(و هو نوع من الآفات الزراعيه)،(۶)(الضفادع)التى خرجت من نهر النيل و بعد مدّه قصيره غطّت سطحه(۷)(الدم)حيث أصبح لون نهر النيل بلون الدم(الأعراف۱۳۳/)،(۸)،(۹)عدم نزول الأمطار و نقص الثمرات(الأعراف ۱۳۰/).

إنّ الإنسـان إذا كـان صادقا فى البحث عن الحقيقه فانّه يكفيه أن يرى واحـده منها،و خاصّه تلك التى يسـبقها إنـذار،ثمّ بلاء،ثمّ زوال هـذا البلاء عند دعاء النّبى الإلهى،و لكن العناد،و الإصـرار على الباطل و الغرور إذا ركب الإنسان،فحتّى لو أصـبحت جميع السـماء و الأـرض آيـات للّه،فلن تكون ذات تـأثير على أمثـال هؤلاـء،و الجواب الحـاسم المناسب لهم هو العـذاب الإلهى الـذى يقضى على النزعات الشريره و النفوس المريضه التى يملؤها الهوى و الغرور.كما قال تعالى:

فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

تكمله للآيه مورد البحث.

«أخذ»فى الأصل بمعنى تناول الشىء و أخذه باليد،و لكون المجرم يؤخذ قبل أن يعاقب،لذا فإنّها تستعمل كنايه عن المجازاه.

و التعبير الآخر الذى أتى فى آخر هذه القصّه لا يوجد له شبه فى التعابير المماثله فى القصص الاخرى،و ذلك لأنّ الفراعنه كانوا يتباهون بقـوّتهم و سـطوتهم و عزّهـم أكـثر من بقيّه الأـمم،و الحـديث عن قـوّه سـلطانهم كـان فى كـلّ مكـان.يقول اللّه تعـالى: فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ و ذلك كى يكون واضحا للجميع أنّ القوّه الحقيقه هى للّه وحده،لأنّ كلّ قوّه و عزّه اخرى غير قوّته و مـا يتّصـل بـذاته وهميّه لاـ تسـاوى شـيئا فى قبال عزّته و قـدرته...و العجيب أنّ نهر النيل العظيم الـذى كان مصـدر خير و ثروه لهم،هو الذى أمر بالانتقام منهم،و الأعجب من ذلك أنّ أضـعف المخلوقات سلّطت عليهم كالجراد و الضفادع و القمل فجعلتهم فى حاله عجز و مسكنه لا يقدرون على دفعها،و هم الذين كانوا من السطوه و القوّه موضع حديث أهل زمانهم:

و بعد بيان هذه المشاهد المؤثّره من قصـص الأقوام المنصـرمه و العذاب الإلهى العظيم الذى حلّ بهؤلاء الجبابره المتمرّدين على الحقّ،يخاطب اللّه سبحانه فى الآيه اللاحقه مشركى مكّه بقوله تعالى: أَ كُفّٰارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِى

الزُّبُرِ

(۱)

.

فما الفرق بينكم و بين قوم فرعون و قوم نوح و قوم لوط و ثمود؟فكما أنّ أولئك الأقوام قد عذّبوا بالطوفان تاره و الزلازل و الصواعق اخرى،اقتصاصا منهم للكفر و الظلم و الطغيان و العصيان الذى كانوا عليه...فما المانع أن يصيبكم العذاب و يكون مصيركم نفس المصير...فهل أنتم أفضل منهم؟و هل أنّ كفركم و عنادكم أخفّ حده؟ و كيف ترون أنّكم مصونون من وقوع العذاب الإلهى؟أ ألقى إليكم كتاب من السماء يعطيكم هذا الأمان؟ و من الطبيعى أنّ مثل هذه الادّعاءات ادّعاءات كاذبه لا يقوم عليها أى دليل أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (۲) .

«جمع»بمعنى مجموع،و المقصود هنا هى الجماعه التى لها هدف و قدره على إنجاز عمل،و التعبير هنا ب(منتصر)تأكيد على هذا المعنى لأنّه من مادّه(انتصار) بمعنى الانتقام و الغلبه.

و الجدير بالذكر هنا أنّ الآيه السابقه كانت بصوره خطاب،أمّا فى الآيه مورد البحث و الآيات اللاحقه،فإنّ الحديث عن الكفّار بلغه الغائب،و هو نوع من أنواع التحقير،أى أنّهم غير مؤهّلين للخطاب الإلهى المباشر.

و على كلّ حال،فإنّ ادّعاءهم بالقوّه و القدره ادّعاء فارغ و قول هراء،لأنّ الأقوام السابقه من أمثال قوم عاد و ثمود و آل فرعون و أضرابهم كانوا أكثر قوّه و سطوه،و مع ذلک فلم تغن عنهم قوّتهم شيئا حينما واجهوا العذاب،و كانوا من الضعف كالقشّه اليابسه تتقاذفها الأمواج من كلّ مكان،فكيف بمن هو أقل عددا و أضعف حيله و قوّه و منعه؟

۱- ۱) -الضمير فى«كفّاركم»يرجع فى الظاهر(المشركى العرب)بقرينه الجمله أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِي الزُّبُرِ .

۲- ۲) -بالرغم من أنّ(نحن)ضمير جمع فانّ خبرها(جميع)قد جاء مفردا،و كذلک منتصر و التى جاءت خبرا بعد خبر أو صفه ل(جميع)،و السبب فى ذلک فإنّ لفظ(جميع)و إن كانت مفرده إلّا أنّ المعنى(جمع).

و يواجه القرآن الكريم هؤلاء السادرين فى غيّهم بإخبار غيبى حاسم و قوى، حيث يقول: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (۱) .

و الظريف هنا أن سيهزم من مادّه(هزم)على وزن(جزم)و فى الأصل بمعنى الضغط على الجسم اليابس لحدّ التلاشى.و لهذا السبب استعملت هذه الكلمه (هزم)فى حاله تدمير الجيوش و انكسارها.

و ربّما أشار هذا التعبير إلى النقطه التاليه و هى:رغم حاله الاتّحاد و الانسجام لهؤلاء القوم ظاهرا،إلاّ أنّهم كالموجودات اليابسه و الفاقده للروح،فبمجرّد تعرّضها إلى ضغط قوى تتهشّم،و نرى عكس ذلك فى المؤمنين المتصّفين بالقوّه المقترنه بالمرونه،حيث أنّهم إذا ثقلت عليهم المحن و اشتدّت الأزمات و أحنتهم العاصفه فإنّهم سرعان ما يستعيدوا قواهم مرّه اخرى ليواجهوا مصاعب الحياه.

«دبر»بمعنى«خلف»فى مقابل(القبل)بمعنى«أمام»،و سبب ذكر هذه الكلمه هنا لبيان حاله الفرار من ساحه المعركه بصوره كليّه.

لقد صدق هذا التنبّؤ فى معركه بدر و سائر الحروب الاخرى حيث كانت هزيمه الكفّار ساحقه،فإنّه رغم قدرتهم و قوّتهم فقد تلاشى جمعهم.

و فى آخر الآيه مورد البحث يشير سبحانه إلى أنّ الهزيمه التى منى بها المشركون سوف لن تكون فى الدنيا فقط،و إنّما هى فى الآخره أشدّ و أدهى،حيث يقول البارئ عزّ و جلّ: بَلِ السّٰاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّٰاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ .

و على هذا التصوّر،فما عليهم إلاّ أن ينتظروا هزيمه ما حقه فى الدنيا،و مصيرا سيّئا و اندحارا أمرّ و أكثر بؤسا فى الآخره.

«أدهى»من مادّه(دهو)و(دهاء)بمعنى المصيبه و الكارثه العظيمه و التى لا مخرج منها و لا نجاه،و لا علاج لها،و تأتى أيضا بمعنى الذكاء الشديد، إلاّ أنّ

۱- ۱) -مع العلم أنّ من المناسب أن يقال(يولّون الأدبار)إلاّ أنّه قيل هنا:(يولّون الدبر)،لأنّ لهذه المعنى(جنس)حيث تكون فى حكم الجمع.

المقصود منها فى الآيه الكريمه هو المعنى الأوّل.

نعم إنّهم سيبتلون يوم القيامه بعذاب محتّم و عاقبه بائسه لا مفرّ منها.

ملاحظه

اشاره

تنبّؤ إعجازى صريح:

ممّا لا شكّ فيه أنّه عند ما نزلت هذه الآيات فى مكّه المكرّمه كان المسلمون أقليّه ضعيفه،و كان العدو فى أوج القوّه و القدره،و لم يكن أحد يتوقّع انتصار المسلمين بهذه السرعه،فهو أمر غير قابل للتصديق فى تلك الظروف،و لا مجال للتنبّؤ به.

و كانت هجره المسلمين بعد فتره وجيزه من هذا التاريخ حيث اكتسبوا خبره و قوّه،ممّا جعلهم يحقّقون الإنتصار و الغلبه على المشركين فى أوّل مواجهه عسكريه معهم،و ذلك فى معركه بدر،حيث وجّه المسلمون صفعه قويّه مفاجئه لمعسكر الكفر،و لم يمض وقت طويل إلاّ و نلاحظ أنّ الإيمان بالرساله المحمديّه لم يقتصر على مشركى مكّه فحسب،بل شمل الجزيره العربيه أجمع،حيث استسلمت للدعوه الإلهيّه.

أليس هذا النبأ الغيبى الإلهى الذى واجهنا بهذه الصراحه و الجديّه معجزه؟ و من الواضح أنّ أحد عناصر الإعجاز فى القرآن الكريم هو تضمّنه للأخبار الغيبيه،و هذا ما نلاحظه فى الآيه مورد البحث.

ص :۳۴۳

الآیات [سوره القمر (۵۴): الآیات ۴۷ الی ۵۵]

اشاره

إِنَّ اَلْمُجْرِمِینَ فِی ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ (۴۷) یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی اَلنّٰارِ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (۴۸) إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ (۴۹) وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَهٌ کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (۵۰) وَ لَقَدْ أَهْلَکْنٰا أَشْیٰاعَکُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۵۱) وَ کُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی اَلزُّبُرِ (۵۲) وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ (۵۳) إِنَّ اَلْمُتَّقِینَ فِی جَنّٰاتٍ وَ نَهَرٍ (۵۴) فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ (۵۵)

التّفسیر

اشاره

المؤمنون فی ضیافه اللّه:

فی الحقیقه إنّ هذه الآیات هی استمرار لبحث الآیات السابقه حول بیان أحوال المشرکین و المجرمین فی یوم القیامه.و آخر آیه من تلک الآیات تعکس هذه الحقیقه بوضوح،و هو أنّ یوم القیامه هو الموعد المرتقب لهؤلاء الأشرار فی الاقتصاص منهم،حیث یحمل المراره و الصعوبه و الأهوال لهم،و التی هی أشدّ و أقسی ممّا أصیبوا به فی هذه الدنیا.

ص: ۳۴۴

و تتحدّث الآیه الاولی-مورد البحث-عن ذلک حیث یقول سبحانه: إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ (۱) .

یقول الباریٔ عزّ و جلّ: یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی النّٰارِ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ حیث یبیّن اللّه سبحانه أنّ العذاب الإلهی واقع علیهم و لا ریب فیه، و سیواجهونه عملیّا رغم استهزائهم و سخریتهم و ادّعائهم أنّه من نسج الأساطیر.

«سقر»علی وزن(سفر)و فی الأصل بمعنی تغیّر لون الجلد و تألّمه من أشعّه الشمس و ما إلی ذلک.و لأنّ إمکانیه تغییر لون الجلد و ألمه الشدید من خصوصیات نار جهنّم،لذا أطلق اسم(سقر)علیها.و المراد من(مسّ)هو حاله التماس و اللمس،و بناء علی هذا فیقال فی أهل النار:ذوقوا لمس نار جهنّم و حرارتها اللاذعه،ذوقوا طعمها،هل هی أکاذیب و خرافات و أساطیر،أم أنّها الحقیقه الصارخه؟ و یعتقد البعض أنّ(سقر)لیس اسم کلّ النار،بل هو اسم مختّص بجانب منها تکون فیه النار حامیه لدرجه مذهله و خارقه.

و

فی ثواب الأعمال عن الصادق علیه السّلام: «إنّ فی جهنّم لوادیا للمتکبّرین یقال له سقر شکا إلی اللّه شدّه حرّه،و سأله أن یأذن له أن یتنفّس فأحرق جهنّم» (۲) .

و لکی لا یتصوّر أنّ هذه الشدّه فی العذاب لا تتناسب مع المعاصی،یقول سبحانه: إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ .

نعم إنّ عذابهم فی هذه الدنیا کان بتقدیر و حساب،و کذلک سیکون عقابهم المؤلم فی الآخره،و لیس الجزاء فقط،ذلک أنّ اللّه سبحانه خلق کلّ شیء بحساب

ص: ۳۴۵

۱ - ۱) -«سعر»:کما بیّنا سابقا فی آخر الآیه(۲۴)من نفس السوره لها معنیان:الأوّل:انّها جمع سعیر بمعنی اشتعال النار. و الثّانی:بمعنی الجنون،و الهیجان الذی یلازمه اضطراب التوازن الفکری،و فی الآیه مورد البحث یمکن أن یکون بالمعنیین معا،و إذا قصدنا المعنی الثانی فیکون مفهوم الآیه کذلک:أنّهم کانوا یقولون إذا اتّبعنا إنسانا مثلنا فإذا نحن فی ضلال و جنون،و هنا یردّ القرآن الکریم علیهم بقوله:ستعلمون یوم القیامه آثارکم و تکذیبکم للأنبیاء هو الضلال و الجنون.

۲- ۲) -تفسیر الصافی ذیل الآیه مورد البحث.

و تقدير،فالأرض و السماء و الكائنات الحيّه و الموجودات الجامده و أعضاء الإنسان و مستلزمات الحياه كلّها خلقت بقدر معلوم، و لا يوجد شيء فى هذا الوجود بدون حساب و تقدير،لأنّ الخلّاق عليم حكيم و مقدّر.

ثمّ يضيف تعالى إنّه ليست أعمالنا موافقه للحكمه فحسب،بل انّها مقترنه مع القدره و الحسم،لأنّه: وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ .

و تتجسّد الإراده الربّانيه و الأوامر الإلهيّه من خلال كلمه«كن»فيترتّب على ذلك فورا وجود الشيء.(حتّى كلمه«كن»جاءت من باب ضيق البيان،و إلاّ فإنّ الإراده الإلهيّه متحقّقه بمجرّد الإراده).

و لذلك فإنّ اليوم الذى تقوم فيه الساعه يحدث بأمر اللّه بلمح البصر،و كلّ شيء يكون فى مسار الآخره حينئذ،و تبعث الحياه من جديد فى الأبدان.

كما أنّ المشيئه الإلهيه فى مجازاه المجرمين بالصواعق و الصيحات السماويه و الزلازل و الطوفان و الرياح العاتيه...كلّ ذلك يحدث بمجرّد الأمر الإلهى و بدون تأخير.

إنّ هذه الإنذارات الموجّهه للعصاه و المذنبين كلّها من أجل أن يعلموا أنّ اللّه، كما هو حكيم فى أمره فإنّه حازم فى فعله،فهو حكيم فى عين الحزم،و حازم فى عين الحكمه،فليحذروا مخالفه تعاليمه و أوامره.

و فى الآيه اللاحقه يخاطب الكفّار و المجرمين مرّه اخرى،و يلفت انتباههم.

إلى مصير الأقوام السابقه حيث يقول: وَ لَقَدْ أَهْلَكْنٰا أَشْيٰاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

«أشياع»جمع(شيعه)و تطلق على الأتباع الذين ينشرون و يشيعون ما يرتبط بالشخص المتّبع فى كلّ الحالات و يسندونه و يناصرونه،و إذا استعملت بمعنى (تابع)فإنّها تكون بنفس القصد.

و من الطبيعى فإنّ الأقوام السابقه لم يكونوا أتباعا و شيعه لمشركى مكّه و أمثالهم،بل العكس هو الصحيح،و لكن بما أنّ المؤيّدين لشخص ما يشبّهونه فى

سلوكه،لذا فإنّ هذا المصطلح يطلق على الشبيه و المماثل أيضا.

و يجدر بنا القول بأنّ هذه الطائفه من مشركى مكّه كانوا يستعينون و يستفيدون من الخطّ الفكرى الذى كانت الأقوام السابقه عليه،و لهذا السبب فإنّ كلمه(أشياع)أطلقت على الأقوام السابقه.

و على كلّ حال،فإنّ الآيه الكريمه تؤكّد هذه الحقيقه مرّه اخرى،و هى أنّ أعمال مشركى قريش و ممارساتهم هى نفس أعمال و ممارسات و عقائد الأقوام السابقه،لذا فلا يوجد دليل على أنّ مصيركم سوف يكون أفضل من مصيرهم، فاتّعظوا وعوا.

ثمّ يشير القرآن إلى هذا الأصل و هو أنّ صفحه أعمال الأقوام السابقه لم تنته بموتهم،بل هى باقيه و مسجّله عليهم،يقول سبحانه: وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ فكذلك أعمالكم مثبته و محفوظه ليوم الحساب.

«زبر»جمع(زبور)بمعنى الكتاب،و هى تشير إلى صحيفه أعمال الإنسان، و يحتمل البعض أنّ المقصود هنا هو:«اللوح المحفوظ»، و لكن هذا المعنى لا يتناسب مع صيغه الجمع.

ثمّ يضيف سبحانه: وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ .

و بناء على هذا فحاسب الأعمال فى ذلك اليوم هو حساب شامل و تامّ لا يغادر صغيره و لا كبيره،حيث يستلم المرجمون صفحه أعمالهم كامله، فيصعقون لهولها و يصطرخون لدقّتها وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهٰذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها . (1)

«مستطر»من مادّه(سطر)فى الأصل بمعنى(صفّ)سواء ما يتعلّق بالأفراد أو الأشجار أو الكلمات التى تصف على الأوراق،و لكون المعنى الأخير أكثر

ص:347

1- 1) -الكهف،49.

استعمالا،لذا يتبادر إلى الذهن معناها الأخير.

و على كلّ حال فإنّه إنذار آخر لهؤلاء العاصين و المغفّلين و الجهله.

و لمّا كانت السنّه المتّبعه فى القرآن الكريم غالبا ما تعتمد المقارنه بين جبهه الصلاح و الهدى من جهه،و جبهه الفساد و الضلال من جهه اخرى،لأنّ فى المقارنه يبرز التفاوت و الاختلاف بصوره أفضل،فهنا أيضا بعد الحديث عن مصير الكفّار و المجرمين يشير سبحانه إشاره مختصره إلى العاقبه السعيده و الحبور العظيم الذى يكون من نصيب المتّقين حيث يقول سبحانه: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ .

(نهر)على وزن(قمر)،و كذلك(نهر)على وزن(قهر)و الاثنان يعنيان مجرى الماء الكثير،و لهذا يطلق على الفضاء الواسع كذلك،أو الفيض العظيم أو النور المنتشر(نهر)-على وزن قمر-.

و بغضّ النظر عن الحديث اللاحق،يمكن أن يكون هذا المصطلح فى الآيه أعلاه بنفس المعنى الأصلى،أى أنّ كلمه(نهر)بمعنى نهر الماء،و لا إشكال فى كون الكلمه بصيغه المفرد،لكونها تدلّ على معنى الجنس و الجمع،فينسجم مع (جنّات)جمع«جنّه»،و يمكن أن يكون المراد منها هو اتّساع الفيض الإلهى و النور العظيم فى ظلال الجنّه و رحابها الواسعه،و بذلك تشمل المعنيين.

و لكن نقرأ هنا فى حديث للرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الذى نقل

عن الدرّ المنثور أنّه قال: «النهر:الفضاء و السعه،و ليس بنهر جار» (1) .

و فى آخر آيه مورد البحث و التى هى آخر آيه فى سوره القمر يوضّح البارئ بصوره أكثر(مستقر المتّقين)حيث يقول سبحانه أنّهم: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ .

و يا له من وصف رائع و ظريف!حيث أنّ هذا الوصف يتميّز بخصوصيتين

1- 1) -الدرّ المنثور،ج 6،ص 139.

تجمعان كلّ السماوات الرائعه:

الأولى:أنّ المكان هو(مستقرّ صدق)و ليس فيه باطل،بل كلّه حقّ يجد فيه المتّقون كلّ ما وعدوا به كاملا غير منقوص.

الثانيه:أنّهم فی جوار و قرب اللّه سبحانه،و هذا هو المستفاد من كلمه(عند) و الذی يشير إلی غايه القرب المعنوی.و هذا القرب هو من اللّه المالک القادر..ما أروعه عن قرب من الربّ الكريم الوهّاب و الذی يمنح العطايا و الهبات لضيوفه المتّقين بجميل لطفه و عظيم إحسانه و واسع كرمه،حيث جميع ما فی الوجود تحت قبضته و إمرته و مالكيته،و هو المنّان الذی لا ينقصه شیء فی السماوات و الأرض، و الذی و عد المتّقين بالخير العظيم و أعدّ لهم عظيم العطايا و الإحسان.

و النقطه الجديره بالذكر فی هاتين الآيتين و التی تتحدّث فيها عن الهبات و جزاء أصحاب اليمين،حيث فی البدايه تتحدّث عن العطايا الماديّه التی تشمل البساتين الوارفه و الحدائق الغنّاء و الأنهار الجاريه،ثمّ تتحدّث بعد ذلک عن الجزاء المعنوی العظيم،و الذی يتجسّد بحضورهم من المليک المقتدر.و ذلک تهيئه للإنسان من مرحله إلی اخری،يغمرها الشوق و الحبور،و الرغبه فی العمل الصالح، خصوصا أنّ تعابير(المليک)و(المقتدر)و(مقعد صدق)تدلّ جميعها علی دوام و بقاء هذا الحضور و القرب المعنوی من الذات الإلهيّه.

بحوث

اشاره

١-التّقدير و الحساب فی كلّ شیء

تشير الآيه الكريمه إِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ رغم إيجازها إلی حقيقه مهمّه كامنه فی جميع الكون و حاكمه عليه،و هی دقّه الخلق و التقدير فی جميع الوجودات.

و مهما تطوّر العلم فانّ الإنسان يطّلع على مزيد من هذه الحسابات و التقديرات الإلهيّه الدقيقه فى عالم الوجود،و التى تشمل الكائنات المجهريه و الأجرام السماويه العظيمه.

فمثلا:نسمع عن روّاد الفضاء أنّهم طبقا للحسابات العلميه الدقيقه التى أنجزت بواسطه مئات الأفراد المتخصّصين المستخدمين العقول الإلكترونيه،أنّهم سيهبطون بسفنهم الفضائيه بنفس النقطه المحدّده لهم على سطح القمر،مع العلم أنّ كلّ شىء سيتغيّر فى الفتره الزمنيه التى تسير فيها السفينه الفضائيه بين الأرض و القمر،حيث يدور القمر حول نفسه و كذلك حول الأرض و يتغيّر مكانه بصوره كليّه، و تدور الأرض حول نفسها،و كذلك حول الشمس و بسرعه فائقه.و لأنّ جميع هذه التغييرات و الحركات محسوبه،و مقدّره بصوره مضبوطه و دقيقه بحيث لا تتخلّف عن هذه الأنظمه،يستطيع الفضائيون الهبوط فى النقطه المحدّده لهم على سطح القمر نتيجه تلك الحسابات و التقديرات الدقيقه.

و يستطيع المنجّمون كذلك من التنبّؤ بالخسوف و الكسوف الجزئى و الكلّى، و قبل عشرات السنين،و فى مختلف نقاط العالم،و تلك قرائن و دلائل على دقّه المقاييس فى هذا الوجود العظيم.

و فى الكائنات الصغيره و الديدان الدقيقه نلاحظ دقّه المقاييس و الحساب بصوره تدعو للظرافه و الإعجاب و الانبهار عند ما نشاهد طبيعه العروق و الأعصاب و الأجهزه المختلفه لهذه الكائنات.

و عند ما ندقّق فى الكائنات المجهريه كالمكروبات و الفيروسات و الأميبيات يبلغ إعجابنا أوجه لما نلاحظه من الدقّه فيها،حيث إنّ الواحد على الألف من المليم و أصغر من ذلك يدخل فى عالم الحساب،و الأعجب من ذلك حينما ندخل عالم الذرّه حيث تصل الدقه فيها إلى حدّ لا يصدّق و خارج عن الحدود المألوفه.

إنّ هذه المقاييس ليست مختّصه بالمسائل الكميّه فقط،بل إنّ التركيبات

الکیفیه أیضا تتمتّع بنفس الخصوصیات الحسابیه،فالنظام المتحکّم علی روح الإنسان و میوله و غرائزه،و کذلک المقاییس الدقیقه فی مسیر المتطلّبات الفردیه و الاجتماعیه للإنسان إذا طرأ علیها أی تغییر فإنّ النظام الحیاتی الفردی و الاجتماعی سیتعرّض للتغیّر و الانهیار.

و فی عالم الطبیعه هنالک موجودات یتغذّی بعضها علی البعض الآخر،و کلّ منها یوقف حاله النمو و التکاثر لکلّ منها،فالطیور الجارحه تتغذّی علی لحوم الطیور الصغیره،و تمنع تزایدها بصوره أکثر من اللازم حتّی لا تضرّ المحاصیل الزراعیه، و لذا فإنّ الطیور الجارحه معمّره،و هذه الطیور المعمّره قلیله البیض و الفراخ،و عدد محدود من هذه الأفراخ یستطیع العیش،حیث یستدعی نموّها و بقاؤها ظروفا خاصّه،و لو قدّر لهذه الطیور أن یکون لها فراخا کثیره و بهذا العمر الطویل لأدّی ذلک إلی انقراض الطیور الصغیره.

إنّ لهذه الحاله أمثله عدیده و واسعه فی عالم الحیوان و النبات،و المطالعات المختلفه فی هذا المجال تزیدنا وعیا فی فهم الآیه الکریمه: إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ .

٢-التقدیر الإلهی و إراده الإنسان

قد یتوهّم البعض من خلال ما طرحته الآیه الکریمه من الإعتقاد بالتقدیر و الحساب الإلهی أنّ أعمالنا و ممارساتنا التی قوم بها لا بدّ أن تکون واقعه ضمن هذا القانون فهی مخلوقه للّه تعالی أیضا و بالتالی فلسنا مسئولین عنها و لا اختبار لنا فیها.

و لکن کما قلنا سابقا فإنّ أعمالنا هی بتقدیر و مشیئه البارئ عزّ و جلّ،و لن تخرج عن دائره قدرته و إرادته أبدا،و قد جعلنا اللّه سبحانه مختارین فیها ضمن ما قدّر لنا،و لذلک عیّن لنا مسئولیات و تکالیف فلو لم نکن مختارین فإنّ هذه

المسؤولیات و التكالیف ستكون بلا معنی حیث أنّ فقدان الإراده یجعلنا مجبورین فی أعمالنا،و هذا خلاف التقدیر الإلهی.

و نلاحظ فی مقابل إفراط(الجبریین)تفریط جماعه(القدریین)أو المفوّضه الذین یذهبون صراحه إلی القول بأنّ اللّه لا یتدخّل فی أعمالنا و ممارساتنا،حیث إنّهم یحدّون و یحجمون دائره الهیمنه الإلهیّه علی الإنسان و یعتقدون باستقلالیتهم تماما عن المشیئه الإلهیّه،و بذلک سلكوا طریق الشرک من هذه الجهه.

و الحقیقه أنّ الجمع بین أصلی(التوحید و العدل)یحتاج إلی دقّه و ضبط،فلو فسّرنا التوحید بأنّ اللّه خالق كلّ شیء حتّی أعمالنا بشكل لا نملک أی إختیار فیها فإنّنا نكون بذلک قد أنكرنا أصل العدل،لأنّ مقترفی الذنوب مجبرون علی ارتكاب المعاصی ثمّ ینتظرهم الجزاء المتمثّل بالعقاب،و هذا خلاف العداله.

و إذا فسّرنا«العدل»بأنّ اللّه تعالی لیس له أی لون من التدخّل فی أعمالنا فإنّنا سنخرج الإراده الإلهیّه من الهیمنه علینا،و عندئذ نقع فی وادی الشرک.

و یمثّل مفهوم«الأمر بین الأمرین»الإیمان الخالص و الصراط المستقیم و خطّ الوسط بین(الجبریین و القدریین)و هو أن نعتقد بأنّنا مختارین،و اختیارنا هذا یكون ضمن الهیمنه الإلهیه،حیث تستطیع الإراده الإلهیه فی أی لحظه أن تسلب منّا هذا الإختیار،و هذا ما یذهب إلیه أهل البیت علیهم السّلام.

و النقطه الجدیره بالذكر أنّه وردت فی نهایه الآیات مورد البحث روایات عدیده فی ذمّ هاتین الجماعتین فی كتب تفسیر أهل السنّه و الشیعه،و من جملتها نقرأ

فی حدیث النّبی الأكرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث یقول: «صنفان من امّتی لیس لهم فی الإسلام نصیب المرجئه و القدریه،أنزلت فیهم آیه فی كتاب اللّه: إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ » (۱) .

ص :۳۵۲

۱- ۱) -تفسیر روح المعانی نقل عن البخاری و الترمذی و ابن ماجه و ابن عدی و ابن مردویه و ابن عبّاس،ج ۲۷،ص ۸۱و ذكر القرطبی مثل هذا الحدیث فی تفسیره،ج ۹،ص ۶۳۸.

«المرجئه»من مادّه(إرجاء)بمعنى تأخير الشىء،و هذا اصطلاح يستعمل للجبريين،لأنّهم لم يلاحظوا الأوامر الإلهيّه و ارتكبوا المعاصى لظنّهم أنّهم مجبورون،أو لاعتقادهم أنّ مصير مرتكبى الذنوب الكبيره غير معلوم لتصوّرهم أنّ البتّ فيها مؤجّل إلى يوم القيامه (۱) .

كما نقرأ

فى حديث للإمام الباقر عليه السّلام: «نزلت هذه الآيه فى القدريه: ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنّا*كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (۲) .

إشاره إلى أنّ المقصود من التقدير و الحساب هنا أنّ اللّه سبحانه قد جعل لكلّ ذنب ما يناسبه من الحساب و الجزاء الدقيق.و هذا تفسير آخر ممّا فسّرت به الآيه.

أو أنّ المقصود بها إلفات نظر الذين أنكروا التقدير الإلهى و ظنّوا أنّ اللّه تعالى ليست له تدخّل فى أعمالهم و أنّهم قادرون على كلّ شىء،و يأتى إليهم التنبيه الإلهى فى ضروره ملاحظه القدره الإلهيه العظيمه،و إلاّ فعليكم أن تذوقوا جزاء انحرافكم و هو مسّ سقر).

۳-الأمر الإلهى كلمه واحده

من الواضح أن لا فاصله زمانيه بين العلّه التامّه و المعلول،لذلك ورد فى اصطلاح الفلاسفه أن تقدّم العلّه على المعلول أمر رتبى،و بالنسبه إلى الإراده الإلهيه فى أمر الإيجاد و الخلق و الذى هو أوضح مصداق للعلّه التامّه،أو أنّه مصداق وحيد للعلّه التامّه يتّضح هذا المعنى أكثر.

و لذلك فإذا فسّروا الآيه: وَ ما أَمْرُنا إِلاّ واحِدَهٌ بكلمه(كن)فإنّها من ضيق البيان.و إلاّ فإنّ كلمه(كن)مركّبه من الكاف و النون،و هى أيضا تحتاج إلى زمان، حتّى(الفاء)فى(فيكون) و التى توضّح نوعا من الزمان فإنّها من ضيق البيان كذلك،

۱- ۱) -مجمع البحرين مادّه(رجا).

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۸۶.

بل حتّى تشبيه كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (۱) (۲) .

و عند ما يتحدّث عن الأمر الإلهى فى يوم القيامه و يشبهه ب(لمح بالبصر) يضيف(أو هو أقرب).

و على كلّ حال فإنّ الحديث هنا عن الزمان حسب التعبيرات اليوميه لنا، و كذلك فإنّ القرآن الكريم يخاطبنا بلغتنا،و إلاّ فإنّ أوامر اللّه تعالى فوق الزمان.

و ضمنا فإنّ التعبير ب(واحده)يمكن أن يكون إشاره لهذا المعنى،و هو أنّ أمرا واحدا يكفى و لا يحتاج إلى تكرار،أو أنّها إشاره إلى أنّ أمره تعالى حول الصغير و الكبير و حتّى خلق السموات الواسعه أجمع لا يختلف عن خلقه لذرّه التراب.

و فى الأصل فإنّ الكبير و الصغير و السهل الصعب يكون فى مقاييسنا الفكريه المحدوده و قدرتنا الضئيله،أمّا عند ما يكون الحديث عن القدره الإلهيه العظيمه فإنّ هذه المفاهيم تتلاشى تماما،و يصبح الكلّ بلون واحد و شكل واحد،(فتدبّر).

و يطرح هنا«سؤال»:و هو إذا صحّ معنى الجمله أعلاه و هو أنّ كلّ شىء يوجد آنا(فى الآن)فإنّ هذا الأمر لا يتناسب مع مشاهده التدرّج فى حوادث العالم.

و يتّضح«الجواب»عند ما نلاحظ هذه النقطه،و هى أنّ أمره تعالى فى كلّ مكان و كلّ شىء هو(كلمه واحده)و التى تكون أسرع من لمح البصر،و لكن محتوى الأمر الإلهى متفاوت و مختلف،فإذا صدر الأمر الإلهى للجنين أن يكمل دورته تسعه أشهر،فلن تزيد و تنقص لحظه واحده.و الفوريه هنا هى أن يكمل الجنين الدوره فى نهايه المدّه المحدّده،و لو اعطى أمر للكره الأرضيه أن تدور فى كلّ أربع و عشرين ساعه مرّه حول نفسها؟فإنّ هذا الأمر غير قابل للتخلّف، و بتعبير آخر فإنّ تنفيذ أمره تعالى لا يحتاج إلى أىّ وقت زمانى،و الموجود هنا هو محتوى الأمر.و من خلال معرفه السنّه التدريجيه للعالم المادّى و خاصيّته

۱- ۱) -«لمح»على وزن(مسح)و الأصل بمعنى لمعان البرق ثمّ جاءت بمعنى النظر السريع.

۲- ۲) -النحل،۷۷.

و طبیعه الحرکه-نلاحظ أنّها تتأثّر بالزمان.

۴-بدایه و نهایه سوره القمر

النقطه الجدیره بالذکر أنّ«سوره القمر»بدأت بإنذار و تخویف المشرکین بقرب وقوع یوم القیامه،و انتهت بهدوء یطمئن المؤمنین الحقیقیین فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر،و هذا هو الطریق المرسوم للتربیه،حیث یبدأ بالتحذیر و التخویف و ینتهی بطمأنه النفوس المضطربه و تقویم الأهواء المنحرفه و رفع الخوف و الاضطراب و عندئذ تغمر الأرواح بالسکینه و الهدوء بالقرب من الجوار الإلهیّ الأبدی.

و الحقیقه أنّ الإیمان بأنّ اللّه هو المالک الذی لیس له منازع و الحاکم الذی لا رادّ لحکمه فی کلّ الوجود،و الیقین بأنّ اللّه هو المقتدر،النافذه قدرته علی کلّ شیء...یبعث فی الإنسان هدوءا منقطع النظیر.

و قد نقل بعض المفسّرین أنّ هذین الاسمین المقدّسین ملیک و مقتدر لهما تأثیر عمیق فی استجابه الدعاء حتّی نقل بعض الرواه:إنّنی داخل المسجد و کنت أتصوّر بأنّه الصبح و لکن تبیّن لی عدم انقضاء اللیل و بقی قسط کبیر منه،و لم یکن أحد غیری فی المسجد،و فجأه سمعت حرکه من ورائی،فخفت و لکنّی رأیت أنّ شخصا مجهولا-قد نادانی:أیّها الشخص المملوء قلبک خوفا لا-تخف و قل:«اللهم إنّک ملیک مقتدر،ما تشاء من أمر یکون».ثمّ اطلب ما ترید،فیقول:إنّی قرأت هذا الدعاء المختصر و لم أطلب شیئا إلاّ و أجیب (۱) .

ربّنا،أنت الملیک المقتدر فتفضّل علینا بالتوفیق فی کلّ إیمان و عمل و تقوی، کی نکون فی مقعد صدق و فی جوار قربک و رحمتک.

۱- ۱) -روح المعانی،ج ۲۷،ص ۸۳.

إلهنا،نحن نؤمن أنّ يوم القيامه يوم رهيب و صعب و مرّ للعاصين،أملنا فى ذلك اليوم بلطفك و كرمك.

ربّاه،امنحنا روحا يقظه و عقلا واعيا لكى نتّعظ بمصير السابقين و لا نسير فى مسارهم المهلك..

نهايه سوره القمر

ص :۳۵۶

سوره الرّحمن

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها ثمان و سبعون آیه

ص :۳۵۷

محتوى السوره:

توضّح هذه السوره بصوره عامّه النعم الإلهيه المختلفه،سواء كانت ماديّه أو معنويه،و التى تفضّل بها البارئ عزّ و جلّ على عباده و غمرهم بها،و يمكن تسميتها لهذا السبب ب(سوره الرحمه)أو(سوره النعمه)و لهذا فإنّها بدأت بالاسم المبارك(الرحمن)الذى يشير إلى صنوف الرحمه الإلهيه الواسعه،و تنهى هذه السوره آياتها بإجلال و إكرام البارئ سبحانه،و بإقرار عباده بالنعم التى تفضّل بها عليهم(إحدى و ثلاثين مرّه)و ذلك من خلال تكرار آيه: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و بناء على هذا فإنّ السياق العام للسوره يتعلّق بالحديث عن المنن و النعم الإلهيّه المختلفه و العظيمه.و من جهه اخرى فإنّنا نستطيع أن نقسّم محتويات السوره إلى عدّه أقسام:

القسم الأوّل:الذى يشمل أوّل آيات السوره حيث الحديث عن النعم الإلهيه الكبيره،سواء تلك التى تتعلّق بخلق الإنسان أو تربيته و تعليمه،أو الحساب و الميزان،و كذلك سائر الأمور الاخرى التى يتجسّد فيها الخير للإنسان،إضافه إلى الغذاء الروحى و الجسمى له.

القسم الثّانى:يتناول توضيح مسأله خلق الإنس و الجنّ.

القسم الثّالث:يتضمّن توضيح الآيات و الدلائل الإلهيّه فى الأرض و السماء.

القسم الرّابع:و فيه بعد تجاوز النعم الإلهيه على الإنسان فى الدنيا تتحدّث الآيات عن نعم اللّه فى عالم الآخره بدقّه و ظرافه،خاصّه عن الجنّه،و بصوره أعمّ و أشمل عن البساتين و العيون و الفاكهه و حور العين و أنواع الملابس من السندس و الإستبرق...

و أخيرا فى القسم الخامس نلاحظ الحديث باختصار عن مصير المجرمين و جزائهم المؤلم المحسوب...و لأنّ الأصل فى هذه السوره أنّها مختّصه ببيان الرحمه الإلهيّه،لذا لم نلاحظ تفاصيل كثيره حول مصيرهم،خلافا لما نلاحظه فى موضوع الحديث عن النعم الخرويه حيث التفصيل و الشمول الذى يشرح قلوب المؤمنين و يغمرها بالسعاده و الأمل،و يزيل عنها غبار الحزن و الهمّ،و يغرس الشوق فى نفوسهم...

إنّ تكرار آيه: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و فى مقاطع قصيره أعطت وزنا متميّزا للسوره،و خاصّه إذا قرىء بالمعنى المعبّر الذى يستوحى منها...فإنّ حاله من الشوق و الانبهار تحصل لدى الإنسان المؤمن.

و لذلک فلا نعجب عند ما نقرأ

فى حديث للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يقول: «لكلّ شىء عروس،و عروس القرآن سوره الرحمن جلّ ذكره» (1) .

و الجدير بالذكر أنّ مصطلح«العروس»يطلق فى اللسان العربى على المرأه و الرجل ما داموا فى مراسيم الزواج (2) .

و بما أنّ المرأه و الرجل فى تلک المراسم فى أفضل و أتمّ الحالات و أكمل الاحترامات،و من هنا فإنّ هذا المصطلح يطلق على الموجودات اللطيفه جدّا و موضع الاحترام.

إنّ سبب إختيار اسم(الرحمن)لهذه السوره لتتناسب التسميه مع المضمون، و هذا واضح.

١- ١) -مجمع البيان بدايه سوره الرحمن،و جاء كذلک فى الدرّ المنثور،ج ۶،ص ١۴٠.

٢- ٢) -لسان العراب و مجمع البحرين و صحاح اللغه و.

فضیله تلاوه سوره الرحمن:

إنّ اتّصاف هذه السوره بما یثیر الإحساس بالشکر علی أفضل صوره، و کذلک توضیح و بیان النعم الإلهیه(المادیه و المعنویه)فیها و التی تزید من شوق الطاعه و العباده فی قلوب المؤمنین کلّ ذلک أدّی إلی ورود روایات کثیره فی فضل تلاوه هذه السوره تلک التلاوه التی ینبغی أن تنفذ إلی أعماق النفس الإنسانیه و تحرکها باتّجاه الطاعات و بعیدا عن لقلقه اللسان.

و من جمله ما نقرأ

حدیث الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث یقول: «من قرأ سوره الرحمن رحم اللّه ضعفه،و أدّی شکره،و أنعم اللّه علیه» (۱) .

و

عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام أنّه قال: «لا تدعوا قراءه سوره الرحمن و القیام بها،فإنّها لا تقرّ فی قلوب المنافقین،و یأتی بها ربّها یوم القیامه فی صوره آدمی فی أحسن صوره،و أطیب ریح حتّی یقف من اللّه موقفا لا یکون أحد أقرب إلی اللّه منها فیقول لها:من الذی کان یقوم بک فی الحیاه الدنیا و یدمن قراءتک؟فیقول:

یا ربّ فلان و فلان،فتبیض وجوهم.فیقول لهم:اشفعوا فیمن أحببتم فیشفعون حتّی لا یبقی لهم غایه و لا أحد یشفعون له،فیقول لهم:ادخلوا الجنّه و اسکنوا فیها حیث شئتم» (۲) .

و

فی حدیث آخر عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ سوره الرحمن فقال عند کلّ: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ :لا شیء من آلائک ربّی أکذّب، فإنّ قرأها لیلا ثمّ مات مات شهیدا،و إن قرأها نهارا فمات مات شهیدا» (۳) .

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۸۷.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۹۲،ص ۳۰۶.

۳- ۳) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ اَلرَّحْمٰنُ (۱) عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ (۳) عَلَّمَهُ اَلْبَيٰانَ (۴) اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ (۵) وَ اَلنَّجْمُ وَ اَلشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ (۶)

التّفسير

اشاره

بدايه النعم الإلهيه:

لمّا كانت هذه السوره-كما قلنا-تبيّن أنواع النعم و الهبات الإلهيّه العظيمه، فإنّها تبدأ باسم(الرحمن)و الذى يرمز إلى الرحمه الواسعه،و لو لم تكن (الرحمانيه)من صفاته لم ينعم بهذا الخير العميم على عباده الصالحين و العاصين، لذلك يقول: اَلرَّحْمٰنُ (۱)
.

عَلَّمَ الْقُرْآنَ

و بهذا فإنّ أوّل و أهمّ نعمه تفضّل بها اللّه سبحانه،هى نعمه «تعليم القرآن»،و ما أروعه من تعبير!حيث أنّنا إذا تأمّلنا جيّدا فإنّنا ندرك أنّ هذا الكتاب العظيم هو مصدر كلّ الخير و النعم و العطايا الإلهيّه العظيمه،كما أنّه وسيله

۱- ۱) -الرحمن:مبتدأ و خبرها(علّم القرآن)،و(خلق الإنسان)خبر بعد خبر،كما توجد احتمالات اخرى أيضا لإعراب هذه الجمله لم تذكر هنا لعدم أهميّتها.

للوصول إلى السعاده و الخيرات الماديه و المعنويه.

و الظريف هنـا أنّ بيـان نعمه(تعليم القرآن)ذكرت قبـل خَلَقَ الْإِنْسانَ و عَلَّمَهُ الْبَيانَ فی الوقت الـذی يفترض فيه أن تكون الإشاره أوّلا ـ إلى مسأله خلق الإنسـان،و من ثمّ نعمه تعليم البيـان،ثمّ نعمه تعليم القرآن،و ذلـک اسـتنادا للـترتيب الطـبيعی،إلاّ ـ أنّ عظمه القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافا للترتيب المفترض.

و قد جاءت هذه الآيه جوابا لمشـركی العرب حينما طلب منهم الرّسول صـلّی اللّه عليه و آله و سلّم السجود للرحمن، فسألوه«و ما الرحمن»؟(-الفرقان-)فأجابهم بتوضيح ذلک حيث يقول سبحانه:«الرحمن هو الذی علّم القرآن و خلق الإنسان و علّمه البيان».

و على كـلّ حـال فـإنّ لاسم«الرحمن»أوسع المفاهيم بين أسـماء البارئ عزّ و جلّ بعـد اسم الجلاله(اللّه)لأنّنا نعلم أنّ للّه رحمتين:(الرحمـه العـامّه)و(الرحمـه الخـاصّه)و اسم«الرحمن»يشـير إلى رحمه اللّه العـامّه الـتی تشـمل الجميـع،كمـا أنّ اسم«الرحيم»يشـير إلى«الرحمه الخاصّه»بأهل الإيمان و الطاعه،و لعلّه لهذا السـبب لا يطلق اسم الرحمن على غير اللّه سبحانه(إلاّ إذا كانت كلمه عبد قبله)، أمّا وصف«الرحيم»فيقال لغير اللّه أيضا،و ذلک لأنّه لا أحد لديه الرحمه العامّه سوى اللّه تعالى،الرحمه أمّا الرحمه الخاصّه فإنّها موجوده فی المخلوقات و إن كانت بصوره محدوده.

و

فی حديث للإمام الصادق عليه السّلام نقرأ ما يلی: «الرحمن اسم خاصّ بصـفه عامّه، و الرحيم اسم عام بصفه خاصّه». (يعنی أنّه اسم مخصوص للّه،و رحمته تشـمل جميع خلقه)،لكن الرحيم اسم عام لصفه خاصّه(يعنی أنّه وصف يستعمل للّه و للخلق)،و كما عرّف القرآن المجيد الرّسول الأكرم صـلّی اللّه عليه و آله و سلّم بأنّه(رؤوف رحيم) حيث يقول سبحانه: بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . (۱)

ص: ۳۶۳

۱- ۱) -التوبه،۱۲۸.

و هنا يطرح التساؤل التالى:من الذى علّمه اللّه سبحانه القرآن الكريم.

ذكر المفسّرون فى ذلك تفسيرات عديده،فبعضهم قال:إنّ اللّه علّم القرآن لجبرئيل و الملائكه،و قال آخرون:إنّ اللّه سبحانه علّمه للرسول،و ذكر ثالث:أنّه علّم للإنس و الجنّ.

و لكون هذه السوره تبيّن الرحمه الإلهيّه للإنس و الجنّ و لذا أكّد سبحانه إقرارهم بنعمه إحدى و ثلاثين مرّه،و ذلك بقوله: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ لهذا فإنّ التّفسير الأخير هو الأنسب،أى أنّ اللّه علّم القرآن للإنس و الجنّ بواسطه نبيّه الكريم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۱) .

و بعد ذكره سبحانه لنعمه القرآن التى لا مثيل لها ينتقل إلى أهمّ نعمه فى الترتيب المذكور و يقول: خَلَقَ الْإِنْسٰانَ .

من الطبيعى أنّ المقصود هنا هو نوع الإنسان و ليس آدم عليه السّلام فقط،حيث سيتحدّث عنه سبحانه فى الآيات اللاحقه بصوره مستقلّه،كما أنّه ليس المقصود بذلك النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع العلم أنّ الرّسول محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو أفضل و أعلى مصداق للإنسان.

و إطلاق كلمه(البيان)التى تأتى بعد خلق الإنسان دليل آخر على عموميه كلمه الإنسان،و بناء على هذا فإنّ التفاسير الاخرى التى ذكرت لم تكن صحيحه.

و الحقيقه أنّ خلق الإنسان هذا الكائن الذى تتجمّع فيه كلّ عجائب الوجود، هذا الموجود الذى هو خلاصه الموجودات الاخرى،هذا العالم الصغير الذى اندرج فيه العالم الكبير،لهو نعمه منقطعه النظير حيث إنّ كلّ بعد من أبعاد وجوده المختلفه نعمه كبيره.

---

۱ - ۱) -اختلف المفسّرون حول أنّ المفعول الأوّل ل(علّم)هو المحذوف،أو أنّ المحذوف هو المفعول الثانى،و الأنسب أنّ المفعول الأوّل هو المحذوف حيث فى التقدير يكون:(علّم الإنس و الجنّ القرآن). كما يحتمل البعض أنّ(علّم)لم تأخذ أكثر من مفعول واحد بمعنى موضع العلاقه و هذا مستبعد جدّا.

و بالرغم من أنّ بـدايه الإنسان ليست أكثر من نطفه لا قيمه لها،بل الأصـحّ أنّ بدايته عباره عن موجود مجهری يسـبح فی نطفه لا وزن لها،إلاّ أنّه فی ظلّ الرعايه الإلهيّه يسير فی مراحل التكامل بصوره يرتقی فيها إلی مقام أشرف موجود فی عالم الخلق.

أنّ ذكر اسم«الإنسـان»بعـد«القرآن»هـو الآـخر يسـتوجب التأمّـل،ذلـك لأـنّ القرآن الكريم يمثّل مجمـوعه أسـرار الكون بصوره مـدوّنه«الكتـاب التـدوينی»، و الإنسـان هو خلاصه هـذه الأسـرار بصوره تكوينيه«الكتاب التكوينی»، كما أنّ كلّ واحـده منها هو صوره من هذا العالم الكبير.

و تشير الآيه اللاحقه إلی أهمّ النعم بعد نعمه خلق الإنسان حيث يقول البارئ عزّ و جلّ: عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ .

كلمه(البيان)لها معنی لغوی واسع،حيث تقال لكلّ شـیء يوضّـح و يبيّن شـيئا معيّنا،و بناء علی هذا فإنّها لا تشـمل النطق و الكلام فحسب،بـل تجمع الكتـابه و الخطّ و أنواع الاسـتدلالات العقليّه و المنطقيه التی تبيّن المسائـل المختلفه و المعقّـده أيضا رغم أنّ معالم هذه المجموعه هی التكلّم و النطق.

و نظرا لتعوّدنا ممارسه الكلام،فقـد نتصوّر أنّه أمر بسـيط و سـهل،و الحقيقه أنّ التكلّم من أعقد و أظرف أعمال الإنسان،و يمكننا القول بعدم وجود عمل علی شاكلته من ناحيه التعقيد و الظرافه.

فمن جهه نجـد أنّ الأجهزه المختّصه لإصـدار الصوت تتساعـد و تتعاون مع بعضـها لإيجاد الأصوات المختلفه.فالرئه تجمع الهواء لتخرجه من الحنجره تـدريجيّا،و الأوتـار الصوتيه تهتزّ لتولّـد أصواتـا مختلفه تمامـا،بعضـها تعبّر عن حـاله الرضـی،و الاـخری عن الغضـب،و الثـالثه تعبّر عـن النجـده و الإسـتغاثه و طلب العـون، و الرابعه عن المحبّه أو العـداوه و هكـذا.ثمّ إنّ هـذه الأـصوات-بمساعده اللسان و الشفتين و الأسنان و الحلق-تصنع الحروف الأبجديه بسرعه و ظرافه خاصّه،

و بتعبير آخر:إنّ الصوت الممتدّ و المتساوى الذى يخرج من الحنجره يقطّع إلى أشكال و قياسات مختلفه حيث تتشكّل منه الحروف.

و من جهه اخرى فهناك مسأله اللغات،حيث إنّ الإنسان يبتدع لغات مختلفه حسب احتياجاته الماديّه و المعنويه،و ذلك إثر تطوّره و تقدّمه الفكرى،و العجيب هنا عدم وجود أى محدوديه فى وضع اللغات،حيث نلاحظ تعدّد الألسن فى علامنا هذا بصوره يصعب إحصاؤها بصوره دقيقه،كما أنّنا نلحظ أيضا نشوء لغات جديده و ألسن جديده بصوره تدريجيّه مع مرور الزمن.و يعتقد البعض أنّ عدد اللغات الموجوده فى عالمنا اليوم يصل إلى ثلاثه آلاف لغه،و يذهب آخرون إلى أكثر من ذلك (۱) .

و الظاهر أنّ ذلك يتعلّق باللغات و الألسن الأصليّه،أمّا إذا أخذت اللهجات المحليّه بنظر الإعتبار فإنّها ستصبح أكثر من ذلك بكثير قطعا،حيث لا حظ المتتبعون لأمور اللهجات أنّ قريتين متجاورتين تتحدّثان بلسانين مختلفين أحيانا.

و من جهه ثالثه هناك مسأله ترتيب الجمل و الاستدلال و بيان العواطف عن طريق العقل و الفكر،لأنّها تمثّل روح البيان و النطق...و لهذا الأمر فإنّ التكلّم أمر خاصّ بالإنسان فقط.

صحيح أنّ الكثير من الحيوانات تحدث أصواتا مختلفه كى تعبّر عن احتياجاتها،إلّا أنّ عدد هذه الأصوات محدود جدّا و مبهم و غير معلوم،فى حين أنّ البيان وضع فى إختيار الإنسان بصوره واسعه و غير محدوده،لأنّ اللّه تعالى قد أعطاه القدره الفكريه اللازمه للتكلّم.

و إذا تجاوزنا كلّ ذلك و أخذنا دور البيان فى تكامل و تقدّم الحياه الإنسانيه،

۱- ۱) -دائره المعارف لفريد وجدى،ج ۸،ص ۳۶۴ مادّه(لغه).

فمن الواضح أنّ الإنسان لم يكن بمقدوره و إمكانه أن ينقل تجاربه و علومه من جيل إلى آخر بهذه السهوله و بالتالى أدّى إلى التقدّم و العلم و الدين و الأخلاق...

و إذا ما سلبت هذه النعمه العظيمه من الإنسان ليوم واحد فإنّ المجتمع الإنسانى سوف يأخذ طريقه نحو التقهقر بسرعه،و لو أخذنا«البيان»بمعناه الواسع الذى يشمل الخطّ و الكتابه و الفنون المختلفه، فإنّه سيتّضح لدينا بصوره أكثر دوره الهامّ فى الحياه الإنسانيه.

و من هنا ندرك لماذا جاءت عباره(تعليم البيان)بعد نعمه خلق الإنسان فى سوره الرحمن التى هى مجموعه من هبات اللّه تعالى.

و يتطرّق بعد ذلك إلى النعمه الإلهيّه الرابعه و التى هى هبه من هبات اللّه العظيمه أيضا،حيث يقول تعالى: اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ (۱) .

إنّ أصل وجود الشمس من أكبر النعم الإلهيّه للإنسان،لأنّ العيش فى المنظومه الشمسيه بدون نور و حراره الشمس أمر غير ممكن،و كما بيّنا سابقا فإنّ كلّ حركه فى الكره الأرضيه مصدره حراره الشمس،حيث أنّ نمو و نضج النبات و المواد الغذائيه أجمع،بالإضافه إلى سقوط الأمطار و هبوب الرياح،كلّها ببركه هذه الهبه الإلهيّه.

كما أنّ للقمر دورا هامّا فى حياه الإنسان،فبالإضافه إلى أنّه يضيء الليالى المعتمه،فإنّ جاذبيته هى علّه المدّ و الجزر فى البحار و المحيطات،و هى عامل لبقاء الحياه فى البحار،كما أنّها تقوم بدورها فى إرواء كثير من المناطق القريبه للسواحل و التى تصبّ الأنهار بالقرب منها.

و بالإضافه إلى ذلك فإنّه ثبات الانتظام لهاتين الحركتين(حركه القمر حول الأرض،و حركه الأرض حول الشمس)هو السبب فى الظهور المنتظم لليل

۱- ۱) -«حسبان»على وزن(غفران)و هى مصدر بمعنى الحساب و النظم و الترتيب،و للآيه محذوف تقديره(و الشمس و القمر تجريان بحسبان).

و النهـار و السـنين و الشـهور و الفصول المختلفه،و بالتـالى فـإنّه سـبب أساسـى لانتظام الحياه الإنسانيه و برمجه الأمور التجاريه و الصناعيه و الزراعيه،و إن فقد الانتظام فيها فسوف تضطرب الحياه البشريه و تختلّ الكثير من مرتكزاتها.

و ليس لحركه هـذين الكوكبين نظام دقيق جـدّا فحسب،بل إنّ مقدار كثافه و جاذبيه و مسافه كلّ منهما عن الأرض هى الاخرى محسوبه بدقّه و حساب (و حسبان).

و من المؤكّد أنّ اختلال كلّ واحـده من هذه الأمور سـيولّد اختلالات عظيمه فى المنظومه الشمسـيه،و من ثمّ فى النظام الحياتى للبشر.

و العجيب هنا أنّ هـذه الأجزاء عند ما انفصـلت من الشـمس كانت فى حاله من الاضـطراب و الفوضـى،إلاّ أنّها ثبتت و اسـتقرّت أخيرا بالشكل الحالى،حيث يقول فى هذا المجال أحد علماء العلوم الطبيعيّه:

«وجدت منظومتنا الشمسيه-فى الظاهر-من مخلوط من مواد متنوّعه و عناصـر مختلفه انفصـلت عن الشـمس بدرجه حراريه عاليه تبلغ(۱۲/۰۰۰) درجه و بسرعه فائقه تناثرت فى الفضاء الواسع.

و بالرغم من هذا الاضطراب الظاهرى فقد لوحظ الانتظام الدقيق و الترتيب المنسّق بحيث أنّنا نستطيع أن نتنبّا بالحوادث المستقبله حتّى بالـدقائق و اللحظات، و نتيجه لهـذا النظام و الترتيب نلاحظ أنّ الأوضاع الفلكيه هـذه باقيه على هـذا الحال مدّه ألف مليون سنه» (۱) .

و الجـدير بالـذكر أنّ الشـمس بـالرغم من أنّهـا فى وسـط المنظومه الشمسـيه و تبـدو سـاكنه و ثـابته،إلاّ أنّها مع جميع كواكبها و أقمارها تسير فى وسط المجرّه المتعلّقه بها إلى نقطه معيّنه(تسمّى هذه النقطه بنجمه فيكا)و هذه الحركه لها أيضا

۱- ۱) -سرّ خلق الإنسان،ص ۲۸.

نظام و سرعه معينان.

ثمّ يتحوّل بنا اللّه إلى نعمه عظيمه اخرى هى الخامسه فى مسلسل ما ذكره سبحانه من النعم فى هذه السوره المباركه،حيث يوجّه النظر إلى ألطافه فى الأرض حيث يقول: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ .

«النجم»يأتى أحيانا بمعنى كوكب،و يأتى اخرى بمعنى النبات الذى لا ساق له،و لمّا جاءت الكلمه هنا بقرينه«الشجر»فيكون المقصود هو المعنى الثانى،أى النباتات بدون سيقان (١) .

و هذا المصطلح معناها فى الأصل(الطلوع)و إذا أطلق على النباتات(نجم) فلأنّها تخرج من الأرض،و إذا أطلق على النجمه فلأنّها تطلع.

و من الواضح أنّ النبات مصدر جميع المواد الغذائيه للإنسان،حيث يستهلك قسما مباشرا منه،و القسم الآخر تستهلكه الحيوانات الاخرى التى هى جزء أساسى من غذاء الإنسان،و من هنا فإنّ النبات هو مصدر غذاء الإنسان بصوره مباشره أو غير مباشره.

و هذا المعنى يصدق أيضا فى عالم الحيوانات البحريه،لأنّها تتغذّى على نباتات صغيره جدّا تنبت فى البحر و توجد بكثره هائله تقدّر بملايين البليارات، و هى المصدر الغذائى لهذه الحيوانات البحريه.و تنمو هذه النباتات الصغيره فى البحر بتأثير الضوء(أشعّه الشمس)التى تتحرّك بين الأمواج.

و بهذا فإنّ«النجم»أنواع من النباتات الصغيره الزاحفه(مثل اليقطين و الخيار و أمثاله).أمّا(الشجر)فإنّه النوع الآخر من النباتات التى لها سيقان و تشمل أشجار الفاكهه و نباتات الغلاّت و غير ذلك.

و تعبير(يسجدان)إشاره إلى التسليم و الخضوع أمام القدره الإلهيّه و قوانين

ص: ٣۶٩

١- ١) -الراغب فى مفرداته حيث يقول:النجم ما لا ساق له من النبات.

الخلقه و الإبـداع الإلهى لأجل نفع الإنسان،هذا المسـير الذى عيّنه اللّه لهم يسـيرون فيه بدون أى تخلّف،و ذلك بموجب الإراده الإلهيه.

و هنا إشاره إلى الأسرار التوحيديه أيضا حيث توجد فى كلّ ورقه و كلّ بذره آيات عجيبه من عظمه و قدره اللّه سبحانه (۱) .

كمـا يحتمل أن يكون المقصود من«النجم»فى الآيه المـذكوره هى«النجوم»، و لكن المعنى الأوّل طبقا للقرائن الموجوده فى الآيه الكريمه هو الأنسب.

ملاحظه

اشاره

تأمّلات فى الرّوايات

نقلت المصـادر الإسـلاميه فى هـامش الآيـات أعلاه روايات من قبيل التّفسـير بالمصـداق واضـح،حيث أنّ كلّ واحـده منها تلقى الضوء على قسم من الآيات الكريمه.

ففى حديث للإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ يقول:«البيان الاسم الأعظم الذى به علم كلّ شىء» (۲) .

و حول«الاسم الأعظم»و تفسيره فقد أوردنا بحثا فى هامش الآيه ۱۸۰ من سوره الأعراف.

و نقرأ

فى حـديث آخر عن الإمـام على بن موسـى الرضـا عليه السّـلام ذكر أنّ المقصود من«الرحمن علّم القرآن»أنّ اللّه تعالى قـد علّم القرآن للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و المقصود

---

۱ - ۱) -بحثنـا تفصيلا حول معنى(سـجود الموجودات المختلفه فى عالم الوجود)فى هامش الآيه رقم ۱۸ سوره الحجّ.و كذلك فى هامش الآيه ۴۴ من سوره الإسراء.

۲ - ۲) -تفسير مجمع البيان،ج ۹،ص ۱۹۷.

من«خلق الإنسان»هو خلق أمير المؤمنين عليه السّلام،و«علّمه البيان»هو بيان كلّ الأمور التى يحتاجها الناس.

و من الواضح أنّ الرّوايات أعلاه لا تحدّد عموميه مفهوم هذه الآيات،بل توضّح مصاديقها.

ص:٣٧١

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۷ الی ۱۳]

اشاره

وَ اَلسَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ اَلْمِيزٰانَ (۷) أَلاّٰ تَطْغَوْا فِی اَلْمِيزٰانِ (۸) وَ أَقِيمُوا اَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا اَلْمِيزٰانَ (۹) وَ اَلْأَرْضَ وَضَعَهٰا لِلْأَنٰامِ (۱۰) فِيهٰا فٰاكِهَةٌ وَ اَلنَّخْلُ ذٰاتُ اَلْأَكْمٰامِ (۱۱) وَ اَلْحَبُّ ذُو اَلْعَصْفِ وَ اَلرَّيْحٰانُ (۱۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۳)

التّفسير

اشاره

السماء رفعها و وضع الميزان:

هذه الآيات هی استمرار لبيان النعم الإلهيّه التی جاء ذكر خمس منها فی الآيات السابقه،حيث تحدّث عن أهمّ الهبات التی منحها اللّه سبحانه.

و فی الآيه مورد البحث يتحدّث سبحانه عن النعمه السادسه،ألا و هی نعمه خلق السماء حيث يقول: وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا .

(السماء)فی هذه الآيه سواء كانت بمعنی جهه العلو،أو الكواكب السماويه، أو جو الأرض(و الذی يعنی الطبقه العظيمه من الهواء و التی تحيط بالأرض كدرع يقيها من الأشعّه الضارّه و الصخور السماويه و حراره الشمس،و الرطوبه

المتصاعده من مياه البحار لتتكوّن الغيوم و تنزل الأمطار)...إنّ كلّ واحده من هذه المعانی هبه عظیمه و نعمه لا مثیل لها،و بدونها تستحیل الحیاه أو تصبح ناقصه.

نعم إنّ النور الذی یمنحنا الدفء و الحراره و الهدایه و الحیاه و الحرکه یأتینا من السماء و کذلک الأمطار،و الوحی أیضا،و بذلک فإنّ للسماء مفهوما عامّا،مادّیا و معنویا).

و إذا تجاوزنا کلّ هذه الأمور،فإنّ هذه السماء الواسعه مع کلّ عوالمها هی آیه عظیمه من آیات اللّه،و هی أفضل وسیله لمعرفه اللّه سبحانه،و عند ما یتفکّر أولو الألباب فی عظمتها فسوف یقولون دون إختیار رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذا بٰاطِلاً . (۱)

ثمّ یستعرض سبحانه النعمه السابعه حیث یقول تعالی: وَ وَضَعَ الْمِیزٰانَ .

«المیزان»کلّ وسیله تستعمل للقیاس،سواء کان قیاس الحقّ من الباطل،أو العدل من الظلم و الجور،أو قیاس القیم و قیاس حقوق الإنسان فی المراحل الاجتماعیه المختلفه.

و(المیزان)یشمل کذلک کلّ نظام تکوینی و دستور اجتماعی،لأنّه وسیله لقیاس جمیع الأشیاء.

و«المیزان»لغه:(المقیاس)و هو وسیله لوزن الأجسام المادّیه المختلفه،إلاّ أنّ المقصود فی هذه الآیه،-و الذی ذکر بعد خلق السماء-أنّ لها مفهوما واسعا یشمل کلّ وسیله للقیاس بما فی ذلک القوانین التشریعیّه و التکوینیه،و لیس وسیله منحصره بقیاس الأوزان المادّیه فقط.

و من هنا فلا یمکن أن تکون الأنظمه الدقیقه لهذا العالم،و التی تحکم ملایین الأجرام السماویه بدون میزان و قوانین محسوبه.

و عند ما نری فی بعض العبارات أنّ المقصود بالمیزان هو«القرآن الکریم»،أو

۱- ۱) -آل عمران،۱۹۱.

«العدل»،أو«الشريعه»،أو«المقياس».ففى الحقيقه إنّ كلّ واحده من هذه المعانى مصداق لهذا المفهوم الواسع الشامل.

و نستنتج من الآيه اللاحقه استنتاجا رائعا حول هذا الموضوع حيث يضيف بقوله تعالى: أَلاّٰ تَطْغَوْا فِی الْمِيزٰانِ .

حيث يوجّه الخطاب لبنى الإنسان الذين يشكّلون جزءا من هذا العالم العظيم و يلفت انتباههم إلى أنّهم لا يستطيعون العيش بشكل طبيعى فى هذا العالم إلاّ إذا كان له نظم و موازين،و لذلك فلا بدّ أن تكون للبشر نظم و موازين أيضا حتى يتلاءموا فى العيش مع هذا الوجود الكبير الذى تحكمه النواميس و القوانين الإلهيّه،خاصّه أنّ هذا العالم لو زالت عنه القوانين التى تسيّره فإنّه سوف يفنى، و لذا فإنّ حياتكم إذا فقدت النظم و الموازين فإنّكم ستتجهون إلى طريق الفناء لا محاله.

يا له من تعبير رائع حيث يعتبر القوانين الحاكمه فى هذا العالم الكبير منسجمه مع القوانين الحاكمه على حياه الإنسان(العالم الصغير)و بالتالى ينقلنا إلى حقيقه التوحيد،حيث مصدر جميع القوانين و الموازين الحاكمه على العالم هى واحده فى جميع المفردات و فى كلّ مكان.

و يؤكّد مرّه اخرى على مسأله العداله و الوزن حيث يقول سبحانه: وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا الْمِيزٰانَ .

و النقطه الجديره بالذكر هنا أنّ كلمه«الميزان»ذكرت ثلاث مرّات فى هذه الآيات،و كان بالإمكان الاستفاده من الضمير فى المرحله الثانيه و الثالثه،و هذا ما يدلّل،على أنّ كلمه(الميزان)هنا قد جاءت بمعان متعدّده فى الآيات الثلاث السابقه،لذا فإنّ الاستفاده من الضمير لا تفى بالغرض المطلوب،و ضروره التناسب للآيات يوجب تكرار كلمه«الميزان»ثلاث مرّات،لأنّ الحديث فى المرحله الاولى،كان عن الموازين و المعايير و القوانين التى وضعها اللّه تعالى لكلّ

عالم الوجود.

و فی المرحله الثانیه یتحدّث سبحانه عن ضروره عدم طغیان البشر فی کلّ موازین الحیاه،سواء کانت الفردیه أو الاجتماعیه.

و فی المرحله الثالثه یؤکّد علی مسأله الوزن بمعناها الخاصّ،و یأمر البشر أنّ یدقّقوا فی قیاس و وزن الأشیاء فی التعامل،و هذه أضیق الدوائر.

و بهذا الترتیب نلاحظ الروعه العظیمه للانسجام فی الآیات المبارکه،حیث تسلسل المراتب و حسب الأهمیه فی مسأله المیزان و المقیاس،و الانتقال بها من الدائره الأوسع إلی الأقل فالأقل (۱) .

إنّ أهمیّه المیزان فی أی معنی کان عظیمه فی حیاه الإنسان بحیث إنّنا إذا حذفنا حتّی مصداق المیزان المحدود و الصغیر و الذی یعنی(المقیاس)فإنّ الفوضی و الارتباک سوف تسود المجتمع البشری،فکیف بنا إذا ألغینا المفهوم الأوسع لهذه الکلمه،حیث ممّا لا شکّ فیه أنّ الاضطراب و الفوضی ستکون بصوره أوسع و أشمل.

و یستفاد من بعض الرّوایات أنّ(المیزان):قد فسّر بوجود(الإمام)،و ذلک لکون الوجود المبارک للإمام المعصوم هو وسیله لقیاس الحقّ من الباطل،و معیار لتشخیص الحقائق و عامل مؤثّر فی الهدایه (۲) .و هکذا فی تفسیر«المیزان» بالقرآن الکریم ناظر إلی هذا المعنی.

و نظرا إلی أنّ هذه الآیات تتحدّث عن النعم الإلهیه،فإنّ وجود المیزان سواء فی نظم العالم أجمع أو المجتمع الإنسانی أو الروابط الاجتماعیه أو مجال العمل

۱- ۱) -یقول الفخر الرازی فی تفسیر لکلمه(المیزان)فی الآیه الاولی:إنّها اسم(آله)بمعنی وسیله للقیاس،و فی الآیه الثانیه جاء مصدرا(یعنی الوزن)،و فی الآیه الثالثه أتی مفعولا بمعنی(جنس الموزون).
۲- ۲) -روی هذا الحدیث فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام و الحدیث مفصّل و قد ذکر مضمونه هنا فقط(تفسیر علی بن إبراهیم،ج ۲،ص ۳۴۳).

التجاری...فإنّها جمیعا نعم من قبل اللّه سبحانه.

ثمّ ینتقل سبحانه من السماء إلی الأرض فیقول عزّ و جلّ: وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ «الأنام»فسّرها البعض بمعنی(الناس)،و فسّرها آخرون بمعنی(الإنس و الجنّ)،و فسّروها أیضا بأنّها تشمل کلّ موجود(ذی روح).

إلاّ أنّ قسما من أئمّه اللغه فسّرها بمطلق(الخلق)و لکن القرائن الموجوده فی السوره و طبیعه النداءات الموجّهه للإنس و الجنّ تدلّل علی أنّها المقصود هنا (الجنّ و الإنس).

نعم،إنّ الکره الأرضیه التی ذکرت هنا بعنوان هبه إلهیّه مهمّه،و فی آیات اخری ذکرت بعنوان(مهاد)مأوی و مستقرّ للإنسان الذی لا یدرک قدرها غالبا فی الحالات الاعتیادیه،إلاّ أنّه فی حاله حدوث تغیّر بسیط کزلزله مدمّره أو برکان بإمکانه أن یدفن مدینه بأکملها تحت المواد المذابه و عتمه الدخان و لهیب النار، هنا ندرک کم أنّ هدوء الأرض نعمه عظیمه،خصوصا إذا وضعنا الأرقام التی توصّل إلیها العلماء أمامنا فیما یتعلّق بسرعه حرکه الأرض حول نفسها و حول الشمس (۱) ،عند ذلک یتبیّن لنا أهمیّه هذا الهدوء الکامن فی أعماق هذه الحرکه السریعه جدّا و التی هی لیست نوعا واحدا،بل أنواع مختلفه.

التعبیر ب(وضع)عن الأرض فی مقابل(رفع)عن السماء،إضافه إلی الروعه البلاغیه فی هذا التقابل فهو إشاره إلی تسخیر الأرض و منابعها للإنسان حیث یقول سبحانه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِی مَناکِبِها وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ . (۲)

---

۱ - ۱) -سرعه الأرض حول الشمس(الحرکه الانتقالیه)۳۵ کم فی الثانیه،و سرعه سیرها حول نفسها بحدود(۱۶۰۰)کم فی الساعه(فی المناطق الاستوانیه).

۲- ۲) -الملک،۱۵.

و بهذا الترتيب فقد ذكر لنا سبحانه النعمه العظيمه الثامنه فی هذه السلسله.

و فی الآیه اللاحقه یستعرض ذکر النعمتین التاسعه و العاشره من النعم الإلهیه، و التی تتضمّن قسما من المواد الغذائیه التی وهبها اللّه سبحانه للإنسان حیث یقول تعالی: فِیهٰا فٰاکِهَهٌ وَ النَّخْلُ ذٰاتُ الْأَکْمٰامِ .

«الفاکهه»تشمل کلّ نوع من الفاکهه کما یقول الراغب فی المفردات،و فسّرها البعض بأنّها تشمل جمیع أنواع الفاکهه باستثناء التمر،حیث ذکر«النخیل»فی هذه السوره بصوره مستقلّه،و یمکن أن یکون ذکر النخیل بسبب أهمیّه النخل و التمر لا استثناء من عموم لفظ الفاکهه.

«و قد أوردنا بحثا مفصّلا حول فوائد التمر من الناحیه الغذائیه و المواد الحیاتیه المختلفه لدی تفسیر الآیه ۱۱ من سوره النحل،و الآیه ۲۵ من سوره مریم».

«أکمام»جمع(کم)علی وزن(جن)تطلق علی الغلاف الذی یغطّی الفاکهه.و (کم)علی وزن(قم)القسم الخاصّ بالیدین من الثوب،و(کمه)علی وزن(قبه) بمعنی القبعه التی تغطّی الرأس (۱) .

إنّ إختیار هذا الوصف لفاکهه شجره النخل-و التی تکون فی البدایه مختفیه فی غلاف ثمّ ینشقّ الغلاف عن ثمر منظود و بشکل جمیل و جذّاب-یمکن أن یکون لهذا الجمال الأخّاذ،أو للمنافع الجمّه الکامنه فی هذا الغلاف،فهو بالإضافه إلی کونه یقوم بمهمّه حفظ الثمره من الآفات لحین النمو المناسب و القدره الملائمه و یکون دوره کرحم الامّ الذی یحافظ علی الجنین فتره زمنیه مناسبه قبل خروجه إلی عالم الدنیا...فإنّه کذلک یحوی عصاره(الأسانس)الخاصّه و التی تتمیّز بالمنافع الطبیّه و الغذائیه.

۱- ۱) -لنا بحث مفصّل فی هذا الموضوع فی تفسیرنا هذا،ذیل الآیه(۴۷)من سوره فصّلت.

كما أنّ الروعه تكمن فى الوضع الخاصّه لفاكهه هذه الشجره أيضا،حيث تتجمّع فى كميّات كبيره منها بصوره عنا قيد لتسهّل عمليه قطف ثمارها،و لو افترضنا أنّ ثمار هذه الشجره متناثره كما فى شجره التفاح فإنّ عمليه قطف الثمار ستكون صعبه للغايه قياسا لطول شجره النخل.

ثمّ يتحدّث سبحانه عن النعمه الحاديه عشره و الثانيه عشره حيث يقول سبحانه: وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحانُ .

الحبوب مصدر أساسى لغذاء الإنسان،و أوراقها الطازجه و اليابسه هى غذاء للحيوانات التى هى لخدمه الإنسان،حيث يستفيد من حليبها و لحومها و جلودها و أصوافها،و بهذا الترتيب فلا يوجد شىء فيها غير ذى فائده.

و من جهه اخرى،فإنّ اللّه تعالى خلق الأزاهير المعطّره و الورود التى تعطّر مشام الجسم و الروح و تبعث الاطمئنان و النشاط،و لذا فإنّ اللّه سبحانه قد أتمّ نعمه على الإنسان.

(الحبّ)يقال لكلّ نوع من أنواع الحبوب.

(عصف)على وزن«حرب»بمعنى الأوراق و الأجزاء التى تنفصل عن النبات و ينشرها الهواء فى جهات مختلفه،و يقال لها التبن أيضا.

و ذكروا أنّ«للريحان»معانى عديده من جملتها النباتات المعطّره،و كذلك كلّ رزق،و المعنى الأوّل هو الأنسب هنا.

و بعد ذكر هذه النعم العظيمه(الماديه و المعنويه)ينقلنا فى آخر آيه من البحث مخاطبا الجنّ و الإنس بقوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ حيث يلفت نظرهم إلى كلّ هذه النعم الكبيره التى شملت كلّ مجالات الحياه و كلّ واحده منها أثمن و أعظم من الاخرى...ألا يدلّ كلّ هذا على لطف و حنان الخالق...فكيف يمكن التكذيب بها إذا؟ إنّ هذا الاستفهام تقريرى جىء به فى مقام أخذ الإقرار،و قد قرأنا

فی بدایه السوره روایه تؤكّد علی ضروره تعقيبنا بهذه العباره(لا شیء من آلائک ربّی أكذّب)بعد كلّ مرّه نتلو فيها الآیه الكريمه: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ .

و بالرغم من أنّ الآيات السابقه تحدّثت عن الإنسان فقط،و لم يأت حديث عن طائفه(الجنّ)إلّا أنّ الآيات اللاحقه تبيّن أنّ المخاطب فی ضمير التثنيه هم (الجنّ)كما سنری ذلك.

و علی كلّ حال،فإنّ اللّه تعالی يضع(الإنس و الجنّ)فی هذه الآيه مقابل الحقيقه التاليه:و هی ضروره التفكّر فی النعم الإلهيّه السابقه التی منحها اللّه لكم و تسألون أنفسكم و عقولكم هذا السؤال: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فإنّ لم تكذّبوا بهذه النعم،فلما ذا تتنكّرون لولیّ نعمتكم؟و لماذا لا تجعلون شكره وسيله لمعرفته؟و لماذا لا تعظّمون شأنه؟ إنّ التعبير ب(أی)إشاره إلی أنّ كلّ واحده من هذه النعم دليل علی مقام ربوبيه اللّه و لطفه و إحسانه،فكيف بها إذا كانت هذه النعم مجتمعه؟

تعقيب

اشاره

۱-معرفه النعم طريق لمعرفه اللّه:

إذا تأمّلنا قليلا النعم التی سبق و أن تناولتها الآيات الكريمه:(نعمه القرآن، و خلق الإنسان،و تعليم البيان،و الحساب المنظّم للزمان،خلق النباتات و مختلف الأشجار،و حاكميه السماء و السنن و القوانين،و خلق الأرض بخصوصياتها المتعدّده،و خلق الفاكهه و النخل و الحبوب و الورود و النباتات المعطّره...)مع جميع جزئياتها و الأسرار الخفيّه فی كلّ واحده منها لكانت كافيه لأنّ تبعث الإحساس بالشكر فی الإنسان و تدفعه إلی معرفه مبدئ هذه النعم و هو اللّه سبحانه.

و لهـذا السـبب فإنّ اللّه تعالى يأخذ الإقرار من عباده بعد ذكر كلّ واحده من هذه النعم،و تتكرّر الآيه فى الآيات اللاحقه أيضا،و بعد ذكر نعم اخرى،بحيث يصبح عددها ٣١ مرّه.

إنّ هذا التكرار ليس فقط لا يتنافى مع الفصاحه،بل إنّه فنّ من فنونها،و يشبه هذا الأمر التكرار الذى يؤكّده الأب لابنه الذى يغفل عن وصايـاه بصوره مسـتمرّه، فيخـاطبه بصـيغ مختلفه تأكيـدا لعـدم الغفله و النسـيان حيث يقول له:أنسـيت يـا ولـدى ضـعفك و طفولتك؟أتعرف كم من الجهد بذلت من أجل تنميتك و تربيتك.

أنسيت يا ولدى كم أحضرت من الأطباء الأخصائيين يوم مرضك،و كم بذلت سعيا و جهدا فى ذلك.

أنسـيت يا ولـدى حينما بلغت سنّ الشـباب ما بـذلته من جهد فى زواجك حيث انتخبت لك زوجه من أكثر النساء عفّه و طهرا؟ أنسـيت يا ولـدى جهـدى فى مسأله إعـداد بيتك و مسـتلزماته؟...فإذا لم تنس كلّ هـذا فلما ذا العناد و الطغيان و القسوه و عـدم الوفاء إذا؟ إنّ اللّه تعالى يـذكّر عباده الغافلين بصوره مسـتمرّه بنعمه المختلفه،و هكـذا يسألهم بعـد كلّ نعمه من هـذه النعم فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ،فلما ذا هـذا العصـيان و الطغيان فى حين أنّ طاعتى هى رمز لتكاملكم و تقـدّمكم،و إنّ هـذا ينفعكم و لن ينفع اللّه شيئا؟!

٢-مسأله النظم و الحساب فى الحياه:

يوجد فى جسم الإنسان أكثر من عشـرين عنصـرا معدنيا،و كلّ واحد منها بكيفيه خاصّه و كميه معيّنه،و إذا ما حصل أقل تغيّر فى مقاديرها و نسبها فإنّ حياتنا تكون فى خطر،فمثلا فى فصل الصيف إذا تعرّق الإنسان أكثر من اللازم عندئذ يصاب بالصدمه التى قد تؤدّى إلى الموت و السبب فى ذلك بسيط جدّا،

ص:٣٨٠

و هو نقص ماء الجسم و أملاح الدم و علاجه لا يكون إلّا بشرب الماء و تناول الأملاح الإضافيه.

هذا نموذج بسيط من النظم و الحساب فى تركيب جسمنا،كما نلاحظ أحيانا أنّ دقّه المقاييس فى تركيب مخلوقات أدقّ و أظرف كالخلايا،و أدقّ منها عالم الذرّات تكون إلى درجه من الدقّه بحيث تقاس ب(واحد على الألف)و أحيانا ب (واحد على المليون)من الملمتر أو الملغرام، حيث أنّ العلماء اضطرّوا لحساب هذه الموازين الدقيقه إلى الاستعانه بالعقول الألكترونيه.

هذا فى النظام الكونى،و الأمر كذلك فى الأمور الاجتماعيه،حيث أنّ أى انحراف فى تطبيق قوانين العدل قد يؤدّى إلى فناء شعب.

و قد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقه قبل أربعه عشر قرنا و ذكر كلّ ما يستحقّ الذكر بهذا الصدد حيث يقول سبحانه: وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ الْمِيزٰانَ أَلاّٰ تَطْغَوْا فِي الْمِيزٰانِ .

لقد جعل اللّه سبحانه الطغيان و التمرّد على القوانين الشرعيه،مقارنا مع الطغيان و التمرّد على القوانين الكونيه التى تحكم الوجود كلّه،إنّه تصوير رائع استعمله القرآن الكريم عن عالم الوجود تاره،و عالم الإنسان اخرى،كما ورد فى الآيات الكريمه.و ليس هذا فحسب،بل إنّه سبحانه شمل بوصفه هذا عالم الآخره (يوم الحساب)و نصب الموازين،بل و حتّى طبيعه الحساب و الموازين حيث إنّها من الدقّه على قدر عجيب!...و لهذا السبب فقد أمرنا-كما ورد ذلك فى الرّوايات الإسلاميه-أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب و أن نزنها قبل أن توزن.

«و حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا».

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۱۴ الی ۱۸]

اشاره

خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ كَالْفَخّٰارِ (۱۴) وَ خَلَقَ اَلْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ (۱۵) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۶) رَبُّ اَلْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ اَلْمَغْرِبَيْنِ (۱۷) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۸)

التّفسير

اشاره

الصلصال و خلق،الإنسان:

إنّ اللّه تعالى بعد ذكره للنعم السابقه و التى من جملتها خَلَقَ الْإِنْسٰانَ .

يتعرّض فى الآيات مورد البحث إلى شرح خاص حول خلق الإنس و الجنّ كدليل على قدرته العظيمه،من جهه و موضع درس و عبره للجميع من جهه اخرى، فيقول سبحانه: خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ كَالْفَخّٰارِ .

«صلصال»فى الأصل معناه(ذهاب و رجوع أو تردّد الصوت فى الأجسام الصلبه)ثمّ أطلقت الكلمه على الطين اليابس الذى يخرج صوتا،كما تطلق (الصلصله)على الماء المتبقّى فى الوعاء،لأنّه يخرج صوتا عند حركته فى الوعاء.

و يفسّر البعض كلمه(صلصال)بمعنى الطين الخبيث الرائحه،إلاّ أنّ المعنى الأوّل هو الأشهر و الأعرف.

«فخار»من مادّه(فخر)بمعنى الشخص الذى يفخر كثيرا،و لكون الأشخاص الذين يعيشون الفراغ فى شخصياتهم و معنوياتهم يكثرون الثرثره و الادّعاء عن أنفسهم،فإنّ هذه الكلمه تستعمل لكلّ إناء من الطين أو«الكوز»،و ذلك بسبب الأصوات الكثيره التى يولّدها (1) .

و من هنا يستفاد بوضوح من الآيات القرآنيه المختلفه حول مبدأ خلق الإنسان،أنّه كان من التراب ابتداء،قال تعالى: فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ . (2) ثمّ خرج مع الماء و أصبح طينا. هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ . (3) ثمّ أصبح بصوره طين خبيث الرائحه إِنِّى خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . (4) ثمّ أصبح مادّه فى حاله لاصقه، إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِنْ طِينٍ لاٰزِبٍ (5) و من ثمّ يتحوّل إلى حاله يابسه و يكون من صَلْصٰالٍ كَالْفَخّٰارِ كما ذكر فى الآيه مورد البحث.

هذه المراحل كم تستغرق من الوقت؟و كم هى المدّه التى يتوقّف فيها الإنسان فى كلّ مرحله من هذه المراحل؟،و فى أى ظروف تحدث هذه التطوّرات؟ هذه المسائل خفيت عن علمنا و إدراكنا،و اللّه وحده هو العالم بها فقط.

و من الواضح أنّ هذه التعابير تبيّن حقيقه ترتبط ارتباطا وثيقا مع الأمور التربويه للإنسان،حيث أنّ المادّه الأوّليه فى خلق الإنسان هى مادّه لا قيمه لها، و من أحقر المواد على الأرض،إلاّ أنّ اللّه تعالى قد خلق من تلك المادّه الحقيره مخلوقا ذا شأن،بل يمثّل قمّه المخلوقات على وجه الأرض،حيث أنّ القيمه الواقعيّه للإنسان هى الروح الإلهيه(النفخه الربّانيه)فيه،و التى ذكرت فى الآيات

1- 1) -المفردات للراغب.

2- 2) -الحجّ،5.

3- 3) -الأنعام،2.

4- 4) -الحجر،28

5- 5) -الصافات،11.

القرآنيه الاخرى(كما فى سوره الحجر۲۹/)و ذلك ليعرف الإنسان قيمته الحقيقيّه فى عالم الوجود و يسير فى طريق التكامل على بيّنه من أمره.

ثمّ يتطرّق سبحانه لخلق الجنّ حيث يقول: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ .

«مارج»فى الأصل من(مرج)على وزن(مرض)بمعنى الاختلاط و المزج، و المقصود هنا اختلاط شعل النيران المختلفه،و ذلك لأنّ النيران أحيانا تكون بألوان مختلفه الأحمر،الأصفر،الأزرق،و أخيرا اللون الأبيض.

و يقول البعض:إنّ معنى التحرّك موجود فيها أيضا،و ذلك من(أمرجت الدابه) يعنى(تركت الحيوان فى المرتع)لأنّ أحد معانى«المرج»هو المرتع.

و لكن كيف خلق الجنّ من هذه النيران المتعدّده الألوان؟هذا ما لم يعرف بصوره دقيقه،كما أنّ الخصوصيات الاخرى عن هذا المخلوق،قد بيّنت لنا عن طريق الوحى الربّانى و كتاب اللّه الكريم،و لكن محدوديه معلوماتنا لا تعنى السماح لنا أبدا بإنكار هذه الحقائق أو تجاوزها،خاصّه بعد ما ثبتت عن طريق الوحى الإلهى.

(و سيكون لنا إن شاء اللّه شرح مفصّل حول خلق الجنّ و خصوصيات هذا المخلوق فى تفسير سوره الجنّ).

و على كلّ حال،فإنّ أكثر الموجودات التى نتحدّث عنها هى:الماء و التراب و الهواء و النار،سواء كانت هذه الموجودات عناصر بسيطه كما كان يعتقد القدماء، أو مركّبه كما يعتقد العلماء اليوم،و لكن على كلّ حال فإنّ مبدأ خلق الإنسان هو الماء و التراب،فى حين أنّ مبدأ خلق الجنّ هو الهواء و النار،و هذا الاختلاف فى مبدأ خلقه هذين الموجودين مصدر اختلافات كثيره بين هذين المخلوقين.

و بعد أن تحدّث عن النعم التى كانت فى بدايه خلق الإنسان يكرّر تعالى قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

فى الآيه اللاحقه يستعرض نعمه اخرى حيث يقول سبحانه: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ

ص:۳۸۴

وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ

.

بما أنّ الشمس فى كلّ يوم تشرق من نقطه و تغرب من اخرى،و بعدد أيّام السنه لها شروق و غروب،و لكن نظرا للحدّ الأكثر من الميل الشمالى للشمس و الميل الجنوبى لها،ففى الحقيقه أنّ للشمس مشرقين و مغربين و البقيّه بينهما (۱) .

إنّ هذا النظام الذى هو سبب وجود الفصول الأربعه له فوائد و بركات كثيره، و يؤكّد و يكمّل ما مرّ بنا فى الآيات السابقه،و ذلك لأنّ الحديث كان عن حساب سير الشمس و القمر،و كذلك عن وجود الميزان فى خلق السماوات،و إجمالا فإنّه يبيّن النظام الدقيق للخلقه و حركه الأرض و القمر و الشمس،و كذلك فإنّه يشير إلى النعم و البركات التى هى موضع استفاده الإنسان.

و يرى البعض أنّ المقصود بالمشرقين و المغربين هو طلوع و غروب الشمس، و طلوع و غروب القمر و يعتبرون هذا هو المناسب لتفسير الآيه الكريمه اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ إلاّ أنّ المعنى الأوّل هو الأنسب،خصوصا و أنّ الرّوايات الإسلاميه قد أشارت إلى ذلك.

و من جمله هذه الرّوايات

حديث لأمير المؤمنين عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه حيث يقول: «إنّ مشرق الشتاء على حده،و مشرق الصيف على حدّه،أما تعرف ذلك من قرب الشمس و بعدها؟» (۲) .

و يتّضح بذلك معنى قوله تعالى: فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ ، (۳)

۱- ۱) -توضيح:لما كان محور الأرض مائلا بالنسبه لسطح مدارها و بشكل زاويه بحدود ۲۳ درجه،و الأرض بهذه الصوره تدور حول الشمس،لذا فإنّ شروق الشمس و غروبها متغيّر دائما أيضا كما يبدو من ۲۳ درجه و التى تمثّل أعظم الانحراف باتّجاه الشمال(فى بدايه الصيف)إلى ۲۳ درجه فى قمّه الانحراف باتّجاه الجنوب(بدايه الشتاء)،و يسمّى المدار الأوّل لها مدار«رأس السرطان»و المدار الثانى مدار«رأس الجدى»،و هذان هما مشرقا و مغربا الشمس،و بقيّه المدارات فى داخل هذين المدارين.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۹۰(المقصود هو ارتفاع الشمس فى السماء فى فصل الصيف و نزولها فى فصل الشتاء).

۳- ۳) -المعارج،۴۰.

حیث یشیر هنا إلی جمیع مشارق و مغارب الشمس علی طول أیّام السنه.فی الوقت الذی تشیر الآیه مورد البحث إلی نهایه القوس الصعودی و النّزولی لها فقط.

و علی کلّ حال فإنّ اللّه تعالی یؤکّد هذه النعمه بعد نعمه خلق الإنس و الجنّ بقوله: فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ .

ص: ۳۸۶

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۱۹ الی ۲۵]

اشاره

مَرَجَ اَلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ (۱۹) بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ (۲۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۲۱) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اَللُّؤْلُؤُ وَ اَلْمَرْجٰانُ (۲۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۲۳) وَ لَهُ اَلْجَوٰارِ اَلْمُنْشَآتُ فِي اَلْبَحْرِ كَالْأَعْلاٰمِ (۲۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۲۵)

التّفسير

اشاره

البحار و ذخائرها الثمينه:

استمرارا لشرح النعم الإلهيّه يأتی الحديث هنا عن البحار،و لكن ليس عن خصوصيات البحار بصوره عامّه،بل عن كيفيه خاصّه و مقاطع معيّنه منها تمثّل ظواهر عجيبه و آيه على القدره اللامتناهيه للحقّ،بالإضافه إلى ما فيها من النعم التی هی موضع استفاده البشريه.

يقول تعالى: مَرَجَ اَلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ و لكن بين هذين البحرين المتلاقيين فاصل يمنع من طغيان و غلبه أحدهما على الآخر: بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ .

مادّه(مرج)على وزن(فلج)بمعنى الاختلاط،أو إرسال الشیء و تركه،و هنا وردت بمعنى إرسال الشیء و وضعه جنبا إلى جنب بقرينه الآيه: بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ

يَبْغِيانِ

.

المقصود من البحرين هما الماء العذب و الماء المالح،و ذلك بالاستدلال بقوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً . (١)

و التساؤل هنا عن مكان هذين البحرين اللذين لا يمتزجان مع بعضهما،و ما هو البرزخ الموجود بينهما؟هناك كلام كثير بين المفسّرين حول هذه المسأله،إلاّ أنّ بعض التّفسيرات تدلّل على عدم اطّلاعهم على أوضاع البحار فى ذلك الزمان، منها أنّهم ذكروا أنّ المقصود من البحرين هما(بحر فارس و بحر الروم)فى الوقت الذى نعلم أنّ ماء هذين البحرين مالح،و لا يوجد بينهما برزخ.

أو قولهم:إنّ المقصود بذلك هو بحر السماء و بحر الأرض،و الذى يكون الأوّل عذبا و الثانى مالحا،فى الوقت الذى نعلم أيضا بعدم وجود بحر فى السماء باستثناء الغيوم و البخار التى يتبخّر من المحيطات.

و قالوا أيضا:إنّ المقصود من البحر العذب هو المياه التى تحت الأرض و التى لا تختلط مع مياه البحار،و البرزخ الموجود بينهما هى جدران هذه الآبار.

فى الوقت الذى نعلم أيضا أنّ الماء الموجود تحت الأرض أقلّ من أن يشكل بحرا.

نعم إنّ جزئيات الماء المخفيه بين طبقات التراب و الرمل تتجمّع تدريجيّا، و تخرج عند ما يحفر بئر فى نقطه معيّنه،و هى كميّه محدوده بالإضافه إلى عدم وجود اللؤلؤ و المرجان فيها.

إذا ما هو المقصود من هذين البحرين؟ لقد أشرنا سابقا إلى هذه الحقيقه فى تفسير سوره الفرقان،و هى أنّ الأنهار

١- ١) -الفرقان،٥٣.

العظيمه ذات المياه العذبه عند ما تصبّ فى البحار و المحيطات فإنّها تشكّل بحرا من الماء الحلو إلى جنب الساحل و تطرد الماء المالح إلى الخلف،و العجيب أنّ هذين الماءين لا يمتزجان مع بعضهما لمدّه طويله بسبب اختلاف درجه الكثافه.

و تلاحظ هذه المناظر بوضوح عند السفر بالطائره فى المناطق التى تكون فيها هذه الظاهره،حيث المياه العذبه تمثّل بحرا منفصلا فى داخل البحر المالح و منفصله عنها،و عند ما تمتزج أطراف هذين البحرين فإنّ المياه العذبه الجديده تأخذ مكانها بحيث أنّ هذين البحرين منفصلان على الدوام بشكل ملفت للنظر.

و الظريف هنا ما يحصل فى حاله(مدّ البحر)فبارتفاع سطح المحيط إلى الأعلى،فإنّ المياه العذبه ترجع إلى الداخل دون أن تختلط مع المياه المالحه- باستثناء سنوات الجدب التى تنعدم فيها الأمطار و يشحّ الماء-و تغطّى قسما من اليابسه،لذلك فكثيرا ما تستثمر هذه الحاله بإيجاد أنهار و قنوات فى المناطق الساحليه حيث تسقى بهذه الطريقه الكثير من الأراضى الزراعيه.

إنّ هذه الأنهر توجد ببركه و حركه(المدّ و الجزر)الساحليتين و تأثيرهما على مياه هذه الأنهار التى تمتلئ و تفرغ مرّتين فى كلّ يوم بالماء العذب،ممّا يتيح فرصه طيّبه لسقى مناطق واسعه من الأراضى الزراعيه.

و يوجد تفسير رائع آخر لهذين البحرين،حيث قالوا:إنّ المقصود منهما يحتمل أن يكون ظاهره(كلف استريم)و الذى سيأتى شرحها فى آخر هذه الآيات إن شاء اللّه.

و مرّه اخرى يخاطب اللّه تعالى عباده فى معرض حديثه عن هذه النعم حيث يسألهم سبحانه: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ .

و استمرارا لهذا الحديث يقول عزّ و جلّ: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ .

اللؤلؤ و المرجان:وسيلتان للتجميل و الزينه،و يستفاد منهما أيضا فى معالجه

بعض الأمراض،كما أنّهما ثروه تجاريه أيضا و وسيله جيّده للربح الوفير،و لهذه الموارد أشير إليهما كنعمتين إلهيتين للعباد.

أمّا«اللؤلؤ»فهو حبّه شفّافه ثمينه تنمو فى داخل الصدف فى أعماق البحار، و كلّما كبر حجمها زاد ثمنها،و لها استعمالات واسعه فى الطبّ،حيث كان الأطباء سابقا يستحضرون منها بعض الأدويه التى تفيد فى تقويه القلب و الأعصاب، و علاج أنواع الخفقان و تقويه الكبد و علاج اليرقان،و معالجه الخوف و الوحشه، و رفع الرائحه النتنه من الفمّ،و كذلك الحصى فى الكليه و لمثانه،و يستفاد منهما أيضا فى علاج بعض أمراض العين.

«المرجان»:فسّر البعض المرجان بأنّه اللؤلؤ الصغيره،إلاّ أنّه فى الحقيقه شىء آخر،فهو كائن حيّ يشبه الغصن الصغير للشجره،و ينشأ فى أعماق البحار،و كان العلماء يتصوّرون لفتره زمنيه أنّ هذه الشجره نوع من أنواع النباتات،إلاّ أنّه اتّضح فيما بعد أنّه نوع من الحيوانات،بالرغم من أنّه يلتصق بالصخور الموجوده فى أعماق البحر و يغطّى مساحات واسعه أحيانا و ينمو تدريجيّا بحيث يشكّل جزرا تعرف بالجزر المرجانيه،و ينمو المرجان غالبا فى المياه الراكده،و يصطاده الصيادون من سواحل البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسّط و فى مناطق اخرى.

و أفضل أنواع المرجان الذى يستعمل للزينه هو المرجان ذو اللون الأحمر، و كلّما كان احمراره أشدّ كانت قيمته أغلى و أثمن،و هو مادّه خصبه لتشبيهات الشعراء، كما أنّ أردأ أنواع المرجان هو المرجان الأبيض و يوجد بكثره،و ما بين النوعين هو المرجان الأسود.

و إضافه إلى استعمال المرجان كحليّ و زينه،فإنّ له استعمالات طبيّه حيث ذكروا له خواصا كثيره منها أنّه يصنع منه بعض الأدويه الخاصّه بتقويه القلب، و كذلك دفع سمّ الأفعى،و تقويه الأعصاب،و معالجه الإسهال،و نزيف الرحم،

و علاج الصرع (۱) .

و النقطه الاخرى التى يجدر بنا ذكرها هنا أنّ بعض المفسّرين صرّحوا بأنّ اللؤلؤ و المرجان ينشآن فقط فى المياه المالحه،ممّا أوقعهم فى إشكال فى تفسير الآيه يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ فذهبوا إلى أنّ المقصود هو أحدهما كما فى الآيه(۳۱)من سوره الزخرف.

إلّا أنّ مثل هذا التّفسير لا يدعمه دليل،حيث صرّح البعض بأنّ اللؤلؤ و المرجان يعيشان فى الماء العذب و المالح على السواء.

و استمرارا لهذا القسم من النعم الإلهيّه يشير سبحانه إلى موضوع(السفن) التى هى فى الحقيقه أكبر و أهمّ وسيله لنقل البشر و حمل الأمتعه فى الماضى و الحاضر،حيث يقول سبحانه: وَ لَهُ الْجَوٰارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلاٰمِ .

«جوار»:جمع جاريه،و هى وصف للسفن،و حذفت للاختصار لأنّ التركيز الأكثر كان على سير و حركه السفن،لذا اعتمد هذا الوصف.

كما تطلق جاريه على(الأمه)،و ذلك بسبب حركتها و سعيها فى إنجاز الأعمال و الخدمات،و تطلق أيضا على الفتيات الشابّات و ذلك لجريان النشاط فيهنّ.

«منشآت»جمع(منشأ)و هو اسم مفعول من(إنشاء)بمعنى إيجاد،و الظريف هنا أنّه فى الوقت الذى يعبّر عن«منشآت»و التى تحكى أنّها مصنوعه بواسطه الإنسان،يقول سبحانه(و له)أى للّه تعالى و هو إشاره إلى أنّ جميع الخواص التى يستفاد منها فى صناعه السفن،و التى منحها اللّه للبشر المخترعين لهذه الصناعه هى للّه،و كذلك فانّه هو الذى أعطى خاصيه السيوله لمياه البحر و القوّه للرياح،و أنّ اللّه تعالى هو الذى أوجد هذه الخواص فى المواد المتعلّقه بالسفيّنه،و هذا ما عبّر

۱- ۱) -دائره المعارف فريد و جدى و كتب اخرى.

عنه القرآن الكريم بالتسخير أيضا،حيث يقول سبحانه: وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِیَ فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ . (۱)

و فسّر البعض«منشأ»من مادّه(إنشاء)بمعنی ارتفاع الشیء،و اعتبروها إشاره إلی أشرعه السفن التی تستخدم كقوّه فی حركه السفینه،و ذلك بسبب دفع الریاح لها.

«أعلام»:جمع(علم)علی وزن(قلم)،بمعنی(جبل)بالرغم من أنّها فی الأصل بمعنی(علامه و أثر)و الذی یخبر عن شیء معیّن،و لأنّ الجبال تكون واضحه من بعد فإنّه یعبّر عنها ب(العلم)كما أنّ لفظه(علم)تطلق أیضا علی «الرایه».

و بهذا فإنّ القرآن الكریم نوّه هنا بالسفن الكبیره التی تتحرّك علی سطح المحیطات و البحار،و علی خلاف ما یتصوّره البعض فانّ السفن الكبیره لا تختص بعصر الماكنه و البخار،بل لقد استفاد الیونانیون و غیرهم من السفن الكبیره فی نقل قواتهم و جیوشهم.

و مرّه اخری یكرّر سبحانه هذا السؤال العمیق المغزی بقوله تعالی: فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

بحوث

اشاره

۱-البحر مركز النعم الإلهیّه

لاحظنا فی هذا القسم من الآیات إشاره إلی البحر و أهمیّته فی الحیاه البشریه،و كما نعلم فإنّ میاه البحار و المحیطات تشكّل ثلاثه أرباع سطح الكره

۱- ۱) -إبراهیم،۳۲.

الأرضيه،و هی منبع عظیم للمواد الغذائیه،و الطبیه،و أدوات الزینه،و وسیله مهمّه لنقل البشر و حمل البضائع،و الأهمّ من ذلک فإنّ نزول الأمطار و اعتدال الهواء، و حتّی قسم من هبوب الریاح هی من برکات البحار،فإذا کان سطح البحار أقلّ أو أکثر ممّا هو علیه،فإنّ الکره الأرضیه إمّا أن تصبح یابسه أو رطبه لدرجه لا یمکن العیش فیها.

لذلک نری أنّ القرآن الکریم قد ذکّر الإنسان-لعدّه مرّات و بتعبیرات مختلفه بهذه النعمه العظیمه،و دعاه للتفکیر بها،حیث یقول سبحانه: سَخَّرَ لَکُمُ الْبَحْرَ الجاثیه١٢/.

و یقول مرّه اخری: وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ إبراهیم٣٢/.

و قال سبحانه: سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ الحجّ٦٥/.

و إذا تجاوزنا کلّ ذلک فإنّ البحر هو دار العجائب حیث فیه أصغر النباتات المجهریه، و کذلک أطول أشجار العالم،و فیه أیضا أصغر الحیوانات و کذلک أعظمها و أضخمها.

کما أنّ الحیاه فی أعماق البحار حیث لا ضوء و لا غذاء عجیبه إلی درجه أنّ الشخص لا یملّ من مطالعتها و الاطلاع علیها،و کلّما تعرف الإنسان علی شیء منها إزداد شغفا بها،و العجیب أیضا أنّ قسما من الحیوانات هنالک تشعّ أضواء و تصنع مادّتها الغذائیه علی سطح البحر و من ثمّ تترسّب،کما أنّ أطرافها محکمه و مقاومه إلی درجه أنّها تتحمّل ضغط الماء العظیم الذی إذا وضع الإنسان فی حالته الطبیعیّه هناک فانّ عظامه تتحوّل إلی طحین.

٢-الأنهار البحریه العظیمه و الکلف استیرین

من العجائب الموجوده فی محیطات العالم هو وجود أنهار عظیمه و تیارات بحریه کبیره،و أقوی هذه الأنهار یسمّی(گلف استیرین).إنّ هذا النهر العظیم

يتحرّك من سواحل أمريكا المركزيه و يسير فى جميع المحيط الأطلسى حتّى يصل إلى سواحل أوروبا الشماليه.

و المعروف أنّ مياهه التى تسير من مناطق قريبه من خطّ الإستواء تكون حاره بل حتّى أنّ لونها يختلف عن لون المياه المجاوره،و العجيب أنّ عرض هذا النهر البحرى العظيم(الكلف استيرين)بحدود(١٥٠)كم،كما أنّ أعمق نقطه فيه تبلغ مئات الأمتار،و سرعته فى بعض المناطق شديده بحيث تبلغ فى اليوم الواحد ب ١۶٠ كم.

إنّ اختلاف درجه حراره هذا النهر مع المياه المجاوره بحدود ١٠-١۵ درجه مئويه،لذا فإنّ ساحله الغربى يسمّى بالجدار البارد.

و الكلف أستيرين يسبّب رياحا حارّه و يدفع قسما كبيرا من حرارته باتّجاه مدن أوروبا الشماليه،حيث يؤثّر على مناخ تلك البلدان بحيث يكون معتدلا للغايه،و يحتمل أن يكون العيش صعبا للغايه فى هذه المناطق لو لم يوجد هذا المجرى العظيم.

و نكرّر مرّه اخرى أنّ(الكلف استيرين)هو أحد الأنهار فى المحيطات، و هناك أنهار اخرى كثيره فى بحار و محيطات العالم.

إنّ السبب الأساس فى تكوين هذه الأنهار البحريه هو اختلاف حراره المنطقه الإستوائيه و المناطق القطبيه و التى توجد هذه الحركه فى مياه البحار.

و يمكن استيعاب هذا الموضوع بتجربه بسيطه:

فإذا كان لدينا ماء فى وعاء كبير،و وضعنا فى جانب منه قطعه ثلجيه،و فى الجهه الاخرى قطعه حديديه حارّه،و وضعنا على سطح الماء قليلا من التبن،فإنّنا سنلاحظ ظهور حركه على سطح الماء حيث يتحرّك الماء ببطء من المنطقه الحارّه باتّجاه المنطقه البارده.

إنّ مثل هذه الحاله تحصل فى كلّ بحار العالم،و هى مصدر ظهور هذه الأنهار

البحريه.

و العجيب أنّ هـذه الأنهار العظيمه لا تمتزج مع المياه حولها إلاّ قليلا،و تسـير آلاف الكيلومترات على هذه الصوره،و بذلک تعبّر عن مصداقيه الآيه الكريمه مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ .

و الملفت للنظر أنّ فى نقطه التقاء هـذه المياه الحارّه مع المياه البارده،تحـدث ظاهره مفيـده جـدّا للإنسان،و هى حدوث حاله من الإغمـاء أو الموت الجمـاعى للحيوانـات المجهريه المعلّقه فى المـاء و ذلـک فى نقطه التماس و الالتقاء بين المياه الحارّه و المياه البارده و بهذا تتوفّر فى هذه المناطق مواد غذائيه كثيره لا حصـر لها و تكون سـببا فى جذب قطعان الأسماک الكبير،حيث يقصد الصـيادون هذه المناطق للاستفاده من صيد هذه الحيوانات،و تعتبر هذه المنطقه من أفضل المناطق فى العالم لصيد الأسماک (١) .

و هذا يمثّل أحد التفاسير للآيات أعلاه،و هو لا يتنافى مع التفاسير الاخرى، و لذا يمكن الجمع بينهما.

٣-تفسير من أعماق الآيات

نقل

فى حـديث للإمام الصادق عليه السّـلام فى تفسير هـذه الآيه مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ أنّه قال:«و على و فاطمه عليهما السّـلام بحران عميقان لا يبغى أحدهما على صاحبه. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ قال:الحسن و الحسين» (٢) .

و نقل هذا المعنى عن بعض أصحاب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير الدرّ المنثور (٣) .

و نقله العلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان مع اختلاف يسير.

١- ١) -دائره المعارف(الثقافيه)ج ١٢ ص ١٢٢٨،و كذلک مجله الميناء و البحر عدد ۴ ص ١٠٠ بالإضافه إلى مصادر اخرى.

٢- ٢) -تفسير القمّى،ج ٢،ص ٣۴۴.

٣- ٣) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ١۴٢.

و من هنا نعلم أنّ القرآن الكريم له بطون،و أنّ آيه واحده يمكن أن تكون لها معان متعدّده بل عشرات المعانى.و التّفسير الأخير هو من بطون القرآن،و لا يتنافى مع المعانى الظاهريه له.

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۲۶ الی ۳۰]

اشاره

كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ (۲۶) وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ (۲۷) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۲۸) يَسْئَلُهُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (۲۹) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۳۰)

التّفسير

اشاره

كلّ شیء هالک إلّا وجهه:

استمرارا لشرح النعم الإلهيّه،فی هذه الآيات يضيف سبحانه قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ و هنا يتساءل كيف يكون الفناء نعمه إلهيه؟ و للجواب علی هـذا السؤال نذكر ما يلی:يمكن ألّا يكون المقصود بالفناء هنا هو الفناء المطلق،و إنّما هو الباب الذی يطلّ منه علی عالم الآخره،و الجسر الـذی لا بـدّ منه للوصول إلی دار الخلد،بلحاظ أنّ الدنيا بكلّ نعمها هی سـجن المؤمن، و الخروج منها هو التحرر من هذا السجن المظلم.

أو أنّ النعم الإلهيّه الكثيره-المذكور سابقا-يمكن أن تكون سـببا لغفله البعض و إسـرافهم فيها بأنواع الطعام و الشـراب و الزينه و الملابس و المراكب و غير

ص:۳۹۷

ذلک.ممّا یستلزم تحذیرا إلهیّا للإنسان،بأنّ هذه الدنیا لیست المستقّر،فالحذر من التعلّق بها،و لا بدّ من الاستفاده من هذه النعم فی طاعه اللّه..إنّ هذا التنبیه و التذکیر بالرحیل عن هذه الدنیا هو نعمه عظیمه.

الضمیر فی(علیها)یرجع إلی الأرض التی ورد ذکرها فی الآیات السابقه، بالإضافه إلی القرائن الاخری الموجوده،لذا فهو واضح.

کما أنّ المقصود مَنْ عَلَیْها هم الجنّ و الإنس مع العلم أنّ بعض المفسّرین احتملوا أنّ الحیوانات و الکائنات الحیّه جمیعا مشموله بهذا المعنی.

و بما أنّ کلمه(من)تستعمل غالبا للعاقل،لذا فالمعنی الأوّل هو الأنسب.

صحیح أنّ مسأله الفناء لا تنحصر بالإنس و الجنّ فقط،و لا تختّص بالکائنات الموجوده علی الأرض فحسب،حیث یصرّح القرآن الکریم بأنّ أهل السماء و الأرض جمیعا یفنون،و ذلک فی قوله: کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ ، (١) و لکن لمّا کان الحدیث یدور حول أهل الأرض،لذا فهم المقصودون.

و یضیف فی الآیه اللاحقه قوله سبحانه: وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ .

«وجه»معناه اللغوی معروف و هو القسم الأمامی للشیء بحیث یواجهه الإنسان فی الطرف المقابل،و استعمالها بخصوص لفظ الجلاله یقصد به(الذات المقدّسه).

فسّر البعض وَجْهُ رَبِّکَ بمعنی الصفات الإلهیه المقدّسه،التی عن طریقها تنزل نعم و برکات اللّه علی الإنسان کالرحمه و المغفره و العمل و القدره.

و یحتمل أن یکون المقصود هی الأعمال التی تنجز من أجل اللّه،و بناء علی هذا فالجمیع یفنی،و الشیء الباقی هی الأعمال التی تنجز بإخلاص و لرضی اللّه

١- ١) -القصص،٨٨.

تعالى..

إلاّ أنّ المعنى الأوّل هو الأنسب.

أمّا ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ و الذى هو وصف ل(الوجه)فإنّه يشير إلى صفات الجمال و الجلال للّه سبحانه،لأنّ ذُو الْجَلاٰلِ تتبّئنا عن الصفات التى يكون اللّه أسمى و أجلّ منها(الصفات السلبيه).و كلمه«الإكرام»تشير إلى الصفات التى تظهر حسن و قيمه الشيء،و هى الصفات الثبوتيه للّه سبحانه كعلمه و قدرته.

و بناء على هذا فإنّ معنى الآيه بصوره عامّه يصبح كالآتى:إنّ الباقى فى هذا العالم هو الذات المقدّسه للّه سبحانه،و التى تتّصف بالصفات الثبوتيه و المنزّهه عن الصفات السلبيه.

كما فسّر البعض أنّ(ذو الإكرام)هو إشاره إلى الألطاف و النعم الإلهيه التى تفضّل اللّه بها و أكرمها لخاصّه أوليائه،و من الممكن الجمع بين هذه المعانى المختلفه للآيه أعلاه.

و نقرأ

فى حديث أنّ رجلا كان يصلّى فى محضر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث دعا اللّه سبحانه كذلك:«اللهمّ إنّى أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت المنّان،بديع السماوات و الأرض،ذو الجلال و الإكرام،يا حىّ يا قيّوم».

فقال الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأصحابه:«أ تدرون بأى اسم دعا اللّه؟»فقالوا:اللّه و رسوله أعلم.

قال:«و الذى نفسى بيده،لقد دعا اللّه باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، و إذا سئل به أعطى» (1) .

ثمّ يخاطب الخلائق مرّه اخرى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و مضمون الآيه اللاحقه فى الحقيقه هى نتيجه للآيات السابقه،حيث يقول

1- 1) -تفسير روح المعانى،ج 27،ص 95.

سبحانه: يَسْئَلُهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

و لماذا لا یکون کذلک فی الوقت الذی یفنی الجمیع و یبقی وحده سبحانه، و لیس هذا فی نهایه العالم فقط،و إنّما الآن أیضا فانّ الکائنات فانیه فی مقابله و بقاءها مرتبط بمشیئته،و إذا أعرض بلطفه فسیتلاشی الکون بأجمعه،و علی هذا فهل یوجد أحد سواه یطلب أهل السماوات و الأرض قضاء حوائجهم منه و یسألونه تدبیر شؤونهم؟! التعبیر ب(یسأله)جاء بصیغه المضارع،و هو دلیل علی أنّ السؤال و الطلب فی الکائنات و مستمر من الذات الإلهیّه المقدّسه،و الجمیع یستلهمون من مبدأ فیضه، و لسان حالهم یطلب الوجود و البقاء و قضاء الحوائج،و هذا شأن الموجود الممکن الذی هو مرتبط بواجب الوجود لیس فی الحدوث فقط.و إنّما فی البقاء أیضا.

ثمّ یضیف سبحانه: کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ .

نعم إنّ خلقه مستمر،و إجاباته لحاجات السائلین و المحتاجین لا تنقطع،کما أنّ إبداعاته مستمرّه فیجعل الأقوام یوما فی قوّه و قدره،و فی یوم آخر یهلکهم، و یوما یعطی السلامه و الشباب،و فی یوم آخر الضعف و الوهن،و یوما یذهب الحزن و الهمّ من القلوب و آخر یکون باعثا له.و خلاصه الأمر أنّه فی کلّ یوم- و طبقا لحکمته و نظامه الأکمل-یخلق ظاهره جدیده و خلقا و أحداثا جدیده.

و الالتفات إلی هذه الحقیقه من جهه یوضّح احتیاجاتنا المستمرّه لذاته المقدّسه،و من جهه اخری فإنّه یذهب الیأس و القنوط من القلوب،و من جهه ثالثه فإنّه یلوی الغرور و یکسر الغفله فی النفوس.

نعم،إنّه سبحانه له فی کلّ یوم شأن و عمل.

و بالرغم من أنّ بعض المفسّرین ذکروا قسما من هذا المعنی الواسع تفسیرا للآیه،إلاّ أنّ البعض ذکر فی تفسیرها،أنّها مغفره الذنوب،و ذهاب الحزن،و إعزاز أقوام و إذلال آخرین فقط.

ص:۴۰۰

و البعض الآخر قال:إنّها مسأله الخلق و الرزق و الحياه و الموت و العزّه و الذلّه فقط.

و البعض الآخر عنون مسأله الخلق و الموت بالنسبه للإنسان و قال:إنّ للّه جيوشا ثلاثه:جيش ينتقل من أصلاب الآباء إلى أرحام الامّهات،و جيش يخرج إلى عالم الدنيا من أرحام الامّهات،و جيش يساق من عالم الدنيا إلى القبور.

و كما قلنا فإنّ للآيه مفهوما واسعا يشمل كلّ خلق جديد و خلقه جديده، و يشمل كلّ تغيير و تحوّل فى هذا العالم.

و نقرأ

فى روايه لأمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال فى أحد خطبه: «الحمد للّه الذى لا يموت و لا تنقضى عجائبه لأنّه كلّ يوم هو فى شأن،من إحداث بديع لم يكن» (۱) .

و نقرأ

فى حديث آخر للرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسيره الآيه الكريمه: «من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرّج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين» (۲) .

و لا بدّ من الانتباه لهذه النقطه أيضا:إنّ المقصود من(يوم)هو ليس(النهار) فى مقابل(الليل)بل يشمل الأحقاب المتزامنه،و كذلك الساعات و اللحظات، و مفهومه أنّ اللّه المتعال فى كلّ زمان فى شأن و عمل.

كما أنّ البعض ذكروا شأنا نزوليا للآيه،و هو أنّها نزلت ردّا على قول اليهود الذين يعتقدون أنّ اللّه عزّ و جلّ يعطّل كلّ الأعمال فى يوم السبت،و لا يصدر أى حكم (۳) .فالقرآن الكريم يقول:إنّ خلق اللّه و تدبيره ليس له توقّف.

و مرّه اخرى-بعد هذه النعم المستمرّه و الإجابه لاحتياجات جميع خلقه من أهل السماوات و الأرض يكرّر قوله سبحانه: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

۱- ۱) -أصول الكافى مطابق نقل نور الثقلين،ج۵،ص ۱۹۳.

۲- ۲) -مجمع البيان نهايه الآيه مورد البحث،و نقل هذا الحديث أيضا فى روح المعانى من صحيح البخارى.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۲۰۲.

بحوث

اشاره

۱-ما هی حقیقه الفناء؟

ما مرّ بنا فی الآیات السابقه و هو أنّ«الکلّ یفنی إلاّ اللّه»لیس بمعنی الفناء المطلق،و أنّ روح الإنسان تفنی أیضا أو أنّ التراب الناشئ من بدنه بعد الموت سینعدم أیضا،إذ أنّ الآیات القرآنیه صرّحت بوجود عالم البرزخ إلی یوم القیامه (۱) .

و من جهه اخری فإنّ اللّه سبحانه یذکر لمرّات عدّه أنّ الموتی یخرجون من قبورهم یوم القیامه (۲) .

و یذکر سبحانه فی آیه اخری أنّ رمیم العظام یلبس الحیاه مرّه اخری بأمر اللّه (۳) .

و هذه الآیات کلّها شاهد علی أنّ الفناء فی الآیه و الآیات الاخری بمعنی اضطراب نظام الجسم و الروح و قطع الارتباط بینهما و اضطراب عالم الخلقه کذلک، و حلول عالم جدید محلّ العالم السابق.

۲-استمرار الخلق و الإبداع

قلنا:إنّ الآیه الکریمه: کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ تدلّ علی دوام الخلقه و استمرار الخلق،و أنّها مبعث أمل من جهه،و نافیه للغرور من جهه اخری،لذا فانّ القاده الإسلامیین یعتمدون علیها کثیرا لبعث الأمل فی النفوس،کما نقرأ ذلک فی تبعید الصحابی الجلیل«أبی ذرّ الغفاری»إلی(الربذه)حیث یذکر التاریخ أنّ علیا علیه السّلام جاء لتودیعه فواساه بکلمات مؤثّره،ثمّ أعقبه ابنه الإمام الحسن علیه السّلام حیث خاطب أبا ذر رضی اللّه عنه بقوله«یا عمّاه»تکریما له و أعقبه أخوه سیّد الشهداء الإمام

۱- ۱) -المؤمنون،۱۰۰.

۲- ۲) -سوره یس،۵۱.

۳- ۳) -سوره یس،۷۹.

الحسين عليه السّلام بقوله لأبى ذرّ: «يا عمّاه إنّ اللّه تعالى قادر على أن يغيّر ما قد ترى.اللّه كلّ يوم فى شأن،و قد منعك هؤلاء القوم دنياهم و منعتهم دينك فاسأل اللّه الصبر و النصر (۱) ...

و نقرأ أيضا أنّ الإمام الحسين عليه السّلام و هو فى طريقه إلى كربلاء لقى الشاعر «الفرزدق»عند(صفاح)فسأله الإمام عليه السّلام عن خبر الناس خلفه-إشاره إلى أهل العراق-فقال:الخبير سألت،قلوب الناس معك،و سيوفهم مع بنى أميّه،و القضاء ينزل من السماء و اللّه يفعل ما يشاء.

فقال الإمام الحسين عليه السّلام: (صدقت للّه الأمر يفعل ما يشاء و كلّ يوم ربّنا فى شأن) (۲) .

و كلّ ذلک يرينا أنّ هذه الآيه هى الآيه باعثه للأمل فى نفوس المؤمنين.

و ثمّه قصّه اخرى فى هذا الصدد حيث ذكروا أنّ أحد الأمراء سأل وزيره عن تفسير هذه الآيه،إلّا أنّ الوزير أعلن عن عدم علمه بها و طلب مهله ليوم غد، و رجع إلى البيت محزونا،و كان لديه غلام أسود ذو علم و معرفه،فسأله عمّا به، فحدّث غلامه بالقصّه،فأجابه:إذا ذهبت إلى الأمير فأخبره إذا كان يرغب فى معرفه تفسير هذه الآيه فأنا مستعدّ لذلک...فطلبه الأمير و سأله،فأجابه الغلام:

يا أمير،شأنه يولج الليل فى النهار،و يولج النهار فى الليل،و يخرج الحىّ من الميّت،و يخرج الميّت من الحىّ،و يشفى سقيما،و يسقم سليما،و يبتلى معافى، و يعافى مبتلى،و يعزّ ذليلا،و يذلّ عزيزا،و يفقر غنيّا،و يغنى فقيرا..

فقال الأمير:«فرّجت عنّى فرّج اللّه عنک»ثمّ أكرمه و أنعمه (۳) .

۳-الحركه الجوهريه

ص :۴۰۳

۱- ۱) -الغدير،ج ۸،ص ۳۰۱.

۲- ۲) -الكامل لابن الأثير،ج ۴،ص ۴۰.

۳- ۳) -تفسير القرطبى،ج ۹،ص ۶۳۳۷.

بعض المؤيـديّن للحركـه الجـوهريه يسـتدلّون لإثبـات مرادهم بالآيـات القرآنيه أو يعتبرونهـا إشـاره لمقصـودهم،و من ضـمن ما يستشهدون به الآيه الكريمه: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ .

التوضيح:يعتقد الفلاسفه القدماء أنّ للحركه أربع مقولات عرضيه هى:(أين، كيف،كم،وضع).

و بتعبير أوضـح أنّ حركه الجسم تكون بتغيير مكـانه و ذلـك بانتقـاله،و هـذه هى مقوله(الأـين)،أو بنموّه أو زياده كمّيته و هـذه مقـوله«الكم».أو تغيّر اللـون و الطعم و الرائحه(كشـجره التفـاح)و هـذا المقصـود من«الكيف»،أو أن يـدور فى مكـانه حول نفسـه كالحركه الوضعيه للأرض و هذا ما يراد به من«الوضع».

و قـد كان سائـدا أنّ الحركه غير ممكنه في جوهر و ذات الجسم أبـدا،لأنّه فى كلّ حركه يجب أن تكون ذات الجسم المتحرّك ثابته،إلّا أنّ عوارضه قد تتغيّر، فالحركه لا تتصوّر فى ذات الشىء و جوهره،بل فى اعراضه.

لكنّ الفلاسـفه المتأخرّين رفضوا هـذه النظريه و اعتقـدوا بالحركه الجوهريه، و قالوا:إنّ أساس الحركه هى الذات،الجوهر،و التى تظهر آثارها فى العوارض.

و أوّل شـخص طرح هذه النظريه بشـكل تفصيلى استدلالى هو المولى صدر الدين الشيرازى حيث قال:إنّ كلّ ذرّات الكائنات و عـالم المـادّه فى حركه دائبه، أو بتعبير آخر:إنّ مـادّه الأجسـام وجود سـيّال متغيّر الـذات دائمـا،و فى كـلّ لحظه له وجود جـديد يختلف عن الوجود السابق له،و لكون هـذه التغيّرات متّصـله مع بعضـها فإنّها تحسب شـيئا واحـدا،و بناء على هـذا فإنّ لنا فى كلّ لحظه وجودا جديـدا،إلّا أنّ هذه الوجودات متصـله و مسـتمره و لها صوره واحده،أو بتعبير آخر:إنّ الماده لها أربعه أبعاد(طول و عرض و عمق و أمّا البعد الآخر فهو ما نسمّيه(الزمان)و هذا الزمان ليس بشىء إلّا مقدار الحركه فى الجوهر)لاحظوا جيّدا.

و ممّا يجدر ذكره أنّ الحركه الجوهريه لا ترتبط بمسأله الحركه فى داخل

الذرّه لأنّها حركه وضعيه و عرضيه،أمّا الحركه فى الجوهر فلها مفهوم عميق جدّا تشمل الذات و الجوهر.

و العجيب هنا أنّ المتحرّك هو نفس الحركه.

و لإثبات هذا المقصود فإنّهم يستدلّون بدلائل عديده لا مجال لذكرها هنا،إلّا أنّه لا بأس بالإشاره إلى نتيجه هذا الرأى الفلسفى و هو أنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ إدراكنا لمسأله معرفه اللّه أوضح من أى زمان،لأنّ الخلق و الخلقه لم تكن فى بدايه الخلق فحسب،بل إنّها فى كلّ ساعه و كلّ لحظه،و إنّ اللّه سبحانه مستمر فى خلقه، و نحن مرتبطون به دائما و مستفيضون من فيض ذاته و هذا معنى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ .

و من الطبيعى أن لا مانع من أن يكون هذا المفهوم جزءا من المفهوم الواسع للآيه الكريمه.

ص :۴۰۵

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۳۱ الی ۳۶]

اشاره

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ اَلثَّقَلانِ (۳۱) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۲) يا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ إِنِ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ (۳۳) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۴) يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (۳۵) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۶)

التّفسير

اشاره

التحدّی المشروط:

النعم الإلهيّه التی استعرضتها الآيات السابقه كانت مرتبطه بهذا العالم،إلاّ أنّ الآيات مورد البحث تتحدّث عن أوضاع يوم القيامه،و خصوصيات المعاد،و فی الوقت الذی تحمل تهديدا للمجرمين،فإنّها وسيله لتربيه و توعيه و إيقاظ المؤمنين،بالإضافه إلی أنّها مشجّعه لهم للسير فی طريق مرضاته سبحانه،و من هنا فإنّنا نعتبرها نعمه.لذلك بعد ذكر كلّ واحده من هذه النعم يتكرّر نفس السؤال الذی كان يعقّب ذكر كلّ نعمه من النعم السابقه.

ص :۴۰۶

يقول سبحانه فى البدايه: سَنَفْرُغُ لَكَمْ أَيُّهَ الثَّقَلاٰنِ (۱) (۲) .

نعم،إنّ اللّه العالم القادر سيحاسب فى ذلک اليوم الإنس و الجنّ حسابا دقيقا على جميع أعمالهم و أقوالهم و نيّاتهم،و يعيّن لكلّ منهم الجزاء و العقاب.

و مع علمنا بأنّ اللّه سبحانه لا يشغله عمل عن عمل،و علمه محيط بالجميع فى آن واحد،و لا يشغله شىء عن شىء (و لا يشغله شأن عن شأن)و لكنّنا نواجه التعبير فى(سنفرغ)و التى تستعمل غالبا بالتوجّه الجادّ لعمل ما،و الانصراف الكلّى له،و هذا من شأن المخلوقات بحكم محدوديتها.

إلاّ أنّه استعمل هنا للّه سبحانه،تأكيدا على مسأله حساب اللّه تعالى لعباده بصوره لا يغادر فيها صغيره و لا كبيره إلاّ أحصاها،و لا يغفل عن مثقال ذرّه من أعمال الإنسان خيرا أو شرّا،و الأظرف من ذلک أنّ اللّه الكبير المتعال هو الذى يحاسب بنفسه عبده الصغير،و علينا أن نتصوّركم هى مرعبه و مخيفه تلک المحاسبه.

(الثقلان)من مادّه(ثقل)على وزن(كبر)بمعنى الحمل الثقيل و جاءت بمعنى الوزن أيضا،إلاّ أنّ(ثقل)على وزن(خبر)تقال عاده لمتاع و حمل المسافرين، و تطلق على جماعه الإنس و الجنّ و ذلک لثقلهم المعنوى،لأنّ اللّه تبارک و تعالى قد أعطاهم عقلا و شعورا و علما و وعيا له وزن و قيمه بالرغم من أنّ الثقل الجسدى لهم ملحوظ أيضا كما قال تعالى: وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا ، (۳) حيث ورد أنّ أحد معانيها هو خروج الناس من القبور فى يوم القيامه،إلاّ أنّ التعبير فى الآيه مورد البحث جاء باللحاظ المعنوى،خاصّه و أنّ الجنّ ليس لهم ثقل مادّى.

ص: ۴۰۷

۱- ۱) -يجب الالتفات إلى أنّ رسم الخطّ القديم فى القرآن المجيد كتبت(أيّها)فى موارد بصوره(أيّه)و التى هى فى الآيه مورد البحث و آيتين أخريين(النور آيه ۳۱،و الزخرف آيه ۴۹)فى الوقت الذى تكتب(أيّها)فى الحالات الاخرى بالألف الممدوده،و الملاحظ أنّها كانت على أساس قاعده رسم الخطّ القديم.

۲- ۲) -مع كون«الثقلين»تنبيه فالضمير فى لكم أتى جمعا و ذلک إشاره إلى مجموعتين.

۳- ۳) -الزلزله،۲.

التأكيد على هاتين الطائفتين بالخصوص لأنّ التكاليف الإلهيّه مختّصه بهما فى الغالب.

و بعد هذا يكرّر اللّه سبحانه سؤاله مرّه اخرى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و تعقيبا على الآيه السابقه التى كانت تستعرض الحساب الإلهى الدقيق، يخاطب الجنّ و الإنس مرّه اخرى بقوله: يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ للفرار من العقاب الإلهى فَانْفُذُوا لاٰ تَنْفُذُونَ إِلاّٰ بِسُلْطٰانٍ أى بقوّه إلهيه،فى حين أنّكم فاقدون لمثل هذه القوّه و القدره.

و بهذه الصوره فإنّكم لن تستطيعوا أن تفرّوا من محكمه العدل الإلهى،فحيثما تذهبون فهو ملكه و تحت قبضته و محلّ حكومته تعالى،و لا مناصّ لهذا المخلوق الصغير من الفرار من ميدان القدره الإلهيّه؟كما

قال الإمام على عليه السّلام فى دعاء كميل بن زياد المربى للروح: (و لا يمكن الفرار من حكومتك).

«معشر»فى الأصل من(عشر)مأخوذ من عدد«عشره»،و لأنّ العدد عشره عدد كامل،فإنّ مصطلح(معشر)يقال:للمجموعه المتكامله و التى تتكوّن من أصناف و طوائف مختلفه.

«أقطار»جمع(قطر)بمعنى أطراف الشىء.

«تنفذوا»من مادّه(نفوذ)،و هى فى الأصل بمعنى خرق و عبور من شىء، و التعبير(من أقطار)إشاره إلى شقّ السماوات و تجاوزها إلى خارجها.

و بالمناسبه فإنّ تقديم«الجنّ»هنا جاء لاستعدادهم الأنسب للعبور من السماوات، و قد ورد اختلاف بين المفسّرين على أنّ الآيه أعلاه هل تتحدّث عن القيامه،أو أنّ حديثها عن عالم الدنيا،أو كليهما؟ و لأنّ الآيات السابقه و اللاحقه تتحدّث عن وقائع العالم الآخر،فإنّ المتبادر إلى الذهن أنّ الآيه تتحدّث عن الهروب و الفرار من يد العداله الإلهيه الذى يفكّر به

العاصون فى ذلک اليوم.

إلاّ أنّ البعض بلحاظ جمله: لاٰ تَنْفُذُونَ إِلاّٰ بِسُلْطٰانٍ اعتبرها إشاره إلى الرحلات الفضائيه للإنسانيه،و قد ذكر القرآن شروطها من القدره العلميه و الصناعيه.

و يحتمل أيضا أن يكون المقصود منها هو عالم الدنيا و عالم القيامه،يعنى أنّكم لن تتمكّنوا من النفوذ بدون قدره اللّه فى أقطار السماوات ليس فى هذه الدنيا فحسب،بل فى عالم الآخره أيضا،حيث وضعت فى الدنيا وسيله محدوده لاختباركم،أمّا فى الآخره فلا توجد أيّه وسيله لكم.

و فسّرها البعض تفسيرا رابعا حيث قالوا:إنّ المقصود بالنفوذ هو النفوذ الفكرى و العلمى فى أقطار السماوات،الذى يمكن للبشر إنجازه بواسطه القدره الاستدلاليه.

إلاّ أنّ التّفسير الأوّل مناسب أكثر،خاصّه و أنّ بعض الأخبار التى نقلت من المصادر الإسلاميه تؤيّده،و من جملتها حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث يقول:

«إذا كان يوم القيامه جمع اللّه العباد فى صعيد واحد،و ذلک أن يوحى إلى السماء الدنيا أن اهبطى بمن فيک،فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجنّ و الإنس و الملائكه،ثمّ يهبط أهل السماء الثانيه بمثل الجميع مرتين،فلا يزالون كذلک حتّى يهبط أهل سبع سماوات فتصير الجنّ و الإنس فى سبع سرادقات من الملائكه ثمّ ينادى مناد، يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لاٰ تَنْفُذُونَ إِلاّٰ بِسُلْطٰانٍ فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبع أطواق من الملائكه» (1) .

1- 1) -تفسير الصافى ص 517 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 205.

كما أنّ الجمع بين التفاسير ممكن أيضا.

و يخاطب سبحانه هاتين المجموعتين«الجنّ و الإنس»بقوله: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و التهديد هنا لطف إلهى أيضا،فالبرغم من أنّه يحمل تهديدا ظاهريا،إلاّ أنّه عامل للتنبيه و الإصلاح و التربيه،حيث أنّ وجود المحاسبه فى كلّ نظام هو نعمه كبيره.

و ما ورد فى الآيه اللاحقه تأكيد لما تقدّم ذكره فى الآيات السابقه،و الذى يتعلّق بعدم قدره الجنّ و الإنس من الفرار من يد العداله الإلهيّه حيث يقول سبحانه: يُرْسَلُ عَلَيْكُمٰا شُوٰاظٌ مِنْ نٰارٍ وَ نُحٰاسٌ فَلاٰ تَنْتَصِرٰانِ .

«شواظ»كما ذكر الراغب فى المفردات،و ابن منظور فى لسان العرب،و كثير من المفسّرين أنّه بمعنى(الشعله العديمه الدخان)و فسّرها آخرون بأنّها(ألسنه النار)التى تقتطع من النار نفسها حسب الظاهر،و تكون خضراء اللون.و على كلّ حال فإنّ هذا التعبير يشير إلى شدّه حراره النار.

و«نحاس»بمعنى الدخان أو(الشعل ذات اللون الأحمر مصحوبه بالدخان) و التى تكون بلون النحاس،و فسّرها البعض بأنّها(النحاس المذاب)و هى لا تتناسب فى الظاهر مع ما ورد فى الآيه مورد البحث،لأنّها تتحدّث عن موجود يحيط بالإنسان فى يوم القيامه و يمنعه من الفرار من حكومه العدل الإلهى.

و كم هى عجيبه(محكمه القيامه)حين يحاط الإنسان إحاطه تامّه بالملائكه و النار الحارقه و الدخان القاتل،و لا مناص إلاّ التسليم لحكم الواحد الأحد فى ذلك اليوم الرهيب.

ثمّ يضيف سبحانه قوله: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و الكلام هنا عن النعم و الآلاء من أجل ما ذكرنا من اللطف فى الآيه السابقه.

ص:۴۱۰

الآیات [سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۳۷ الی ۴۵]

اشاره

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمٰاءُ فَکٰانَتْ وَرْدَهً کَالدِّهٰانِ (۳۷) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۸) فَیَوْمَئِذٍ لاٰ یُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ (۳۹) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۰) یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیمٰاهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِی وَ الْأَقْدٰامِ (۴۱) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۲) هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی یُکَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (۴۳) یَطُوفُونَ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَ حَمِیمٍ آنٍ (۴۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۵)

التّفسیر

اشاره

یعرف المجرمون بسیماهم:

تکمله للآیات السابقه یتحدّث القرآن الکریم عن بعض مشاهد یوم القیامه، و الآیات أعلاه تذکر خصوصیات من مشاهد ذلک الیوم الموعود،و عن کیفیه الحساب و الجزاء و العقاب،یقول سبحانه فی بدایه الحدیث: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمٰاءُ

ص: ۴۱۱

فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ

(۱)

.

و يستفاد من مجموع آيات«القيامه»بصوره واضحه أنّ النظام الحالى للعالم سوف يتغيّر و يضطرب و تقع حوادث مرعبه جدّا فى كلّ الوجود،فتتغيّر الكواكب و السيّارات و الأرض و السماء،و تحصل تغيّرات يصعب تصورها،و من جملتها ما ذكر فى الآيه أعلاه،و هى انشقاق و تناثر الكرات السماويه، حيث يصبح لونها أحمر بصوره مذابه كالدهن.

(ورده)و(ورد)هو الورد المتعارف،و لأنّ لون الورد فى الغالب يكون أحمر، فإنّ معنى الاحمرار يتداعى للذهن منها.

و يأتى هذا المصطلح أيضا بمعنى«الخيل الحمر»،و بما أنّ لونها يتغيّر فى فصول السنه حين يكون فى الربيع مائلا إلى الصفره،و فى الشتاء يحمّر،و يقتم لونها فى البرد الشديد،فتشبيه السماء يوم القيامه بها هو بلحاظ التغيّرات التى تحصل فى ألوانها فتاره يكون لونها كالشعله الوهاجه أحمر حارقا،و أحيانا أصفر، و اخرى أسود قاتم و معتم.

«دهان»على وزن(كتاب)،بمعنى الدهن المذاب،و تطلق أحيانا على الرسوبات المتخلّفه للمادّه الدهنيه،و غالبا ما تكون لها ألوان متعدّده،و من هنا ورد هذا التشبيه حيث يصبح لون السماء كالدهن المذاب بلون الورد الأحمر،أو إشاره إلى ذوبان الكرات السماويه أو اختلاف لونها.

و فسّر البعض«الدهان»بمعنى الجلد أو اللون الأحمر،و على كلّ حال فإنّ هذه التشبيهات تجسّد لنا صوره من مشهد ذلك اليوم العظيم.حيث أنّ حقيقه الحوادث فى ذلك اليوم ليس لها شبيه مع أيّه حوادث اخرى من حوادث عالمنا

۱- ۱) -توجد احتمالات متعدّده فى أنّ(إذا)فى الآيه هل هى شرطيه،أم فجائيه،أم ظرفيه،و الظاهر أنّ الاحتمال الأوّل هو الأولى،و جزاء الشرط محذوف و يمكن تقديره هكذا:(فإذا انشقّت السماء فكانت ورده كالدهان،كانت أهوال لا يطيقها البيان).

هذا.فهذه المشاهد لا نستطيع إدراكها إلّا إذا رأيناها.

و لأنّ الإخبار بوقوع هذه الحوادث المرعبه في يوم القيامه-أو قبلها-تنبيه و إنذار للمؤمنين و المجرمين على السواء،و لطف من ألطاف اللّه سبحانه،يتكرّر هذا السؤال: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و فى الآيه اللاحقه ينتقل الحديث من الحوادث الكونيه ليوم القيامه إلى حاله الإنسان المذنب فى ذلك اليوم، حيث يقول سبحانه: فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ .

و لماذا هذا السؤال و كلّ شيء واضح فى ذلك اليوم،فهو يوم البروز،و كلّ شيء يقرأ فى وجه الإنسان.

قد يتوهّم أنّ المعنى الوارد فى هذه الآيه يتنافى مع الآيات الاخرى التى تصرّح و تؤكّد مسأله سؤال اللّه تعالى لعباده فى يوم القيامه،كما ورد فى الآيه:

وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ، (۱) و كما فى قوله تعالى: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ . (۲)

و يحلّ هذا الإشكال إذا علمنا أنّ يوم القيامه يوم طويل جدّا،و على الإنسان أن يجتاز محطّات و مواقف متعدّده فيه،حيث لا بدّ من التوقّف فى كلّ محطّه مدّه زمنيه،و طبقا لبعض الرّوايات فإنّ عدد هذه المواقف خمسون موقفا،و فى بعضها لا يسأل الإنسان إطلاقا،إذ أنّ سيماء وجهه تحكى عمّا فى داخله،كما ستبيّنه الآيات اللاحقه.

كما أنّ بعض المواقف الاخرى لا يسمح له بالكلام،حيث تشهد عليه أعضاء بدنه قال تعالى: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوٰاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنٰا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ .

۱- ۱) -الصافات،۲۴.

۲- ۲) -الحجر،۹۲-۹۳.

(۱)

کما أنّ فی بعض المحطّات یسأل الإنسان و بدقّه متناهیه عن کافّه أعماله (۲) .

و فی بعض المواقف یسلک الإنسان سبیل الجدل و الدفاع و المخاصمه (۳) .

و خلاصه القول: إنّ کلّ محطّه لها شروطها و خصوصیاتها،و کلّ واحده منها أشدّ رعبا من الاخری.

و مرّه اخری یخاطب سبحانه عباده حیث یقول: فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ .

نعم إنّه لا یسأل حیث یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیمٰاهُمْ (۴) فهناک وجوه تطفح بالبشر و النور و تعبّر عن الإیمان و صالح الأعمال،و اخری مسودّه قاتمه مکفهّره غبراء تحکی قصّه کفرهم و عصیانهم قال تعالی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ مُسْفِرَهٌ ضٰاحِکَهٌ مُسْتَبْشِرَهٌ وَ وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ عَلَیْهٰا غَبَرَهٌ تَرْهَقُهٰا قَتَرَهٌ . (۵)

ثمّ یضیف سبحانه: فَیُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِی وَ الْأَقْدٰامِ .

«النواصی»:جمع ناصیه و کما یقول الراغب فی المفردات أنّ الأصل بمعنى الشعر بمقدّمه الرأس من مادّه(نصأ)علی وزن(نصر)و تعنی الاتّصال و الارتباط، «و أخذ بناصیته»بمعنى أخذه من شعره الذی فی مقدّمه رأسه،کما تأتی أحیانا کنایه عن الغلبه الکامله علی الشیء.

أقدام:جمع«قدم»بمعنى الأرجل.

و المعنى الحقیقی للآیه المبارکه هو أنّ الملائکه تأخذ المجرمین فی یوم القیامه من نواصیهم و أرجلهم،و یرفعونهم من الأرض بمنتهى الذلّه و یلقونهم فی

ص:۴۱۴

۱- ۱) -سوره یس،۶۵.

۲- ۲) -کما ورد فی الآیه موضع البحث و الآیتین المشار لهما أعلاه.

۳- ۳) -کما ورد فی الآیه فی سوره النحل الآیه(۱۱۱).

۴- ۴) -(سیما)فی الأصل بمعنى العلامه،و تشمل کلّ علامه فی الوجه و سائر مواضع البدن،و لأنّ علامه الرضا و الغضب تبدو فی الوجه أوّلا،فإنّه یتداعى ذکر الوجه فی ذکر هذه المفردات.

۵- ۵) -عبس.۳۹-۴۱.

جهنّم،أو أنّه كنايه عن منتهى ضعف المجرمين و عجزهم أمام ملائكه الرحمن، حيث يقذفونهم فی نار جهنّم بذلّه تامّه،فما أشدّ هذا المشهد و ما أرعبه!! و مرّه اخرى يضيف سبحانه: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ لأنّ التذكير بيوم القيامه هو لطف منه تعالى.

ثمّ يقول سبحانه: هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ .

و ذكر المفسّرون تفاسير مختلفه حول المخاطبين المقصودين فی هذه الآيه الكريمه،و هل هم حضّار المحشر؟أو أنّ المخاطب هو شخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فحسب،و قد ذكر له هذا المعنى فی الدنيا؟و المرجّح فی رأينا هو المعنى الثانی خاصّه،لأنّ الفعل(يكذّب)جاء بصيغه المضارع.و أستفيد من(المجرمون)ما يحمل على الغائب،و هذا يوضّح أنّ اللّه تعالى قال لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:هذه أوصاف جهنّم التی ينكرها المجرمون باستمرار فی هذه الدنيا.و قيل:إنّ المخاطب هو جميع الجنّ و الإنس حيث يوجّه لهم إنذار يقول لهم فيه:هذه جهنّم التی ينكرها المجرمون،لها مثل هذه الأوصاف التی تسمعونها،لذلك يجب أن تنتبهوا و تحذروا أن يكون مصيركم هذا المصير.

و يضيف سبحانه فی وصف جهنّم و عذابها المؤلم الشديد حيث يقول:

يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ

.

«آن»و«آنی»هنا بمعنى الماء المغلی و فی منتهى الحراره و الإحراق،و فی الأصل من مادّه(إنّا)على وزن(رضا)بمعنى الوقت لأنّ الماء الحارق وصل إلى وقت و مرحله نهائيه.

و بهذه الحاله فإنّ المجرمين يحترقون وسط هذا اللهيب الحارق لنار جهنّم، و يظمأون و يستغيثون للحصول على ماء يروی ظمأهم،حيث يعطى لهم ماء مغلی (أو يصبّ عليهم)ممّا يزيد و يضاعف عذابهم المؤلم.

و يستفاد من بعض الآيات القرآنيه أنّ(عين حميم)الحارقه تكون بجنب

جهنّم،و يلقى فيها من يستحقّ عذابها ثمّ فى النار يسجرون،قال تعالى: يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّٰارِ يُسْجَرُونَ . (۱)

و التعبير ب يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فى الآيه مورد البحث،يتناسب أيضا مع هذا المعنى.

و مرّه اخرى بعد هذا التنبيه و التحذير الشديد الموقظ،الذى هو لطف من اللّه يقول البارئ عزّ و جلّ: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ

ص :۴۱۶

۱- ۱) -المؤمن،۷۱-۷۲.

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۴۶ الی ۵۵]

اشاره

وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ (۴۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۷) ذَوٰاتٰا أَفْنٰانٍ (۴۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۹) فِيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ (۵۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۱) فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ زَوْجٰانِ (۵۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۳) مُتَّكِئِينَ عَلىٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى اَلْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ (۵۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۵)

التّفسير

اشاره

الجنّتان اللتان أعدتا للخائفين:

يترك القرآن الكريم وصفه لأهل النار و حالاتهم البائسه لينقلنا إلى صفحه جديده من صفحات يوم القيامه،و يحدّثنا فيها عن الجنّه و أهلها،و ما أعدّ لهم من النعم فيها،و التى يصوّرها سبحانه بشكل مشوّق و مثير ينفذ إلى أعماق القلوب فى عمليه مقارنه لما عليه العاصون من عذاب شديد يحيط بهم و التى تحدّثت عنها الآيات السابقه،و ما ينتظر المؤمنين من جنّات و عيون و قصور و حور فى الآيات

ص: ۴۱۷

أعلاه،يقول سبحانه: وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ .

«الخوف»من مقام اللّه،جاء بمعنى الخوف من مواقف يوم القيامه و الحضور أمام اللّه للحساب،أو أنّها بمعنى الخوف من المقام العلمى للّه و مراقبته المستمرّه لكلّ البشر (۱) .

و التّفسير الثّانى يتناسب مع ما ذكر فى الآيه(۳۳)من سوره الرعد: أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ .

و نقرأ

فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام فى تفسيره لهذه الآيه أنّه قال: «و من علم أنّ اللّه يراه و يسمع ما يقول،و يعلم ما يعلمه من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال،فذلك الذى خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى» (۲) .

و يوجد هنا تفسير ثالث.هو أنّ الخوف من اللّه تعالى لا يكون بسبب نار جهنّم،و الطمع فى نعيم الجنّه،بل هو الخوف من مقام اللّه و جلاله فقط.

و هنالك تفسير رابع أيضا،و هو أنّ المقصود من(مقام اللّه)هو الخوف من مقام عدالته،لأنّ ذاته المقدّسه لا تستلزم الخوف،إنّما هو الخوف من عدالته،الذى مردّه هو خوف الإنسان من أعماله،و الإنسان المنزّه لا يخشى الحساب.

و من المعروف أنّ المجرمين إذا مرّوا بالمحكمه أو السجن ينتابهم شيء من الخوف بسبب جناياتهم على عكس الأبرار حيث يتعاملون بصوره طبيعيّه مع الأماكن المختلفه.

و للخوف من اللّه أسباب مختلفه،فأحيانا يكون بسبب قبح الأعمال و انحراف الأفكار،و اخرى بسبب القرب من الذات الإلهيّه حيث الشعور بالخوف و القلق من الغفله و التقصير فى مجال طاعه اللّه،و أحيانا اخرى لمجرّد تصوّرهم لعظمه اللّه

۱- ۱) -فى الصوره الاولى يكون المقام اسم مكان،و فى الثانيه يكون مصدرا(ميميّا).

۲- ۲) -اصول الكافى طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۹۷ حيث يستفاد من ذيل الحديث أنّ الإمام عليه السّلام ذكر هذا فى تفسير الآيه وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ سوره النازعات ۴۰/ بالرغم من كون محتوى الآيتين واحد

اللامتناهيه و ذاته اللامحدوده فينتابهم الشعور بالخوف و الضعه أمام قدسيته العظيمه..و هذا النوع من الخوف يحصل من غايه المعرفه للّه سبحانه،و يكون خاصا بالعارفين و المخلصين لحضرته.

و لا تضادّ بين هذه التفاسير فيمكن جمعها فى مفهوم الآيه.

و أمّا(جنّتان)فيمكن أن تكون الاولى مادّيه جسميه،و الثانيه معنويه روحيه، كما فى قوله تعالى: لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ . (١)

ففى هذه الآيه مضافا إلى الجنّه المادّيه حيث الأنهار تجرى من تحت الأشجار و المطهّرات من الزوجات،هناك جنّه معنويه أيضا حيث الحديث عن رضوان اللّه تعالى.

أو أنّ الجنّه الاولى جزاء أعمالهم،و الجنّه الثانيه تفضل على العباد و زياده فى الخير لهم،يقول سبحانه: لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . (٢)

أو أنّ هناك جنّه للطاعه و اخرى لترك المعصيه.

أو أنّ أحدهما للإيمان،و الثانيه للأعمال الصالحه.

أو لأنّ المخاطبين من الجنّ و الإنس،لذا فإنّ كلّ واحده من هاتين الجنّتين تتعلّق بطائفه منهما.

و من الطبيعى أن لا دليل على كلّ واحد من هذه التفاسير،و يمكن جمعها فى مفهوم هذه الآيه،إلاّ أنّ من الطبيعى أنّ اللّه تعالى هيّأ لعباده الصالحين نعما عديده لهم فى الجنّه حيث مستقرّهم،و لأهل النار(مياه حارقه و سعير لا يطاق).

و مرّه اخرى:و بعد ذكر هذه النعم العظيمه يخاطب الجميع بقوله: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ .

۱- ۱) -آل عمران،۱۵.

۲- ۲) -النور،۳۸.

ثمّ يضيف سبحانه فی وصفه لهاتين الجنّتين بقوله: ذَوٰاتٰا أَفْنٰانٍ .

«ذواتا»تثنيه(ذات)بمعنی صاحب و مالک (۱) .

«أفنان»جمع(فنن)علی وزن(قلم)و الکلمه فی الأصل بمعنی الغصون الطريّه المملوءه من الأوراق،کما تأتی أحيانا بمعنی«النوع».و يمکن أن يستعمل المعنيان فی الآيه مورد البحث،حيث فی الصوره الاولی إشاره إلی الأغصان الطريه لأشجار الجنّه،علی عکس أشجار الدنيا حيث غصونها هرمه و يابسه.

کما يشير فی الصوره الثانيه إلی تنوّع نعم الجنّه و أنواع الهبات فيها، لذا فلا مانع من استعمال المعنيين.

کما يحتمل أن يراد معنی آخر و هو أنّ لکلّ شجره عدّه غصون مختلفه و فی کلّ غصن نوع من الفاکهه.

و بعد ذکر هذه النعم يکرّر سبحانه السؤال مرّه اخری فيقول: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ .

و لأنّ البساتين النضره و الأشجار الزاهيه ينبغی أن تکون لها عيون،أضاف سبحانه فی وصفه لهذه الجنّه بقوله: فِيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ .

ثمّ يطرح مقابل هذه النعمه الإضافيه قوله: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ .

و بالرغم من أنّ الآيه أعلاه لم توضّح لنا شيئا عن طبيعه هاتين العينين الجاريتين و عبّرت عنها بصيغه نکره،فإنّ هذه الموارد عاده تکون دليلا علی العظمه الإلهيّه،و قد ذکر بعض المفسّرين أنّ المقصود بهاتين العينين هما «سلسبيل»و تسنيم»قال تعالی: عَيْناً فِيهٰا تُسَمّٰی سَلْسَبِيلاً ، (۲) و قال تعالی:

۱- ۱) -يعتقد البعض أنّ أصل ذات و التی هی مفرد مؤنث کانت ذوات،و الواو حذفت للتخفيف و أصبحت ذات و لکون التثنيه ترجع الکلمه إلی أصلها،لذا أصبحت(ذواتان)و قد حذفت النون عند الإضافه،و جاء فی مجمع البحرين أنّ أصل(ذو)هو (ذوا)علی وزن(عصا)و لذلک فلا عجب أنّ مؤنثها يصبح(ذوات).

۲- ۲) -الإنسان،۱۸.

وَ مِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . (۱)

و قيل أيضا أنّ هاتين العينين هما،الاولى:«الشراب الطهور»،و الثانيه:

«العسل المصفّى»و قد جاءتا كليهما فى سوره محمّد،الآيه ۱۵.

و إذا فسّرنا ال«جنّتان»فى الآيات السابقه ب(الجنّتين المعنويه و الماديه)فإنّ (العينين)يمكن أن تكونا عين معنويه و هى(عين المعرفه)و عين ماديّه(عيون الماء الزلال أو الحليب أو العسل أو الشراب الطهور)و لكن لا يوجد دليل خاصّ لأىّ من هذه التفاسير.

و فى الآيه اللاحقه ينتقل البحث إلى فاكهه هاتين الجنّتين حيث يقول سبحانه:

فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَهٍ زَوْجٰانِ

قسم يشاهد مثيله فى الدنيا،و الآخر لا نظير له فى هذا العالم أبدا.كما فسّرها البعض أنّهما نوعان من الفاكهه صيفى و شتوى،أو يابس و طرى،أو صغير و كبير،إلاّ أنّه لا يوجد دليل واضح على أى من هذه الآراء.

إلاّ أنّ من المسلّم به،أنّ الفاكهه الموجوده فى الجنّه متنوّعه و مختلفه تماما عن فواكه الدنيا و لا يقاس طعم فواكه الجنّه بطعم فواكه الدنيا و مذاقها.

ثمّ يضيف سبحانه قوله: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

لقد طرحت فى الآيات السابقه ثلاث صفات لهاتين الجنّتين،و تستعرض الآيه الكريمه التاليه الصفه الرابعه حيث يقول تعالى: مُتَّكِئِينَ عَلىٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ (۲) .

و فى الغالب أنّ الإنسان عند ما يتكئ يكون فى جوّ هادئ و فى أمان تامّ، و هذا التعبير يدلّل على الهدوء الكامل و الاستقرار التامّ لدى أهل الجنّه.

«فرش»على وزن«حجب»،جمع فراش،و هو الفراش الذى يبسط.

و«بطائن»جمع بطانه،و هى القماش الداخلى للفرش.

۱- ۱) -المطففون،۲۷

۲- ۲) -متكئين حال لأهل الجنّه الذين ذكروا فى الآيات السابقه بعنوان أنّهم وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ .

و«إستبرق»بمعنى الحرير السميک.

و الشيء الظريف هنا أنّ أثمن قماش يتصوّر في هذه الدنيا يكون بطانه لتلك الفرش،إشاره إلى أنّ القسم الظاهر لا يمكننا و صفه من حيث الجمال و الجاذبيه.

حيث أنّ البطانه غالبا ما تستعمل من القماش الرديء قياسا للوجه الظاهري، و على هذا فإنّنا نلاحظ أنّ أراد نوع من القماش في ذلک العالم يعتبر من أثمن و أرقى أنواع القماش في الدنيا،فکيف الحال بالثمين من متاع الجنّه؟ و من المسلّم أنّ الهبات الإلهيه في عالم الآخره لا نستطيع وصفها بالألفاظ، و لا حتّى تصوّرها،إلاّ أنّ الآيات الكريمه تعكس لنا شبحا و ظلالا عنها من خلال ألفاظها المعبّره.

و نقرأ أيضا في وصف المتع لأهل الجنّه حيث يحدّثنا القرآن عنهم بأنّهم يتکئون على«الأرائک»-التخت الذي له متّكأ- و«السرير»هو-التخت الذي ليس له متكأ-و الاتّكاء هنا على فرش،و علينا عندئذ أن نتصوّركم هي اللذات المتنوّعه في الجنّه،حيث تاره يتكأ على الأرائک و اخرى على السرر المفروشه بهذه الأفرشه الثمينه،و قد تكون امور اخرى من هذه النعم لا نستطيع إدراكها نحن سكّان هذا العالم.

و أخيرا،و في خامس نعمه يشير سبحانه إلى كيفيه هذه النعم العظيمه حيث يقول: وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ .

نعم لا توجد صعوبه في قطف ثمار الجنّه كالصعوبه التي نواجهها في عالمنا هذا.

(جنى)على وزن(بقى)و تعني الفاكهه التي نضج قطفها.(دان)في الأصل (داني)بمعنى قريب.

و مرّه اخرى يخاطب الجميع سبحانه بقوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۵۶ الى ۶۱]

اشاره

فِيهِنَّ قٰاصِرٰاتُ اَلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۵۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۷) كَأَنَّهُنَّ اَلْيٰاقُوتُ وَ اَلْمَرْجٰانُ (۵۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۹) هَلْ جَزٰاءُ اَلْإِحْسٰانِ إِلاَّ اَلْإِحْسٰانُ (۶۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۱)

التّفسير

اشاره

الجنّه و الزوجات الحسان:

فى الآيات السابقه ذكرت خمسه أقسام من هبات و خصوصيات الجنّتين، و هنا نتطرّق لذكر النعمه السادسه و هى الزوجات الطاهرات،حيث يقول سبحانه:

فِيهِنَّ قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ

(۱)

قد قصرن نظرهنّ على أزواجهنّ،و ليس لهنّ معشوق سواهم.ثمّ يضيف تعالى: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۲) .

ص :۴۲۳

۱- ۱) -إنّ ضمير الجمع فى(فيهنّ)يمكن أن يرجع إلى قصور الجنّه أو الحدائق المختلفه لتلك«الجنّتين»أو«نعمها و هباتها».

۲- ۲) - لَمْ يَطْمِثْهُنَّ من مادّه(طمث)،فى الأصل بمعنى دم الدوره الشهريه،و جاءت بمعنى زوال البكاره،و المراد هنا أنّ النساء الباكرات فى الجنّه لم يكنّ لهنّ أزواج قطّ.

و بناء على هذا فإنّهن بواكر و لم يمسهنّ أحد..طاهرات من كلّ الجوانب.

نقل عن(أبى ذرّ)أنّ(زوجه الجنّه تقول لزوجها..أقسم بعزّه ربّى إنّى لم أجد شيئا أفضل منك فى الجنّه،فالشكر للّه وحده،الذى جعلنى زوجه لك و جعلك زوجا لى) (۱) .

«طرف»على وزن(حرف)بمعنى جانب العين،و بما أنّ الإنسان عند ما يريد النظر يحرّك أجفانه،لذا فقد استعمل هذا اللفظ كنايه عن النظر،و بناء على هذا فإنّ التعبير بقاصرات الطرف إشاره إلى النساء اللواتى يقصرن نظراتهنّ على أزواجهنّ.و يعنى أنّهنّ يكننّ الحبّ و الودّ لأزواجهنّ فقط،و هذه هى إحدى ميزات الزوجه التى لا تفكّر بغير زوجها و لا تضمر لسواه الودّ.

و فى التعقيب على نعمه الجنّه هذه يكرّر قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

ثمّ يتطرّق إلى المزيد من وصف الزوجات الموجودات فى الجنّه حيث يقول:

كَأَنَّهُنَّ الْيٰاقُوتُ وَ الْمَرْجٰانُ

حيث تكون بشرتهنّ باحمرار وصفاء و لمعان الياقوت و بياض و جمال غصون المرجان،و عند ما يختلط هذان الوصفان (الأبيض و الأحمر الشفّاف)فإنّه يمنحهنّ روعه الجمال التى لا مثيل لها.

الياقوت:حجر معدنى و يكون غالبا أحمر اللون.

و المرجان:هو حيوان بحرى يشبه أغصان الشجر،يكون أبيض اللون أحيانا و اخرى أحمر و ألوان اخرى،و الظاهر أنّ المقصود به هنا هو النوع الأبيض (۲) .

و مرّه اخرى،و بعد ذكر هذه النعمه يقول سبحانه: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و فى نهايه هذا البحث يقول عزّ و جلّ: هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ (۳) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۲۰۸.

۲- ۲) -بيّنا شرحا تفصيليا حول المرجان فى نهايه الآيه(۲۲)من هذه السوره.

۳- ۳) -ورد السؤال«هل»هنا بصيغه الاستفهام الاستنكارى،و فى الحقيقه أنّ هذه الآيه هى نتيجه للآيات السابقه و التى

و هل ينتظر أن يجازى من عمل عملا صالحا فى الدنيا بغير الإحسان الإلهى؟ و بالرغم من أنّ بعض الرّوايات الإسلاميه فسّرت«الإحسان»فى هذه الآيه بالتوحيد فقط،أو التوحيد و المعرفه،أو الإسلام،إلاّ أنّ الظاهر أنّ كلّ واحد فى هذه التفاسير هو مصداق لهذا المفهوم الواسع الذى يشمل كلّ إحسان فى العقيده و القول و العمل.

جاء فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «آيه فى كتاب اللّه مسجّله.قلت:

و ما هى؟قال:قول اللّه عزّ و جلّ: هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ جرت فى الكافر و المؤمن و البرّ و الفاجر،من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به،و ليس المكافأه أن تصنع كم صنع حتّى تربى،فإنّ صنعت كما صنع كان له الفضل فى الابتداء» (۱) .

و بناء على هذا فالجزاء الإلهى فى يوم القيامه يكون أكثر من عمل الإنسان فى هذه الدنيا.و ذلك تماشيا مع الاستدلال المذكور فى الحديث أعلاه.

يقول الراغب فى المفردات:الإحسان فوق العدل،و ذاك أنّ العدل هو أن يعطى ما عليه،و يأخذ ماله،و الإحسان أن يعطى أكثر ممّا عليه و يأخذ أقلّ ممّا له فالإحسان زائد على العدل..

و يتكرّر قوله سبحانه مرّه اخرى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و ذلك لأنّ جزاء الإحسان بالإحسان نعمه كبيره من قبل اللّه تعالى،حيث يؤكّد سبحانه أنّ جزاءه مقابل أعمال عباده مناسب لكرمه و لطفه و ليس لأعمالهم، مضافا إلى أنّ طاعاتهم و عباداتهم إنّما هى بتوفيق اللّه و لطفه،و بركاتها تعود عليهم.

۳)

تحدثت عن ستّ نعم من نعم الجنّه.

ص: ۴۲۵

۱- ۱) -تفسير العياشى طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۹۹،تفسير مجمع البيان،ج ۹،ص ۲۰۸.

بحث

اشاره

جزاء الإحسان:

مـا قرأنـاه فى الآـيه الكريمه: هَـلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰـانِ إِلاَّـ الْإِحْسٰانُ هو قانون عام فى منطق القرآن الكريم،حيث يشـمل اللّه سـبحانه و الخلق و كافّه العباد، و المسـلمون جميعا يعلمون بعموميه هذا القانون و عليهم مقابله كلّ خير بزياده،كما ذكر الإمام الصادق عليه السّـلام فى حـديثه أعلاه حيث يفترض أن يكون التعويض أفضل من العمل المنجز(المقـدّم)و ليس مساويا له،و إلاّ فإنّ المبتـدئ بالإحسان هو صاحب الفضل.

و حول أعمالنا فى حضره البارئ عزّ و جلّ فإنّ المسأله تأخذ بعدا آخر،حيث أنّ أحد الطرفين هو اللّه العظيم الكريم الذى شملت رحمته و ألطافه كلّ عالم الوجود،و إنّ عطاءه و كرمه يليق بـذاته و ليس على مسـتوى أعمال عباده،و بناء على هـذا فلا عجب أن نقرأ فى تأريـخ الأمم بصوره متكرّره أنّ أشـخاصا قـد شـملتهم العنايه الإلهيّه الكبيره بالرغم من إنجازهم لأعمال صـغيره،و ذلك لخلوص نيّاتهم و من ذلك القصّه التاليه:

نقـل بعض المفسّـرين أنّ شـخصا مسـلما شاهـد امرأه كـافره تنـثر الحـبّ للطيـور فى الشـتاء فقـال لهـا: لاـ يقبـل هـذا العمـل من أمثالك،فأجابته:إنّى أعمل هـذا سواء قبل أم لم يقبل،و لم يمض وقت طويل حتّى رأى الرجل هذه المرأه فى حرم الكعبه.فقالت له:يا هذا،إنّ اللّه تفضّل علىّ بنعمه الإسلام ببركه تلك الحبوب القليله (۱) .

۱- ۱) -روح البيان،ج ۹،ص ۳۱۰.

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۶۲ الی ۶۹]

اشاره

وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ (۶۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۳) مُدْهٰامَّتٰانِ (۶۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۵) فِيهِمٰا عَيْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ (۶۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۷) فِيهِمٰا فٰاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ (۶۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۹)

التّفسير

اشاره

جنّتان بأوصاف عجيبه:

بعد بيان صفات جنّتی الخائفين و خصوصياتهما المتميّزه،و استمرارا للبحث ينتقل الحديث فی الآيات التاليه عن جنّتين بمرتبه أدنی من السابقتين يكونان لأشخاص أقلّ خوفا و إيمانا باللّه تعالی من الفئه الاولی،حيث إنّ هدف العرض هو بيان سلسله درجات و مراتب للجنان تتناسب مع الإيمان و العمل الصالح للأفراد.

يقول سبحانه فی البدايه: وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ .

ذكر تفسير أنّ لهذه الآيه الأوّل:أحدهما ما بيّناه أعلاه.

و التّفسير الآخر هو أنّه توجد جنّتان أخريان غير تلكما الجنّتين لهؤلاء

ص :۴۲۷

الأشخاص أنفسهم حيث يتجوّلون و يتنقّلون بين حدائق هذه الجنان،لأنّ طبع الإنسان ميّال للتنوّع و التبدّل.

و بالنظر إلى لحن هذه الآيات و الرّوايات التى وردت فى تفسيرها فانّ التّفسير الأوّل هو الأنسب.

و نقرأ

حديثا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير هذه الآيه أنّه قال: «و جنّتان من فضّه آنيتهما و ما فيهما،جنّتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما»(أنّ التعبير بالذهب و الفضّه يمكن أن يكون كنايه عن اختلاف مرتبه و درجه كلّ من الجنّتين) (۱) .

و نقرأ

فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه قال: «لا تقولنّ الجنّه الواحده،إنّ اللّه تعالى يقول:«و من دونهما جنّتان»،و لا تقولنّ درجه واحده، إنّ للّه تعالى يقول«درجات بعضها فوق بعض»إنّما تفاضل القوم بالأعمال» (۲) .

و فى نفس الموضوع

ورد حديث للرسول محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «جنّتان من ذهب للمقرّبين،و جنّتان من ورق لأصحاب اليمين» (۳) أى من فضّه.

ثمّ يضيف سبحانه: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

ثمّ ذكر القرآن الخصوصيات الخمس لهاتين الجنّتين التى تشبه-إلى حدّ ما- ما ذكر حول الجنّتين السابقتين،كما أنّهما تختلفان فى بعض الخصوصيات الاخرى حيث يقول سبحانه: مُدْهٰامَّتٰانِ .

«مدهامتان»:من مادّه(أدهيمام)و من أصل(دهمه)على وزن(تهمه)و معناها فى الأصل السواد و ظلمه الليل،ثمّ أطلقت على الخضره الغامقه المعتمه،و لأنّ مثل هذا اللون يحكى عن غايه النضره للنباتات و الأشجار،ممّا يعكس منتهى السرور

۱- ۱) -مجمع البيان نهايه الآيه مورد البحث.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۴۶ و كما ذكرنا أنّ التعبير بالذهب و الفضّه يمكن أن يكون إشاره إلى اختلاف درجه هاتين الجنّتين.

و الإنشراح،لهذا فقد استعمل لهذا المعنى.

و يضيف سبحانه مرّه اخرى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و فى الآيه اللاحقه يصف الجنّه وصفا إضافيا حيث يقول سبحانه: فِيهِمٰا عَيْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ .

«نضّاختان»من مادّه(نضخ)بمعنى فوران الماء.

و مرّه اخرى يسأل سبحانه عن الإنس و الجنّ سؤالا استنكاريا فيقول: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و تتحدّث الآيه التاليه حول فاكهه هاتين الجنّتين حيث تقول: فِيهِمٰا فٰاكِهَهٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ .

لا شكّ أنّ للفاكهه مفهوما واسعا يشمل جميع أنواعها،إلاّ أنّ التمر و الرمّان خصّا بالذكر هنا لأهميّتهما الخاصّه،لا كما يذهب بعض المفسّرين إلى أنّ ذكرهما هو لأنّهما لا يدخلان ضمن مفهوم الفاكهه،إذ أنّ هذا التصوّر خاطئ،لأنّ علماء اللغه أنكروا ذلك،بالإضافه إلى أنّ عطف الخاصّ على العام فى الموارد التى لها امتيازات أمر معمول به و طبيعى.قال تعالى: مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلاٰئِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكٰالَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكٰافِرِينَ . (1)

و هنا جاءت عباره(جبريل و ميكال)و هما من الملائكه العظام بعد ذكر لفظ الملائكه بصوره عامّه.

و يكرّر سبحانه السؤال مرّه اخرى: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

1- 1) -البقره،98.

بحث

اشاره

قیمه الفاکهه:

الشیء الجدیر بالذکر أنّ الآیات أعلاه خصّت الفاکهه بالذکر من بین مختلف أنواع أغذیه الجنّه کما خصّت فاکهتی(الرطب و الرمّان)بالذکر من بین جمیع فواکه الجنّه أیضا.

و الغریب هنا ذکر النخل بدلا من الرطب،أمّا الرمّان فقد ذکر باسمه،و لا بدّ أن یکون لکلّ واحد من هذه الفواکه خصوصیه.

أمّا ذکر الفاکهه بالخصوص من بین عموم الأغذیه الموجوده فی الجنّه فذلک لأهمیّه الفاکهه فی تغذیه الإنسان:حتّی قیل:أنّ الإنسان موجود آکل للفاکهه، و للفاکهه دور مهمّ فی وجود الإنسان و دوام حیاته لا علی الصعید العلمی فقط،بل من الناحیه التجریبیّه لعموم الناس أیضا.

أمّا ذکر شجره النخیل بدل فاکهتها فیمکن أن یکون للحاظ أنّ هذه الشجره موضع استفاده من جهات عدیده،فی حین أنّ شجره الرمّان لیست کذلک.

فالنخله یستفاد من ورقها فی صنع وسائل عدیده من لوازم الحیاه کالفرش و القبّعات و الملابس و وسائل الحمل و النقل و الأسرّه،و یستفاد من ألیافها فی امور شتّی کذلک،کما أنّ البعض منها له خواص طبیه،و حتّی أنّ جذعها یستخدم کأعمده فی البناء أو جسور لعبور الأنهار.

أمّا إختیار هاتین الفاکهتین من بین جمیع فواکه الجنّه فهو بسبب تنوّعهما:

فأحدهما:ینمو فی المناطق الحارّه(النخیل).و الاخری:تنمو فی المناطق البارده (الرمّان).أحدهما تتمیّز بالمادّه السکریه،و الاخری تتمیّز بالمادّه الحامضیه، واحده حارّه من حیث طبیعتها و الاخری بارده،إحداهما مغذّیه و الاخری مرویّه.

کما أنّ التمر یتمتّع بالکثیر من المواد الحیاتیه و أنواع الفیتامینات،و قد اکتشفت ثلاث عشره مادّه حیاتیه فیه،و خمس أنواع من الفیتامینات بالإضافه

إلی بقیّه خواصـها الاـخری،(و قـد بحثناهـا فی نهایه الآیه رقم(۵)من سـوره مریم فی هـذا التّفسـیر تحت عنوان:التمر غـذاء مقوّ و باعث للنشاط).

و أمّا«الرمّان»الـذی عرّف فی بعض الرّوایات الإسـلامیه بأنّه سـیّد الفواکه (۱) ، فقـد ذکر العلماء تفاصـیل کثیره حول فوائـد هذه الفاکهه و منها تنقیه الدم،و احتوائها علی مقادیر کبیره من فیتامین(سی).کما ذکرت فی الکتب فوائد کثیره اخری للرمّان(الحلو و الحامض)کتقویه المعده،و دفع الحمی الصفراء،و الیرقان، و الجرب(مرض جلدی)و تقویه البصر،و رفع التقیّحات المزمنه،و تقویه اللثه، و دفع الإسهال...کما نقرأ

فی حدیث للإمام الصادق علیه السّلام فی التأکید علی هذه الفاکهه: «أطعموا صبیانکم الرمّان فإنّه أسرع لشبابهم» (۲) .

و

جاء فی حدیث آخر: «فإنّه أسرع لألسنتهم» (۳) .

و

جـاء فی حـدیث آخر للإمام الصادق علیه السّـلام و الإمام الباقر علیه السّـلام أنّهما قالا: «و ما علی وجه الأرض ثمره کانت أحبّ إلی رسول اللّه من الرمّان» (۴) .

۱- ۱) -نقل هذا التعبیر فی حدیث للرسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(بحار الأنوار،ج ۶۶،ص ۱۶۳).
۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۶۶،ص ۱۶۴ حیث جاء فی حدیث آخر أنّه أسرع لألسنتهم.
۳- ۳) -المصدر السابق،ص ۱۶۵.
۴- ۴) -الکافی،ج ۶،ص ۳۵۲.

الآيات [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۷۰ الى ۷۸]

اشاره

فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِي اَلْخِيٰامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسٰانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (٧٧) تَبٰارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِي اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ (٧٨)

التّفسير

اشاره

زوجات الجنّه..مرّه اخرى:

استمرار لشرح نعم الجنّتين التى ذكرت فى الآيات السابقه،تتحدّث هذه الآيات عن قسم آخر من هذه النعم التى تزخر بها جنان اللّه التى أعدّها للصالحين من عباده،حيث يقول سبحانه فى البدايه: فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ (١) .

---

١ – ١) -الضمير فى(فيهنّ)و الذى هو جمع مؤنث يمكن أن يرجع إلى مجموع الجنّات الأربع،و يمكن أن يكون إشاره إلى الجنّتين اللتين ذكرتا أخيرا،بلحاظ ما فيهما من حدائق عديده و قصور مختلفه،و هذا أنسب لأنّه فى هذا فصل بين الجنّتين

تستعمل کلمه(خیر)غالبا للصفات الجیّده و الجمال المعنوی،أمّا«حسن» فإنّها تستعمل للجمال الظاهر.لذا فإنّ المقصود ب خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ أولئک النسوه اللواتی جمعن بین حسن السیره،و حسن الظاهر.

و جاء فی الرّوایات فی تفسیر هذه الآیه أنّ الصفات الحسنه للزوجات فی الجنّه کثیره و من جملتها طیب اللسان و النظافه و الطهاره،و عدم الإیذاء،و عدم النظر للرجال الأجانب.. و الخلاصه أنّ جمیع صفات الخیر و الجمال التی یجب أن تکون فی الزوجه الصالحه موجوده فیهنّ،و هذه الصفات إشاره للصفات العالیه التی یجب أن تکون فی نساء هذه الدنیا و یجسّدن الاسوه بذلک لجمیع الناس و القرآن الکریم یعبّر عنهنّ باختصار رائع أنهنّ خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ (1) .

ثمّ یضیف مستمرّا فی وصف الزوجات فی الجنّه: حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِي الْخِيٰامِ .

«حور»:جمع حوراء و أحور،و تطلق علی الشخص الذی یکون سواد عینه قاتما و بیاضها ناصعا،و أحیانا تطلق علی النساء اللواتی یکون لون وجوههنّ أبیض.

و التعبیر ب«مقصورات»إشاره إلی أنهنّ مرتبطات و متعلّقات بأزواجهنّ و محجوبات عن الآخرین.

«خیام»:جمع خیمه،و کما ورد فی الرّوایات الإسلامیه،فإنّ الخیم الموجوده فی الجنّه لا تشبه خیم هذا العالم من حیث سعتها و جمالها.

و«الخیمه»کما ذکر علماء اللغه و بعض المفسّرین لا تطلق علی الخیم المصنوعه من القماش المتعارف فحسب.بل تطلق أیضا علی البیوت الخشبیه و کذلک کلّ بیت دائری.و قیل أنّها تطلق علی کلّ بیت لم یکن من الحجر

۱- ۱) -قال البعض:إنّ خیرات جمع(خیّره)علی وزن(سیّده)،و قیل لها خیرات للتخفیف،و اعتبرها آخرون أنّها جمع(خیره) علی وزن(حیره)و علی کلّ حال فإنّها تعطی معنی الوصف،و لیس بمعنی(أفعل التفضیل)لأنّه لا یجمع.

و أشباهه (۱) .

و مرّه اخری یکرّر السؤال نفسه بقوله تعالی: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و یضیف سبحانه وصفا آخر لحوریات الجنّه حیث یقول: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۲) .

و یستفاد من الآیات القرآنیه أنّ الزوجین المؤمنین فی هذه الدنیا سیلتحقان فی الجنّه مع بعضهما و یعیشان فی أفضل الحالات (۳) .

و یستفاد أیضا من الرّوایات أنّ درجه و مقام زوجات المؤمنین الصالحات أعلی و أفضل من حوریات الجنّه (۴) و ذلک بما قمن به فی الدنیا من صالح الأعمال و عباده اللّه سبحانه.

ثمّ یضیف تعالی: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

و فی آخر وصف للنعم الموجوده فی هذه الجنّه یذکر سبحانه تعالی: مُتَّكِئِينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسٰانٍ .

«رفرف»فی الأصل بمعنی الأوراق الواسعه للأشجار،ثمّ أطلقت علی الأقمشه الملوّنه الزاهیه التی تشبه مناظر الحدائق.

«عبقری»فی الأصل بمعنی کلّ موجود قلّ نظیره،و لذا یقال للعلماء الذین یندر وجودهم بین الناس(عباقره)و یعتقد الکثیر أنّ کلمه(عبقر)کان فی البدایه اسما لمدینه(بریان)انتخبه العرب لها،لأنّ هذه المدینه کانت فی مکان غیر معلوم و نادر.لذا فإنّ کلّ موضوع یقلّ نظیره ینسب لها و یقال«عبقری»،و ذکر البعض أنّ «عبقر»کانت مدینه تحاک فیها أفضل المنسوجات الحریریه (۵) .

۱- ۱) -لسان العرب و مجمع البحرین و المنجد.

۲- ۲) -حول معنی الطمث أعطینا توضیحا کافیا فی نهایه الآیه رقم(۵۶)من نفس السوره.

۳- ۳) -الرعد،۲۳،و المؤمن،۸.

۴- ۴) -الدّر المنثور،ص ۱۵۱.

۵- ۵) -تفسیر أبو الفتوح الرازی نهایه الآیه مورد البحث.

و المعنى الأصلى لهذه الكلمه متروك فى الوقت الحاضر و تستعمل كلمه «عبقرى»ككلمه مستقلّه بمعنى نادر الوجود،و تأتى جمعا فى بعض الأحيان،كما فى الآيه مورد البحث.

و(حسان)جمع(حسن)على وزن«نسب»بمعنى جيّد و لطيف.

و على كلّ حال فإنّ هذه التعابير حاكيه جميعا عن أنّ كلّ موجودات الجنّه رائعه:الفاكهه،الغذاء،القصور،الأفرشه...و الخلاصه أنّ كلّ شىء فيها لا نظير له و لا شبيه فى نوعه،و لا بدّ من القول هنا أنّ هذه التعبيرات لا تستطيع أبدا أن تعكس تلك الإبداعات العظيمه بدقّه،و إنّها تستطيع-فقط-أن ترسم لنا صوره تقريبيه من الصوره الحقيقيّه للموجودات فى الجنّه.

و للمرّه الأخيره و هى(الحاديه و الثلاثون)يسأل سبحانه جميع مخلوقاته من الجنّ و الإنس هذا السؤال: فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ .

هل النعم المعنويه؟أم النعم الماديّه؟أم نعم هذا العالم؟أم الموجوده فى الجنّه؟إنّ كلّ هذه النعم شملت وجودكم و غمرتكم..إلّا أنّه-مع الأسف-قد أنساكم غروركم و غفلتكم هذه الألطاف العظيمه،و مصدر عطائها و هو اللّه سبحانه الذى أنتم بحاجه مستمرّه إلى نعمه فى الحاضر و المستقبل..فأيّا منها تنكرون و تكذّبون؟ و يختم السوره سبحانه بهذه الآيه الكريمه: تَبٰارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ .

«تبارك»من أصل(برك)على وزن(درك)بمعنى صدر البعير،و ذلك لأنّ الجمال حينما تبرك تضع صدرها على الأرض أوّلا،و من هنا استعمل هذا المصطلح بمعنى الثبات و الدوام و الاستقامه،لذا فإنّ كلمه(مبارك)تقال للموجودات الكثيره الفائده،و أكرم من تطلق عليه هذه الكلمه هى الذات الإلهيّه المقدّسه باعتبارها مصدرا لجميع الخيرات و البركات.

ص:۴۳۵

و استعملت هذه المفرده هنا لأنّ جميع النعم الإلهيّه-سواء كانت فى الأرض و السماء فى الدنيا و الآخره و الكون و الخلق-فهى من فيض الوجود الإلهى المبارك،لذا فإنّ هذا التعبير من أنسب التعابير المذكوره فى الآيه لهذا المعنى.

و المقصود من(اسم)هنا هو صفات اللّه تعالى خصوصا الرحمانيه التى هى منشأ البركات،و بتعبير آخر فإنّ أفعال اللّه تعالى مصدرها من صافته،و إذا خلق عالم الوجود فذلك من إبداعه و نظام خلقه،و إذا وضع كلّ شىء فى ميزان فذلك ما أوجبته حكمته،و إذا وضع قانون العداله حاكما على كلّ شىء فإنّ(علمه و عدالته) توجبان ذلك.و إذا عاقب المجرمين بأنواع العذاب الذى مرّ بنا فى هذه السوره فإنّ(انتقامه يقضى ذلك،و إذا شمل المؤمنين الصالحين بأنواع الهبات و النعم العظيمه الماديّه و المعنويه-فى هذا العالم و فى الآخره-فإنّ رحمته الواسعه أوجبت ذلك،و بناء على هذا فإنّ اسمه يشير إلى صفاته و صفاته هى نفس ذاته المقدّسه.

و التعبير ب ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ إشاره إلى كلّ صفات جماله و جلاله: ذِی الْجَلاٰلِ إشاره إلى الصفات السلبيه،و(ذى الإكرام)إشاره إلى الصفات الثبوتيه.

و الملفت للنظر هنا أنّ هذه السوره بدأت باسم اللّه(الرحمن)و انتهت باسم اللّه ذى الجلال و الإكرام)و كلاهما ينسجمان مع مجموعه مواضيع السوره.

ملاحظات

١-فى الآيه رقم(٣٧)من هذه السوره بعد ذكر النعم الإلهيّه المختلفه المعنويه و الماديّه فى الدنيا يقول سبحانه: وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ .

و فى نهايه السوره و بعد ذكر أنواع النعم الاخرويه يقول سبحانه: تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ .

ص: ۴۳۶

إنّ هاتين الآيتين توضّحان حقيقه مهمّه و هی أنّ جمیع الخطوط تنتهی إلی ذاته المقدّسه،و أنّ جمیع ما فی الوجود مصدره اللّه سبحانه،فالدنیا منه،و العقبی کذلک،و إنّ جلاله و إکرامه قد شمل کلّ شیء.

۲-و نقرأ

فی حدیث للرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ رجلا کان یدعو اللّه فی حضرته حیث قال:«یا ذا الجلال و الإکرام فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:قد استجیب لک فسل (۱) .

و

جاء فی حدیث آخر أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شاهد رجلا یقیم الصلاه حیث دعا بعد الرکوع و السجود و التشهّد بهذا الدعاء:اللهمّ انّی أسألک بأنّ لک الحمد،لا إله إلاّ أنت وحدک لا شریک لک،المنّان بدیع السماوات و الأرض یا ذا الجلال و الإکرام یا حی یا قیّوم انّی أسألک...فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لقد دعا اللّه باسمه العظیم الذی إذا دعی به أجاب،و إذا سئل به أعطی» (۲) .

۳-نقرأ

فی حدیث للإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر الآیه: تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ أنّه قال:«نحن جلال اللّه و کرامته التی أکرم العباد بطاعتنا» (۳) .

و من الواضح أنّ أهل البیت علیه السّلام لا یدعون لغیر اللّه،و لا یأمرون بغیر طاعته و هم هداه الطریق إلیه،و سفن النجاه فی بحر الحیاه المتلاطم.و بناء علی هذا، فإنّهم یمثّلون مصادیق جلال اللّه و إکرامه،لأنّ اللّه تعالی قد شمل الناس بنعمه الهدایه بواسطه أولیائه.

۴-ذکر البعض أنّ أوّل آیات قرئت فی مکّه علی قریش علنا هی الآیات الأوائل لهذه السوره یقول عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه قال:اجتمع یوما أصحاب رسول اللّه فقالوا:و اللّه ما سمعت قریش هذا القرآن یجهر لها به قطّ.فمن رجل یسمعهموه؟فقال عبد اللّه بن مسعود:أنا،قالوا:إنّا نخشاهم علیک،إنّما نرید رجلا

۱- ۱) -تفسیر الدرّ المنثور،ج ۶ ص ۱۵۳.

۲- ۲) -تفسیر الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۵۳.

۳- ۳) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۲۷۲.

له عشیره یمنعونه من القوم إن أرادوه،قال:دعونی فإنّ اللّه سیمنعنی،قال:فغذا ابن مسعود حتّی أتی المنام فی الضحی،و قریش فی أندیتها،حتّی قام عند المقام ثمّ قرأ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ رافعا بها صوته: اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ قال:ثمّ استقبلها یقرؤها قال:فتأمّلوه فجعلوا یقولون:ماذا قال ابن أمّ عبد؟قال:ثمّ قالوا:

إنّه لیتلو بعض ما جاء به محمّد فقاموا إلیه فجعلوا یضربون فی وجهه،و جعل یقرأ حتّی بلغ منها ما شاء اللّه أن یبلغ.ثمّ انصرف إلی أصحابه و قد أثّروا فی وجهه.

فقالوا له:هذا الذی خشینا علیک،فقال:ما کان أعداء اللّه أهون علیّ منهم الآن، و لئن شئتم لأغادینّهم بمثلها غدا،قالوا:لا حسبک قد أسمعتهم ما یکرهون (۱) .

و لهذا السبب فقد اعتبر ابن مسعود أوّل مسلم جهر بالقرآن فی مکّه أمام المشرکین (۲) .

ربّنا،یا ذا الجلال و الإکرام،نقسم علیک بجلالک و إکرامک ألّا تحرمنا من نعم و هبات الجنّه.

ربّاه،إنّ دائره رحمتک واسعه جدّا،و إنّنا لم نعمل عملا یلیق برحمتک، فعاملنا بما یلیق بمقام رحمانیّتک.

إلهنا،نحن لا نکذّب أیّا من نعمک،و نعتبر أنفسنا غارقین بإحسانک دائما، فأدم نعمک علینا.

آمین یا ربّ العالمین.

نهایه سوره الرحمن

ص:۴۳۸

۱- ۱) -سیره ابن هشام،ج ۱،ص ۳۳۶.
۲- ۲) -اسد الغابه،ج ۳،ص ۲۵۷.

سوره الواقعه

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها ستّ و تسعون آیه

ص :۴۳۹

محتوى السوره:

نقل فى كتاب«تأريـخ القرآن»عن ابن النـديم أنّ سوره الواقعه هى السوره الرابعه و الأربعين التى نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۱) ،و كانت قبلها سوره(طه) و بعدها(الشعراء).

هذه السوره-كما هو واضح من لحنها،و ذكره المفسّرون أيضا-نزلت فى مكّه،بالرغم من أنّ بعضـهم قال:إنّ الآيتين(۸۱،۸۲)نزلتا فى المدينه،إلاّ أنّ هذا الادّعاء ليس له دليل،كما أنّ محتوى الآيتين الكريمتين لا يساعدان على ذلك أيضا.

و سوره الواقعه-كما هو واضح من اسـمها-تتحدّث عن القيامه و خصوصياتها،و هذا المعنى واضح فى جميع آيات السوره الستّ و التسعين.و لذا فإنّ هذا الموضوع هو الأساس فى البحث.

إلاّ أنّنا نستطيع أن نلخّص موضوعات السوره فى ثمانيه أقسام:

۱-بدايه ظهور القيامه و الحوادث المرعبه المقترنه بها.

۲-تقسيم أنواع الناس فى ذلك اليوم إلى ثلاثه طوائف:(أصحاب اليمين، و أصحاب الشمال،و المقرّبين).

۳-بحث مفصّل حول مقام المقرّبين،و أنواع الجزاء لهم فى الجنّه.

۱- ۱) -تأريخ القرآن لمؤلّفه أبو عبد اللّه الزنجانى،ص ۵۹.

۴-بحث مفصّل حول القسم الثانی فی الناس و هم أصحاب الیمین،و أنواع الهبات الإلهیّه الممنوحه لهم.

۵-بحث حول أصحاب الشمال و ما ینتظرهم من جزاء مؤلم فی نار جهنّم.

۶-بیـان أدلّه مختلفه حول مسأله المعـاد من خلاـل بیـان قـدره اللّه عزّ و جـلّ، و خلق الإنسان من نطفه حقیره،و ظهور الحیاه فی النباتات،و نزول المطر،اشتعال النار..و التی تدخل أیضا ضمن أدلّه التوحید.

۷-وصف حاله الاحتضار و الانتقال من هذا العالم إلی حیث العالم الاخروی و التی تعتبر من مقدّمات یوم القیامه.

۸-و أخیرا نظره إجمالیه کلیّه حول جزاء المؤمنین و عقاب الکافرین.

و أخیرا تنهی السوره آیاتها باسم اللّه العظیم.

فضیله تلاوه هذه السوره:

حول فضیله تلاوه هذه السوره ذکرت روایات کثیره فی المصادر الإسلامیه نقرأ منها

حدیثا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث قال: «من قرأ سوره الواقعه لم یکتب من الغافلین» (۱) و ذلک لأنّ آیات هذه السوره تتّصف بالتحریک و الإیقاظ بصوره لا تسمح للإنسان أن یبقی فی جوّ الغفله.

و حول هذا المعنی نقرأ حدیثا آخر لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث

یقول: «شیّبتنی هود و الواقعه و المرسلات و عمّ یتساءلون» (۲) و ذلک لأنّ الأخبار التی وردت فی هـذه السوره أخبار مثیره عن القیامه و الحشر و الحوادث المرعبه و عقاب المشرکین،و ذکر حاله الأقوام السابقه و ما حلّ بهم من البلاء.

و نقرأ أیضا

فی حدیث للإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ فی کلّ لیله جمعه

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان،ج ۹،ص ۲۱۲،و تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۲۷۳.

۲- ۲) -خصال الصدوق،الباب الرابع،حدیث ۱۰.

الواقعه أحبّه اللّه و حبّبه إلى النـاس أجمعين،و لم ير فى الـدنيا بؤسـا أبـدا و لاـ فقرا و لاـ فاقه،و لا آفه من آفات الـدنيا،و كان فى رفقاء أمير المؤمنين» (۱) .

و

جـاء فى حـــديث آخر أنّ عثمـان بـن عفّـان عـاد عبـــد اللّـه بـن مســعود فى مرضــه الـذى تـوفّى فيـه فقـال لـه:مـاذا تشـتكى؟قـال:ذنـوبى،قـال:فيم ترغب؟قـال:فى رحمه ربّى،قـال:ألاـ ألتمس لـك طبيبـا؟قـال:أمرضـنى الطـبيب؟قـال:ألاـ آمر لك بعطيّه؟قـال:لم تـأمر لى بهـا إذ كنت أحوج إليهـا،و تـأمر لى الآن و أنا مسـتغن عنها، قال:فلتكن هى لبناتك،قال:لا حاجه لهنّ بها فإنّى قد أمرتهنّ بقراءه سوره الواقعه،و إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاقه يقول:«من قرأ سوره الواقعه كلّ ليله لم تصبه أبدا» (۲) .

و لهذا السبب سمّيت سوره الواقعه حسب ما ورد فى روايه اخرى بسوره الغنى (۳) .

و من الواضح أنّنا لا نستطيع الحصول على جميع البركات التى وردت لهذه السوره بالقراءه السطحيه،بل ينبغى بعد تلاوتها التفكّر و التدبّر،و من ثمّ الحركه و العمل.

۱- ۱) -ثواب الأعمال،طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۰۳.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۲۱۲.

۳- ۳) -روح المعانى،ج ۲۷،ص ۱۱۱.

الآیات [سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۱ الی ۱۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ إِذٰا وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَهُ (۱) لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ (۲) خٰافِضَهٌ رٰافِعَهٌ (۳) إِذٰا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا (۴) وَ بُسَّتِ
اَلْجِبٰالُ بَسًّا (۵) فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا (۶) وَ کُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً (۷) فَأَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ (۸) وَ أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَهِ مٰا
أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَهِ (۹) وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ (۱۰) أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ (۱۱) فِی جَنّٰاتِ اَلنَّعِیمِ (۱۲) ثُلَّهٌ مِنَ اَلْأَوَّلِینَ (۱۳) وَ قَلِیلٌ مِنَ
اَلْآخِرِینَ (۱۴)

التّفسیر

اشاره

الواقعه العظیمه:

إنّ الأحداث المرتبطه بالقیامه تذکر غالبا فی القرآن الکریم مقترنه بحوادث أساسیّه عظیمه قاصمه و مدمّره،و هذا ما یلاحظ فی الکثیر من السور القرآنیه التی

ص :۴۴۴

تتحدّث عن القيامه.

و فی سوره الواقعه حیث یـدور البحث حول محور المعاد،نجـد هـذا واضـحا فی الآیات الاولی منها،حیث یبدأ سـبحانه بقوله: إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَهُ (۱) .

لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ

و ذلک لأنّ الحوادث التی تسبقها عظیمه و شدیده بحیث تکون آثارها واضحه فی کلّ ذرّات الوجود.

«الواقعه»تشیر إشاره مختصره إلی مسأله الحشر،و لأنّ وقوعها حتمی فقد عبّر عنها ب(الواقعه)و اعتبر البعض أنّها إحدی أسماء القیامه.

کلمه(کاذبه)هنا أخذت بمعناها المصدری،و هی إشاره إلی أنّ وقوع القیامه ظاهر و واضح إلی حدّ لا یوجد أی مجال لتکذیبه أو بحثه و النقاش فیه.

کما أنّ البعض فسّرها بمعناها الظاهری الذی هو اسم الفاعل،حیث قالوا بعدم وجود من یکذّب هذا الأمر (۲) .

و علی کلّ حال فإنّ الحشر لا یقترن بتغییر الکائنات فحسب،بل إنّ البشر یتغیّر کذلک کما یقول سبحانه فی الآیه اللاحقه خٰافِضَهٌ رٰافِعَهٌ (۳) .

أجل،أنّها تـذلّ المسـتکبرین المتطاولین،و تعزّ المحرومین المؤمنین و ترفع المستضـعفین الصادقین بعض یسـقط إلی قاع جهنّم،و بعض آخر إلی أعلی علیین فی الجنّه.

و هذه هی خاصیه المبادئ الإلهیّه العظیمه.

و لذلک نقرأ

فی روایه الإمام علی بن الحسین علیه السّلام فی تفسیر هذه الآیه أنّه قال: «خافضه خفضت و اللّه أعداء اللّه فی النار،رافعه رفعت و اللّه أولیاء اللّه إلی

---

۱ – ۱) -تعتبر(إذا)منصوبه علی الظرفیه و الناصب له«لیس»الوارد فی الآیه الثانیه مثل أن نقول«یوم الجمعه لیس لی شغل» و یحتمل أن تکون منصوبه بفعل مقدّر تقدیره(ذکر)إلاّ أنّ الرأی الأوّل هو الأنسب.

۲ – ۲) -إنّ سبب کون الضمیر مؤنثا لتقدیره(نفس کاذبه)أو(قضیّه کاذبه)و اعتبر البعض أنّ(اللام)فی(لوقعتها)للتوقیت،إلاّ أنّ الظاهر أنّها للتعدیه.

۳- ۳) -«خافضه رافعه»خبر لمبتدأ محذوف،و فی الأصل(هی خافضه رافعه).

الجنّه» (۱) .

ثمّ يستعرض القرآن الكريم وصفا أوسع فی هذا الجانب حيث يقول: إِذٰا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا .

يا له من زلزال عظيم و شديد إلى حدّ أنّ الجبال فيه تندكّ و تتلاشی،قال تعالی: وَ بُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا .

(رجّت)من مادّه(رجّ)علی وزن(حجّ)بمعنی التحرّك الشديد للشیء و تقال رجرجه للاضطراب.

«بسّت»من مادّه(بسّ)علی وزن(حجّ).و الأصل بمعنی تليّين الطحين و تعجنه بواسطه الماء.

«هباء»بمعنی غبار،و«منبث»بمعنی منتشر.قال البعض:إنّ«هباء»هو ذرّات الغبار الصغيره المعلّقه بالفضاء و لا ترى فی الحاله الاعتياديه،إلّا إذا دخل نور الشمس من نافذه إلى مكان مظلم.

و الآن يجب التفكير بهذه الزلزله و الإنفجار،كم هو عظيم بحيث تتلاشی الجبال مع ما لها من القوّه و الصلابه بحيث تتحوّل إلى غبار منتشر،و الأعظم هو شدّه الصوت الذی ينتج من هذا الإنفجار الرهيب.

و علی كلّ حال فقد نلاحظ فی الآيات القرآنيه تعبيرات مختلفه حول وضع الجبال قبل يوم القيامه،و تكشف لنا المراحل المتعدّده للانفجار العظيم الذی يطرأ علی الجبال،حيث يقول عزّ و جلّ فی هذا الصدد:

وَ تَسِيرُ الْجِبٰالُ سَيْراً الطور۱۰/.

وَ إِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ المرسلات۱۰/.

فَدُكَّتٰا دَكَّةً وٰاحِدَةً الحاقّه۱۴/.

ص: ۴۴۶

۱- ۱) -الخصال طبقا،نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۰۴.

وَ كٰانَتِ الْجِبٰالُ كَثِيباً مَهِيلاً المزمل۱۴/ أی كالرمل المتراكم.

فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا

الواقعه۶/ الآيه محلّ البحث.

و أخيرا وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ القارعه۲/ أی كالصوف المنفوش حيث لا يرى منها إلاّ لونها.

و من الواضح أن لا أحد يعلم إلاّ اللّه بحقيقه حصول هذه التغيّرات التی لا تحملها الألفاظ،و لا تجسّدها العبارات،اللهمّ إلاّ إشارات معبّره تحكی عظمه و هول هذا الإنفجار العظيم.

و بعد بيان وقوع هذه الظاهره العظيمه و الحشر الكبير يستعرض القرآن المجيد ذكر حاله الناس فی ذلك اليوم،حيث قسّم الناس إلى ثلاثه أقسام بقول سبحانه: وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَةً .

لفظ(الزوج)لا يقال دائما لجنس المؤنث و المذكّر،بل تطلق هذه اللفظه على الأمور المتقارنه مع بعض،و لكون أصناف الناس فی القيامه و الحشر و النشر تكون متقارنه مع بعضها،لذا يطلق عليها لفظ أزواج.

و حول القسم الأوّل يحدّثنا القرآن الكريم بقوله: فَأَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ (۱) .

المقصود من أصحاب الميمنه هم الأشخاص الذين يعطون صحيفه أعمالهم بأيديهم اليمنى،و هذا الأمر رمز لأهل النجاه،و دليل الأمان للمؤمنين و الصالحين فی يوم القيامه،كما ذكر هذا مرارا فی الآيات القرآنيه.

أو أنّ كلمه(ميمنه)من مادّه(يمن)التی أخذت من معنى السعاده،و على هذا التّفسير فإنّ القسم الأوّل هم طائفه السعداء و أهل الحبور و السرور.

---

۱ – ۱) -فی تركيب هذه الجمله توجد احتمالات عديده و أنسبها أن نقول:«أصحاب الميمنه»مبتدأ،و«ما»استفهاميه مبتدأ ثان،و أصحاب الميمنه الثانيه خبرها،و الخلاصه أنّ جمله(ما أصحاب الميمنه)خبر للمبتدأ الأوّل،و الفاء فی بدايه الجمله تفريعيّه و تفسيريه.

و بالنظر إلى أنّ الآيه اللاحقه تعرّف المجموعه الثانيه ب أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ و التى هى مأخوذه من مادّه(شؤم)فإنّ التّفسير الأخير هو الأنسب (۱) .

عباره«ما أصحاب الميمنه»هو بيان حقيقه السعاده التى ليس لها حدّ و لا يمكن تصوّرها لهؤلاء المؤمنين،و هذه قمّه الروعه فى الوصف لمثل هذه الحالات، و يمكن تشبيه ذلك بقولنا:فلان إنسان يا له من إنسان! ثمّ يستعرض اللّه تعالى المجموعه الثانيه بقوله: وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ حيث الشؤم و التعاسه،و استلام صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى التى هى رمز سوء عاقبتهم و عظيم جرمهم و جنايتهم،نتيجه عمى البصيره و السقوط فى وحل الضلال.

و التعبير ب«ما أصحاب المشئمه»هو الآخر يعكس نهايه سوء حظّهم و شقاوتهم.

و أخيرا يصف المجموعه الثالثه أيضا بقوله سبحانه: وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ (۲) أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ .

(السابقون)ليسوا الذين سبقوا غيرهم بالإيمان فحسب،بل فى أعمال الخير و الأخلاق و الإخلاص،فهم أسوه و قدوه و قاده للناس،و لهذا السبب فهم من المقرّبين إلى الحضره الإلهيّه.

و بناء على هذا،فما نرى من تفسير أسبقيه السابقين بالسبق فى طاعه اللّه،أو

۱- ۱) -جاء فى الآيات اللاحقه استعمال أصحاب الشمال بدلا من أصحاب المشئمه.

۲- ۲) -فى تركيب هذه الآيه و الآيات اللاحقه احتمالات عديده:الأوّل:أنّ اَلسّابِقُونَ الأولى مبتدأ،و الثانيه وصف أو تأكيد له، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ مبتدأ و خبر و التى هى فى المجموع خبر لكلمه اَلسّابِقُونَ الاولى،و يحتمل البعض الآخر أنّ اَلسّابِقُونَ السّابِقُونَ مبتدأ و خبر،و شبّه بشعر أبى النجم المعروف حين يقول:(أنا أبو النجم و شعرى شعرى) و الذى هو فى الواقع نوع من الوصف العالى. و هناك احتمال آخر و هو أنّ(السابقون)الاولى هى بمعنى السابقين فى الإيمان،و السابقون الثانيه بمعنى السابقين إلى الجنّه و التى ستكون كذلك مبتدأ و خبر.

أداء الصلوات الخمس،أو الجهاد و الهجره و التوبه فإنّ كلّ واحد من هذه التفاسير تمثّل جانبا من هذا المفهوم الواسع،و إلاّ فإنّ هذه الكلمه(السابقون)تشمل جميع هذه الأعمال،و الطاعات و غيرها.

و إذا فسّرت(السابقون)كما فى بعض الرّوايات الإسلاميه بأنّها تعنى الأشخاص الأربعه و هم«هابيل»،و«مؤمن آل فرعون»،و«حبيب النجّار»الذين تميّز كلّ منهم بأسبقيته فى قومه،و كذلك«أمير المؤمنين»عليه السّلام الذى هو أوّل من دخل فى الإسلام من الرجال،فإنّ هذا التّفسير فى الحقيقه هو بيان للمصاديق الواضحه،و ليس تحديدا لمفهوم الآيه (۱) .

و

جاء فى حديث آخر أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «أ تدرون من السابقون إلى ظلّ اللّه فى يوم القيامه؟فقال أصحابه:اللّه و رسوله أعلم،قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:(الذين إذا أعطوا الحقّ قبلوه،و إذا سألوه بذلوه،و حكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» (۲) .

و جاء فى بعض الرّوايات أيضا أنّ المقصود ب(السابقون)هم الأنبياء المرسلون و غير المرسلين (۳) .

«و نقرأ

فى حديث لابن عبّاس أنّه قال: «سألت رسول اللّه حول هذه الآيه فقال:«هكذا أخبرنى جبرائيل،ذلك على و شيعته هم السابقون إلى الجنّه،المقرّبون من اللّه لكرامته لهم» (۴) .

و كما تقدّم إنّه بيان للمصاديق الواضحه من المفهوم الذى ذكر أعلاه،الذى يشمل جميع(السابقين)فى كلّ الأمم و الشعوب.

ثمّ يوضّح-فى جمله قصيره-المقام العالى للمقرّبين حيث يقول سبحانه:

۱- ۱) -نقل هذا الحديث عن الإمام الباقر عليه السّلام فى مجمع البيان،ج ۹،ص ۲۱۵.

۲- ۲) -تفسير المراغى،ج ۲۷،ص ۱۳۴.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۰۶.

۴- ۴) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۰۹.

فِی جَنّٰاتِ النَّعِیمِ

(۱)

.

التعبیر ب جَنّٰاتِ النَّعِیمِ یشمل أنواع النعم المادیه و المعنویه،و یمکن اعتبار هذا التعبیر إشاره إلی أنّ بساتین الجنّه هی وحدها مرکز النعمه و الراحه فی مقابل بساتین الدنیا التی تحتاج إلی الجهد و التعب،کما أنّ حاله المقربین فی الدنیا تختلف عن حاله المقرّبین فی الآخره،حیث أنّ مقامهم العالی فی الدنیا کان توأما مع المسؤولیات و الطاعات فی حین أنّ مقامهم فی الآخره سبب للنعمه فقط.

و من البدیهی أنّ المقصود من«القرب»لیس«القرب المکانی»لأنّ اللّه لیس له مکان،و هو أقرب إلینا من أنفسنا،و المقصود هنا هو«القرب المقامی».

و یشیر فی الآیه اللاحقه إلی الحاله العددیه فی الأمم السابقه و فی هذه الامّه أیضا حیث یقول سبحانه:

ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ

أی أنّهم جماعه کثیره فی الأمم السالفه و الأقوام الاولی.

وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ

.

(ثلّه)کما یقول الراغب فی المفردات تعنی فی الأصل قطعه مجتمعه من الصوف،ثمّ تحوّلت إلی معنی مجموعه من الأشخاص.

و أخذها البعض أیضا من(ثلّ عرشه)بمعنی سقط و انهار،یقال(سقط عرشه و انقلعت حکومته)و اعتبرها البعض(قطعه)،و ذلک بقرینه المقابله ب(قلیل من الآخرین)یکون المعنی القطعه العظیمه.

و طبقا لهاتین الآیتین فإنّ قسما کبیرا من المقرّبین هم من الأمم السابقه، و قسم قلیل منهم فقط هم من امّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و یثار سؤال هنا و هو:کیف یتناسب العدد القلیل من مقرّبی امّه محمّد مع الأهمیّه البالغه لهذه الامّه التی وصفها القرآن الکریم بأنّها من أفضل الأمم؟قال

۱ - ۱) -الجار و المجرور الموجود فی الآیه(جنّات النعیم)ممکن أن یکون متعلّق بما قبله یعنی(المقرّبین)،أو مرتبطه بحال محذوف جاء للمقرّبین و تقدیره(کائنین فی جنّات النعیم)،أو یکون خبرا بعد خبر.

تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أَمَّهٍ أَخْرِجَتْ لِلنّاسِ... (۱) .

و للجواب علی هذا السؤال یجدر الالتفات إلی نقطتین:

الاولی:إنّ المقصود من المقرّبین هم السابقون فی الإیمان،و من المسلّم أنّ السابقین لقبول الإسلام فی المصدر الأوّل منه کانوا قلّه،أوّلهم من الرجال الإمام علی علیه السّلام،و من النساء خدیجه(رض)،فی الوقت الذی نعلم أنّ کثره الأنبیاء السابقین و تعدّد أممهم،و وجود السابقین فی کلّ امّه یؤدّی إلی زیادتهم من الناحیه العددیه.

و النقطه الثانیه:أنّ الکثره العددیه لیست دلیلا علی الکثره النوعیه،حیث یمکن أن یکون عدد السابقین فی هذه الامّه قلیلا،إلاّ أنّ مقامهم أفضل کثیرا،کما هو المعروف بین الأنبیاء أنفسهم،إذ یختلفون باختلاف درجاتهم: تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ (۲) .

و ممّا یلزم ذکره أنّ قسما من المؤمنین لم یندرجوا فی زمره السابقین فی الإیمان،مع توفّر الصفات و الخصوصیات فیهم و التی تجعلهم بنفس درجه السابقین من حیث الأجر و الجزاء،لذلک فقد نقل فی بعض الرّوایات

عن الإمام الباقر علیه السّلام أنّه قال: «نحن السابقون السابقون و نحن الآخرون» (۳) .

و

جاء فی روایه عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه خاطب مجموعه من أصحابه فقال لهم:«أنتم السابقون الأوّلون و السابقون الآخرون،و السابقون فی الدنیا إلی و لا یتنا،و فی الآخره إلی الجنّه» (۴) .

و من الجدیر بالملاحظه أنّ بعض المفسّرین فسّر«الأوّلین و الآخرین»ب

۱- ۱) -آل عمران،۱۱۰.

۲- ۲) -البقره،۲۵۳.

۳- ۳) -تفسیر الصافی نهایه الآیه مورد البحث.

۴- ۴) -تفسیر الصافی نهایه الآیه مورد البحث

(الأوّلين فی الامّه الإسلاميه و الآخرين فيها)و انسجاما مع هذا الرأی فإنّ جميع المقرّبين هم من الامّه الإسلاميه.

إلّا أنّ هـذا التّفسـير لا يتناسب مع ظاهر الآيات و الرّوايات التی وردت فی ذيل هـذه الآيات،حيث أنّها عرّفت أشـخاصا من الأمم السابقه بالخصوص بعنوان أنّهم من السابقين الأوّلين.

ص :۴۵۲

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۱۵ الى ۲۶]

اشاره

عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَهٍ (۱۵) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ (۱۶) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ (۱۷) بِأَكْوٰابٍ وَ أَبٰارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (۱۸) لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهٰا وَ لاٰ يُنْزِفُونَ (۱۹) وَ فٰاكِهَهٍ مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ (۲۰) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ (۲۱) وَ حُورٌ عِينٌ (۲۲) كَأَمْثٰالِ اَللُّؤْلُؤِ اَلْمَكْنُونِ (۲۳) جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲۴) لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِيماً (۲۵) إِلاّٰ قِيلاً سَلاٰماً سَلاٰماً (۲۶)

التّفسير

اشاره

الجنّه بانتظار المقرّبين:

هـذه الآيات تتحـدّث عن أنواع نعم الجنّه التى أعـدّها اللّه سـبحانه للقسم الثالث من عباده المقرّبين،و التى كلّ واحده منها أعظم من أختها و أكرم.

و قد لخّصت هذه النعم بسبعه أقسام:

يقول تعالى فى البدايه: عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَهٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ .

«سرر»جمع سرير من مادّه(سرور)بمعنى التخت الذى يجلس عليه

ص :۴۵۳

المنعّمين فى مجالس الانس و السرور (۱) .

(موضون)من مادّه(و ضنّ)على وزن(وزن)و هى فى الأصل بمعنى نسج الدرع،ثمّ أطلقت على كلّ منسوج محكم الخيوط و النسيج.و المقصود هنا هى الأسره الموضوعه جنبا إلى جنب بصوره متراصّه.أو أنّ لهذه الأسره حياكه مخصوصه من اللؤلؤ و الياقوت و ما إلى ذلك،كما قال بعض المفسّرين.

و على كلّ حال،فإنّ بناء هذه الأسره و كيفيه وضعها،و مجلس الانس الذى يتشكّل عليها،و أجواء السرور و الفرح التى تغمرها،لا نستطيع وصفه بأى بيان.

و نلاحظ استمرار الأوصاف الرائعه فى القرآن الكريم لسرر الجنّه،و مجالس أهلها،و منتديات أحبّتها ممّا يدلّ على أنّ من أهم نعم و ملذّات هؤلاء هى جلسات الانس هذه...

أمّا أحاديثهم و ما يدور فى حفلاتهم فليس هنالك أحد يعلم حقيقتها،فهل هى عن أسرار الخلق و عجائب الكون؟أو عن اصول المعرفه و أسماء اللّه و صفاته الحسنى؟أو عن الحوادث التى حدثت فى هذا العالم؟أو عن الراحه التى هم عليها بعد التعب و العناء؟أو عن امور اخرى لا نستطيع إدراكها...؟هذا هو سرّ لا يعلمه إلاّ اللّه.

ثمّ يتحدث سبحانه عن نعمه اخرى لهم حيث يقول: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ .

التعبير ب«يطوف»من مادّه(طواف)إشاره إلى استمرار خدمه هؤلاء (الطوافين)لضيوفهم.

و التعبير ب«مخلّدون»إشاره إلى خلود شبابهم و نشاطهم و جمالهم و طراوتهم،و الأصل أن جميع أهل الجنّه مخلّدون و باقون.

۱- ۱) -مفردات الراغب مادّه(سر).

أمّا من هم هؤلاء الولدان؟ قال البعض:إنّهم أبناء البشر من هذه الدنيا الذين توفّوا قبل البلوغ،و صحيفه أعمالهم بيضاء لم تدنّس بعد،فقد بلغوا هذه المرتبه بلطف اللّه سبحانه،و خدمتهم للمقرّبين تقترن بارتياح عظيم و رغبه عميقه و لذّه من أفضل اللذّات،لأنّهم فى خدمه المقرّبين من الحضره الإلهيّه.

و قد ورد فى هذا المعنى حديث للإمام على عليه السّلام.

إلاّ أنّنا نقرأ فى تفسير آخر أنّهم أطفال المشركين و لأنّهم لم يرتكبوا ذنبا فقد حصلوا على هذه المرتبه،و أطفال المؤمنين يلتحقون بآبائهم و امّهاتهم.

و نقرأ فى تفسير ثالث أنّهم خدّام الجنّه،حيث إنّ اللّه سبحانه قد أعدّهم لهذه المهمّه بشكل خاصّ.

و يضيف القرآن أنّ هؤلاء الولدان يقدّمون لأصحاب الجنّه أقداح الخمر و كؤوس الشراب المأخوذ من أنهار الجنّه بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١) و شرابهم هذا ليس من النوع الذى يأخذ لباب العقل و الفكر،حيث يقول تعالى: لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهٰا وَ لاٰ يُنْزِفُونَ (٢) .

إنّ الحاله التى تنتابهم من النشوه الروحيه حين تناولهم لهذا الشراب لا يمكن أن توصف،إذ تغمر كلّ وجودهم بلذّه ليس لها مثيل.

ثمّ يشير سبحانه إلى رابع و خامس قسم من النعم الماديه التى وهبها اللّه

۱- ۱) -أكواب جمع كوب بمعنى القدح أو الإناء الذى لا عروه له،و أباريق جمع إبريق و هى فى الأصل أخذت من الفارسيه (آبريز)بمعنى الأوانى ذات اليد من جهه،و من الاخرى ذات أنبوب لصبّ السائل،و كلمه كأس تقال للإناء المملوء بالسائل لدرجه يفيض من جوانبه،و معين من مادّه(معن)على وزن(صحن)بمعنى الجارى.

۲- ۲) -(يصدّعون)من مادّه(صداع)على وزن(حباب)،بمعنى وجع الرأس،و هذا المصطلح فى الأصل من(صدع)بمعنى (الانفلاق)لأنّ الإنسان عند ما يصاب بوجع رأس شديد فكأنّ رأسه يريد أن ينفلق من شدّه الألم،لذا فإنّ هذه الكلمه قد استعملت فى هذا المعنى.(و ينزفون)من أصل(نزف)على وزن(حذف)بمعنى سحب جميع مياه البشر بصوره تدريجيّه، و تستعمل أيضا حول(السكر)و فقدان العقل.

للمقرّبين فی الجنّه،حيث يقول سبحانه: وَ فٰاكِهَهٍ مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ (١) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ .

إنّ تقديم الفاكهه على اللحم بلحاظ كون الفاكهه أفضل من الناحيه الغذائيه بالإضافه إلى نكهتها الخاصّه عند أكلها قبل الطعام.

و الذی يستفاد من بعض الرّوايات أنّ غصون أشجار الجنّه تكون فی متناول أيدی أهل الجنّه،بحيث يستطيعون بكلّ سهوله أن يتناولوا أی نوع من الفاكهه مباشره،و هكذا الحال بالنسبه لبقيّه الأغذيه الموجوده فی الجنّه. إلاّ أنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ تقديم الغذاء من قبل(الولدان المخلّدين)له صفاء خاصّ و لطف متميّز حيث أنّ تقديم الطعام يعبّر عن مزيد الاحترام و الإكرام لأهل الجنّه،و تضفی رونقا و بهاء أكثر على مجالس أنسهم.و من المتعارف عليه اجتماعيا بيننا أنّ تقديم الفاكهه و تقريبها من الضيوف من قبل المضيف نفسه يعبّر عن التقدير و المحبّه و الاحترام.

و خصّت لحوم الطيور بالذكر هنا لفضلها على بقيّه أنواع اللحوم،لذا فقد تكرّر ذكرها.

إنّ استعمال تعبير«يتخيّرون»بالنسبه ل(الفاكهه)و يشتهون بالنسبه ل (اللحوم)لا يدلّل على وجود اختلاف بين التعبيرين كما ذهب إليه بعض المفسّرين،بل هما بمعنى واحد بعبارتين مختلفتين،و المقصود بهما أنّ أی غذاء يشتهيه أهل الجنّه يوضع باختيارهم من قبل(الولدان المخلّدين).

ثمّ يشير سبحانه إلى سادس نعمه و هی الزوجات الطاهرات الجميلات حيث يقول سبحانه: حُورٌ عِينٌ (٢) كَأَمْثٰالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ .

ص:۴۵۶

١- ١) -(فاكهه و لحم)كلاهما معطوف على أكواب و هذه الأشياء تهدی من قبل(الولدان المخلّدون)إلى المقرّبين.

٢- ٢) -بالرغم من تصوّر البعض أنّ(حور عين)عطف على(الولدان المخلّدون)و على هذا الرأی فإنّ ال(حور عين)يطفن

«حور»كما قلنا سابقا جمع حوراء و أحور،و يقال للشخص الذى يكون سواد عينه شديدا و بياضها شفافا،و(عين)جمع(عيناء)و أعين،بمعنى العين الواسعه، لأنّ أكثر جمال الإنسان فى عيونه،فقد ذكر هذا الوصف خصوصا.

و قال البعض:إنّ«حور»أخذت من مادّه(حيره)يعنى أنّهنّ جميلات إلى حدّ تصاب العيون بالحيره عند رؤيتهنّ (۱) .

«مكنون»بمعنى مستور،و المقصود هنا الاستتار فى الصدف،لأنّ اللؤلؤ عند ما يكون مختفيا فى الصدف و بعيدا عن لمس الأيدى يكون شفّافا و ناصعا أكثر من أى وقت.و بالإضافه إلى ذلك قد يكون المقصود أنهنّ مستورات عن أعين الآخرين بصوره تامّه،لا يد تصل إليهنّ و لا عين تقع عليهنّ.

و بعد الحديث عن هذه المنح،و العطايا الماديه الستّه،يضيف سبحانه: جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ كى لا يتصوّر أحد أنّ هذه النعم تعطى جزافا،بل إنّ الإيمان و العمل الصالح هو السبيل لنيلها و الحصول عليها،حيث يلزم للإنسان العمل المستمرّ الخالص حتّى تكون هذه الألطاف الإلهيّه من نصيبه.

«و يلاحظ بأنّ(يعملون)فعل مضارع يعطى معنى الاستمرار».

و يتحدّث القرآن الكريم عن سابع نعمه من نعم أهل الجنّه،و هى التى تتسم بالطابع الروحى المعنوى حيث يقول تعالى: لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِيماً .

فالجوّ هناك جوّ نزيه خالص بعيد عن الدنس،فلا كذب،و لا تهم،و لا افتراءات،و لا استهزاء و لا غيبه و لا ألفاظ نابيه و عبارات لاذعه..و ليس هنالك لغو و لا كلام فارغ..بل الموجود هناك هو اللطف و الصفاء و الجمال و المتعه و الأدب و الطهاره،و كم هو طاهر ذلك المحيط البعيد عن الأحاديث المدنّسه التى

(۲)

-أيضا حول أصحاب الجنّه،و نظرا لعدم تناسب هذا المعنى خصوصا فى المجالس الجماعيه لأهل الجنّه،لذا فالظاهر أنّه مبتدأ لخبر محذوف،و التقدير هكذا(و لهم حور عين).

۱- ۱) -أبو الفتوح الرازى،ج ۱۱ نهايه الآيه مورد البحث.

هی السبب فی أکثر انزعاجنا و عدم ارتیاحنا فی هذه الدنیا،حیث اللغو و الثرثره و الکلام اللامسئول و التعبیرات الجارحه! ثمّ یضیف سبحانه: إِلاّ قِیلاً سَلاماً سَلاماً (۱) .

و یسأل هنا:هل أنّ هذا السلام من قبل اللّه تعالی؟أو أنّه من قبل الملائکه؟أو هو سلام متبادل بین أهل الجنّه،أو کلّ هذه الأمور؟ الظاهر أنّ الرأی الأخیر هو الأنسب،کما أشارت الآیات القرآنیه الاخری إلی ذلک (۲) .

نعم إنّهم لا یسمعون شیئا إلاّ السلام،سلام و تحیّه من اللّه،و من الملائکه المقرّبین،و سلامهم و تحیّتهم لبعضهم البعض فی تلک المجالس العامره المملوءه بالصفاء و التی تفیض بالودّ و الاخوّه و الصدق.

إنّ محیطهم و أجواءهم المغموره بالسلام و السلامه تسیطر علی وجودهم، و إنّ أحادیثهم و حواراتهم المختلفه تنتهی إلی السلام و الاخوّه و الصفاء،و أساسا فإنّ الجنّه هی دار السلام و بیت السلامه و الأمن و الأمان،کما نقرأ فی قوله تعالی:

لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(۳)

(۴)

.

---

۱ - ۱) -سلاما مفعول به ل(قیلا)و الذی هو مصدر،و المقصود أنّ کلامهم هنالک هو(السلام)و یحتمل أن تکون(سلاما)صفه ل(قیلا)أو مفعول به(أو مفعول مطلق)لفعل محذوف تقدیره،(یسلّمون سلاما)إلاّ أنّ المعنی الأوّل هو الأرجح،و سلاما (الثانیه)للتأکید.

۲ - ۲) -سوره یس ۵۸-الرعد ۲۴-یونس ۱۰.

۳ - ۳) -یجب الانتباه إلی أنّ الاستثناء فی الآیه إِلاّ قِیلاً سَلاماً سَلاماً هو استثناء منقطع و یفید للتأکید.

۴ - ۴) -الأنعام،۱۲۷.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۲۷ الی ۴۰]

اشاره

وَ أَصْحابُ اَلْيَمِينِ مٰا أَصْحابُ اَلْيَمِينِ (۲۷) فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ (۲۸) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ (۲۹) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ (۳۰) وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ (۳۱) وَ
فٰاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ (۳۲) لاٰ مَقْطُوعَهٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَهٍ (۳۳) وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ (۳۴) إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً (۳۵) فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْكٰاراً (۳۶) عُرُباً أَتْرٰاباً
(۳۷) لِأَصْحٰابِ اَلْيَمِينِ (۳۸) ثُلَّهٌ مِنَ اَلْأَوَّلِينَ (۳۹) وَ ثُلَّهٌ مِنَ اَلْآخِرِينَ (۴۰)

التّفسير

اشاره

أصحاب اليمين و هباتهم:

بعد بيان الهبات و النعم الماديّه و المعنويه(للمقرّبين)يأتی الدور فی الحديث عن(أصحاب اليمين)تلك الجماعه السعيده التی تستلم صفحه أعمالها فی(اليد اليمنی)إشاره لنيل الفوز و النجاح فی الامتحان الربّانی.

و يشير سبحانه إلی نعم ستّ،ممّا أنعم به عليهم تمثّل مرحله أدنی فی مقابل سبع نعم منحها سبحانه إلی المقرّبين من عباده.

ص :۴۵۹

تبدأ الآيات فی الحدیث عنهم أوّلا من حیث مقامهم العالی،حیث یقول عزّ و جلّ: وَ أَصْحٰابُ الْیَمِینِ مٰا أَصْحٰابُ الْیَمِینِ (۱) .

إنّ هـذا الوصف هو أروع وصف هؤلاء،لأنّ هـذا التعبیر یستعمل فی موارد لا تستطیع الألفاظ التعبیر عنه،و هو تعبیر عن المقام العالی لأصحاب الیمین.

و تشیر الآیه اللاحقه إلی أوّل نعمه منحت لهـذه الجماعه حیث تقول: فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ (۲) .و فی الحقیقه أنّ هـذا أنسب و ألیق وصف توصف به أشجار الجنّه فی دائره ألفاظنا الدنیویه،لأنّ(السدر)کما یقول أئمّه اللغه:شجر قوی معمّر یصل طوله إلی أربعین مترا أحیانا و عمره یقرب من ألفی سنه،و لها ظلّ ظلیل و لطیف، و السلبیه الموجوده فی هذا الشجر أنّه ذو شوک إلاّ أنّ وصفه ب(مخضود)من مادّه (خضد)-علی وزن(مجد)-بمعنی(إزاله الشوک)تنهی آثار هذه السلبیه فی شجر سدر الجنّه.

و

جاء فی حدیث: کان أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقولون:إنّ اللّه ینفعنا بالأعراب و مسائلهم،أقبل أعرابی یوما، فقال:یا رسول اللّه لقد ذکر اللّه فی القرآن شجره مؤذیه و ما کنت أری أنّ فی الجنّه شجره تؤذی صاحبها؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«و ما هی»قال:السدر،فإنّ لها شوکا.

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ألیس یقول اللّه:فی سدر مخضود،یخضده اللّه من شوکه فیجعل مکان کلّ شوکه ثمره،إنّها تنبت ثمرا یفتق الثمر منها عن إثنین و سبعین لونا من الطعام ما فیها لون یشبه الآخر» (۳) .

ثمّ یأتی الحدیث عن ثانی هبه لهم حیث یقول سبحانه: وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ .

«الطلح»:شجره خضراء لطیفه اللون و الرائحه،و ذکر البعض أنّها شجره الموز

ص:۴۶۰

۱- ۱) -إنّ الحدیث عن ترکیب هذه الجمله جاء فی نهایه الآیه(۸)من نفس هذه السوره.

۲- ۲) -الجار و المجرور متعلّق بعامل مقدّر و الخلاصه أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقدیره(هم فی سدر مخضود).

۳- ۳) -روح المعانی ج ۲۷ ص ۱۲۰،و الدرّ المنثور ج ۶ ص ۱۵۶.

التی تتميّز بأوراق عريضه جدّا و خضراء و جميله،و فاكهتها حلوه و لذيذه.

و«منضود»:من مادّه(نضد)بمعنی متراكم.

و ممكن أن يشير هذا التعبير إلی تراكم الأوراق أو تراكم الفاكهه أو كليهما، حتّی أنّ البعض قال:إنّ هذه الأشجار مليئه بالفاكهه إلی حدّ أنّها تغطّی سيقان و أوراق الأشجار.

و قال بعض المفسّرين:بالنظر إلی أنّ أوراق شجر السدر صغيره جدّا،و أوراق شجر الموز كبيره جدّا،فإنّ ذكر هاتين الشجرتين إشاره جميله إلی جميع أشجار الجنّه التی تكون صفاتها بين صفات هاتين الشجرتين (۱) .

ثمّ يستعرض سبحانه ذكر النعمه الثالثه من نعم أهل اليمين بقوله: وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ .

فسّر البعض هذا(الظلّ الواسع)بحاله شبيهه للظلّ الذی يكون بين الطلوعين من حيث انتشاره فی كلّ مكان،و قد نقل حديث للرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بهذا المعنی فی روضه الكافی (۲) .

و المقصود هنا أن لا حرّ فی الجنّه،و أنّ أهلها فی ظلال لطيفه و اسعد تلطّف الروح.

و ينتقل الحديث إلی مياه الجنّه حيث يقول سبحانه: وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ .

«مسكوب»من مادّه(سكب)علی وزن«حرب»و تعنی فی الأصل الصبّ، و لأنّ صبّ الماء يكون من الأعلی إلی الأسفل بصوره تيّار أو شلّال فإنّه بذلك يصوّر لنا مشهدا رائعا حيث إنّ خرير المياه ينعش الروح،و يبهر العيون،و هذه هی إحدی الهبات التی منحها اللّه لأهل الجنّه،و من الطبيعی أنّ هذه الجنّه المليئه بالأشجار العظيمه،و المياه الجاريه،لا بدّ أن تكون فيها فواكه كثيره،و هذا ما ذكرته

۱- ۱) -الفخر الرازی فی التّفسير الكبير نهايه الآيه مورد البحث،ج ۲۹،ص ۱۶۲.

۲- ۲) -روضه الكافی،مطابق نقل نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۱۶.

الآیه الکریمه،حیث یقول سبحانه فی ذکر خامس نعمه: وَ فٰاکِهَهٍ کَثِیرَهٍ لاٰ مَقْطُوعَهٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَهٍ .

نعم،لیست کفواکه الدنیا من حیث محدودیتها فی فصول معیّنه من أسابیع أو شهور،أو یصعب قطفها بلحاظ الأشواک،أو العلو مثل النخیل،أو مانع ذاتی فی نفس الإنسان،أو أنّ المضیف الأصلی الذی هو اللّه و الملائکه الموکّلین بخدمه أهل الجنّه یبخلون علیهم..کلّا،لا یوجد شیء من هذا القبیل،فالمقتضی موجود بشکل کامل،و المانع بکلّ أشکاله مفقود.

ثمّ یشیر سبحانه إلی نعمه اخری حیث یقول: وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ أی الزوجات الرفیعات القدر و الشأن.

«فرش»:جمع فراش و تعنی فی الأصل کلّ فراش یفرش و لهذا التناسب فإنّها تستعمل فی بعض الأحیان کنایه عن الزوج(سواء کان رجلا أو امرأه)لذا جاء

فی الحدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: (الولد للفراش و للعاهر الحجر).

و فسّر البعض الفرش بمعناها الحقیقی و لیس کنایه،و اعتبرها إشاره إلی الفرش الثمینه و التی لها قیمه عظیمه فی الجنّه.و لکن إذا فسّرت بهذه الصوره، فسیقطع ارتباط هذه الآیه مع الآیات اللاحقه التی تتحدّث عن حوریات و زوجات الجنّه.

و یصف القرآن الکریم زوجات الجنّه بقوله تعالی: إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً .

و هذه الآیه لعلّها تشیر إلی الزوجات المؤمنات فی هذه الدنیا حیث یمنحهنّ اللّه سبحانه خلقا جدیدا فی یوم القیامه،و یدخلن الجنّه و هنّ فی قمّه الحیویه و الشباب و الجمال و الکمال الظاهر و الباطن،و بشکل یتناسب مع کمال الجنّه و خلوّها من کلّ نقص و عیب.

و إذا کان المقصود بذلک(الحوریات)فإنّ اللّه تعالی خلقهنّ بصوره لا یعتریهنّ فیها غبار العجز و الضعف،و یمکن أن یکون التعبیر بالإنشاء إشاره إلی

المعنيين أيضا.

ثمّ يضيف تعالى: فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً .

و احتمال أن يكون الوصف مستمرّا،كما صرّح كثير من المفسّرين بذلك، و أشير له فى الرّوايات الإسلاميه أيضا،حيث الزواج لا يغيّر وضعهنّ و يبقين أبكارا (۱) .

و يضيف فى وصفهنّ بوصف آخر فيقول تعالى: عُرُباً .

(عربا)جمع(عروبه)على وزن(ضروره)بمعنى المرأه التى يحكى وضع حالها عن مقام عفّتها و طهارتها،و عمّا تكنّه من المحبّه لزوجها،(إعراب):على وزن(إظهار)معناه هو نفس مدلول الإظهار،و يأتى هذا المصطلح أيضا بمعنى الفصاحه و لطافه الكلام،و يمكن جمع المعنيين فى هذه الآيه.

و الوصف الآخر لهن أَتْراباً أى أنّها متماثلات فى الجمال و أتراب فى الظاهر و الباطن،و متماثلات فى العمر مع أزواجهنّ.

(أتراب)جمع(ترب)على وزن(ذهن)بمعنى المثل و الشبيه،و قال البعض:إنّ هذا المعنى أخذ من الترائب و هى عظام قفص الصدر،لأنّها تتشابه الواحده مع الاخرى.

إنّ هذا الشبه و التماثل يمكن أن يكون فى أعمار الزوجات بالنسبه لأزواجهنّ،كى يدركن إحساسات و مشاعر أزواجهنّ كامله،و بذلك تصبح الحياه أكثر سعاده و انسجاما،بالرغم من أنّ السعاده تحصل مع اختلاف العمر أحيانا،إلّا أنّ الغالب ليس كذلك.كما يمكن أن يكون المقصود بالتشابه و التساوى فى الصفات الجماليه و النفسيه و حسن الظاهر و الباطن.

ثمّ يضيف تعالى: لِأَصْحابِ الْيَمِينِ .

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۲۷،ص ۱۲۳ و بالضمن يجدر الانتباه إلى أنّ هذه الحاله،مع فاء التفريع عطفت على الآيه السابقه.

و هذا تأكيد جديد على اختصاص هذه الصفات و النعم الإلهيّه بهم.

و يحتمل أيضا أن تكون هذه الجمله مكمّله لجمله إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (۱) .

و فى نهايه هذا العرض يقول سبحانه: ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّهٌ مِنَ الْآخِرِينَ .

«ثلّه»:فى الأصل بمعنى قطعه مجتمعه من الصوف،ثمّ أطلقت على كلّ مجموعه من الناس عظيمه و متماسكه،و بهذا الترتيب فإنّ مجموعه عظيمه من أصحاب اليمين هم من الأمم السابقه،و مجموعه عظيمه من الامّه الإسلاميه،لأنّ بين المجموعتين كثير من الصالحين و المؤمنين.بالرغم من أنّ السابقين للإيمان فى الامّه الإسلاميه أقلّ من السابقين للإيمان فى الأمم السابقه،و ذلك لكثره تلك الأمم و كثره أنبيائها.

و قال البعض:إنّ هاتين المجموعتين كلاهما من الامّه الإسلاميه،قسم من أوّلهم و قسم من آخرهم،إلاّ أنّ التّفسير الأوّل أصحّ.

۱- ۱) -فى الصوره الاولى عباره(أصحاب اليمين)خبر لمبتدأ محذوف،و فى التقدير تصبح هكذا:(هذه كلّها لأصحاب اليمين)و فى الصوره الثانيه جار و مجرور متعلّق بأنشأناهنّ،و التّفسير الأوّل أصحّ.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۴۱ الی ۵۰]

اشاره

وَ أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ (۴۱) فِی سَمُوم وَ حَمِیم (۴۲) وَ ظِلٍّ مِنْ یَحْمُوم (۴۳) لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ کَرِیم (۴۴) إِنَّهُمْ کٰانُوا قَبْلَ ذٰلِکَ مُتْرَفِینَ (۴۵) وَ کٰانُوا یُصِرُّونَ عَلَی اَلْحِنْثِ اَلْعَظِیم (۴۶) وَ کٰانُوا یَقُولُونَ أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ کُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ (۴۷) أَ وَ آبٰاؤُنَا اَلْأَوَّلُونَ (۴۸) قُلْ إِنَّ اَلْأَوَّلِینَ وَ اَلْآخِرِینَ (۴۹) لَمَجْمُوعُونَ إِلیٰ مِیقٰاتِ یَوْمٍ مَعْلُوم (۵۰)

التّفسیر

اشاره

العقوبات المؤلمه لأصحاب الشمال:

بعد الاستعراض الذی مرّ بنا حول النعم و الهبات العظیمه التی منحها اللّه سبحانه للمقرّبین من عباده و لأصحاب الیمین من أولیائه،یتطرّق الآن إلی ذکر المجموعه الثالثه أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ و العذاب المؤلم و العاقبه السیّئه التی حلّت بهم،فی عملیه مقارنه لوضع المجموعات الثلاثه حیث یقول الباریء: وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ .

ص: ۴۶۵

أصحاب الشمال هم الذين يستلمون صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى إشاره إلى سوء عاقبتهم،و أنّهم من أهل المعاصى و الذنوب،و ممّن تكون النار مصيرا لهم،و يستعمل هذا التعبير عاده لبيان(حسن)أو(سوء)نهايه الإنسان كما فى قولنا:السعاده أقبلت علينا يا لها من سعاده!.أو المصيبه داهمتنا يا لها من مصيبه.و كذلك فى قوله تعالى: وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ .

ثمّ يشير سبحانه إلى ثلاثه أنواع من العقوبات التى يواجهونها، الهواء الحارق القاتل من جهه سَمُومٍ و الماء المغلى المهلك من جهه اخرى وَ حَمِيمٍ ،و ظلّ الدخان الخانق الحارّ من جهه ثالثه وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ هذه الألوان من العذاب تحاصرهم و تطوقهم و تسلب منهم الصبر و القدره...إنّها آلام و عذاب لا يطاق، و لو لم يكن غيره من جزاء لكفاهم.

«سموم»:من مادّه(سمّ)بمعنى الهواء الحارق الذى يدخل فى مسام الجلد فتهلكهم،(و يقال للسمّ سمّا لأنّه ينفذ فى جميع خلايا الجسم).

و«حميم»:بمعنى الشىء الحارّ،و هنا جاء بمعنى الماء الحارق و الذى أشير له فى آيات قرآنيه سابقه كما فى قوله تعالى يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ . (١)

«يحموم»:من نفس المادّه أيضا،و هنا بمناسبه الظلّ فسّرت الكلمه بمعنى الظلّ الغليظ الأسود و الحارّ.

ثمّ يضيف البارئ مؤكّدا فيقول: لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ كَرِيمٍ .

المظلّه عاده تحمى الإنسان من الشمس و المطر و الهواء و لها منافع اخرى، و الظلّ المشار إليه فى الآيه الكريمه ليس له من هذه الفوائد شىء يذكر.

و التعبير ب(كريم)من مادّه(كرامه)بمعنى مفيد فائده،و لذلك فإنّ المتعارف بين العرب إذا أرادوا أن يعرفوا شيئا أو شخصا بانّه غير مفيد يقولون(لا كرامه

١- ١) -الحجّ.١٩.

فیه).

و من الطبیعی أنّ مظلّه من الدخان الأسود الخانق لا ینتظر منها إلاّ الشرّ و الضرر(لا کرامه).

و بالرغم من أنّ أجزاء أهل النار له أنواع مختلفه مرعبه من العذاب،إلاّ أنّ ذکر الأقسام الثلاثه یکفی لإعطاء فکره عن بقیّه الأهوال.

و فی الآیات اللاحقه یذکر الأسباب التی أدّت بأصحاب الشمال إلی هذا المصیر المخیف و المشؤوم،و ذلک بثلاث جمل،یقول فی البدایه: إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذٰلِکَ مُتْرَفِینَ .

«مترف»:کما ورد فی لسان العرب من مادّه ترف-علی وزن(سبب)-بمعنی التنعّم،و تطلق علی الشخص الذی ملکته الغفله و جعلته مغرورا سکران،و جرّته إلی الطغیان. (۱)

صحیح أنّ أصحاب الشمال لیسوا جمیعا من زمره المترفین،إلاّ أنّ المقصودین فی القرآن الکریم هم أربابهم و أکابرهم.

و الملاحظ فی عصرنا الحاضر أنّ فساد المجتمعات و عوامل الانحراف و رأس الحروب و الدمار و نزیف الدم و أنواع الظلم و مرکز الشهوات و الفساد فی العالم أجمع بید«الزمره»المترفه المغروره،و لهذا فالقرآن الکریم قد شخّص هم و حدّد موقفه منهم ابتداء.

و هنالک رأی ثان و هو:إنّ نعم اللّه سبحانه واسعه و عدیده و لا تنحصر بالأموال فقط،بل تشمل الصحّه و الشباب و العمر..فإذا کانت هذه النعم أو بعضها مبعثا للغرور و الغفله،فإنّها ستکون مصدرا أساسیا للذنوب،و هذا المفهوم یسری علی أصحاب الشمال.

ص:۴۶۷

۱- ۱) -لسان العرب،ج ۹،ص ۱۷.

ثمّ یشیر سبحانه إلی العامل الثانی الذی کان مصدرا و سببا لعذاب أصحاب الشمال،فیقول سبحانه: وَ کٰانُوا یُصِرُّونَ عَلَی الْحِنْثِ الْعَظِیمِ .

«الحنث»فی الأصل یعنی کلّ نوع من الذنوب،و قد استعمل هذا المصطلح فی کثیر من الموارد بمعنی نقض العهد و مخالفه القسم،لکونه مصداقا واضحا للذنب، و بناء علی هذا فإنّ خصوصیه أصحاب الشمال لیس فقط فی ارتکاب الذنوب و لکن فی الإصرار علیها،لأنّ الذنب یمکن صدوره من أصحاب الیمین أیضا،إلاّ أنّهم لا یصرّون علیه أبدا،و یستغفرون ربّهم و یعلنون التوبه إلیه عند تذکّره.

و فسّر البعض«الحنث العظیم»بمعنی الشرک،لأنّه لا ذنب أعظم من الشرک.

قال تعالی: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ (۱) .

و فسّر(الحنث)بالکذب،لأنّه أعظم الذنوب،و مفتاح المعاصی،خصوصا حینما یکون الکذب توأما لتکذیب للأنبیاء علیه السّلام و المعاد.

و الظاهر أنّ هذه جمیعا تعتبر مصادیق للحنث العظیم.

و ثالث عمل سبب لهم هذا الویل و العذاب،هو أنّهم قالوا: وَ کٰانُوا یَقُولُونَ أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ کُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ .

و علی هذا فإنّ إنکار القیامه و الذی هو بحدّ ذاته مصدر للکثیر من الذنوب، هو وصف آخر لأصحاب الشمال،و مصدر لشقائهم.و تعبیر کٰانُوا یَقُولُونَ یوضّح لنا أنّهم کانوا یصرّون و یعاندون فی إنکار یوم القیامه أیضا.

و هنا مطلبان جدیران بالملاحظه و هما:

الأوّل:أنّ القرآن الکریم فی معرض حدیثه عن(المقرّبین)و(أصحاب الیمین)لم یعط توضیحا عن أعمالهم التی سبّبت لهم تلک النعم و ذلک الجزاء،إلاّ ضمن إشاره عابره.أمّا عند ما جاء دور الحدیث عن أصحاب الشمال فقد وضّحت

۱- ۱) -النساء،آیه ۴۸.

أفعالهم بصوره كافيه،و ذلك ليكون إتماما للحجّه عليهم من جهه،و إظهار أنّ جزاءهم هذا كان انسجاما مع مبادئ العداله تماما من جهه اخرى.

و المسأله الاخرى:أنّ الذنوب الثلاثه التى أشير إليها فى الآيات الثلاثه السابقه كانت بمثابه نفى اصول الدين الثلاثه من قبل أصحاب الشمال.

ففى آخر آيه تحدّث القرآن الكريم عن تكذيبهم ليوم القيامه،و فى الآيه الثانيه عن إنكار التوحيد،و فى الآيه الاولى كانت الحديث عن المترفين و هى إشاره إلى تكذيب الأنبياء كما جاء فى قوله تعالى: وَ كَذٰلِكَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا عَلىٰ أُمَّةٍ وَ إِنّٰا عَلىٰ آثٰارِهِمْ مُقْتَدُونَ . (١)

و التعبير ب تُرٰاباً وَ عِظٰاماً لعلّه إشاره إلى أنّ لحومنا تتحوّل إلى تراب، و عظامنا إلى رميم،و مع ذلك فكيف نكون خلقا جديدا؟ و لمّا كانت عوده الحياه إلى التراب أبعد من عودتها إلى العظام لذا ذكر فى البدايه حيث يقول تعالى: تُرٰاباً وَ عِظٰاماً .

و العجيب أنّ هؤلاء يرون مشاهد المعاد بأعينهم فى هذه الدنيا و مع ذلك فإنّهم ينكرونها (٢) .ألم يروا إلى الكثير من الموجودات الحيّه كالنباتات تموت و تجفّ و تصبح ترابا ثمّ تلبس لباس الحياه مرّه اخرى،و أساسا فإنّ الذى خلق الخلق أوّل مرّه لن يعييه إعاده الخلق ثانيه،و لن يكون عليه ذلك صعبا و عسيرا و لكنّهم مع ذلك يصرّون على إنكار المعاد.

إنّهم لم يكتفوا بما ذكروا و ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث قالوا بتعجّب: أَ وَ آبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٣) الذين لم يبق منهم أثر و تناثرت كلّ ذرّه من تراب أجسادهم

ص :۴۶۹

١- ١) -الزخرف،٢٣.

٢- ٢) -يجب الانتباه هنا إلى تكرا حرف الاستفهام و التعبير ب(أنّ)كلّها للتأكيد.

٣- ٣) -الهمزه فى(أو آبائنا الأوّلون)استفهاميه،و الواو واو عطف و هنا قدّمت الهمزه الاستفهاميه عليها.

فی جهه،أو أصبحت جزءا من بدن کائن آخر؟ و لکن،کما قیل مفصّلا فی نهایه سوره یاسین،فإنّ هذه التساؤلات و غیرها لیست سوی حجج واهیه أمام الدلائل القویّه المتوفّره حول مسأله المعاد.

ثمّ إنّ القرآن الکریم یأمر الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یجیبهم: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِینَ وَ الْآخِرِینَ لَمَجْمُوعُونَ إِلیٰ مِیقٰاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱) .

«میقات»من مادّه(وقت)بمعنی الزمان الذی یحدّد لعمل ما أو موعد.

و المقصود من المیقات هنا هو نفس الوقت المقرّر للقیامه،حیث یجتمع کلّ البشر للحساب،و یأتی أحیانا کنایه عن المکان الذی عین لإنجاز عمل معیّن،مثل مواقیت الحجّ،التی هی أسماء أماکن خاصّه للشروع بالإحرام.

و یستفاد من التعابیر المختلفه التی وردت فی الآیه السابقه و التأکیدات العدیده حول مسأله الحشر،مثل: (إنّ،اللام،«مجموعون»التی جاءت بصیغه اسم مفعول،و وصف«یوم»بأنّه معلوم)ممّا یکون واضحا و مؤکّدا أنّ حشر جمیع الناس ینجز فی یوم واحد،و جاء هذا المعنی فی آیات قرآنیه اخری أیضا (۲) .

و من هنا یتّضح جیّدا أنّ الذین کانوا یتصوّرون أنّ القیامه تقع فی أزمنه متعدّده حیث إنّ لکلّ امّه قیامه،هم غرباء عن آیات اللّه تماما.

و لا بدّ من الإشاره هنا إلی أنّ معلومیه یوم القیامه هی عند اللّه فقط،و إلاّ فإنّ جمیع البشر بما فیهم الأنبیاء و المرسلون و المقرّبون و الملائکه لیس لهم علم بتوقیتها.

۱- ۱) -استعملت(إلی)فی هذه الجمله إشاره إلی أنّ القیامه تکون فی نهایه هذا العالم،و یمکن أن تکون هنا بمعنی ب«لام» کما هو فی الکثیر من الآیات القرآنیه وردت(لمیقات).

۲- ۲) -هود،الآیه ۱۰۳،مریم،الآیه ۹۵.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۵۱ الی ۵۶]

اشاره

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا اَلضّالُّونَ اَلْمُكَذِّبُونَ (۵۱) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (۵۲) فَمالِؤُنَ مِنْهَا اَلْبُطُونَ (۵۳) فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ اَلْحَمِيمِ (۵۴) فَشارِبُونَ شُرْبَ اَلْهِيمِ (۵۵) هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ اَلدِّينِ (۵۶)

التّفسير

اشاره

عقوبات جديده للمجرمين:

هذه الآيات استمرار للأبحاث المرتبطه بعقوبات أصحاب الشمال،حيث يخاطبهم بقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (۱) .

كان الحديث فی الآيات السابقه حول الأجواء التی تحيط ب(أصحاب الشمال)و ينتقل الحديث فی الآيات أعلاه إلی مشربهم و مأكلهم مقارنا بمأكل و مشرب المقرّبين و أصحاب اليمين.

و الجدير بالذكر أنّ المخاطبين فی هذه الآيات هم«الضالّون المكذّبون»

۱- ۱) -(من)فی(من شجر)تبعيضيه،و(من)فی(زقّوم)بيانيه.

الذین یتّسمون مضافا إلی الضلال و الانحراف بأنّ لدیهم روح العناد و الإصرار علی الباطل فی مقابل الحقّ.

(زقّوم)کما ذکرنا سابقا:نبات مرّ نتن الرائحه و طعمه غیر مستساغ،و فیه عصاره إذا دخلت جسم الإنسان یصاب بالتورّم،و تقال أحیانا لکلّ نوع من الغذاء المنفّر لأهل النار (۱) .

و للمزید حول(الزقّوم)یراجع نهایه الآیه(۶۲)سوره الصافات،و کذلک نهایه الآیه(۴۳)سوره الدخان.

و التعبیر ب فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ إشاره إلی الجوع الشدید الذی یصیبهم بحیث إنّهم یأکلون بنهم و شره من هذا الغذاء النتن و غیر المستساغ جدّا فیملئون بطونهم.

و عند تناولهم لهذا الغذاء السیء یعطشون.و لکن ما هو شرابهم؟! یتبیّن ذلک فی قوله تعالی: فَشٰارِبُونَ عَلَیْهِ (۲) مِنَ الْحَمِیمِ فَشٰارِبُونَ شُرْبَ الْهِیمِ .

إنّ البعیر الذی یبتلی بداء العطش فإنّ شدّه عطشه تجعله یشرب الماء باستمرار حتّی یهلک،و هذا هو نفس مصیر اَلضّٰالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ فی یوم القیامه.

«حمیم»:بمعنی الماء الحارّ جدّا و الحارق،و تطلق عباره(ولیّ حمیم)علی طبیعه العلاقه الصادقه الودیّه الحارّه،و«حمّام»مشتقّ من نفس المادّه أیضا.

(هیم)علی وزن(میم)جمع هائم،و اعتبرها البعض جمع أهیم و هیماء،و هی فی الأصل من(هیام)علی وزن(فرات)بمعنی مرض العطش الذی یصیب البعیر،

۱- ۱) -مجمع البحرین و مفردات الراغب،و لسان العرب،و تفسیر روح المعانی.

۲ - ۲) -الجدیر بالذکر أنّ فی الآیه السابقه کان الضمیر مؤنثا(منها)یعود علی(شجر من زقّوم)و فی هذه الآیه کان الضمیر مذکرا(علیه)یعود علی الشجر،و ذلک لأنّ الشجر اسم جنس یستعمل للذکر و المؤنث،و کذلک ثمر،(مجمع البیان نهایه الآیه مورد البحث).

و يستعمل هذا التعبير للعشق الحادّ أو للعشّاق الذين لا يقرّ لهم قرار.

و يعتبر بعض المفسّرين أنّ معنى(هيم)هى الأراضى الرمليه و التى كلّما سقيت بماء تسرّب منها فتظهر الظمأ دائما.

و فى آخر آيه-مورد البحث-يشير سبحانه إلى طبيعه مأكلهم و مشربهم فى ذلك اليوم حيث يقول: هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ .

فأين نزلهم و نزل أصحاب اليمين الذين ينعمون بالاستقرار فى ظلال الأشجار الوارفه،و يتناولون ألذّ الفواكه و أطيب الأطعمه،و أعذب الشراب الطهور، و يطوف حولهم الولدان المخلّدون و حور العين،و هم سكارى من عشق البارئ عزّ و جلّ؟ أين أولئك؟و أين هؤلاء؟ مصطلح(نزل)كما قلنا سابقا بمعنى الوسيله التى يكرمون بها الضيف العزيز، و تطلق أحيانا على أوّل طعام أو شراب يؤتى به للضيوف،و من الطبيعى أنّ أهل النار ليسوا ضيوفا،و أنّ الزقّوم و الحميم ليس وسيله لضيافتهم.بل هو نوع من الطعن فيهم،و أنّه إذا كان كلّ هذا العذاب هو مجرّد استقبال لهم،فكيف بعد ذلك سيكون حالهم؟

ص: ۴۷۳

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۵۷ الى ۶۲]

اشاره

نَحْنُ خَلَقْنٰاكُمْ فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ (۵۷) أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ اَلْخٰالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَيْنَكُمُ اَلْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۶۱) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلنَّشْأَةَ اَلْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ (۶۲)

التّفسير

اشاره

سبعه أدلّه على المعاد:

بمـا أنّ الآيـات السـابقه تحـدّثت عن تكـذيب الضالّين ليوم المعاد، فإنّ الآيات اللاحقه اسـتعرضت سـبعه أدلّه على هـذه المسأله المهمّه،كى يتركّز الإيمـان و تطمئن القلوب بـالوعود الإلـهيّه التى وردت فى الآيـات السـابقه حول«المقرّبين و أصـحاب اليمين و أصحاب الشمال»،و أساسا فإنّ أبحاث هذه السوره تتركّز على بحث المعاد بشكل عامّ.

يقول سبحانه فى المرحله الاولى: نَحْنُ خَلَقْنٰاكُمْ فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ أى لم لا

ص :۴۷۴

تصدّقون بالمعاد (۱) ؟! لماذا تتعجّبون من الحشر و المعاد الجسمى بعد أن تصبح أجسامكم ترابا؟ألم نخلقكم من التراب أوّل مرّه؟أليس حكم الأمثال واحدا؟ هذه الاستدلالات فى الحقيقه شبيهه بما جاء فى قوله تعالى: وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . (۲)

و فى الآيه اللاحقه يشير البارئ إلى دليل ثان حول هذه المسأله فيقول:

أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (۳) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ

.

من الذى يجعل من هذه النطفه الحقيره التى لا قيمه لها فى كلّ يوم بخلق جديد و شكل جديد،و خلق بعد خلق؟!هذه التطورات العجيبه التى بهرت العقول و اولى الألباب من المفكّرين،هل كانت من خلقكم أم من خلق اللّه تعالى؟ و هل أنّ القادر على الخلق المتكرّر يعجز عن إحياء الموتى فى يوم القيامه؟ إنّ المفاهيم التى وردت فى هذه الآيه تحكى نفس المفاهيم التى جاءت فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا . (۴)

و إذا تجاوزنا ذلك و أخذنا بنظر الإعتبار ما يقوله علماء اليوم حول قطره الماء هذه(النطفه)التى فى ظاهر الأمر لا قيمه لها،سوف يتّضح لنا الحال أكثر،

۱- ۱) -(لولا)فى الاصطلاح تستعمل للحضّ و التحريك لإنجاز عمل ما،و كما يقول البعض فإنّها فى الأصل مركّبه من(لم)و (لا)و التى تعطى معنى السؤال و النفى ثمّ تبدّلت الميم إلى واو،و يستعمل هذا المصطلح فى مكان يتسامح فيه فرد أو أفراد فى إنجاز عمل ما،و يقال لهم:لماذا لا تعملون هكذا و هكذا؟

۲- ۲) -سوره يس،۷۸-۷۹.

۳- ۳) -جاءت«رأيتم»هنا من الرؤيه بمعنى العلم و ليست المشاهده بالعين المجرّده.

۴- ۴) -الحجّ،۵.

حیث یقولون:إنّ الحیمن (الأسبر)هو حیوان مجهری صغیر جدّا و إنّ منیّ الرجل یحتوی علی عدد هائل من الحیامن فی کلّ إنزال تقدّر بین(۲-۵)ملیون حیمن و هذا یمثّل مقدار مجموع سکّان عدّه(بلدان فی العالم) (۱) هذا الحیوان المنوی یتّحد مع بویضه المرأه(أوول)،فتتکوّن البیضه المخصّبه التی تنمو بسرعه و تتکاثر بصوره عجیبه،حیث تصنع خلایا جسم الإنسان،و مع أنّ الخلایا متشابهه فی الظاهر،إلاّ أنّها تتوزّع بسرعه إلی مجامیع عدیده،فقسم منها یختص بالقلب، و الآخر بالأطراف،و الثالث بالاذن و الحنجره،و کلّ مجموعه مستقرّه فی مکانها المحدّد له،فلا خلایا الکلیه تنتقل إلی خلایا القلب،و لا خلایا القلب تتحوّل إلی خلایا العین،و لا العکس.

و الخلاصه أنّ«النطفه المخصّبه»فی المرحله الجنینیّه تمرّ بعوالم عدیده مختلفه حتّی تصبح جنینا،و کلّ هذا فی ظلّ خالقیه إلهیّه مستمرّه،فی حین أنّ دور الإنسان فی هذه العملیه بسیط جدّا،و یقتصر علی وضع النطفه فی الرحم،و الذی ینجز بلحظه واحده.

أ لیست هذه المسأله دلیلا حیّا علی مسأله المعاد؟ أو لیست هذه القدره العظیمه تدلّل علی قدره إحیاء الموتی أیضا (۲) .

ثمّ یستعرض ذکر الدلیل الثالث حیث یقول سبحانه: نَحْنُ قَدَّرْنا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ .

نعم،إنّنا لن نغلب أبدا،و إذا قدّرنا الموت فلا یعنی ذلک أنّنا لا نستطیع أن نمنح العمر السرمدی،بل أنّ الهدف هو أن نذهب بقسم من الناس و نأتی بآخرین محلّهم.و أخیرا نعیدکم خلقا جدیدا فی عالم لا تعلمون عنه شیئا عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَکُمْ وَ نُنْشِئَکُمْ فِی ما لا تَعْلَمُونَ .

ص: ۴۷۶

۱- ۱) -کتاب أوّل جامعه،ج ۱(بحث معرفه الجنین)،ص ۲۴۱.

۲- ۲) -فی هذا الموضوع ذکرنا توضیحات اخری فی نهایه الآیه(۵)من سوره الحجّ.

و فی تفسیر هاتین الآیتین هناک و جهه نظر اخری و هی:أنّ الآیه الثانیه لم تأت لبیان هدف الآیه الاولی و لکن تکمله لها،حیث یرید سبحانه أن یبیّن المعنی التالی و هو:أنّنا لسنا بعاجزین و مغلوبین علی أن نذهب بقسم و نأتی بآخرین مکانهم (۱) .

و یوجد تفسیران لجمله عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَکُمْ .

الأوّل:هو نفس التّفسیر المذکور أعلاه،و الذی هو المشهور بین المفسّرین، و طبقا لهذا الرأی تکون عملیه تبدیل الأقوام فی هذه الدنیا.

و الثانی هو:أنّ المقصود من(أمثال)هم نفس البشر الذین یبعثون فی یوم القیامه،و التعبیر ب(مثل)لأنّ الإنسان لا یبعث مرّه اخری بکلّ خصوصیاته التی کان علیها،إذ أنّه سیکون فی وقت جدید و کیفیات جدیده من حیث الروح و الجسم.

إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل هو الأنسب حسب الظاهر.

و علی کلّ حال،فإنّ الهدف هو الاستدلال علی المعاد من خلال مسأله الموت،و یمکن توضیح الدلیل بالصوره التالیه:إنّ اللّه الحکیم الذی خلق الإنسان و قدّر له الموت فطائفه یموتون و آخرین یولدون باستمرار،من البدیهی أنّ له هدف.

فإذا کانت الحیاه الدنیا هی الهدف فالمناسب أن یکون عمر الإنسان خالدا و لیس بهذا المقدار القصیر المقترن مع ألوان الآلام و المشاکل.

و سنّه الموت تشهد أنّ الدنیا معبرا و لیست منزلا و أنّها جسر و لیست مقصدا، لأنّها لو کانت مستقرّا و مقصد للزم أن تدوم الحیاه فیها.

جمله وَ نُنْشِئَکُمْ فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ ظاهرا إشاره إلی خلق الإنسان یوم القیامه،

---

۱ – ۱) -طبقا للتفسیر الأوّل فإنّ الجار و المجرور فی(علی أنّ نبدّل)متعلّق ب(قدّرنا)و الذی جاء فی الآیه السابقه،طبقا للتفسیر الثانی فإنّها متعلّقه ب(مسبوقین)(یرجی الانتباه).

و التی هی الهدف لحیاه و فناء هذه الدنیا،و من البدیهی لأی شخص لم یر الدار الآخره أنّه لن یستطیع إدراکها و معرفه قوانینها و الأنظمه المسیطره علیها من خلال الألفاظ و الصور التی تنقل لنا عنها،نعم إنّنا نستطیع أن نری شبحها و ظلالها فقط من التصویر اللفظی لها،و لذا فإنّ الآیه أعلاه تعکس هذه الحقیقه،حیث تذکر أنّ اللّه سیخلقنا فی عالم جدید و بأشکال و ظروف جدیده لا ندرک أسرارها (۱) .

و فی آخر آیه-مورد البحث-یتحدّث سبحانه عن رابع دلیل للمعاد حیث یقول: وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولیٰ فَلَوْ لاٰ تَذَکَّرُونَ .

هذا الدلیل نستطیع بیانه بصورتین:

الاولی:فی المثال التالی:إذا کنا نسیر فی صحراء و شاهدنا قصرا مهیبا عظیما مثیرا للإعجاب فی محتویاته و مواد بنائه و هندسته،و قیل لنا:إنّ الهدف من هذا القصر هو استعماله کمحطّه للراحه و الهدوء لعدّه ساعات فقط لقافله صغیره..فإنّنا سنحکم فی أنفسنا بصوره قاطعه علی عدم الحکمه فی هذا العمل،إذ من المناسب لمثل الهدف المتقدّم ذکره أن تعد خیمه صغیره فقط.

و علی هذا فإنّ خلق هذه الدنیا العظیمه و ما فیها من أجرام سماویه و شمس و قمر و أنواع المخلوقات الأرضیه الاخری،هل یمکن أن یکون لهدف صغیر محدود،کأن یعیش الإنسان فیها بضعه أیّام؟کلّا لیس کذلک،و إلّا فانّه یعنی أنّ خلق العالم سیکون بدون هدف،و لکن ممّا لا شکّ فیه أنّ هذه المخلوقات العظیمه قد خلقت لموجود شریف-مثل الإنسان-لیعرف اللّه سبحانه من خلالها،معرفه تکون رأسماله الوحید فی الدار الآخره،فالهدف إذن هو الدار الآخره،و هذا دلیل آخر علی المعاد.

و هذا البیان هو ما نجده فی الآیه الشریفه:

ص :۴۷۸

۱- ۱) -اعتبر البعض أن الآیه هی إشاره إلی مسخ الأقوام السابقین فی هذا العالم،حیث إن الله سبحانه قد مسخهم بأشکال لا یعلمونها،إلا أن هذا المعنی لا ینسجم مع ظاهر الآیه.

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا . (۱)

الثانيه:هو أنّنا نلاحظ مشاهد المعاد فى هذا العالم تتكرّر أمامنا فى كلّ سنه و فى كلّ زاويه و كلّ مكان،حيث مشهد القيامه و الحشر فى عالم النبات،فتحيى الأرض الميته بهطول الأمطار الباعثه للحياه قال تعالى: إِنَّ الَّذِی أَحْيٰاهٰا لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ ، (۲) و قد أشير إلى هذا المعنى كذلك فى الآيه ۶ من سوره الحجّ.

ملاحظه

اشاره

حجيّه القياس:

إنّ هذه المسأله تطرح عاده فى اصول الفقه،و هى أنّنا لا نستطيع إثبات الحكم الشرعى عن طريق القياس كقولنا مثلا:(إنّ المرأه الحائض التى يجب أن تقضى صومها يجب أن تقضى صلاتها كذلك)-أى يجب أن تكون استنتاجاتنا من الكلّى إلى الجزئى،و ليس العكس-و بالرغم من أنّ علماء أهل السنّه قد قبلوا القياس فى الغالب كأحد مصادر التشريع فى الفقه الإسلامى،فإنّ قسما منهم يوافقوننا فى مسأله(نفى حجيّه القياس).

و الظريف هنا أنّ بعض مؤيّدى القياس أرادوا أن يستدلّوا بمقصودهم بالآيه التاليه: وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ أى قيسوا النشأه الاخرى(القيامه)على النشأه الاولى(الدنيا).

إلاّ أنّ هذا الاستدلال عجيب،لأنّه أوّلا:إنّ المذكور فى الآيه هو استدلال عقلى و قياس منطقى،ذلك أنّ منكرى المعاد كانوا يقولون:كيف تكون للّه القدره على إحياء العظام النخره؟فيجيبهم القرآن الكريم بالمفهوم التالى:إنّ القوّه التى

۱- ۱) -سوره ص،۳۷.

۲- ۲) -فصّلت،۳۹.

کانت لها القدره علی خلقکم فی البدایه هی نفسها ستکون لها القدره لخلقکم مرّه ثانیه،فی الوقت الذی لا یکون القیاس الظنّی بالأحکام الشرعیه بهذه الصوره أبدا،لأنّنا لا نحیط بمصالح و مفاسد کلّ الأحکام الشرعیه.

و ثانیا:إنّ من یقول ببطلان القیاس یستثنی قیاس الأولویه،فمثلا یقول تعالی:

فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا و نفهم بطریق أولی ألاّ تؤذیهما من الناحیه البدنیه.

و الآیه مورد البحث من قبیل قیاس الأولویه و لیس لها ربط بالقیاس الظنّی مورد الخلاف و النزاع،لأنّه لم یکن شیء من المخلوقات فی البدایه،و اللّه عزّ و جلّ خلق الوجود من العدم و خلق الإنسان من التراب،و لذا فإنّ إعاده الإنسان إلی الوجود مرّه اخری أیسر من خلقه ابتداء،و تعکس الآیه الکریمه التالیه هذا المفهوم حیث یقول تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ . (1)

و ننهی حدیثنا هذا بالحدیث التالی:

«عجبا کلّ العجب للمکذّب بالنشأه الاخری و هو یری النشأه الاولی،و عجبا للمصدّق بالنشأه الاخری و هو یسعی لدار الغرور» . (2)

۱- ۱) -الروم،۲۷.

۲- ۲) -ذکر هذا الحدیث فی تفسیر روح البیان و روح المعانی و القرطبی و المراغی باختلاف مختصر بعنوان خبر،و بدون تصریح باسم الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلاّ أنّ ظاهر تعبیراتهم أنّ الحدیث للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و فی کتاب الکافی أیضا نقل القسم الأوّل من هذا الحدیث عن الإمام علی بن الحسین علیه السّلام.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۶۳ الى ۶۷]

اشاره

أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ (۶۳) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ اَلزّٰارِعُونَ (۶۴) لَوْ نَشٰاءُ لَجَعَلْنٰاهُ حُطٰاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (۶۵) إِنّٰا لَمُغْرَمُونَ (۶۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۶۷)

التّفسير

اشاره

هل أنتم الزارعون أم اللّه؟

استعرضنا لحدّ الآن أربعه أدلّه من الأدلّه السبعه التى جاء ذكرها فى هذه السوره حول المعاد،و الآيات-مورد البحث و اللاحقه لها-تستعرض الأدلّه الاخرى المتبقّيه و التى كلّ منها مصداق لقدره اللّه اللامتناهيه.

فالدليل الأوّل يرتبط بخلق الحبوب الغذائيه،و الثانى يرتبط بخلق الماء، و الثالث يتعلّق بالنار.و هذه المحاور تشكّل الأركان الأساسيّه فى الحياه الإنسانيه،فالحبوب النباتيه أهمّ مادّه غذائيه للإنسان،و الماء أهمّ عنصر للحياه، و النار أهمّ وسيله لإصلاح المواد الغذائيه و سائر امور الحياه الاخرى.

يقول سبحانه فى البدايه: أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّٰارِعُونَ .

الملفت للنظر هنا أنّ الآيه استعملت تعبير(تحرثون)من مادّه(حرث)على وزن(درس)و هو يعنى الزراعه و نشر الحبوب و تهيئتها للإنبات،و فى الآيه الثانيه كان التعبير ب(تزرعونه)من مادّه«زراعه»بمعنى النمو و النضج.

و من البديهى أنّ عمل الإنسان هو الحرث فقط،أمّا النمو فهو من عمل اللّه سبحانه فقط،و لذا نقل

فى حديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «لا يقولنّ أحدكم زرعت و ليقل حرثت،فإنّ الزارع هو اللّه» (۱) .

شرح هذا الدليل هو أنّ عمل الإنسان فى الزرع كعمله فى الإنجاب حيث ينثر البذره و يتركها،و اللّه سبحانه هو الذى يخلق فى وسط هذه البذره الحياه،فعند ما توضع البذره فى محيط مهيّأ من حيث التربه و الضوء و الماء،فإنّها تستفيد ابتداء من المواد الغذائيه المخزونه فيها إلى أن تصبح برعما و تولّد جذرا،ثمّ تنمو بسرعه عجيبه مستفيده من المواد الغذائيه الموجوده فى الأرض حيث تعمل أجهزه عظيمه و تحدث تغييرات عميقه فى داخل النبات،تتمخّض عن أغصان و سيقان و أوراق و ثمار..و أحيانا تنتج البذره الواحده عدّه آلاف من البذور (۲) .

يقول العلماء:إنّ التركيبات الموجوده فى بناء نبات واحد أعجب و أعقد بمراتب من التشكيلات الموجوده فى مدينه صناعيه عظيمه مع معاملها المتعدّده.

هل أنّ القوّه التى لها مثل هذه القدره تعجز عن إحياء الموتى مرّه اخرى؟ و فى الآيه اللاحقه يؤكّد الدور الهامشى للإنسان فى نمو و رشد النباتات فيقول: لَوْ نَشٰاءُ لَجَعَلْنٰاهُ حُطٰاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ .

نعم،يستطيع البارئ أن يرسل رياحا سامّه تقتل البذور قبل الإنبات

ص:۴۸۲

۱- ۱) -القسم الأوّل من الحديث جاء فى تفسير مجمع البيان نهايه الآيه مورد البحث،و نقل القسم الثانى فى روح البيان كإضافه عليه.

۲- ۲) -بالرغم من أنّ الحبّه الواحده من الحنطه لا تنبت سوى عدّه مئات من الحبوب،إلاّ أنّه كما قلنا فى ج ۲ من هذا التّفسير: أنّه قد وجد فى بعض مزارع القمح فى إحدى المحافظات الجنوبيه لإيران أنّ سنبله واحده تحوى على أربعه آلاف حبّه و ذلك طبقا لما أعلنته منشورات صحفيه.

و تحطّمها،أو يسلّط عليها آفه تتلفها بعد الإنبات كالجراد،أو تنزل عليها صاعقه كبيره بحيث لا تبقى و لا تذر إلّا شيئا من التبن اليابس،و عند ذلك تضطربون و تندمون عند مشاهدتكم لمنظرها.

هل كان بالإمكان حدوث مثل هذه الأمور إذا كنتم أنتم الزارعون الحقيقيون؟إذا فاعلموا أنّ كلّ هذه البركات من مصدر آخر.

«حطام»:من مادّه(حطم)على وزن(حتم)تعنى فى الأصل كسر الشيء، و غالبا ما تطلق على كسر الأشياء اليابسه كالعظام النخره و سيقان النباتات الجافّه، و المقصود هنا هو التبن.

و يحتمل أيضا أنّ المقصود بالحطام هنا هو فساد البذور فى التربه و عدم نموّها (۱) .

«تفكّهون»:من مادّه(فاكهه)بمعناها المتعارف،كما تطلق فكاهه على المزاح و ذكر الطرائف التى هى فاكهه جلسات الانس،و يأتى هذا المصطلح أحيانا للتعجّب و الحيره،و الآيه مورد البحث من هذا القبيل.

فى بعض الأحيان يضحك الإنسان فى الحاله العصبيه و تسمّى هذه الضحكه ب(ضحكه الغضب)كما فى المزاح الذى يكون عند الظروف الصعبه و المصائب الثقيله،و بناء على هذا فالمقصود:بالفاكهه-أحيانا-هو المزاح المقترن بالألم.

نعم تتعجّبون و تغمركم الحيره و تقولون إِنّا لَمُغْرَمُونَ (۲) (۳) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ .

و إذا كنتم أنتم الزارعين الحقيقيين،فهل بإمكانكم أن تمنعوا و تدفعوا عن زرعكم الأضرار و المصير المدمّر و النتيجه البائسه؟و هذا التحدّى يؤكّد لنا أنّ جميع امور الخلق من اللّه سبحانه،و كذلك فإنّه هو الذى ينبت من بذره لا قيمه لها

۱- ۱) -تفسير أبو الفتوح الرازى نهايه الآيه مورد البحث.

۲- ۲) -لجمله إِنّا لَمُغْرَمُونَ محذوف،تقديره(و تقولون إنّا لمغرمون).

۳- ۳) -«مغرمون»:من مادّه(غرامه)بمعنى الضرر و فقدان الوقت و المال.

نباتات طريّه و أحيانا مئات أو آلاف البذور منها،تلك النباتات التى يتغذّى عليها الإنسان بشكل أساسى و يستفيد من أغصانها و أوراقها و أحيانا جذورها و بقيّه أجزائها غذاء للحيوان و دواء للأمراض و الأسقام.

ص :۴۸۴

الآیات [سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۶۸ الی ۷۴]

اشاره

أَ فَرَأَیْتُمُ اَلْمٰاءَ اَلَّذِی تَشْرَبُونَ (۶۸) أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ اَلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ اَلْمُنْزِلُونَ (۶۹) لَوْ نَشٰاءُ جَعَلْنٰاهُ أُجٰاجاً فَلَوْ لاٰ تَشْکُرُونَ (۷۰) أَ فَرَأَیْتُمُ اَلنّٰارَ اَلَّتِی تُورُونَ (۷۱) أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهٰا أَمْ نَحْنُ اَلْمُنْشِؤُنَ (۷۲) نَحْنُ جَعَلْنٰاهٰا تَذْکِرَهً وَ مَتٰاعاً لِلْمُقْوِینَ (۷۳) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ اَلْعَظِیمِ (۷۴)

التّفسیر

اشاره

من الذی خلق الماء و النار؟

یشیر سبحانه فی هذه الآیات إلی سادس و سابع دلیل للمعاد فی هذا القسم من آیات سوره الواقعه،التی تبیّن قدره اللّه تعالی علی إحیاء الموتی،بل فی کلّ شیء.

أَ فَرَأَیْتُمُ الْمٰاءَ الَّذِی تَشْرَبُونَ

.

أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ

.

«مزن»:علی وزن(حزن)کما یقول الراغب فی المفردات تعنی(الغیوم

ص: ۴۸۵

البیضاء)و فسّرها البعض بأنّها(الغیوم الممطره) (۱) .

إنّ هذه الآیات تجعل الوجدان الإنسانی أمام استفسارات عدّه کی تأخذ إقرارا منه،حیث یسأل اللّه سبحانه:هل فکّرتم بالماء الذی تشربونه باستمرار و الذی هو سرّ حیاتکم؟ و هل تدبّرتم من الذی یأمر الشمس بالشروق علی صفحات المحیط حیث تفصل جزئیات الماء الخالص الحلو و الطاهر من بین المیاه المالحه؟ و هل علمتم من الذی یحمل هذا البخار نحو السماء؟ و من الذی یأمر البخار بالتجمّع و تشکیل غیوم الأمطار؟ و من الذی یأمر الریاح بالتحرّک و حمل الغیوم إلی الأراضی القاحله و المیته؟ و من الذی یمنح للطبقات العلیا فی الجوّ هذه الخاصیّه من البروده بحیث تمنح استمرار صعود البخار نحو الأعلی،کی یتحوّل البخار إلی قطرات صغیره و ملائمه تسقط علی الأرض بهدوء و تعاقب؟ و هل نعلم ماذا سیحدث لو انقطعت الشمس عن الشروق لمدّه سنه واحده؟ أو توقّفت الریاح عن التحرّک؟ أو رفضت الطبقات العلیا حفظ البخار من الصعود إلی الأعلی؟ أو حبسته من النّزول إلی الأرض؟ لا شکّ أنّ الذی سیحدث یمثّل کارثه،حیث یموت الزرع و النخیل و تهلک مزارعکم و حدائقکم و حیواناتکم،بل ستهلکون أنتم من الظمأ أیضا.

إنّ القوّه التی أعطت هذه القدره و منحت کلّ هذه النعم و البرکات العظیمه،بما أودعته من قوانین و نظم فی عالم الخلق،أ تظنّون أنّها غیر قادره علی إحیاء الموتی؟

۱- ۱) -لسان العرب مادّه مزن.

و هل أنّ إحياء الموتى غير هذا؟ أليس إحياء الأراضي الميته نوعا من أنواع إحياء الموتى؟ نعم،إنّه دليل على ذلك،و هو دليل على التوحيد و عظمه القدره الإلهيّه،و دليل أيضا على الحشر و المعاد.

و إذا لاحظنا في الآيات أعلاه عمليه استعراض لماء الشرب-فقط-و عدم التحدّث عن تأثيره في حياه الحيوانات أو النباتات فإنّ السبب هو الأهميّه البالغه للماء في حياه الإنسان نفسه،بالإضافه إلى أنّه قد أشير له في الآيات السابقه في الحديث الزرع،لذا لا حاجه لتكرار ذلك.

و الطريف هنا أنّ أهميّه الماء و تأثيره في حياه الإنسان تزداد مع مرور الزمن و تقدّم الصناعه و العلم و المعرفه الإنسانيه،فالإنسان الصناعي يحتاج إلى الماء بصوره متزايده،لذلك فإنّ كثيرا من المؤسسات الصناعيه العظيمه لا تكون لها القدره على الفاعليه إلاّ حينما تكون على ضفاف الأنهار العظيمه.

و أخيرا-و لإكمال البحث في الآيه اللاحقه-يقول سبحانه: لَوْ نَشٰاءُ جَعَلْنٰاهُ أُجٰاجاً فَلَوْ لاٰ تَشْكُرُونَ (١) .

نعم،لو أراد اللّه تعالى،للأملاح المذابه في مياه البحار أن تتبخّر مع ذرّات الماء،و تصعد إلى السماء معها و تشكّل غيوما مالحه و مرّه،و تنزل قطرات المطر مالحه مرّه أيضا كمياه البحر،فهل هنالك من قوّه تمنعه؟و لكنّه بقدرته الكامله لم يسمح للأملاح بذلك،و لا للمكروبات-أيضا-أن تصعد إلى السماء مع بخار الماء.

و لهذا فإنّ قطرات المطر عند ما يكون الجوّ غير ملوّث تعتبر أنقى و أطهر و أعذب المياه.

«أجاج»:من مادّه(أجّ)على وزن(حجّ)و قد أخذت في الأصل من«أجيج

١- ١) -في هذه الجمله حذفت اللام و في التقدير هكذا«لو نشاء لجعلناه».

النار»یعنی اشتعالها و احتراقها،و یقال«أجاج»للمیاه التی تحرق الفمّ عند شربها لشدّه ملوحتها و مرارتها و حرارتها.

نختتم حدیثنا هذا بحدیث لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث ذکر الرواه

أنّ النّبی کان إذا شرب الماء قال:«الحمد للّه الذی سقانا عذبا فراتا برحمته،و لم یجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» (۱) .

و أخیرا نصل إلی سابع-و آخر-دلیل للمعاد فی هذه السلسله من الآیات الکریمه،و هو خلق النار التی هی أهمّ وسیله لحیاه الإنسان و أکثرها أهمیّه له فی المجالات الصناعیه المختلفه،حیث یقول سبحانه: أَ فَرَأَیْتُمُ النّارَ الَّتِی تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ .

«تورون»:من مادّه«وری»علی وزن(نفی)بمعنی الستر،و یقال للنار التی تکون مخفیه فی الوسائل التی لها القابلیه علی الاشتعال و التی تظهر بشراره «وری»و«ایراء»،و خروجها یکون عن.

و توضیح ذلک:إنّ لإشعال النار و إیجاد الشراره الاولی،و التی تستحصل الیوم بواسطه الکبریت و القداحات و ما إلی ذلک،فإنّهم کانوا یحصلون علیها من الحدید و الحجر المخصّص للقدح،حیث تظهر الشراره بضرب الواحد بالآخر،أمّا أعراب الحجاز فکانوا یستفیدون من نوعین من الشجر الخاصّ الذی ینمو فی الصحراء و هما(المرخ)و(العفار)حیث یأخذون قطعتی خشب و یضعون الاولی أسفل و العفار فوقه فتتولّد الشراره منها کما تتولّد من الحجر المستعمل للقدح.

و فسّر أغلب المفسّرین الآیه بأنّها دلیل آخر علی قدره اللّه البالغه فی النار المخفیه فی خشب الأشجار الخضراء کمولّد للشرر و النار،فی الوقت الذی تکون فیه الأشجار الخضراء مشبّعه بالماء،فأین الماء؟و أین النار؟

ص:۴۸۸

۱- ۱) -تفسیر المراغی،ج ۲۷،ص ۱۴۸،و تفسیر روح المعانی،ج ۲۷،ص ۱۲۹.

هذا الخالق العظيم الذی یتمیّز بهذه القدره،الذی وضع الماء و النار جنبا إلی جنب الواحد داخل الآخر،کیف لا یستطیع أن یلبس الموتی لباس الحیاه، و یحییهم فی الحشر.

و قد ورد دلیل شبیه بهذا حول المعاد فی آخر آیات سوره«یس»أیضا یقول تعالی: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ . (۱)

و لکن کما ذکرنا فی تفسیر الآیه أعلاه فإنّ تعبیر القرآن یمکن أن یکون إشاره إلی دلیل أظرف،و هو حشر و تحرّر الطاقات و انطلاقها.

و بتعبیر آخر:فإنّ الحدیث هنا لیس فقط عن(القادحات)بل عن المواد التی لدیها قابلیه الاشتعال-کالخشب و الحطب-حیث تولّد عند احتراقها کلّ هذه الحراره و الطاقه.

و توضیح ذلک:أنّه ثبت من الناحیه العلمیه أنّ النار التی نشاهدها الیوم عند احتراق الأخشاب هی نفس الحراره التی أخذتها الأشجار من الشمس علی مرّ السنین و ادّخرتها فی داخلها،فنحن نتصوّر أنّ أشعّه الشمس طیله إشراقها علی الشجر خلال خمسین سنه قد ذهبت آثارها غافلین عن أنّ حرارتها قد ادّخرت فی الشجره،و عند ما تصل شراره النار إلی الأخشاب الیابسه تبدأ بالاحتراق و تطلق الحراره الکامنه فیها.

و بذلک یکون هنا أیضا معاد و محشر و تحیا الطاقات من جدید مرّه اخری، و لسان حال الأشجار یقول:إنّ الخالق الذی هیّأ لنا الحشر قادر أن یهیّأ لکم حشرا یا بنی البشر.(و لمزید من الاطلاع فی هذا المجال راجعوا البحث المفصّل الذی بیّناه فی الآیه من سوره یس).

جمله(یورون)-بمعنی إشعال النار-بالرغم من أنّها فسّرت هنا بما یستفاد

ص :۴۸۹

۱- ۱) -سوره یس،الآیه ۸۰.

منه تولید النار،إلّا أنّه لا مانع من أن تشمل الأشیاء المشتعله أیضا کالحطب باعتباره نارا خفیّه تظهر وقت توفّر الشروط المناسبه لها.

و لا تنافی بین المعنیین،حیث المعنی الأوّل یفهمه العامّه من الناس،و الثانی أدقّ،یتوضّح مع مرور الزمن و تقدّم العلم و المعرفه.

و فی الآیه اللاحقه یضیف مؤکّدا الأبحاث أعلاه بقوله سبحانه: نَحْنُ جَعَلْنٰاهٰا تَذْکِرَهً وَ مَتٰاعاً لِلْمُقْوِینَ .

إنّ عوده النار من داخل الأشجار الخضراء تذکّرنا برجوع الأرواح إلی الأبدان فی الحشر من جهه،و من جهه اخری تذکّرنا هذه النار بنار جهنّم.

یقول الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «نارکم هذه التی توقدون جزء من سبعین جزاء من نار جهنّم» (1) .

أمّا تعبیر مَتٰاعاً لِلْمُقْوِینَ فإنّه إشاره قصیره و معبّره للفوائد الدنیویه لهذه النار،و قد ورد تفسیران لمعنی المقوین:

الأوّل:أنّ(مقوین)من مادّه(قواء)علی وزن(کتاب)بمعنی الصحراء الیابسه المقفره،و لهذا أطلقت کلمه(المقوین)علی الأشخاص الذین یسیرون فی الصحاری،و لأنّ أفراد البادیه فقراء،لذا فقد جاء هذا التعبیر بمعنی«الفقیر»أیضا.

و التّفسیر الثانی:أنّ(مقوین)من مادّه(قوّه)بمعنی أصحاب القوّه،و بناء علی هذا فإنّ المصطلح المذکور هو من الکلمات التی تستعمل بمعنیین متضادّین (2) .

صحیح أنّ النار هی مورد استفاده الجمیع-و لکن المسافرین یستفیدون منها و یعتمدون علیها فی الدفء و الطهی و خاصّه فی أسفارهم فی الأزمنه القدیمه أکثر من الآخرین.

و استفاده«الأقویاء»من النار واضحه أیضا،و ذلک لاتّساع المجالات التی

1- 1) -تفسیر القرطبی،ج 9،ص 6392،و تفسیر روح المعانی،ج 27،ص 131.
2- 2) -من الجدیر بالملاحظه أنّ کلمه(متاع)تطلق علی کلّ وسیله یستفید منها الإنسان فی حیاته.

يستعلمون النار فيها فى امور حياتهم المختلفه،خصوصا مع اتّساع دائره البحث العلمى كما فى عالمنا المعاصر،حيث إنّ الحراره الناشئه من أنواع النار تحرّك عجله المصانع العظيمه،و إذا ما تعطّلت هذه الوسيله المهمّه و انطفأت شعلتها العظيمه-و التى جميعها من الشجر-بما فى ذلك النار المأخوذه من الفحم الحجرى أو المواد النفطيه حيث ترجع إلى النباتات بصوره مباشره أو غير مباشره -فإنّها ستتعطّل الحياه المدنيه،بل و ستنطفئ حياه الإنسان أيضا.

و بدون شكّ فإنّ النار من أهمّ كتشافات البشر،فى حين أنّ اللّه تعالى هو الذى أوجدها و دور الإنسان فيها بسيط و عادى جدّا.

لقد قفز اكتشاف النار بالإنسانيه مرحله مهمّه حيث بدأت تسير من ذلك الوقت فى مراحل جديده من التمدّن و الرقى.

نعم هذه الحقائق جميعا عبّر عنها القرآن الكريم بجمله قصيره: نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ .

و ممّا يجدر ذكره أنّ الآيه أعلاه استعرضت فى البدايه الفوائد المعنويه للنار، و التى تذكّرنا بيوم القيامه،و التى هى محور الحديث فى هذا البحث،ثمّ انتقلت إلى ذكر تفاصيل الفوائد الدنيويه لها،لأنّ للناحيه الاولى أهميّه أكثر،بل تمثّل الأصل و الأساس فى البحث.

بعد ذكر النعم الثلاث(الحبوب الغذائيه،و الماء،و النار)و التى روعى ترتيب أهميّتها وفق تسلسل طبيعى-لأنّ اهتمام الإنسان يبدأ أوّلا بالحبوب الغذائيه ثمّ يمزجها بالماء و من ثمّ يطهوها و يهيّؤها للغذاء بواسطه النار-يستنتج سبحانه نتيجه مهمّه بعد ما ركّز على أهميّه هذه النعم للإنسان و ذلك بتسبيحه و الشكر له تعالى باعتباره المصدر الوحيد لهذه النعم.. فيقول سبحانه فى آخر آيه مورد

البحث: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ (۱) .

نعم،إنّ اللّه الـذی خلق کلّ هـذه النعم،و التی کلّ منها تـذکّرنا بقدرته و توحیده و عظمته و معاده،لائق للتسبیح و التنزیه من کلّ عیب و نقص.

إنّه ربّ،و کـذلک فإنّه«عظیم»و قادر و مقتدر،و بالرغم من أنّ المخاطب فی هذه الآیه هو الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلاّ أنّ من الواضح أنّ جمیع البشر هم المقصودون.

تعقیب

من المنـاسب هنـا الإشـاره إلی بعض الأحـادیث الشـریفه-حول الآیات أعلاه-عن الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کذلک عن الإمام علی علیه السّلام.

أوّلا:نقرأ

فی تفسـیر روح المعانی حدیثا للإمام علی علیه السّـلام أنّه فی إحدی اللیالی کان الإمام یصلّی و یقرأ سوره الواقعه-و لمّا وصـل إلی الآیه: أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخٰالِقُونَ قال ثلاث مرّات:بعـد انتهاء صـلاته«بل أنت یا ربّ»و عنـد ما وصـل إلی الآـیه: أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّٰارِعُونَ قـال ثلاـث مرّات«بل أنت یا ربّ»و عنـد ما وصل إلی قوله تعالی: أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ قـال ثلاـث مرّات أیضـا«بـل أنت یـا ربّ» ثمّ تلاـ قوله تعالی: أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهٰا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ قل ثلاث مرّات«بل أنت یا ربّ» (۲) .

و موضع العبره فی هـذا الحـدیث هی ضـروره ملاـحظه هـذه الآیات التی وردت فی القرآن الکریـم بعنوان اسـتفهام تقریری و أن یعطی الإنسان جوابا إیجابیا للّه

ص: ۴۹۲

۱- ۱) -الباء فی(باسم ربّک)یمکن أن تکون للتعـدیه(حیث إنّ الفعل المتعدّی سـبّح یؤخذ بمنزله اللازم)و احتمل البعض أیضـا أنّ الباء هنا جاءت للاستعانه أو زائده أو ملابسه،إلاّ أنّ المعنی الأوّل هو الأنسب.

۲- ۲) -تفسیر روح المعانی،ج ۲۷،ص ۱۳۰.

سبحانه الذی یتحدّث معه لترکیز هذه الحقائق فی روحه و نفسه،و علیه أن یتعمّق فی ذلک من خلال القراءه المتدبّره الواعیه،و لا یقتنع بالتلاوه الفارغه.

ثانیا:جاء

فی حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «لا تمنعوا عباد اللّه فضل ماء و لا کلأ و لا نار فإنّ اللّه تعالی جعلها متاعا للمقوین،و قوّه للمستضعفین» (۱) .

ثالثا:و نقرأ

فی حدیث آخر أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال حینما نزلت الآیه الکریمه:

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ

:«اجعلوها فی رکوعکم» (۲) ، أی قولوا فی رکوعکم:

سبحان ربّی العظیم و بحمده.

ص :۴۹۳

۱- ۱) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۶۱.

۲- ۲) -ذکر هذا الحدیث المرحوم الطبرسی فی مجمع البیان بکونه حدیثا صحیحا،ج ۹،ص ۲۲۴،و جاء أیضا فی کتاب(من لا یحضره الفقیه)مطابقا لنقل نور الثّقلین،ج ۵،ص ۲۲۵،و کذلک فی تفسیر الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۶۸.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۷۵ الى ۸۲]

اشاره

فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ اَلنُّجُومِ (۷۵) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (۷۶) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (۷۷) فِى كِتٰابٍ مَكْنُونٍ (۷۸) لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ (۷۹) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۸۰) أَ فَبِهٰذَا اَلْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (۸۱) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (۸۲)

التّفسير

اشاره

المطهّرون و معرفه أسرار القرآن:

استمرارا للأبحاث التى جاءت فى الآيات السابقه،و التى تركّز الحديث فيها حول الأدلّه السبعه الخاصّه بالمعاد،ينتقل الحديث الآن عن أهميّه القرآن الكريم باعتباره يشكّل مع موضوع النبوّه ركنين أساسيين بعد مسأله المبدأ و المعاد و التى بمجموعها تمثّل أهمّ الأركان العقائديه،فبالإضافه إلى أنّ للقرآن الكريم أبحاثا عميقه حول أصلى التوحيد و المعاد،فإنّه يعتبر تحكيما لهذين الأصلين.

يبدأ الحديث بقسم عظيم،حيث يقول سبحانه: فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ .

يعتقد الكثير من المفسّرين أن(لاٰ)التى جاءت هنا ليست بمعنى النفى حيث إنّها زائده و للتأكيد،كما جاء نفس هذا التعبير فى الآيات القرآنيه الاخرى حول

القسم بيوم القيامه و النفس اللوامه و ربّ المشارق و المغارب و الشفق،و ما إلى ذلك.

فى الوقت الـذى اعتبر البعض الآـخر أنّ(لاـ)هنـا جاءت للنفى،حيث قالوا:إنّ المطلب(مورد القسم)أهمّ من أن يقسم به،كما نقول فى تعبيراتنا اليوميّه:نحن لا نقسم بالموضوع الفلانى،أى نفى القسم و أنّ(لا)هنا جاءت إشاره لذلك.

إلاّـ أنّ التّفسـير الأـوّل هو الأـنسب حسب الظـاهر،لأـنّه قـد ورد فى القرآن الكريـم القسم بـاللّه صـراحه،فهل أنّ النجوم أفضل من الذات الإلهيّه حتّى لا يقسم بها؟ و حول(مواقع النجوم)فقد ذكر المفّسرون تفسيرات عديده لها:

الأوّل:هو المعنى المتعارف عليه من حيث مداراتها و أبراجها و مسيرها.

و الآخر:هو أنّ المقصود بذلك مواقع طلوعها و غروبها.

و الثّالث:هو سقوط النجوم فى الحشر و القيامه.

و فسّرها آخرون:بأنّ معناه هو غروب النجوم فقط.

و اعتبرها آخرون إشاره و انسجاما مع قسم من الرّوايات حول نزول آيات و سور القرآن الكريم فى فواصل زمنيه مختلفه،و ذلك لأنّ«النجوم»جمع نجمه تستعمل للأعمال التى تنجز بصوره تدريجيّه.

و بـالرغم من أنّ المعانى لا تتنافى حيث يمكن جمعها فى الآيه أعلاه،إلاّ أنّ التّفسـير الأوّل هو الأنسب حسب الظاهر،و ذلك لأنّ أكثر النـاس كانوا لا يعلمون أهميّه هـذا القسم عنـد نزول الآيات،بعكس الحاله اليوم،و التى توضّـح لنا أنّ لكلّ نجمه من النجوم مكانهـا المخصّـص و مـدارها و مسارهـا المحـدّد لهـا بـدقّه و حساب، و ذلك طبقا لقانون الجاذبيه،و إنّ سـرعه السـير لكلّ منها محدّده أيضا وفق قانون معيّن و ثابت.

و هذه المسأله بالرغم من أنّها غير قابله للحساب بصوره دقيقه فى الأجرام

السماويه البعيده،إلاّ أنّ المجاميع الموجوده فى المنظومه الشمسيه التى تشكّل النجوم القريبه لنا،قد درست بدقّه و تبيّن أنّ نظام مداراتها دقيق إلى حدّ مدهش.

و عند ما يلاحظ الإنسان-طبقا لتصريحات العلماء-أنّ فى(مجرّتنا)فقط ألف مليون نجمه،و توجد فى الكون مجرّات كثيره،و كلّ واحده منها لها مسار خاصّ،عندئذ ستتوضّح لنا أهميّه هذا القسم القرآنى.

و نقرأ فى كتاب(اللّه و العلم الحديث)ما يلى:

«يعتقد العلماء الفلكيون أنّ هذه النجوم التى تتجاوز المليارات،و التى نرى قسما منها بالعين المجرّده،و القسم الكثير منها لا يمكن رؤيته إلاّ بالتلسكوبات بل إنّ قسما منها لا نستطيع مشاهدته حتّى بالتلسكوبات،اللهمّ إلاّ بوسائل خاصّه نستطيع أن نصوّرها بها.

كلّ من هذه النجوم تدور فى مدارها الخاصّ،و لا يوجد أى احتمال أنّ واحده منها تكون فى حقل الجاذبيه لنجمه اخرى.أو أنّ بعضها يصطدم بالبعض الآخر،و فى الواقع أنّ حاله التصادم المفترضه مثل ما لو افترضنا أنّ سفينه فى المحيط الهادىء تصطدم مع سفينه اخرى تجرى فى البحر الأبيض المتوسّط و كلّ منها سائره بموازاه الاخرى و بسرعه واحده...إنّ هذا الأمر لو لم يكن محالا فهو بعيد جدّا.كذلك الأمر بالنسبه للنجوم حيث أنّ كلا منها لها مدارها الخاصّ بها و لن تصطدم بالأخرى رغم السرعه الهائله لكلّ منها» (۱) .

و بالنظر إلى هذه الاكتشافات العلميه عن وضع النجوم،تتوضّح أهميّه القسم أعلاه،و لهذا السبب فإنّه تعالى يضيف فى الآيه اللاحقه: وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ .

التعبير ب لَوْ تَعْلَمُونَ يوضّح و بشكل جلىّ أنّ معرفه البشر فى ذلك الزمان

ص: ۴۹۶

۱- ۱) -اللّه و العلم الحديث،ص ۳۳.

لم تـدرك هـذه الحقيقه بصوره كـامله،و هـذه بحـدّ ذاتهـا تعتبر إعجازا علميّا للقرآن الكريم،حيث فی الوقت الـذی کانت تعتبر النجوم عبـاره عن مسـامیر فضـائیه رصّـعت السـماء بهـا فـانّ مثـل هـذا البیـان القرآنی الرائع فی ظـلّ ظروف و أوضاع یخیّم علیها الجهل،محال أن یصدر من بشر عادی.

و توضّح الآیه اللاحقه ما هو المقصود من ذکر هذا القسم؟ حیث یقول سبحانه: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ .

و بهذه الصوره فإنّه یردّ علی المشرکین المعاندین الذین یصرّون باستمرار علی أنّ هذه الآیات المبارکه هی نوع من التکهّن-و العیاذ باللّه-أو أنّه حدیث جنونی أو شعر،أو أنّه من قبل الشیطان..فیردّ علیهم سبحانه بأنّه وحی سماوی و حدیث بیّن و عظمته و أصالته لا غبار علیها،و محتواه یعبّر عن مبدأ نزوله،و أنّ هذا الموضوع واضح بحیث لا یحتاج لبیان المزید.

إنّ وصف القرآن ب«الکریم»(بما أنّ الکرم بالنسبه للّه هو:الإحسان و الإنعام، و یستعمل للبشر بمعنی اتّصاف الشخص بالأخلاق و الإحسـان،و بصوره عـامّه فهو إشـاره إلی المحـاسن العظیمه) (۱) إشـاره للجمـال الظـاهری للقرآن من حیث الفصـاحه و بلاغه الألفاظ و الجمل،و کذلک فإنّها إشاره لمحتواه الرائع،لأنّه نزل من قبل مبدأ و منشأ کلّه کمال و جمال و لطف.

نعم،إنّ القرآن کریم و قائله کریم و من جاء به کذلک،و أهدافه کریمه أیضا.

ثمّ یستعرض الوصف الثانی لهذا الکتاب السماوی العظیم حیث یقول تعالی:

فِی کِتٰابٍ مَکْنُونٍ

.

إنّه فی«لوح محفوظ»فی علم اللّه،محفوظ من کلّ خطأ و تغییر و تبدیل، و طبیعی أنّ الکتاب الذی یستلهم مفاهیمه و أفکاره من المبدأ الأعلی و أصله عند

۱- ۱) -الراغب فی المفردات مادّه(کریم).

اللّه،فإنّه مصون من كلّ تحريف و خطأ و اشتباه.

و فى ثالث وصف له يقول سبحانه: لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (۱) .

ذكر الكثير من المفسّرين-تماشيا مع بعض الرّوايات الوارده عن الأئمّه المعصومين-بعدم جواز مسّ(كتابه)القرآن الكريم بدون غسل أو وضوء.

فى الوقت الذى اعتبر بعض آخر أنّها إشاره إلى الملائكه المطهّرين الذين لهم علم بالقرآن،و نزلت بالوحى على قلب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقابل قول المشركين الذين كانوا يقولون:إنّ هذه الكلمات قد نزلت بها الشياطين على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كما اعتبر بعضهم أنّها إشاره إلى أنّ الحقائق و المفاهيم العاليه فى القرآن الكريم لا يدركها إلاّ المطهّرون،كما فى قوله تعالى: ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . (۲)

و بتعبير آخر فإنّ طهاره الروح فى طلب الحقيقه تمثّل حدّا أدنى من مستلزمات إدراك الإنسان لحقائق القرآن،و كلّما كانت الطهاره و القداسه أكثر كان الإدراك لمفاهيم القرآن و محتوياته بصوره أفضل.

إنّ التفاسير الثلاثه المارّه الذكر لا تتنافى مع بعضها البعض أبدا و يمكن جمعها فى مفهوم الآيه مورد البحث.

و فى رابع و آخر وصف للقرآن الكريم يقول تعالى: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ (۳) إنّ اللّه المالك و البارئ لجميع الخلق،قد نزّل هذا القرآن لهدايه البشر، و قد أنزله سبحانه على قلب النّبى الطاهر،و كما أنّ العالم التكوينى صادر منه و هو تعالى ربّ العالمين فكذلك الحال فى المجال التشريعى،فكلّ نعمه و هدايه فمن ناحيته و من عطائه.

۱- ۱) -«لا يمسّه»جمله خبريه يمكن أن تكون بمعنى النهى أو النفى.

۲- ۲) -البقره،۲.

۳- ۳) -تنزيل هنا مصدر بمعنى اسم مفعول أى(منزل)و هو خبر لمبتدأ محذوف،أو أنّه خبر بعد خبر.

ثمّ یضیف سبحانه: أَ فَبِهٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ هل أنتم بهذا القرآن و بتلک الأوصاف المتقدّمه تتساهلون،بل تنکرونه و تستصغرونه فی حین تشاهدون الأدلّه الصادقه و الحقّه بوضوح،و ینبغی لکم التسلیم و القبول بکلام اللّه سبحانه بکلّ جدیّه،و التعامل مع هذا الأمر کحقیقه لا مجال للشکّ فیها.

عباره«هذا الحدیث»فی الآیه الکریمه إشاره للقرآن الکریم،و«مدهنون» فی الأصل من مادّه(دهن)بالمعنی المتعارف علیه،و لأنّ الدهن یستعمل للبشره و امور اخری،فإنّ کلمه(أدهان)جاءت بمعنی المداراه و المرونه،و فی بعض الأحیان بمعنی الضعف و عدم التعامل بجدیه...و لأنّ المنافقین و الکاذبین غالبا ما یتّصفون بالمداراه و المصانعه،لذا استعمل هذا المصطلح أحیانا بمعنی التکذیب و الإنکار،و یحتمل أن یکون المعنیان مقصودان فی الآیه.

و الأصل فی الإنسان أن یتعامل بجدیّه مع الشیء الذی یؤمن به،و إذا لم یتعامل معه بجدیّه فهذا دلیل علی ضعف إیمانه به أو عدم تصدیقه.

و فی آخر آیه-مورد البحث-یقول سبحانه إنّکم بدلا من أن تشکروا اللّه تعالی علی نعمه و رزقه و خاصّه نعمه القرآن الکبیره،فانّکم تکذّبون به: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (۱) .

قال البعض:إنّ المقصود أنّ استفادتکم من القرآن هی تکذیبکم فقط،أو أن التکذیب تجعلونه وسیله لرزقکم و معاشکم (۲) .

إلّا أنّ التّفسیر الأوّل مناسب للآیات السابقه و لسبب النّزول أکثر من التّفسیرین الأخیرین.

و انسجاما مع هذا الرأی فقد نقل کثیر من المفسّرین عن ابن عبّاس قوله:

۱- ۱) -طبقا لهذا التّفسیر فإنّ کلمه(شکر)هنا محذوفه و تقدیرها کالتالی:«و تجعلون شکر رزقکم أنّکم تکذّبون»،أو أنّ الرزق کنایه عن(شکر الرزق).

۲- ۲) -طبقا لهذین التّفسیرین فلا یوجد شیء مقدّر.

أصاب الناس عطش فی بعض أسفاره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسقوا،فسمع رجلا یقول:مطرنا بنوء کذا،فنزلت الآیه(لأنّ العرب کانوا یعتقدون فی الجاهلیه بالأنواء و أنّ لها الأثر فی نزول المطر،و یقصد بها النجوم التی تظهر بین آونه و اخری فی السماء،و أنّ ظهورها یصاحبه نزول المطر،کما یعتقدون،و لهذا یقولون:مطرنا بنوء کذا،أی ببرکه طلوع النجم الفلانی،و هذا بذاته أحد مظاهر الشرک الجاهلی و عباده النجوم) (۱) .

و النقطه الجدیره بالملاحظه هنا أنّه جاء فی بعض الرّوایات عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه فلّما کان یفسّر الآیات،و إجمالا کان یتصدّی للتفسیر عند ما تستلزم الضروره،کما فی هذا المورد حیث أخبر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ المقصود من وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ أَنَّکُمْ تُکَذِّبُونَ «و تجعلون شکرکم أنّکم تکذّبون» (۲) .

تعقیب

اشاره

أوّلا:خصوصیه القرآن الکریم

یستنتج من الأوصاف الأربعه-التی ذکرت فی الآیات أعلاه-حول القرآن، أنّ عظمه القرآن هی فی عظمه محتواه من جهه،و عمق معناه من جهه اخری،و من جهه ثالثه فإنّ القداسه القرآنیه لا یستوعبها إلّا الطاهرون و المؤمنون،و من جهه رابعه:فی الجانب التربوی المتمیّز فیه،لأنّه نزل من ربّ العالمین،و کلّ واحده من هذه الصفات تحتاج إلی بحث مفصّل أوضحناه فی نهایه الآیات المناسبه لکلّ موضوع.

ص: ۵۰۰

---

۱ – ۱) -نقل هذا الحدیث الطبرسی فی مجمع البیان و نقل أیضا فی الدّر المنثور،ج ۶،ص ۱۶۳،و القرطبی،ج ۹،ص ۶۳۹۸: و المراغی،ج ۲۷،ص ۱۵۲،و روح المعانی،ج ۲۷،ص ۱۵۳ فی نهایه الآیات مورد البحث باختلاف یسیر.

۲ – ۲) -تفسیر الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۶۳،و نور الثقلین،ج ۵،ص ۲۲۷.

ثانيا:القرآن و الطهاره

نقرأ فى القرآن الكريم قوله تعالى: لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ و قلنا:إنّ المسّ يفسّر بالمسّ الظاهرى و بالمعنوى كذلك،و لا تضادّ بينهما،و هما مجموعان فى المفهوم الكلّى للآيه.

و فى القسم الأوّل نقلت روايات لأهل البيت عليهم السّلام

عن أبى الحسن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام أنّه قال: (المصحف لا تمسّه على غير طهر،و لا جنب و لا تمسّ خطّه و لا تعلّقه،إنّ اللّه تعالى يقول: لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (1) .

و نقل نفس المعنى فى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السّلام مع اختلاف مختصر (2) .

و جاء فى مصادر أهل البيت عليهم السّلام من طرق مختلفه

أنّ الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «لا يمسّ القرآن إلّا الطاهر» (3) .

و حول اللمس المعنوى

نقل عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «إنّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون»قال:«عند اللّه فى صحف مطهّره» لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ قال:«المقرّبون» (4) .

و هذا المعنى يمكن الاستدلال عليه بواسطه العقل أيضا،لأنّه رغم،أنّ القرآن الكريم هو كتاب هدايه لعموم الناس،و لكنّنا نعلم أنّ الكثير ممّن سمعوا القرآن من فم النّبى الأكرم،و رأوا هذا الماء الزلال فى عين الوحى الصافيه،إلّا أنّهم بسبب تلوّثهم بالعصبيه و العناد و الغرور لم يؤثّر فيهم أى تأثير و لم ينتفعوا به أقلّ انتفاع، و هناك أشخاص اهتدوا به لمجرّد أنّهم سعوا و لو قليلا لتطهير أنفسهم و تهذيبها

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۱،ص ۲۶۹،الحديث(۳)و طبقا لهذا الحديث فإنّ النفى فى الآيه أعلاه كنايه عن النهى.

۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۱،ص ۲۷۰،الحديث ۵.

۳- ۳) -نقل هذا الحديث فى الدرّ المنثور عن عبد اللّه بن عمر و معاذ بن جبل و ابن حزم الأنصارى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ج ۹، ص ۱۶۲.

۴- ۴) -الدرّ المنثور،ج ۶،ص ۱۶۲.

و جاءوا إلى القرآن بروح باحثه عن الحقّ و الحقيقه،فعلى هذا كلّما ازدادت طهاره و تقوى الإنسان فإنّه مرشّح لاستيعاب المفاهيم القرآنيه بصوره أعمق،و من هنا فإنّ الآيه تصدق فى البعدين(المادّى و المعنوى)و(الجسمى و الروحى).

و ممّا لا شكّ فيه أنّ شخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه المعصومين عليهم السّلام و الملائكه المقرّبين هم أوضح مصداق للمقرّبين الذين أدركوا حقائق القرآن الكريم بصوره متميّزه عن الجميع.

ص :۵۰۲

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۸۳ الى ۸۷]

اشاره

فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ اَلْحُلْقُومَ (۸۳) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (۸۴) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُبْصِرُونَ (۸۵) فَلَوْ لاٰ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (۸۶) تَرْجِعُونَهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۸۷)

التّفسير

اشاره

عند ما تصل الروح إلى الحلقوم:

من اللحظات الحسّاسه التى تقلق الإنسان دائما هى لحظه الاحتضار و نهايه العمر،فى تلك اللحظه يكون كلّ شىء قد انتهى،و قد جلس أهله و أحبّاؤه ينظرون إليه بيأس كشمعه قد انتهى أمدها و ستنطفئ رويدا رويدا،حيث يودّع الحياه دون أن يستطيع أحد أن يمدّ إليه يد العون.

نعم،إنّ الضعف التامّ للإنسان يتجسّد فى تلك اللحظات الحسّاسه ليس فى العصور القديمه فحسب بل حتّى فى عالمنا المعاصر،فمع توفّر جميع الإمكانات الطبيّه و الفنيّه و الوسائل العلاجيه فإنّ الضعف يتجلّى فى ساعه الاحتضار.

و تكمله لأبحاث المعاد و الردّ على المنكرين و المكذّبين فإنّ القرآن الكريم يرسم لنا صوره معبّره و مجسّده لهذه اللحظات حيث يقول سبحانه: فَلَوْ لاٰ إِذٰا

بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ

و لا تستطيعون عمل شیء من أجله (۱) .

و المخاطبون هنا هم أقارب المحتضر الذين ينظرون إلى حالته فى ساعه الاحتضار من جهه،و يلاحظون ضعفه و عجزه من جهه ثانيه،و تتجلّى لهم قدره اللّه تعالى على كلّ شىء،حيث أنّ الموت و الحياه بيده،و أنّهم-أى أقاربه-سيلاقون نفس المصير (۲) .

ثمّ يضيف سبحانه وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُبْصِرُونَ .

نعم،نحن الذين نعلم بصوره جيّده ما الذى يجول فى خواطر المحتضر؟و ما هى الإزعاجات التى تعتريه؟نحن الذين أصدرنا أمرنا بقبض روحه فى وقت معيّن،إنّكم تلاحظون ظاهر حاله فقط،و لا تعلمون كيفيه انتقال روحه من هذه الدار إلى الدار الآخره،و طبيعه المخاضات الصعبه التى يعيشها فى هذه اللحظه.

و بناء على هذا فالمقصود من الآيه هو:قرب اللّه عزّ و جلّ من الشخص المحتضر،بالرغم من أنّ البعض احتمل المقصود بالقرب(ملائكه قبض الروح)إلّا أنّ التّفسير الأوّل منسجم مع ظاهر الآيه أكثر.

و على كلّ حال فإنّ اللّه سبحانه ليس فى هذه اللحظات أقرب إلينا من كلّ أحد،بل هو فى كلّ وقت كذلك،بل هو أقرب إلينا حتّى من أنفسنا،بالرغم من أنّنا بعيدون عنه نتيجه غفلتنا و عدم و عينا،و لكن هذا المعنى فى لحظه الاحتضار يتجلّى أكثر من أى وقت آخر.

ثمّ للتأكيد الأشدّ فى توضيح هذه الحقيقه يضيف تعالى: فَلَوْ لاٰ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ .

ص:۵۰۴

۱- ۱) -للآيه محذوف تقديره(فلو لا إذا بلغت الحلقوم لا ترجعونها و لا تملكون شيئا)و هذا ما يستفاد من الآيات اللاحقه و قد لحقت تاء التأنيث بالفعل لأنّها متعلّقه بالنفس.

۲- ۲) -احتمل البعض أنّ المخاطب هنا هو الشخص المحتضر،و هذا بعيد جدّا حسب الظاهر،لأنّ الآيه اللاحقه توضّح بصوره جيّده أنّ المخاطب هم متعلّقوا المحتضر.

إنّ ضعفكم هذا دليل أيضا على أنّ مالك الموت و الحياه واحد، و أنّ الجزاء بيده،و هو الذى يحى و يميت.

«مدينين»:جمع(مدين)من مادّه(دين)بمعنى الجزاء،و فسّرها البعض بمعنى المربوبين.و المعنى هو:يا أيّها العباد،إن كنتم تحت ربوبيه موجود آخر،و مالكى نواصى أموركم،فارجعوا أرواحكم التى قبضناها،و هيهات تقدرون!و هذا دليل آخر على أنّكم فى قبضه الحكومه الإلهيه.

تعقيب

اشاره

۱-لحظه ضعف الجبّارين

إنّ الهدف من هذه الآيات-فى الحقيقه-هو بيان قدره اللّه عزّ و جلّ على مسأله الموت و الحياه،كى ينتقل منها إلى مسأله المعاد و إختيار لحظات الاحتضار و الموت هنا لظهور غايه الضعف الإنسانى بالرغم من كلّ القوّه التى يتصوّرها لنفسه.

و من المفيد أن نستعرض بعض حالات الجبّارين لحظه احتضارهم بالرغم من أنّهم كانوا فى أوج القدره حتّى يتّضح المعنى العميق لهذه الآيه بصوره أفضل.

حكى المسعودى فى مروج الذهب فى أخبار المأمون و غزاته أرض الروم ما هذا ملخّصه:و انصرف من غزاته إلى منزل على(عين البديدون)المعروفه بالقشيره فأقام هنالك،فوقف على العين فأعجبه برد مائها و صفاؤه و بياضه و طيب حسن الموضع،و كثره الخضره فأمر بقطع خشب طويل منبسط على العين كالجسر،و جعل فوقه كالأزج من الخشب و ورق الشجر،و جلس تحت الكنسيه التى عقدت له،و الماء تحته،و طرح فى الماء درهم صحيح، فقرأ كتابته و هو فى قرار الماء لصفاء الماء،و لم يقدر أحد أن يدخل يده من شدّه برده.

فبينما هو كذلك إذ لاحت سمكه نحو الذراع كأنّها سبيكه فضّه،فجعل لمن يخرجها سيفا فبدر بعض الفراشين فأخذها و صعد فلمّـا صـارت على حرف العيـن أو على الخشب الـذى عليه المأمون اضـطربت و انفلتت مـن يـد الفراش فوقعت فى الماء كـالحجر،فنضـح من الماء على صدر المأمون و نحره و ترقوته فبلّت ثوبه،ثمّ انحدر الفرّاش ثانيه فأخذها و وضعها بين يدى المأمون فى منديل تضطرب،فقال المأمون:تقلى الساعه ثمّ أخذته رعده من ساعته،فلم يقدر يتحرّك من مكانه، فغطّى باللحف و الدواويج و هو يرتعد كالسعفه و يصيح:البرد البرد،ثمّ حوّل إلى المغرب و دثّر و أوقدت النيران حوله و هو يصيح:البرد البرد،ثمّ أتى بالسمكه و قد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها و شغله ما هو فيه عن تناول شىء منها.

و لمّا اشتدّ به الأمر سأل المعتصم بختيشوع و ابن ماسويه فى ذلك الوقت عن المأمون و هو فى سكرات الموت،و ما الـذى يدلّ عليه علم الطبّ من أمره،و هل يمكن برؤه و شفاؤه،فتقـدّم ابن ماسويه و أخـذ إحـدى يـديه و بختيشوع الاخرى، و أخذا يجسّان كلتا يديه فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء و الانحلال،و التزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الأفاعى،فأخبر المعتصم بذلك،فسألهما عن ذلك فأنكرا معرفته، و أنّهما لم يجداه فى شىء من الكتب و أنّه دالّ على انحلال الجسد،فأحضر المعتصم الأطباء حوله و هو يأمل خلاصه ممّا هو فيه،فلمّا ثقل قال:أخرجونى أشرف على عسكرى و أنظر إلى رحالى و أتبيّن ملكى،و ذلك فى الليل،فاخرج فأشرف على الخيم و الجيش و انتشاره و كثرته و ما قد وقد من النيران،فقال:يا من لا يزول ملكه،ارحم من زال ملكه،ثمّ ردّ إلى مرقده و أجلس المعتصم رجلا يشهده.

و لمّـا ثقـل رفع الرجـل صوته ليقولهـا(أى الشـهاده)فقـال له ابن مـاسويه:لاـ تصـحّ فو اللّه مـا يفرّق بين ربّه و بين مـا نى فى هـذا الوقت،ففتح عينيه من ساعته

ص :۵۰۶

و بهما من العظمه و الكبر و الاحمرار ما لم ير مثله قطّ.و أقبل يحاول البطش بيـديه بابن ماسويه،و رام مخاطبته فعجز عن ذلك،و قضى عن ساعته و ذلك لثلاث عشره ليله بقيت من رجب سنه ثمان عشره و مائتين و حمل إلى طرطوس فدفن بها (۱) .

و يحتمل أن يكون لمرضه سابقه،و يقول بعض المؤرّخين:إنّ كلّ شـخص شـرب من ماء تلك العين مرض،أو أنّ السمكه كانت تحتوى على رشـح سامّ، و كيفما كان فإنّ الحكومه بتلك العظمه قد انهارت فى بعض لحظات،و انحنى بطل ميادين الحرب أمام شراع الموت،و لم تكن القدره لأى شخص أن يصنع شيئا للمأمون،أو على الأقل ليوصله إلى مقرّه و مسكنه.

و للتاريخ خواطر و قصص كثيره فيها دروس و عبر من هذا القبيل.

ثانيا:هل أنّ قبض الروح يكون تدريجيّا؟

إنّ التعبير بوصول الروح إلى الحلقوم كمـا فى قوله تعـالى: فَلَوْ لاـ إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ كنـايه عن آخر لحظـات الحيـاه،كمـا أنّه من المحتمـل أن يكـون منشؤهـا هـو أنّ غـالبيه أعضـاء جسم الإنسـان كالأيـدى و الأرجـل تتعطّـل عنـد الموت قبـل بعض الأعضـاء الاخرى،و الحلقوم هو العضو الأخير الذى يتوقّف عن العمل.قال تعالى:

كَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ التَّرٰاقِيَ . (۲) (و الترقوه)هى العظام التى تحيط بأطراف الحلق.

۱- ۱) -مروج الذهب،طبق لنقل سفينه البحار،ج ۱،ص ۴۴.

۲- ۲) -القيامه،۲۶.

الآيات [سوره الواقعه (۵۶): الآيات ۸۸ الی ۹۶]

اشاره

فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۸۸) فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّهُ نَعِيمٍ (۸۹) وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ اَلْيَمِينِ (۹۰) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ اَلْيَمِينِ (۹۱) وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنَ اَلْمُكَذِّبِينَ اَلضّالِّينَ (۹۲) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (۹۳) وَ تَصْلِيَهُ جَحِيمٍ (۹۴) إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اَلْيَقِينِ (۹۵) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلْعَظِيمِ (۹۶)

التّفسير

اشاره

مصير الصالحين و الطالحين:

هـذه الآيات فى الحقيقه نوع من الخلاصه للآيات الاولى و الأخيره من هـذه السوره،كما أنّها تجسّد حاله التفاوت بين البشر فى حاله الاحتضار،و كيف أنّ قسما منهم يلفظون أنفسهم بهدوء و راحه فى تلك اللحظات الصعبه،و آخرين تلوح لهم من بعيد النار الحاميه،و يسيطر عليهم الخوف و الاضطراب و الهلع فيلفظون أنفاسهم بصعوبه بالغه.

يقول سبحانه فى البدايه: فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّهُ نَعِيمٍ .

«روح»:على وزن(قول)-كما ذكر ذلك أئمّه اللغه-فى الأصل بمعنى التنفّس.

«الريحان»:بمعنى النبات أو الشىء ذى العطر،ثمّ اصطلح على كلّ شىء باعث للحياه و الراحه،كما أنّ الريحان يطلق على كلّ نعمه و رزق كريم.

و بناء على هذا فإنّ الروح و الريحان الإلهيين يشملان كلّ وسائل الراحه و الطمأنينه للإنسان،و كلّ نعمه و بركه إلهيّه.

و بتعبير آخر:يمكن القول أنّ الروح إشاره إلى كلّ الأمور التى تخلّص الإنسان من الصعوبات ليتنفّس براحه،و أمّا الريحان فإنّه إشاره إلى الهبات و النعم التى تعود إلى الإنسان بعد إزاله العوائق.

و قد ذكر المفسّرون الإسلاميون تفاسير متعدّده لهذين المصطلحين قد تصل إلى عشره تفاسير:

فقالوا:«الروح»بمعنى الرحمه،و«الريحان»يشمل كلّ فضيله و شرف.

و قالوا:إنّ الروح هى النجاه من نار جهنّم،و الريحان دخول الجنّه.

و ذكروا أيضا أنّ الروح بمعنى الهدوء فى القبر،و الريحان دخول الجنّه.

و فسّر آخرون الروح بمعنى كشف الكروب،و الريحان بمعنى غفران الذنوب.

و قال آخرون:الروح بمعنى النظر إلى وجه اللّه سبحانه،و الريحان الاستماع إلى كلام اللّه.و ما إلى ذلك.

و يمكن القول أنّ جميع هذه التفاسير مصاديق لهذا المفهوم الكلّى و الجامع، و الذى ذكر فى تفسير الآيه أعلاه.

و الجدير بالملاحظه أنّ الحديث عن«جنّه النعيم»جاء بعد ذكر الروح و الريحان و قد يستفاد من هذا أنّ الروح و الريحان يكون من نصيب المؤمنين فى الاحتضار و القبر و البرزخ،و أمّا الجنّه ففى الآخره،كما نقرأ فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام فى تفسيره لهذه الآيه حيث قال: فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ

وَ رَيْحَانٌ

يعنى فى قبره(و جنّه نعيم)يعنى فى الآخره (۱) (۲) .

ثمّ يضيف سبحانه: وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ و هم تلك الثله الصالحه من الرجال و النساء الذين يستلمون صحيفه أعمالهم بيدهم اليمنى كعلامه للفوز و النصر و النجاح فَسَلامٌ لَکَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ .

و بهذا الترتيب فإنّ ملائكه اللّه المختصّين بقبض الروح فى لحظات الانتقال من هذه الدنيا يوصلون سلام أصحاب اليمين إلى المحتضر.كما قال تعالى فى وصف أهل الجنّه و كلامهم: إِلاّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً (۳) .

و يوجد احتمال آخر أيضا فى تفسير هذه الآيه و هو أنّ السلام يكون من قبل الملائكه حين يقولون له:سلام عليك أيّها العبد الصالح،يا من هو من أصحاب اليمين،أى يكفيك من الافتخار و الوصف أن تكون فى صفّ هؤلاء (۴) .

و تبيّن بعض الآيات القرآنيه الاخرى أيضا أنّ المؤمنين و هم فى حاله الاحتضار يتلقّون سلاما من الملائكه كما فى قوله تعالى: اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّهَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵) .

و على كلّ حال فإنّ تعبير(سلام)تعبير ذو معنى،سواء كان من الملائكه أو من أصحاب اليمين،فالسلام يعبّر عن الروح و الريحان و كلّ أنواع الهدوء و النعمه

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۲۸،حديث ۱۰۴،۱۰۳.

۲- ۲) -«روح»من الممكن أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره(فجزاؤه روح)،أو مبتدأ لخبر محذوف تقديره(فله روح)، و جمله(فروح و ريحان و جنّه نعيم)تكون جزاء(أمّا)و انّ الشرطيه مع وجود هذا الجزاء مستغنيه من الجزاء الآخر(يرجى الانتباه).

۳- ۳) -الواقعه،۲۶.

۴- ۴) -و بناء على هذا فللآيه تقديران،الأوّل بلحاظ أنّ(من)بيانيه،و عندئذ تكون الصوره كما يلى:يقال له:سلام لك من أصحاب اليمين.أمّا الصوره الثانيه فبلحاظ أنّ(من)ابتدائيه فتكون بالشكل التالى:سلام لك انّك كنت من أصحاب اليمين.إلاّ أنّه بملاحظه التّفسير الأوّل فإنّ له تقديرا واحدا و هو:(يقال له...).

۵- ۵) -النمل،۳۲.

و السلامه (۱) .

و ينبغى الانتباه إلى أنّ التعبير ب«أصحاب اليمين»سببه أنّ الإنسان فى الغالب يتصدّى لإنجاز أعماله الأساسيه و المهمّه بيده اليمنى،لذلك فإنّ اليد اليمنى دلاله القدره،و المهاره و القابليه و النجاح.

و نقرأ

فى حديث للإمام الباقر عليه السّلام فى تعقيبه على نهايه هذه الآيه أنّه قال:«هم شيعتنا و محبّونا» (۲) .

ثمّ تستعرض الآيات الكريمه القسم الثالث الذين مرّ ذكرهم فى أوائل هذه السوره عبر التصنيف الذى ذكر و اصطلح عليهم ب(أصحاب الشمال)حيث يقول تعالى: وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَهُ جَحِيمٍ (۳) .

نعم،إنّهم على مشارف الموت حيث يذوقون أوّل عذاب إلهى،و يتجرّعون مراره عقاب يوم القيامه فى القبر و البرزخ،و لأنّ الحديث عن حال المحتضر فإنّ جمله فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ من الأنسب أن يكون المراد منها هو عذاب البرزخ، وَ تَصْلِيَهُ جَحِيمٍ إشاره إلى عذاب يوم القيامه.

و نقل فى هذا المعنى روايات عديده لأئمّه أهل البيت عليهم السّلام (۴) .

و النقطه الجديره بالذكر هنا أنّ كلمه(المكذّبين الضالّين)ذكرت الواحده تلو الاخرى،حيث أنّ الاولى تشير إلى تكذيب القيامه و وحدانيه اللّه سبحانه و نبوّه الرّسول،و الثانيه تشير إلى الأشخاص الذين انحرفوا عن طريق الحقّ.

و هذا التعبير بالإضافه إلى أنّه يؤدّى معنى التأكيد،فإنّه يمكن أن يكون إشاره إلى أنّ قسما من الأشخاص الضالّين من فصيله الأفراد المستضعفين أو الجهله

ص: ۵۱۱

۱- ۱) -حول التحيّات التى تقدّم لأصحاب الجنّه،جاء بحث مفصّل عنها فى نهايه الآيه(۵۸)من سوره يونس.

۲- ۲) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۲۸۵.

۳- ۳) -نزل خبر لمبتدأ محذوف تقديره فجزاؤه نزل من حميم،أو مبدأ لخبر محذوف تقديره،فله نزل من حميم.

۴- ۴) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۲۲۹.

القاصرين الذين ليس لديهم إصرار و عناد على الباطل،يمكن أن تشملهم الألطاف الإلهيّه.أمّا المكذّبون المعاندون فإنّهم سيبتلون بالمصير البائس و العاقبه السيّئه التى تقدّم ذكرها.

«حميم»:بمعنى الماء الحارق أو الرياح الحاره و السموم.و(تصليه)مأخوذه من مادّه(صلى)على وزن(سعى)بمعنى الاحتراق و الدخول فى النار.

أمّا(تصليه)المتعديه فتأتى بمعنى الإحراق فقط.

و فى نهايه هذا الحديث يضيف سبحانه: إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

و المعروف بين المفسّرين أنّ«حقّ اليقين»من قبيل الإضافه البيانيه،يعنى أنّ الذى تقدّم ذكره حول الأقسام الثلاثه و هم(المقرّبون و أصحاب اليمين و المكذّبون)فهو عين الحقيقه و الحقّ و اليقين.

و هنا يوجد احتمال أيضا و هو:بما أنّ لليقين درجات متعدّده،فإنّ أعلى مرحله له هى(حقّ اليقين)أى يقين واقعى كامل و خال من كلّ شكّ و شبهه و ريب (1) .

و ممّا قلنا يتّضح أنّ(هذا)فى هذه الآيه إشاره إلى أحوال الأقسام الثلاثه الآنفه الذكر،كما احتمل البعض أيضا أنّها إشاره إلى كلّ محتويات سوره الواقعه أو القرآن أجمع،إلاّ أنّ التّفسير الأوّل هو الأنسب.

و هنا نقطه جديره بالذكر أيضا و هى أنّ التعبير ب(فسبّح)-الفاء تفريعيّه-هو إشاره إلى أنّ ما قيل حول الأقسام الثلاثه هو عين العداله،و بناء على هذا اعتبر (ربّك)منزّها من كلّ ظلم،و إذا ما أريد الابتعاد عن مصير أصحاب الشمال فعلينا أن نتنزّه من كلّ شرك و ظلم المتلازمان مع إنكار القيامه.

ص:512

1- 1) -طبقا لهذا التّفسير فإنّ إضافه حقّ إلى كلمه(يقين)جاءت للاختصاص و التقييد،و اعتبرها البعض-أيضا-من قبيل إضافه الموصوف إلى الصفه و قالوا بمعنى(اليقين)الحقّ.

و نقل كثير من المفسّرين حول نهايه آخر الآيه بعد ما نزلت على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

أنّه قال: «اجعلوها فى ركوعكم» (أى قولوا:سبحان ربّى العظيم)و عند ما نزلت:سبّح اِسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «اجعلوها فى سجودكم»، أى قولوا:

سبحان ربّى الأعلى (١) .

و فى تفسير الآيه ٧۴ من نفس السوره نقلنا ما هو شبيه بهذه الرّوايه عن بعض المفسّرين.

تعقيب

اشاره

عالم البرزخ:

أشارت الآيات أعلاه إلى عالم البرزخ،و قد بيّنا عند تفسيرها أنّ الإنسان- فى حاله احتضاره و هو على مشارف الموت يتهيّأ للانتقال من دار الدنيا إلى عالم الآخره-سيواجه واحده من هذه الحالات،أمّا النعم و الهبات الإلهيّه و الجزاء الربّانى بالروح و الريحان،أو العقاب و الجزاء المؤلم،و العاقبه البائسه.

كما أنّ القرائن الموجوده فى الآيات ترينا أنّ قسما ممّا يثاب به أو يعاقب عليه مرتبط بيوم القيامه،و القسم الآخر مرتبط بالقبر و البرزخ،و يعدّ هذا دليلا على وجود عالم البرزخ.

و

فى حديث لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نقرأ ما يلى: «إنّ أوّل ما يبشّر به المؤمن عند الوفاه بروح و ريحان و جنّه نعيم،و إنّ أوّل ما يبشّر به المؤمن فى قبره أن يقال له:

أبشر برضا اللّه تعالى و الجنّه قدمت خير مقدم،و قد غفر اللّه لمن يشيّعك إلى قبرك،

١- ١) -تفسير أبو الفتوح الرازى،و روح المعانى،و روح البيان،القرطبى،و الدرّ المنثور،و تفسير المراغى،فى نهايه الآيات مصدر البحث.

و صدّق من شهد لک،و استجاب لمن استغفر لک» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن أمیر المؤمنین أنّه قال: «إنّ ابن آدم إذا کان فی آخر یوم من أیّام الدنیا و أوّل یوم من أیّام الآخره،مثل له ماله و ولده و عمله فیلتفت إلی عمله فیقول:و اللّه إنّی کنت فیک لزاهد،و إن کنت علیّ لثقیلا،فما ذا عندک؟فیقول:

أنا قرینک فی قبرک،و یوم نشرک حتّی أعرض أنا و أنت علی ربّک،قال:فإنّ کان للّه ولیّا أتاه أطیب الناس ریحا،و أحسنهم منظرا،و أحسنهم ریاشا،فیقول:أبشر بروح و ریحان،و جنّه نعیم،و مقدمک خیر مقدم،فیقول له:من أنت؟فیقول:أنا عملک الصالح،ارتحل من الدنیا إلی الجنّه» (۲) .

و قد سبق لنا بحث مفصّل حول عالم البرزخ فی نهایه الآیه(۱۰۰)من سوره (المؤمنون).

اللهمّ،اجعلنا فی صفّ المقرّبین و أصحاب الیمین،و خاصّه أولیائک و أحبّتک، و اشملنا بروح و ریحان و جنّه نعیم عند مشارف الموت.

اللهمّ،إنّ عذاب الحشر عذاب ألیم لا یطیقه أحد،و ثوابک الاخروی عظیم لا یستوجبه أی شخص بأعماله،و إنّ رأسمالنا فی ذلک الیوم هو لطفک و کرمک یا کریم.

إلهی،أیقظنا قبل وصول القیامه الکبری و القیامه الصغری-و الذی هو الموت -لنعدّ أنفسنا للسفر العظیم الذی یواجهنا..

آمین یا ربّ العالمین.

نهایه سوره الواقعه

۱- ۱) -الدرّ المنثور،ج ۶ ص ۱۶۶.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۲۲۸،حدیث ۱۰۶.

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩